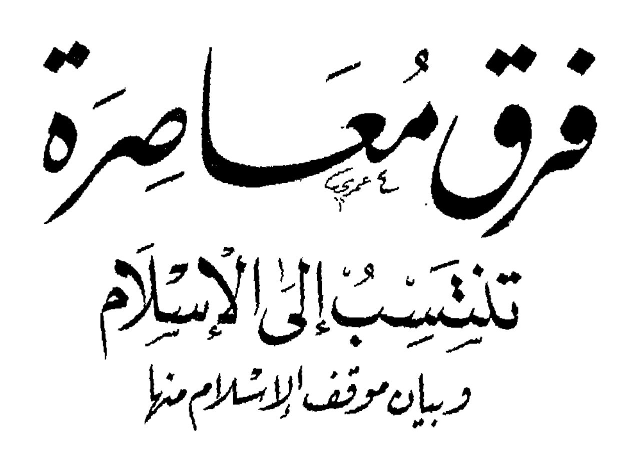


الجزء الثاني

إعداد

غالب بن علي عواجي

عضو هيئة التدريس بالجامعة الإسلامية بالمدينة النبوية

١٤١٤هـ



دمنهور - ت: ٠٤٥/٣٣٥١٩٩

الطبعة الأولى

١٤١٤هـ - ١٩٩٣م



دمنهور ـ ت ٣٣٥١٩٩٠ ٠٤٥

الباب الثامن

القاديانية

تمهيد

التحذير من ظهور دجالين يدعون النبوة بعد محمد ﷺ

قال تعالى: ﴿**ما كان محمد أبا أحد من رجالكم و لكن رسول الله وخاتم النبيين**﴾(1).

وقال تعالى : ﴿ **اليوم أكملت لكم دينكم وأتمت عليكم نعمتي ورضيت لكم الإسلام دينا** ﴾(2).

وجاء في السنة النبوية على صاحبها أفضل الصلاة والسلام :

١ - («**وايم الله لقد تركتكم على مثل البيضاء ليلها ونهارها سواء**» قال أبو الدرداء: «صدق والله رسول الله ﷺ تركنا والله على مثل البيضاء ليلها ونهارها سواء» (3).

٢ - ويقول عليه الصلاة والسلام في بيان أنه لاخير إلا دل أمته عليه ولا شر إلا وحذرها منه «**أنه لم يكن نبي قبلي إلا دل أمته على ما يعلمه خيرا لهم ويحذرهم ما يعلمه شرا لهم**» (4).

فقد جمعت هذه النصوص بيان ختم النبوة بمحمد ﷺ وبيان إكمال الدين من عند الله عز وجل وبيان إكماله من قبل المصطفى ﷺ ، وبيان كمال النصح والشفقة من الرسول ﷺ حيث بين كل ما يحتاج إليه المسلم في أمور دينه

(1) الأحزاب : ٤٠ .
(2) المائدة : ٣ .
(3) أخرجه ابن ماجة : ١ / ٤ .
(4) أخرجه أحمد : ٢/١٦١ ، ١٩١ .

ودنياه، ولم يبق لأي متحذلق مجال في الزيادة في الدين أو النقص منه لأن ماأكمله الله لا يحتاج إلى إكمال.

وفي إثبات ختم النبوة وردت نصوص كثيرة نكتفي ببعضها هنا ومن أراد التوسع فعليه بكتب الحديث والتوحيد وما كتبه العلماء عن هذه القضية بخصوصها ومن تلك النصوص :

١ ـ عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ أنه قال : « **كانت بنو إسرائيل تسوسهم الأنبياء كلما هلك نبي خلفه وأنه لانبي بعدي** » [١].

٢ ـ وعن سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال لعلي حينما خرج إلى تبوك « **ألاترضى أن تكون مني بمنزلة هارون من موسى إلا أنه ليس نبي بعدي** » [٢].

إذا لانبي بعده عليه الصلام والسلام ولكن هناك جريئون لايبالون بالكذب على الله وعلى رسوله ﷺ يدعون النبوة بكل صلافة وفي هؤلاء يقول المصطفي ﷺ :

١ ـ عن جابر بن سمرة قال : « **سمعت رسول الله ﷺ يقول إن بين يدي الساعة كذابين** » [٣].

٢ ـ وعن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: « **لا تقوم الساعة حتى يبعث دجالون كذابون قريبا من ثلاثين كلهم يزعم أنه رسول الله** » [٤].

وتوجد أحاديث كثيره رواها أصحاب المسانيد والسنن كلها تكذيب لمن ادعى النبوة بعد محمد ﷺ مهما زخرف صاحبها القول وتفنن في الخداع والاحتيال.

---

(١) صحيح البخاري : ٦ / ٤٩٥ ومسلم : ٤ / ٥٠٩ .

(٢) صحيح البخاري : ١٢/٨ ، ومسلم : ٢٦٨/٥ .

(٣) مسلم : ٧٦٨/٥ .

(٤) البخاري : ٥١٦/٦ .

ولقد أجمعت الأمة الإسلاميـة وصار معلوما من الدين بالضروره أن الرسول محمدا ﷺ هو خاتم الأنبياء لانبي بعده لوصـول البشرية إلى نهاية الكمال الذي لا يحتـاجون بعـده إلى نبي ولا إلى رسالـة جديدة فقـد أكمل الله الـدين وصار صالحا للبـشرية إلى نهاية هذا الكون وهذه نعـمة من الله تعالى على البشـر عامة لتجتمع همـتهم على هذا الدين القيم وتطمئن نفوسهم إلى أنه لاتبـديل ولا تغيير لأحكامه وأن عليهم فقط تنفيذ ماجاء من أحكامه وشرائعه للوصول إلى السعادة الأبدية في الدنيا والآخرة .

واتفق المسلمون على أن كل من يدعي النبوة بعد محمد ﷺ فإما أن يكون ملحـدا كذابا أو مـجنونا مـهوسـا ومن المعلوم أن أعـداء الإسلام والمستـعمـرين أصـحـاب المطامع الواسعـة في بلاد المسلمـين لم يرضـهم هذا المنـهج الإلهي وكذلك لـم يرضى هذا المنهج أصحـاب النفوس المريضـة المتعطشـة إلى السلطة والعلو في الأرض بغير الحق فـقام كذابون يدعون النبوة معـرضين عن ماذكر الله في كتـابه وما ذكـره رسوله محـمد ﷺ من انقطاع النـبـوة وتظاهروا بالإسـلام لتحقـيق مطامعهم ولم يكونوا وحـدهم في هذا الميدان بل وجدوا من يشـجعهم ويمدهم بالمال وهم المستعمرون الذيـن رأوا أن هؤلاء هم أفتك الأسلحة لتـفريق كلمة المسلمين وارجاعهم إلى الذل والوثنـية فربوهم على أيديهم وأمدوهم بكل ما يحقق أحلامهم وقد ذهب هؤلاء المغـرمون بدعوى النبوة إلى تأويل النصوص الواردة في ختم النبـوة لنبينا محـمد ﷺ تأويلا شنيعا باطنيـا سواء كـانت تلك النصـوص من القـرآن الكريم مـثل قـوله تعـالى: ﴿ **ما كـان محـمد أبا أحـد من رجالكم ولكن رسول الله وخاتم النبين وكان الله بكل شيء عليما** ﴾ .

أو كـانت من السنة النـبـوية مثل قـول الرسـول ﷺ « **سيكون فـي أمتي كذابون ثلاثون كلهم يزعم أنه نبي الله وأنا خاتم النبيين لانبي بعدي** » .

أو قوله ﷺ لعلي: « **أنت مني بمنزلة هارون من موسى إلا أنه لانبي بعدي** » متلاعبين بمعانيها على حسب ما يخدم عقائدهم الإلحادية غير عابئين بما أتفق عليه

المسلمون من معانيها أو بما تدل عليـه اللغة العربية التي أنزل الله بها القرآن الكريم وشرفهـا به وجعلها أفضل اللغـات وجعلها مفخـرة كل مسلم في كل مكان من الأرض ، وصار هؤلاء يتخبطون في كل أمر يريدونه لا يرجعون فيه إلى أهله ولا أدل على هذا من إجماع المسلمين كلهم وإجمـاع كل اللهجات العربية على أن الختم معناه آخر الشيء ونهايته بينما معناه عند هؤلاء يختلف عن ذلك تماما.

فهو عندهم إما أن يكون بمعنى الأفضل أو الزينة أو غير ذلك مما سنذكره إن شاء الله عنهم ومما لايجهله طلاب العلم أن هذه المعـاني التي جاؤا بها هي واهية كبيت العنكبوت وتدل كذلك على فـراغهم من العلم ورغبتهم في الخروج على منهج الله تعالى بتلك التأويلات الفاسدة التي لا تدل عليها اللغة ولاأقوال أهل العلم.

والواقع أن هؤلاء الفجـرة أمثال أحمد القـادياني أو حسين على المازندراني زعيم البهـائية أو غيرهم قد أحـدثوا فوضى في مفهـوم النبوة بحماقاتهم فـفقدت كلمـة النبوة جـلالتها وحـرمتـها وقـداستـها في نفـوس بعض الناس إذ هان على أصحاب المطامع والنفوس المريضة بصفة عـامة بعد هؤلاء أن يتنبؤا خصوصا وقد أنسوا من أعـداء الإسلام تعـاطفا مـعهم وحمـاية لهم اضافـة إلى ما أحـدثته هذه النبوات الكثيرة المزعومة من بلبلة أفكار المسـلمين واضطرابهم وتمزيق وحدتهم وإفلاسهم الروحي العميق لقد أضـافت الحركة القاديانية إلى الأضطراب والجهل بالدين وتشـتـيت كلمـة المسلمين وتضـارب أفكارهم في الهند وفي غـيـر الهند أضافت هذه الحـركة حينما جـاءت في ذلك الليل البهـيم تمزيقا جـديدا لوحدة المسلمين وتبـاعدا بينهم وأخـذ بعضـهم يكفر البـعض الآخر وضـعفت كلمـتهم واسهـمت بريطانيا العدو الأكبـر للمسلمين في محـاولة الإجهاز على البقـية من تعلق المسلمين بدينهـم ووحدتهم في الهند وفي كل مكان وصلـت إليه أقدامـهم النجسة في تلـك الحقبة التي ظهر فـيها الغلام بدعوتـه الخرافية المشـؤومة وكذلك الميرزا حـسين على المازنـدراني في إيران وفي فلسطين وقـبله على مـحـمـد الشيرازي وللباطل جولة ثم يضمحل.

الفصل الأول

كيف نشأت القاديانية

القاديانية وهي احدى الفرق الباطنية الخبيثة[١]ظهرت في آخر القرن التاسع عشر المسيحى في الهند،وتسمى في الهند وباكستان بالقاديانية وسموا أنفسهم في أفريقيا وغيرها من البلاد التي غزوها بالأحمدية تمويهًا على المسلمين أنهم ينتسبون إلى الرسول ﷺ«والقاديانية ثورة على النبوة المحمدية على صاحبها أفضل الصلاة والسلام وثورة على الإسلام ومؤامرة دينية وسياسية كمايذكر الندوي»[٢].

احتضنها الإنجليز حينما كانوا حكاما مستعمرين للهند وتبنوها وبذلوا لنصرتها مافي وسعهم من الإمكانيات المادية والمعنوية وذلك لما رأوه فيها من تحقيق مآربهم والتمكين لهم في الهند وفي غير الهند واحتضنتها كذلك اليهودية العالمية ولهم مراكز في أنحاء العالم وفي إسرائيل لنشر الإسلام ـ كما يزعم القاديانيون ـ وقد نبغت هذه الفتنة في عصر كثر الاضطراب فيه وخيم الجهل وانتشرت الأفكار والمبادئ الهدامة على أوسع نطاق . وتغلغلت بين صفوف المسلمين على حين غفلة منهم حتى أصبحت طائفة كبيرة خصوصا حينما تولي وزارة الدولة الباكستانية المسلمة وزير قادياني هو ظفر الله خان فقد تولى وزارة الخارجية وعمل كل ما في وسعه لتمكين القاديانية والقاديانيين من الانتشار والظهور وصارت قاديان ثم الربوة عاصمة للقاديانية ومركز دعوة ودعاية لها وبدأت القاديانية توجه دعوتها إلى البلاد العربية والإسلامية وبدأت تظهر في العراق وسوريا وتنتشر في أندونيسيا[٣] وبعض البلدان في أفريقيا[٤] وتتمنى

(١) وذلك لأخذهم بالمبادئ الباطنية في تأويل النصوص تأويلا باطنيا ودعوى أن للنصوص ظاهرا وباطنا وتدينهم بكثير من المبادئ الباطنية .

(٢) القادياني والقاديانية ص (٥) .

(٣)انظر البحث الذي قدمه الشيخ مشفق أمر الله بن شمس الدين بعنوان:«القاديانية في أندونيسيا».

(٤) انظر البحث الذي قدمه الشيخ سحنون تاج الدين بعنوان « القاديانية في غانا» .

بإلحاح لو وجود من يصغي لها في الجزيرة العربية حرسها الله من الفتن والارتداد الذي يراد لها ، ففيها مهبط الوحي وإليها تهوى أفئدة المؤمنين بالله من كل قطر من أقطار الأرض وكم بذلت من المحاولات الكثيرة لطوائف الفرق الضالة للتغلغل إلى قلوب المسلمين في مكة والمدينة فرد الله كيدهم إلى نحورهم وباءت محاولاتهم بالفشل الذريع بفضل الله وتوفيقه لعلماء المسلمين لفضح تلك الطوائف وماتبيته من السوء للمسلمين ولدينهم والله متمم نوره ولو كره الكافرون.

وقد قيض الله للتصدي للقاديانيين علماء أجلاء بينوا للمسلمين خطر هؤلاء القاديانيين وارتدادهم عن الإسلام ومن هؤلاء العلماء المجاهدين كثير من علماء الهند وباكستان وغيرهم من علماء البلدان الإسلامية وبذلت محاولات عديدة لجعل القاديانية أقلية غير مسلمة في باكستان وتم ذلك والحمد لله إلا أن نشاط القاديانيين هؤلاء ربما إزداد اشتغالا وتوسعًا بين جهلة المسلمين وشبابهم الذين لم يكن عندهم مانع من الثقافة الإسلامية عن تقبل الديانة القاديانية التي بذلت المال ونشرت الدعاة لتحقيق ما تهدف إليه من إخراج المسلمين عن دينهم للإيمان بنبوة القادياني والحج إلى قاديان والرضي بحكم الإنجليز واستعمارهم لبلدان المسلمين في كل مكان وصلت إليه أيدى الانجليز الملطخة بالدماء وقلوبهم المنطوية على غاية المكر والخديعة والاضرار بالمسلمين بكل ما يمكن فعله من قتل وسجن وتشريد كما فعلوا في الهند بعد أن أخفقت ثورة الهند الكبرى عام١٨٥٧م وراح ضحيتها كثير من أهل الهند وخصوصا من المسلمين بكل قسوة ووحشية[1]. وبمباركة القاديانيين الذين كانوا من أخلص الجواسيس لهم.

---

(١) انظر القادياني والقاديانية ، الندوي ص ٥ ـ ١٠ وكذا « القاديانية » للمودودي في مقاله «مواقف المسلـ[illegible] ـائهم وقادتهم نحو القاديانية ص ٥١ .

الفصل الثاني

زعيم القاديانية

١ ـ اسمه وأسرته :

ترجم المرزا لنفسه ولأسرته في آخر كتابه « ضميمة الوحي » وجاء بخلط عجيب في ذلك . أما اسمه فهو: غلام أحمد القادياني واسم والده غلام مرتضى واسم أمه جراج بي بي[1] وفي نسبة أسرته يتضارب قوله فهو يزعم أنه ينتمي إلى أسرة أصلها من المغول من فرع برلاس ومرة قال إن أسرته فارسية[2]، ومرة زعم أن أسرته صينية الأصل ومرة أنه من بني فاطمة بنت الرسول ﷺ وأخرى قال بأنها جاءت من سمرقند وزعم مرة أنه يرجع إلى بني إسحاق[3].

وبعد كل هذا الخلط والاضطراب زعم أن الله أوحى إليه أن نسبه يرجع إلى فارس فقال : (والظاهرأن أسرتي من المغول ولكن الآن ظهر على من كلام الله تعالى أن أسرتي حقيقة أسرة فارسية وأنا أؤمن بهذا لأنه لا يعرف أحد حقائق الأسر مثل ما يعرفها الله تعالى»[4].

وفي تقرير هذا الخلط قال في ضميمة الوحي » وسمعت من أبي أن أبائي كانوا من الجرثومة المغلية ولكن الله أوحى إلى أنهم كانوا من بني فارس لا من الأقوام التركية ومع ذلك أخبرني ربي بأن بعض أمهاتي كن من بني الفاطمة ـ ومن أهل بيت النبوة والله جمع فيهم نسل إسحاق وإسماعيل من كمال الحكمة والمصلحة»[5].

---

(١) القاديانية دراسة وتحليل ص ٢٠٥ نقلا عن يعقوب القادياني ، حياة النبي : ١٤١/١ ـ ١٤٢ .

(٢) القادياني والقاديانية ص ٢٠ .

(٣) ذكر تلك الأخبار إحسان إلهي في كتابه القاديانية ص١٢٥-١٢٦.نقلا عن كتب الغلام، كتاب البرية ص١٣٤ حاشية أربعين ص١٧، ضميمة حقيقة الوحي ص٧٧ تحفة كولرة ص٢٩ .

(٤) حاشية أربعين ص ٢٧ رقم (٢) القاديانية ص ١٢٥ .

(٥) ضميمة الوحي ص٨٥.

وكل من سأله عن هذه التقلبات في نسبه يقول هكذا أخبرني الله تعالى أو هكذا ألهم من الله أو كلم على التعبير الذي يحبه[1] أي أخبره الله بكل هذه التناقضات التي لا مبرر لها إلا الجهل والنفاق - والله يتنزه عن هذا التناقض ومهما قال عن أسرته فإنها أسرة عميلة اشتهرت بعمالتها وتفانيها في خدمة الإنجليز المستعمرين لهم. وكان الغلام كثيرا ما يتباهي بأنه هو وأجداده كانوا من المخلصين لخدمة الإنجليز كما سيأتي ذكر النصوص التي تبجح بها القادياني وأتباعه.

أما ولادته فقد ولد غلام أحمد في عام ١٢٥٦ هـ على أحد الأقوال في قرية قاديان احدى قرى البنجاب بالهند يقول المودودي: « ولد الميرزا غلام أحمد كما أشرنا في البداية حوالي سنة ١٨٣٩ م أو سنة ١٨٤٠ م حسبما كتبه الميرزا في تأليفه كتاب البرية إلا أن أحد مؤرخيه كتب أنه ولد سنة ١٨٣٥م[2]وقد وصف القادياني قريته التي ولد فيها بقوله: -

« كانت قريتي أبعد من قصد السيارة وأحقر في عيون النظارة درست طلولها وكره حلولها وقلت بركاتها وكثرت مضراتها ومعراتها والذين يسكنون فيها كانوا كبهائم وبذلتهم الظاهرة يدعون اللائم لا يعلمون ما الإسلام وما القرآن وما الأحكام، فهذا من عجائب قضاء الله وغرائب القدرة أنه بعثني من مثل هذه الخربة » [3].

وأغلب الظن أنه كان صادقا في وصفه لقريته بأنها خربة ولأهلها بأنهم مثل البهائم لا يعرفون معروفا ولا ينكرون منكرا إذ لولا أنهم كذلك لما جرؤ على دعوى النبوة بينهم.

٢ - أما هو وثقافته:

فقد قرأ مبادئ العلوم وقرأ في المنطق والعلوم الدينية والأدبية في داره

(١) القادياني والقاديانية ص٢٠.

(٢) القاديانية ص١٥ نقلا عن المجدد الأعظم ص١٦، ١٧. (٣) ضميمة الوحي ص ٢٨.

على بعض الأساتذة مثل فضل إلهي وفضل أحمد وكل على شاه كما قرأ الطب القديم على والده الذي كان طبيبا ماهرا [١] وعرافا حاذقا [٢] وقد كان يكثر القراءة والطلب وأجهد نفسه في ذلك [٣] إلا أن جميع معلوماته عن الإسلام وعن النبي ﷺ كانت مشوشة ومملؤة بالأخطاء والخلط الشنيع كما ذكر عنه الأستاذ إحسان إلهي وذكر الأمثلة على ذلك[٤].

وقد بدأ حياته العملية بأن توظف في محكمة حاكم المديرية في مدينة سيالكوث إحدى المدن في باكستان بمرتب يساوي خمس عشرة روبية في ذلك الوقت وبقي على ذلك أربع سنوات من عام ١٨٦٤ إلى عام ١٨٦٨م وقد استغل في هذه الفترة وقته فأقبل على تعلم الإنجليزية كما التحق بدراسة الحقوق وأخفق في الامتحان ثم استقال من وظيفته هذه عام ١٨٦٨ م وشارك والده في المحاكمات والقضايا التي كان مشغولا بها [٥].

وهكذا بدأ حياته في تقشف وحاجة شديدة عبر عنها في كتابه ضميمة الوحي بعدة أساليب نأخذ منها على سبيل المثال قوله في الاستفتاء الأول الذي بدأ بقوله: « يا علماء الإسلام وفقهاء ملة خير الأنام أفتوني في رجل ادعى أنه من الله الكريم يقصد نفسه - إلى أن قال: « وكان في أول زمنه مستورا في زاوية الخمول لايعرف ولا يذكر ولا يرجى منه ولا يحذر وينكر عليه ولا يوقر ولايعد في أشياء يحدث بها بين العوام والكبراء بل يظن أنه ليس بشيء ويعرض عن ذكره في مجالس العقلاء » [٦].

وقال أيضا: « وما كنت من المعروفين فأوحى إلى ربيّ وقال اخترتك » [٧].

إلى أن يقول: « وكنت أعيش كرجل اتخذه الناس مهجورا » .

---

(١) القادياني والقاديانية ص ٢٢ .
(٢) القاديانية ص ١٢٧ .
(٣) كتاب البرية ص ١٤٩ ، ١٥٠ .
(٤) القاديانية ص ١٢٨ .
(٥) القادياني والقاديانية ص٢٢، ٢٣نقلا عن كتاب«سيرة المهدي وكتاب البرية»وكلاهما للغلام.
(٦) ضميمة الوحي ص ٣ .
(٧) المصدر السابق ص٢٨وانظر ص٣٠.

ونصوص أخري كثيرة ذكرها حول إثبات هذه الحقيقة .

إلا أنه حينما تبوأ الزعامة الدينية أقبلت عليه الدنيا والهدايا الكثيرة التي تمدح بها في كتابه ضميمة الوحي في سبعة مواضع بتعبيرات مختلفة زاعما أنها فضل من الله ودليل أيضا على نبوته منها :

« ثم بعد ذلك أيد الله هذا العبد كما كان وعده بأنواع الآلاء وألوان النعماء فرجع إليه فوج من الطلباء بأموال وتحايف وما يسر من الأشياء حتى ضاق عليها المكان»[1].

وقال أيضا :

«وانهالت عليّ الهدايا كأنها بحرتهيج في كل آن أمواجا هذه آيات الله»[2].

وقال : « يأتوني من كل فج عميق بالهدايا وبكل ما يليق هذا وحي من السماء من حضرة الكبرياء ما كان حديثا يفترى »[3].

ومن هنا وحين أقبلت عليه الدنيا بالزعامة الدينية رتع فيها كيفما حلى له على حساب المغفلين من أتباعه وصار ينفق في المسكن والمأكل والمشرب بما في ذلك شرب أقوى المسكرات من الخمر والمعجونات المقوية الثمينة وصارت حياته أشبه ماتكون بحياة الزعماء السياسيين حتي شكى كثير من أتباعه هذه الحياة المملؤة بالإسراف بالنسبة للغلام ولزوجاته من لبسهن الحرير والحلي والحلل الفاخرة بينما أتباعه يعيشون في فقر مدقع وكان الغلام كثيرا حينما يسئل عن كيفية إنفاق تلك الأموال التي تأتي بكثرة لكنها لاترى بعد ذلك ولا يلمس لها أثر[4] ومما يذكر في ترجمته أن الله قد عاجله بكثير من الأمراض، فقد أصيب بعدة أمراض حتي كان يغمي عليه كثيرا من شدة مرض السكر به إضافة إلى

---

(١) المصدر السابق ص ٦ . (٢) المصدر السابق ص ٢٨ .

(٣) المصدر السابق ص ٢٩ ، وانظر ص ٣٠ .

(٤) انظر القادياني والقاديانية ص ٢٤ ، ٢٥ وانظر القاديانية لإحسان إلهي ص ١٤٤ - ١٤٦ .

الصداع الشديد الملازم له إضافة إلى مرض المراق وأمراض أخرى ذكرها المودودي والندوي وغيرهما في ترجمتهم له مستندين إلى كتب الغلام وغيره من كبار أصحابه [1].

وأما حياة خلفاء الغلام من بعده فقد أضافوا إلى الحشف سوء كيلة لقد استهتروا بكل القيم ورتعوا في كل مراتع اللهو والفجور ويكفي الشخص أن يقرأ كلمة الأستاذ عبد الرحمن مصري مدير كلية تعليم الإسلام في قديان وكان من كبار علماء الجماعة القاديانية كما يذكر الأستاذ الندوي فقد أسلم هذا الرجل على يد بعض القاديانيين ونشأ في حضانتهم وتعلم في مصر وحازثقة الجماعة حتي كان يستخلفه الميرزا بشير الدين في إمامة الصلوات ثم اطلع على أسرار هؤلاء الماسونيين القاديانيين وثار عليهم وألف جماعة من الثوار كان يرأسهم هو . فقد سجل قاضي محكمة الاستئناف في لاهور كما يذكر عبدالرحمن المصري في يوم ٢٣ سبتمبر من عام ١٩٣٨م ما يأتي :

إن الخليفة الحالي الميرزا بشير الدين محمود من كبار الفساق ، أنه يتصيد الفتيات في ستر من الزعامة الدينية وله وكلاء وسماسرة من الرجال والنساء يحضرون له الفتيات الغافلات والشباب الغر وقد أسس لهذا الغرض ناديا سريا من الرجال والنساء يفسق فيه[2].

ولاشك أن هذا الميرزا سار على سيره والده الميرزا غلام أحمد في استهتارهما بالدين وعدم وجود المراقبة الذاتية فأصبح انتهاب الملذات من الأمور المألوفة وهذا النادي يشهد صراحة بتأثير العقائد القاديانية في أصحابها ودليل على أن هذا الفرقة إنما قامت من الأساس على خداع الناس والوصول إلى مآربهم وشهواتهم التي لاحد لها .

(١) انظر تفصيل ذلك في القادياني والقاديانية ص ٢٤ نقلا عن سيرة المهدي ١ / ١٧ وانظر القاديانية ص ١٦ ـ ٢٠ نقلا عن سيرة المهدي وكتاب البرية للغلام .

(٢) انظر القادياني والقاديانية ص ٩٠ وانظر القاديانية لاحسان الهي ص ٥٦، مظلوموا القاديان.

٣ ـ صفاته وأخلاقه

مما يذكر عن القادياني أنه كان قليل الفطنة مستغرقا تبدو عليه البساطة والغرارة فقد قيل عنه أنه كان لا يحسن ملأ الساعة وكان إذا أراد أن يعرف الوقت وضع أنملته على ميناء الساعة وعد الأرقام عدا وكان لا يميز الأيمن من حذائه عن الأيسر منها حتى اضطر إلى وضع علامة عليها وكان يضع أحجار الاستنجاء التي كان يحتاج إليها كثيرا وأقراص القند التي كان مغرما بها في مخبأ واحدا [١] .... هكذا يذكر عنه وفي رأيي أنه كان يتظاهر بهذه الغفلة والسذاجة لأشياء في نفسه تمهيدا للإيحاء إلى الناس بأنه في تلك القوة من الاحتجاج والمناظرة والخطابة وكثرة تأليف الكتب التي بثها في العالم إنما كانت بقوة ربانية وإلهام منه ؛ أي ولولا ذلك لما استطاع أن يحفظ اسمه أو يكتب كلمة » وهذا من دهائه ومكره فإن الذي كتب عن مدح الانجليز ما يملأ ٥٠ خزانة كيف لا يعرف أرقام الساعة وحذائه الأيمن عن الأيسر وأحجار الاستنجاء وأقراص القند بل وبين السكر والملح كما يذكر عنه هذا بعيد جدا خصوصا وأن هذه الأوصاف إنما ينقلها علماء المسلمين من كتب القاديانية وعن القادياني ومن مصادره أنه كان كثير الأمراض[٢]وقد ذكر هو عن نفسه وذكر عنه العلماء من المسلمين ومن كتاب القاديانيين من الأمراض ما لو جمعت على حجر لفلقته فقد ذكر المودودي جملة من أمراض الغلام من مصادر القاديانيين أن الغلام كان فيه من الأمراض ـ الهستريا ـ القطرب ـ الماليخوليا ـ السل ـ أمراض الصدر ـ دوار الرأس ـ سلس البول ـ الأرق ـ التشنج القلبي ـ الذيابيطس ـ أي السكر ـ يبول في الليلة الواحدة أكثر من مائة مرة ـ الضعف العصبي ـ سوء الذاكرة إلخ ذلك وفيما اتصور أن هذه المبالغات في ذكر أمراض الغلام المتنبي ـ من قبل القاديانيين

---

(١) انظر القادياني والقاديانية ص ٢٣ نقلا عن ترجمة الميرزا لمعراج الدين عمر القادياني ملحقة بكتاب براهين أحمديه ١/٦٧ .

(٢) انظر كتاب القاديانية والمصادر التي أخذ عنها ص ١٦ ـ ١٩ .

ـ إنما يراد من ورائـهـا مكسب هـام لإثبـات النبـوة لأن أقل هذه الأمـراض تمنع الشخص أن يملأ الخزائن بمؤلفاته ولا تسمح له بالتـفكير السليم فتكون النتيجة أن كلّ ما قاله الغلام وكتبه إنما كان إلهـاما جاهزا من الله لا دور للغلام فيه إلا مجرد التبليغ خصوصا إذا عرفنا أن الغـلام وأسرته كانوا يحبون أن تشيع هذه الأمراض عنه وقد ذكر الشيخ إحسان إلهي ـ رحمـه الله ـ أمراضا أخرى كثيرة للغلام من مصادر القاديانيين[1] فأي جسم يحتمل ذلك ؟

وقـد وصف الغلام بالبـذاءة وسوء الأخـلاق وطول اللسـان هجاءا مـقذعـا للمخالفين والعلماء المعـاصرين وعباد الله الصالحين وكان مصـداق صفة المنافقين التي جاءت في الأحـاديث الصحاح « وإذا خـاصم فجر » وكـان يكثر من سب مخـالفيـه مثـل هذه الألفاظ فـلان الغوي الجـاهل الخليع الكلب الأحمق الـضال الكذاب اللعين ابن الزنا والبغي الشـيطان الغوي وأمثال هذه الكلمـات والسباب البذيء الذي لا يصدر إلا عن السفهاء والسوقة[2]. ومن ذلك أنه تنبأ بموت رجل في زمن مـحدد ولكن هذا الرجل لم يمـت حسب تنبـوئه في هذه المدة فقـال له بعض الـعلمـــاء أنت تظن أنك نـبي ولا تتكـلم إلا بوحي الـله فكيـف يمكن أن يتخلف وعد الله فـبدل أن يجيبهم بدليل يرد به دعـواهم ويثبت دعواه بدلا عن ذلك بدأ يسبـهم هم وجمـيع علماء المسلمين فـقال : « لا يوجد فـي الدنيا شيء أنجس من الخنزير ولكن العلماء الذين يخالفونني هم أنجس من الخنزير أيها العلماء يا آكلي الجيفة وأيتها الأرواح النجسة » [3].

وقـد وصف جمـيع من يخـالفـونه بقوله : « بعـضـهم كالـكلاب وبعضـهـم كالذئاب وبعضـهـم كالخنازير[4] ويخـاطب الشـيخ ثناء الله الأمر تـسري قـائلا يا

---

(١) القاديانية لإحسان إلهي أنظر ص ١٣٠ ـ ١٣٤ .

(٢) انظر القادياني والقاديانية ص ١٠٤ ـ ١٠٧ .

(٣) انظر القاديانية لإحسان إلهي ص ١٤٠ نقلا عن أنجام آثم للغلام ص ٢١ .

(٤) خطبة الهامية للغلام ص ١٥٠ .

كلب يا آكل الجيفة»[1] »ويقول عن العالم الكبير مهر على الكولري الجشتي :

فقلت لك الويلات يا أرض جولر لعنت بملعون فأنت تدمر[2]

وقال في سبه لجميع مخالفيه :

إن العدا صاروا خنازير الفلا نساؤهم من دونهن الأكلب[3]

وإذا كان هذا السباب لعلماء عصره لأغراض شخصية إن صرفنا النظر عن الأساس الديني فيها ـ وهو الأصل ـ فلماذا لم يقتصر في سبه على المخالفين له حين تطاول فسب أنبياء الله الأطهار دون أن يكون له أي مبرر ـ إلا تغطية ضعف جانبه وبطلان أفكاره وسقوطها ـ .

ومن ذلك السباب سبه لنبي الله عيسى على نبينا وعليه الصلاة والسلام فقد قال عنه: «أن عيسى ما استطاع أن يقول لنفسه أنه صالح لأن الناس كانوا يعرفون أن عيسى رجل خمار وسيء السيرة»[4] وقد كذب وافتري وحاشا أن يوصف نبي الله عيسي بهذا الوصف أو الأوصاف الأخري التي قالها عنه مما يلزم تنزيه القارئ عن ذكرها هنا[5] وربما تصور الغلام أن نقضه لبناء الآخرين يشيد بنيانه وأن ترفعه على الأنبياء يجعل منه نبيا أعلا منهم ـ كما أنه له أشعار ركيكة ومعاني تافهة مملؤة بالسباب والشتائم على كل من يخالفه ينطبق عليه المثل القائل «رمتني بدائها وانسلت» وحين تمادى في شتم الناس وإيذائهم بلسانه وبكتاباته عنهم أوصلوا أمره إلى القضاء فأخذ عليه تعهد في المحكمة الجنائية أن لا يستعمل مرة أخري تلك الألفاظ القبيحة والسب والشتم والقذف ضد مخالفيه وقال الغلام نفسه« أناعاهدت أمام نائب الحاكم بأني لا استعمل بعد ذلك ألفاظا سيئة»[6].

(١) حاشية أنجام آثم ص ٢٥ . (٢) إعجاز أحمدي ص ٧٥ .

(٣) نجم الهدي ص ٢١٥ انظر القادياني والقاديانية ص ١٠٦ .

(٤) ست بجن للغلام ص ١٧٢ ، القاديانية لإحسان إلهي ص ١٤٣ .

(٥) ذكر الأستاذ إحسان إلهي والعلامة المودودي والندوي كثيرا منها .

(٦) مقدمة كتاب رب البريه ص ١٣ للغلام ، القاديانية ص ١٤٤ .

ولكنه لم يف فهذاهو يقول في ضميمة الوحي في معرض تعداده للنعم الوافره عليه يقول : « ويطرد ـ أي الله ـ اعداءه المؤذين كالكلاب ويؤتيه مالم يؤت أحد من المعاصرين»(١).

وتجد تفاصيل كثيرة فيما كتبه عنه العلامة الندوي والمودودي وإحسان إلهي رحمهم الله حيث يظهر القادياني فيما ينقله عنه هؤلاء الأعلام أنه كان سبابا فاحشا لايدانيه أحد في هذه الصفة .

كما عرف عنه التناقض في القضية الواحدة حيث يذكر شيئا ثم يذكر آخر يدل على كذبه،وحبل الكذب قصير كما قيل ومن الكذب الذي اشتهر به الكذب على الله حيث يأتي بكلام من تلفيقه ثم يزعم أن الله قاله له ثم يكذب على الرسول ﷺ بوضع أحاديث من تلقاء نفسه كما عرف عنه الاحتيال لأخذ أموال الناس وعدم الوفاء بالتزاماته لهم وتعليل ذلك بمالا مقنع فيه لأحد كما في قصة الخمسين المجلد التي زعم أنه سيؤلفها وأخذ ثمنها مقدما ثم كتب خمسة كتب فقط وامتنع من الباقي ومن إرجاع الأموال أيضا بحجة أنه لافرق بين الخمسة والخمسين غير الصفر ويظهر التناقض واضحا في أفكاره حين تقارن بين قوليه الآتيين:

«أنا اعتقد كل ما يعتقده أهل السنة كما أنا اعتقد أن محمداً خاتم النبيين ومن يدعي النبوة بعده هو كافر كاذب لأني أومن أن الرسالة بدأت من آدم وانتهت إلى رسول الله ﷺ»(٢) وقوله:«والله الذي في قبضته روحي هو الذي أرسلني وسماني نبيا وأظهر لصدق دعواي آيات بينات بلغ عددها ثلاثمائة ألف بينه»(٣).

٤ ـ عمالة القادياني وأسرته للانجليز

لقد جرت بريطانيا على المسلمين مصائب وفتنا عظيمة لايزال المسلمون

---

(١) ضميمة الوحي ص ٣١ .
(٢) تبليغ رسالة : ٢ / ٢ .
(٣) تتمة حقيقة الوحي ص ٦٨ ، عن القاديانية لإحسان إلهي ص ١٣٨ ، ١٣٩ .

يجترون أثارها إلى اليوم في الهند وفي بلاد العرب وكثير من بلدان المسلمين حيث فرقت كلمتهم وأوهنت قواهم وأوجدت عملاء لها في كل بلد إسلامي من أبناء ذلك البلد ومن جلدتهم ويتكلمون بألسنتهم ولكنهم أصبحوا بعد ذلك أشد عليهم من الأعداء الظاهرين ونشرت الفساد والخلاعة إلى جانب نشر المسيحية بين المسلمين وقتلت في سبيل ذلك الأبرياء والصفوة الممتازة من العلماء ليفسحوا المجال للمبشرين، وليثبتوا كذلك استعمارهم إلى الأبد ومع كل هذا وغيره نرى الانجليز وهم مسيطرون على الهند يبحثون فيها عن عميل لهم فكان المطلوب ووجدوا القادياني خير من يمتثل لتحقيق مآربهم ويقدم طاعتهم على طاعة ربه ودينه الذي كان ينتمي إليه ويخون أمته الإسلامية التي كان ينتسب إليها ولولا نكايته بعد ذلك بالإسلام والمسلمين وإدخال أفكار هدامه حارب بها العقيدة الإسلامية الصحيحة وأخرج بها كثيرا من المسلمين عن دينهم لولا ذلك لما كان لنا بعمالته لبريطانيا أو غيرها أي غرض لإبراز دوره مع الأنجليز وخدمته لهم لأنه كغيره ممن باعوا أنفسهم لأعدائهم على أن عمالة هذا الشخص لبريطانيا فاقت التصور فإنك لو رجعت إلى أي كتاب من كتب الغلام أو تصريحاته فسترى مدى تعلقه بهم وتفانيه في خدمتهم وتملقه لهم وطلب رضاهم وتفضيلهم على غيرهم ودعوة الناس إلى الانضواء تحت لوائهم والسير خلفهم في كل شئونهم ومحاكاتهم بكل دقة.

وستري كذلك في الجانب الآخر مدى تعلق الحكومة الانجليزية به وبأتباعه وكيف هيأت لهم المناصب وأغدقت عليهم الأموال ويسرت لهم في داخل الهند وخارجها إلى اليوم كل أسباب التفوق والراحة ودافعت عنهم في كل موقف يتعرضون فيه للضغط، والنتيجة من كل تلك المواقف للجانبين غير خافية فالمصلحة بينهم مشتركة والهدف واحد.

ومن الأمثلة ـ وهي كثيرة ـ على خدمة هذا المتنبئ لبريطانيا قوله في منع

الجهاد: «لقد قضيت معظم عمري في تأييد الحكومة الإنجليزية ونصرتها وقد ألفت في منع الجهاد ووجوب طاعة أولي الأمر - الانجليز - من الكتب والإعلانات والنشرات ما لو جمع بعضها إلى بعض لملأ خمسين خزانة !! وقد نشرت جميع هذه الكتب في البلاد العربية ومصر والشام وتركيا وكان هدفي دائما أن يصبح المسلمون مخلصين لهذه الحكومة وتمحى من قلوبهم قصص المهدي السفاك والمسيح السفاح والأحكام التي تبعث فيهم عاطفة الجهاد وتفسد قلوب الحمقى »[1].

وقال أيضا في رسالة قدمها إلى نائب حاكم المقاطعة : « لقد ظللت منذ حداثة سني وقد ناهزت اليوم الستين أجاهد بلساني وقلمي لأصرف قلوب المسلمين إلى الإخلاص للحكومة الانجليزية والنصح لها والعطف عليها وألغي فكرة الجهاد التي يدين بها بعض جهالهم والتي تمنعهم من الاخلاص لهذه الحكومة وأرى أن كتاباتي قد أثرت في قلوب المسلمين واحدثت تحولا في مئات الآف منهم »[2] ولاشك أن هذا الكلام من الخزي المفضوح لنبوته حتى لكأنه بعث لتأييد بريطانيا والدفاع عن مصالحها وإضفاء الشرعية على استعمارها لبلاد المسلمين ، ويقول كذلك في تملقه اللانجليز وتذكيرهم بمجهود وجهود اتباعه لهم « والمأمول من الحكومة أن تعامل هذه الأسرة التي هي من غرس الانجليز أنفسهم ومن صنائعهم بكل حزم واحتياط وتحقيق ورعاية وتوصي رجال حكومتها أن تعاملني وجماعتي بعطف خاص ورعاية فائقة[3]» وهناك نصوص كثيرة بعضها بالأردية وبعضها بالفارسية وأخرى بالعربية يتناقلها العلماء عنه للتأكيد على عمالته لأعداء الإسلام وعلى رأسهم عدوهم اللدود بريطانيا وجد فيهم القادياني ضالته المنشودة ووجدوا هم أيضا ضالتهم وما تحمله في شخص

(١) شهادة القرآن ص ٣ ، القادياني والقاديانية ص ٩٤ ، ٩٥ .

(٢) تبليغ رسالة ٧ / ١٠ ، القادياني والقاديانية ص ٩٥ .

(٣) تبليغ رسالة ٧/١٩ - ٢٥ المصدر السابق ص ٩٨ ، ٩٩ .

القادياني ففاضت قريحة القادياني فأشاد بفضلهم ومنتهم المزعومة على العالم الإسلامي قاطبة والهند خاصة وبقدر ما ارتبط هو وزمرته بأعداء الإسلام بقدر ما ازداد بعده عن الإسلام والمسلمين ونفرت عنه القلوب واستحوذت عليه الشياطين وكان موقفه هو وأتباعه في غاية المقت بالنسبة لأهل السنة وعامة المسلمين فإنه ناصبهم العداء ورأى أن الثورات التي يقومون بها على المستعمرين أنه من فعل العقول الجامدة والحماقة وكان يثبطهم بكل مالديه من قوة وحيلة لمنعهم من جهاد هؤلاء الغزاة للبلاد وللدين ويصيح فيهم أن الجهاد حرام وقد انتهي وقته قبل مجيء القادياني وأما بعده فالجهاد منكر يجب - على حد زعمه - تركه والتسليم للحكومة التي أمر الله بطاعتها ؛ أي حكومة بريطانيا الكافرة وقد تمثل في وضوح تام ولاء القاديانية للانجليز أنهم دائما يظهرون سرورهم وابتهاجهم بسقوط أي دولة إسلامية في يد الاستعمار ويحتفلون بذلك ويعتبرونه من أسعد أعيادهم لأنهم يعتبرون المكان الذي تصل إليه بريطانيا هو المكان الذي تصل إليه القاديانية وعلى هذا فإن عز القاديانية وانتشارها مرهون بعز الانجليز وانتشارهم فكيف لايفرح القاديانيون بانتصار بريطانيا وإنكسار المسلمين بعد ذلك ولقد صرح بهذا كبار القاديانية ابتداء بالغلام وخلفائه مثلهم في هذا مثل سائر الباطنية حين يفرحون بمصائب المسلمين ويحزنون من أفراحهم وهنا أدلة كثيرة من أقاويل القاديانيين في هذا المسلك منها ما قاله ابن الغلام - محمود أحمد - حين استولت بريطانيا على العراق حيث ألقى خطابا قال فيه : « إن علماء المسلمين يتهموننا بتعاوننا مع الانكليز ويطعنوننا على ابتهاجنا على فتوحاته فنحن نسأل لماذا لانفرح ولماذا لا نسر ؟ وقد قال إمامنا بأني أنا المهدي وحكومة بريطانيا سيفي فنحن نبتهج بهذا الفتح ونريد أن تري لمعان هذا السيف وبرقه في العراق وفي الشام وفي كل مكان [1]»ولعله قال هذا الكلام - أنه مهدي - قبل أن يرقي نفسه إلى « نبي » .

(١) جريدة الفضل ٧ ديسمبر سنة ١٩١٨ م .

وقال أيضا عندما احتلت بريطانيا القدس ـ وهي المدينة التي لايعترف بها بعد أن حولها إلى قاديان ـ : « نحن نشكر الله ألف وألف مرة على فتوحات بريطانيا وأن سبب الابتهاج والسرور لأن إمامنا (الغلام القادياني) كان يدعو لفتوحاتها وكان يوصي جماعته بالدعاء لها ، وأيضا فتحت لنا أبواب الدعوة إلى القاديانية التي كانت مسدودة قبل الآن وهذا كله لامتداد دولة بريطانيا إلى بلدان أخرى»[1].

كما ينقل إحسان إلهي رحمه الله عن جريدة الفضل القاديانية الرسمية مقالا جاء فيه: « أن حكومة بريطانيا هي ترس لنا نتقدم إلى الأمام تحت وقاية هذا الترس الذي لو أبعد لمزقنا من الرماية فاتحدنا وصار رقيتها[2]وعلوها رقيتنا وعلونا ودمارها دمارنا »[3].

وقال الغلام نفسه عن ربوة وظل بريطانيا عليهم« قد قال الله عز وجل في القرآن : «وأويناهما إلى ربوة ذات قرار ومعين » ولما جعلني الله عز وجل مثيل عيسي جعل لي السلطنة البريطانية ربوة أمن وراحة ومستقرا حسنا فالحمد لله مأوى المظلومين ولله الحكم والمصالح ماكان لأحد أن يؤذي من عصمه الله والله خير العاصمين»[4].

وقال كذلك : « ولولا سيف الحكومة لأري منكم ما رأى عيسى من الكفرة ولذلك نشكر هذه الحكومة لابسبيل المداهنة بل على طريق شكر المنة ووالله إنا رأينا تحت ظلها أمنا لا يرجى من حكومة الإسلام في هذه الأيام ولذلك لا يجوز عندنا أن يرفع عليهم السيف بالجهاد وحرام على جميع المسلمين أن يحاربوهم ويقوموا للبغاوات والفساد ذلك بأنهم أحسنوا إلينا بأنواع الامتنان»[5]

---

(١) المصدر السابق ٢٣ نوفمبر سنة ١٩١٨ . (٢) هكذا في الأصل .

(٣)جريدة الفضل١٩ أكتوبر سنة١٩١٥م، انظر لتلك النصوص القاديانية لإحسان إلهي ص٢١-٣٣.

(٤) ضميمة الوحي ص ٥٠ هامش (١) . (٥) المصدر السابق ص ٦٣ .

إلخ الثناء عليهم .

والذي أحوجنا إلى ذكر هذه النصوص من أقوالهم إنما هو بيان خطر هذه الطائفة وانخداع بعض المسلمين بما يبد هؤلاء من الدعوة إلى الإسلام وأنه لا فرق بين القاديانيين وسائر المسلمين ليعرف المسلم في أي مكان وطأة أقدام القاديانيين أنهم أداة تخذيل وإضرار بالإسلام والمسلمين وأنهم جواسيس الانجليز ومعاول هدم للإسلام باسم الإسلام .

وبعد ما قدمنا من النصوص حول عمالة القادياني وأسرته للانجليز أليس من المغالطة المكشوفة أن يتصدى بشير محمود للقول بأن القادياني والقاديانيين لايلغون فكرة الجهاد ثم يرد على هذا القول بشدة ويهاجم كل من يقول به أو ينسبه إلى القاديانيين نعم إنها مغالطة حين قرر بشير ذلك ثم زعم أن الجهاد الذي ينادون بإلغائه ليس هو جهاد الكفار وإنما المقصود به ذلك الجهاد الذي يوحي بأن الرسول ﷺ كان جباراً يقتل الناس لأن الإسلام كما هو تعبيره يلعن إعتناق الدين خوفا وطمعا بل إن الإسلام هو أول دين يقر بحرية العقيدة وبعد هذه الأقوال ينتهي إلى النتيجة الآتية في فهم الجهاد : الحروب الدينية لا تجوز إلا ضد من يتدخل في الدين ويمنع المسلمين من قولهم«ربنا الله»وأن مثل هذه الحروب[1] لا تهدف إلى هدم المعابد والكنائس ولا إلى إكراه غير المسلمين على ترك دينهم أو إلى قتلهم بل إنما ترمي إلى الدفاع عن سائر الملل والأديان والحفاظ على معابدها إلى أن يقول :«وقصارى القول أن الجهاد الذي أجازه الإسلام هو محاربة من يرغم المسلمين على الارتداد عن الإسلام أو يستعمل القوة لصد الناس عنه أو يقتل الناس لمجرد اعتناقهم للإسلام فمحاربة أحد لغير هذه الجرائم لا تجوز مطلقا[2] ثم زعم أن الجهاد الذي قام به المسلمون إنما هو تقليد للمسيحين

(١) أي التي وقعت في الإسلام .

(٢) دعوة الأمير ـ معتقد الجماعة الإسلامية الأحمدية ص ٤٠ ـ ٤٤ .

وهذا الكلام مملؤ بالدس والمغالطة فيقال له إذا انتظر المسلمون الكفار إلى الوقت الذي يمنعوهم فيه من قول ربنا الله فمن اين يقومون للجهاد بعد ذلك مع أن معظم الكفار لا يمنعون أحدا من قولها مادام قد ترك الجهاد وصار عبدا لهم وزعمه أن المسلمين إنما يقومون بالجهاد تقليداً للكفار المسيحيين إنما هو تعبير مفضوح لجهله بفريضة الجهاد في كتاب الله عز وجل وقيام أهل التوحيد بامتثالها.

الفصل الثالث

ختم النبوة وموقف القادياني منه

وقد حاول القادياني التلاعب بعقول المسلمين وإيهامهم أن نبوته لاتتعارض مع القول بختم النبوة بمحمد ﷺ مستعملا في ذلك شتى أنواع التأويلات الباطلة للتمويه والتعتيم على نبوته الجديدة وقد رصد العلماء كل تلك المفاهيم والتأويلات الباطلة وكانت هذه المواقف تمثل البدايات الأولى لظهور الغلام ولكن بعد مدة من الزمن وبعد أن اشتد طمعه في إثبات النبوة له تمرد وعتى وادعى هو وجماعته بكل وضوح أن النبوة لاتزال ولن تزال أبدا تحل بأشخاص وتنتهي عن أشخاص دون انقطاع ، وأن النبوة لم تختم بمحمدﷺ وركبوا لذلك كل صعب وذلول ولم يكترثوا بأن هذا كفر صريح بما جاء في القرآن الكريم وفي السنة النبوية وبدلاً أن يرجعوا إلى الحق أخذوا يتفننون في بيان مفهوم ختم النبوة على معاني مختلفة وتأويلات ملفقة منها :

١ـ أن الله تعالى حين يكرم أحدا من أمة محمد ﷺ ويوصله إلى درجة الوحي والإلهام والنبوة فإنه ومع تسميته نبيا لايتعارض هذا المفهوم مع مفهوم ختم النبوة إذ إن الشخص لايزال من أمة محمد ﷺ ومن أتباعه ولكن ينتقض هذا المفهوم إذا ادعاه شخص من غير أمة محمد ﷺ فحينئذ يتعارض قوله تماما مع ختم النبوة[(١)]. ويقول بشير محمود «إننا نرفض النبوة المباشرة عن غير توسط الرسول ﷺ رفضا باتا ولذلك نرفض ظهور المسيح الناصري بعينه لكننا لاننكر النبوة التي تضاعف كرامة النبي ﷺ وتزيدها سمواً وعلواً »[(٢)] وقد أخذ بشير هذا المفهوم عن والده حيث قال الغلام في ضميمة الوحي « وإن قال قائل كيف يكون نبي من هذه الأمة وقد ختم الله على النبوة ؟ وهذا سؤال مهم جداً ولكن

(١) مفهوم نص أورده المودودي في كتابه القاديانية ص ٣٣ نقلا عن كتاب « العين المسيحية للميرزا غلام أحمد» ص٤١ .

(٢) دعوة الأمير ـ معتقدات الجماعة الأحمدية الإسلامية ص ٣٢ .

كيف كان جواب الغلام عنه لقد أجاب بما لا مقنع فيه لأحد وحاد عن الحق وألحد فيه فقال : « فالجواب أنه عز وجل ماسمى هذا الرجل نبيًا إلا لإثبات كمال نبوة سيدنا خير البرية فإن ثبوت كمال النبي لايتحقق إلا بثبوت كمال الأمة(١) ومن دون ذاك ادعاء محض لادليل عليه عند أهل الفطنة ولامعنى لختم النبوة على فرد من غير أن تختتم كمالات النبوة على ذاك الفرد ومن الكمالات العظمى كمال النبي في الإفاضة وهو لايثبت من غير نموذج يوجد في الأمة».(٢)

والمغالطة في هذا الكلام :

١ـ أن النبوة لاتأتي من فيض أحد بل هي تفضل من الله تعالى على من يشاء من خلقه .

٢ـ لماذا لايكون النموذج الذي يدعيه الغلام عاما بحيث يحق لكل شخص أن يتصف به فكيف احتكره القادياني بدون أن يذكر أي مبرر له .

٣ـ أن معنى القول بختم النبوة بمحمد ﷺ:«أنه قد تمت عليه كمالات النبوة وأنه لايأتي بعده رسول ذو شريعة جديدة ولانبي من غير أمته»(٣) أي أن الأنبياء الذين يأتون بعده ﷺ كلهم يعتبرون من أمته وهذا ليس فيه خروج ـ حسب مفهوم القادياني ـ عن القول بختم النبوة بمحمد ﷺ وهذا هو ما أكده بشير محمود في كتابه « دعوة الأمير»(٤). ولكن الغلام في آخر أمره اخترع له ولأتباعه شريعة جديدة .

٤ ـ أن النبي محمدا ﷺ هو صاحب الفيوضات الكمالية التي لم يعطها أحد غيره ولذلك سمي بخاتم النبيين « أي أن اطاعته تمنح كمالات النبوة وأن التفاته الروحي يصنع الأنبياء » (٥).

(١) يريد بهذا المفهوم مشابهة قول الباطنية أن الناطق لايكمل إلا بوجود السوس والصامت .

(٢) ضميمة الوحي حاشية ص ١٨ .

(٣) عين المعرفة ص ٩ للغلام .

(٤) دعوة الأمير ـ معتقد الجماعة الأحمدية الإسلامية ص ٣١ ، ٣٥ .

(٥) حقيقة الوحي للغلام ص ٩٦ .

أي فإذا وجـد أن أحداً يدعي النبوة ولـم تكن نبـوته مصدقة من خـاتم النبيين محمد ﷺ فإنها لا تكـون نبوة صحيحـة مثل الورقة التي تكون رسمـية وليس عليهـا الختم الرسـمي وإذا كانت طاعـته ﷺ تمنح الكمـالات والنبوة فـإنه يحق لكل شخص متبع للرسول ﷺ أن يتصف بصفة النبوة بل كان الصحابة في أول هؤلاء فهل يستطيع الغلام أن يثبت أن أحدا منهم ادعاها .

٥ ـ أن معنى الختم هنا هو تأخير النبـوة بعد محمـد ﷺ ثلاثة عشـر قرنا لتظهر عظمة مـحمد ﷺ ثم يأتي بعـد ذلك مـا يقـتضـي إظهار عظمـة الإسـلام بظهور من تطـلق عليه كلمة النبي لتبقي سلسلة النبـوة متصلة الحـلقات ومن هنا أجريت على لسانه ﷺ كلمة النبي للمسيح الموعود في آخر الزمان [1] ويقول بشير محمود :

« إن الشريعة لا تنسخ إلا بالنبـوة التشريعية الجديدة المباشرة لكن النبوة التي تستـمد من أتباع النبي الأول وتهـدف إلى نشر الشـريعة السابقـة هي مظهر رائع للنبوة السابقة .. وهي في متناول هذه الأمة » [2].

٦ ـ أن الغلام هو ظل للرسول مـحمد ﷺ لبقاء النبـوة في شخص الرسول ﷺ إلى الآن وإنعكاس ظلية الكمـالات المحمدية في الغلام ومن هنا فـلا تأثير في نبوة الغلام على القول بختم النبوة بمحمد ﷺ [3] وعلى الناس أن يتركوا عقولهم ويصدقوا هذا الهراء .

ومن الأدلة التي ساقها بشير محـمود على عدم انقطاع النبوة قول الله تعالى ﴿ **اهدنا الصراط المستقيم صراط الذين أنعمت عليهم** ﴾ إلى آخر الأدلة ثم قال: « يتبين لنا مما ذكـرنا آنفا من الآيات أن صراط الـذين أنعمت عليهم هو الانضـمام

---

(١) ارشاد الميرزا غلام أحمد المندرج في عدد جريدة الحكم الصادر في ١٧ /٤ / ١٩٠٣ م .

(٢) دعوة الأمير ـ معتقدات الجماعة الإسلامية ص ٣٢ .

(٣) إزالة الخطأ للميرزا غلام أحمد ـ القاديانية ص ٣٣ ـ ٣٥ .

إلى طائفة الأنبياء والصديقين والشهداء والصالحين إلى أن قال : فلو كان عز وجل حرم علينا نعمة النبوة لما علمنا بأن نلح في طلبها ولما بشرنا بأن اتباع هذا النبي ﷺ يشرف الإنسان بالنبوة »[1].

ومعني هذا الكلام أنه يصح لكل مسلم أن يطلب النبوة بل كل مسلم نبي لأن بشير يقول في معني الآية : « وهل من الممكن أنه عز وجل من ناحية يؤكدنا بطلب الصراط المستقيم صراط الأنبياء والصديقين والشهداء والصالحين ومن ناحية أخرى يقول لنا والعياذ بالله أنني حرمت عليكم هذه النعمة إلى الأبد كلا»[2]إلخ كلامه .

٧ ـ أن القول بانقطاع النبوة وختمها بمحمد ﷺ ينافي حاجة الناس إلى الرسل والأنبياء التي هي دائمة الوجود بين الناس وشهادة الله بإكمال الدين الإسلامي يجب التغاضي عنها لتصدق مزاعم القادياني .

٨ ـ كما أن القول بختم النبوة بمحمد ﷺ فيه اتهام لله بأنه نفدت خزائنه وأنه لم يعد قادرا على إرسال الرسل كما يزعم بشير محمود ولكي لا نصف الله بالعجز يجب أن نثبت أن والده نبيًا ورسولا .

حقا لقد كفر القاديانيون وبكل جرأة بما جاء عن الله في كتابه الكريم وفيما قررته السنة النبوية من ختم النبوة بمحمد ﷺ وهي نصوص صريحة واضحة تسلطت عليها الباطنيه من قاديانية وصوفيه وبهائية وغيرهم من فرق الضلال فأولوها على حسب أهوائهم بتأويلات في غاية الجهل والتكلف الشنيع والله متم نوره ولو كره الكافرون .

فإن الله تعالى يقول ﴿ **ما كان محمد أبا أحد من رجالكم ولكن رسول الله وخاتم النبيين وكان الله بكل شيء عليما** ﴾ .

---

(١) دعوة الأمير ـ معتقدات الجماعة الإسلامية ص ٣٨ .

(٢) دعوة الأمير ـ معتقدات الجماعة الإسلامية ص ٢٥ .

فالآية صريحة وواضحة في معناها وفي دلالتها على انقطاع النبوة بمحمد ﷺ.

فجاء الدجاجلة كالقادياني وغيرة وتسلطوا على معناها فأولوها تأويلات أجمع المسلمون على أنها باطلة مثل تأويلاتهم السابقة لمعني خاتم النبيين من أنه أفضلهم لاغير أو تأويلهم لها بمعني أن الرسول ﷺ مثل الخاتم الذي يختم به على المعاملات الرسمية - المهر - من كونه زينة لهم وغير ذلك من المعاني الباطلة - أو زعمهم حين رأوا ضعف ذلك التأويل السابق أن معنى الآية إثبات أن محمدا ﷺ هو خاتم النبيين أصحاب الشرائع المستقلة لا الأنبياء الذين لم يأتوا بشرائع مستقله عن التي قبلها بل جاءوا متممين ومكملين للشرائع مثل حال القادياني بالنسبة للشريعة الإسلامية التي هي في حاجة إلى من يكملها كالقادياني وغيره وهي أفكار لا تجد لها رواجا إلا بين الجهال ومن قل خوفهم من ربهم فآثروا الدنيا على الآخرة أو من كان له هدف يريد تحقيقه من وراء هذه الحركات الهدامة وفي شرح الآية هذه يقول بشير الدين محمود ابن الغلام أحمد : « إن الخاتم بفتح التاء معناه الآلة التي يختم بها وليس الانتهاء - الخاتم يتخذ للتصديق ومعنى الآية إذاً أنه صلي الله عليه وسلم آلة الختم التى ختم بها جميع النبيين » إلى أن يقول : « والخلاصة أن هذه الآية لا تحظر النبوة التي ذكرناها آنفا ولكنها تنفي النبوة التشريعية أو النبوة المباشرة»[1].

وفي قوله تعالى : ﴿ **يابني آدم إما يأتينكم رسل منكم يقصون عليكم آياتي فمن اتقى وأصلح فلا خوف عليهم ولاهم يحزنون** ﴾ استنتج من هذه الآية عدم انقطاع النبوة قال ويتبين من هذه الآية أن الأنبياء سيبعثون في هذه الأمة أيضا لأن الله تعالى يذكر هنا الأمة المسلمة بأن الأنبياء إن بعثوا إليكم فعليكم أن تؤمنوا بهم إلى أن يقول أيضا إن سلمنا أن «إما» للشرط فإنها مع ذلك تدل على أن

---

(١) دعوة الأمير معتقدات الجماعة الأحمدية ص ٣٤ .

النبوة غير منقطعة [1].

وبعد هذا الكذب على الله في معنى الآية يضيف كذبا آخر على النبي ﷺ في إثبات عدم انقطاع النبوة بعده ﷺ حيث أثبت أن المسيح نبي قال : « وعلاوة على شواهد القرآن الحكيم يتبين من أحاديث الرسول ﷺ أيضا أن باب النبوة ليس بمسدود على الإطلاق لأنه ﷺ وصف المسيح الموعود بصفة النبي مراراً ولو لم يمكن وجود النبوة مطلقا لما وصفه النبي ﷺ بصفة النبي » [2].

وغريب جدا هذا الفهم القاصر لخليفة القادياني في زعامة القاديانيين أن يستدل بإثبات النبوة لعيسى عليه استمرار تجدد الأنبياء وأن يستدل من أمر الله لبني آدم بعد اهباطه أبيهم إلى الأرض بالإيمان بالأنبياء الذين سيرسلهم على استمرار النبوة بعد محمد ﷺ هذا فهم يدعو إلى العجب حقا وهذه حجة من لاحجة له وكم تناقض القاديانيون هنا فمرة يزعمون أن الغلام نبي مشرع ومرة يزعمون أنه نبي تابع للنبي محمد ﷺ مع أن هذا التفريق لادليل عليه فإن الله تعالى لم يخبرنا بأن فيه « فرقا » بين النبي المشرع والآخر غير المشرع بل أمر بالإيمان بجميع الأنبياء بدون تفريق بينهم وحتى ما يقوله بعض العلماء بأن النبي هو الشخص الذي يسير على الشرع السابق للرسول قبله ويجدده .

لا ينطبق على الغلام لأنه جاء بتشريعات كثيرة تخالف الشريعة الإسلامية تمام المخالفة ومستقلة تمام الاستقلال [3].

وكل تلك التأويلات التي لفقها القادياني وأتباعه بعدم انقطاع النبوة لا يقبلها إلا غافل فارغ عن العلم وجاهل باللغة العربية وجاهل بالدين الإسلامي .

ذلك أن الختم معناه آخر الشيء ونهايته كما يذكر علماء اللغة[4] لا أن معناه

(١ ، ٢) دعوة الأمير ـ معتقدات الجماعة الأحمدية ص ٤٠ .

(٣) انظر كتاب « لماذا تركت القاديانية محمد اختر» ص ٢٠ ترجمة محمد كليم الدين .

(٤) انظر كتب اللغة مادة ختم .

أفضل الشيء وأجوده .

وقد وردت النصوص من الكتاب والسنة على المعنى الأول وأنه لانبي بعد محمد ﷺ وأنه آخر الأنبياء به أكمل الله الدين وأتم به النعمة على العباد ومن لم يعتقد هذا فلا حظ له من الإسلام وقد قدمنا ذكر بعض الأدلة على ختم النبوة بمحمد ﷺ وهي واضحة صريحة لولا بعد هؤلاء عن الدين واستحواذ الشياطين عليهم .

والأحاديث في هذا المعنى كثيرة غير خافية على طلاب العلم ومن غريب أمر القادياني أن يترك الأدلة الصريحة من القرآن والسنة على أن خاتم الشيء هو آخره وأن الرسول خاتم الأنبياء أي أخرهم ثم يستدل بأقوال الشعراء الذين يتبعهم الغاوون على أن خاتم الشيء أفضله واستدل بقول الشاعر : ـ

فجع القريض بخاتم الشعراء وغدير روضتها حبيب الطائي

وخاتم الشعراء هنا يعني أفضلهم وزينتهم كما فسره القاديانيون ولكن معناه في الحقيقة أن الشاعر ـ وهو حسن بن وهب ـ يظن أن أبا تمام الذي قيل في رثائه هذا البيت ـ أفضل الشعراء المتقدمين ذوي الحكمة والعقل وأنه على حسب ما يعتقد فيه الشاعر أنه خاتم الشعراء أي فلا يمكن أن يأتي بعده مثله هكذا ظن ـ والظن أكذب الحديث ـ وعلى أي تفسير فإن القرآن والسنة لايعارضان بأقوال الشعراء . ولكن الغريق بكل حبل يمسك فإن تأويلات الباطنية من القاديانية أو البهائية أو غيرهم بأن خاتم النبيين أي أفضلهم أو زينة لهم كل تلك التأويلات لا يلتفت إليها أي مسلم شرح الله صدره للإسلام ولاشك أن نسبة هؤلاء للرسول ﷺ بأنه كالمهر في الورقة ، هذه إهانة للرسول ﷺ ، فالذي يحب الرسول ﷺ ويحترمه لايستجيز لنفسه أن يمثله بخاتم في أسفل الورقة ، فالرسول ﷺ أجل من أن يمثل بهذا .

الفصل الرابع

كيف وصل القادياني إلى دعوى النبوة

لقد تدرج غلام أحمد لدعواه النبوة وسلك مسالك عديدة وقطع مراحل متفاوته بينها اختلاف واضطراب كل مرحلة بنت وقتها .

لقد كان الميرزا في بدء حياته خامل الذكر لا يعبأ به ولا يذكر بخير أو شر.

١ - ثم اتجه إلى التأليف والمناظرات التي كانت ملتهبة في القارة الهندية بين شتى الأفكار والفرق ، وقد بدأ مناظرا جلدا عن الإسلام والمسلمين مع ما كان يظهر منه بين الفينة والأخرى من غلو في نفسه وتمجيدها وكان علماء المسلمين تجاهه بين الاستبشار والقلق من أن يجمح به فرسه إلى ما لا تحمد عقباه .

ومن هنا بدأت الأنظار تلتفت نحوه وذاع صيته وأعجبته نفسه ومواهبه فبدأ يحتطب في حبله وطلب من الناس أن يبايعوه ، ولم يبخل على نفسه بلقب مجدد العصر « المأمور من الله شبيه المسيح في دعوته إلى الله وأحواله الشخصية» وقد اقتضت سياسة بريطانيا أن يزيدوا من النار اشتعالا فشجعوا قيام المناظرات وافتعال الخصام والعنف بين الطوائف ليشعر الجميع بالحاجة إلى دولة قوية تحميهم وتكون الملجأ لجميعهم وهي سياسة بارعة منهم ، وحين شمر القادياني في بدأ أمره للدعوة إلى الإسلام ودحض حجج خصومه من الهندوس والنصارى وحينما توجه إليه المسلمون أعلن أنه بدأ في تأليف كتاب كبير في إثبات فضل الإسلام وإعجاز القرآن وإثبات نبوة محمد ﷺ والرد على الديانات السائدة في الهند كالمسيحية والآرية[1]والبرهمية والبرهموسماجية[2] وسمى

---

(١) فرقة من الهنادك أسسها « ديانند سرسوتي » في القرن التاسع عشر المسيحي تمتاز بالحماسة الدينية والنشاط في الدعوة والمناظرة والرد علي المسلمين وتدعو إلى الأخذ بتعاليم «ويدا» ونصوصه ورفض البدع والمحدثات الداخلة في الديانة البرهمية وتقول بقدم العالم وقدم الروح والمادة انظر : القادياني والقاديانية ص ٣٥.

(٢) ديانة هندية جديدة ظهرت في القرن التاسع عشر تحاول الجمع بين تعاليم الإسلام والبرهمية=

هذا الكتاب « براهين أحمدية » وتكفل المؤلف القادياني في أن يجمع في هذا الكتاب ثلاثمائة دليل على صدق الإسلام في خمسين مجلدا يدفع فيه كل الاعتراضات والايرادات التي يعترض بها الكفار عامة على الإسلام وطلب من المفكرين أن يراسلوه بأفكارهم ليستعين بها وطلب كذلك التبرع السخي بالمال لطبع الكتاب فانخدع بذلك كثير من العلماء وعامة المسلمين وفرحوا بهذا الانجاز المرتقب وبدأ القادياني يكتب فكيف تم ذلك ؟

الواقع أن الكتاب كان بمثابة صدمة عنيفة للمسلمين وخيبة أمل مريرة ، فقد أصدر الجزء الأول منه وسماه براهين أحمدية سنة ١٨٨٠م وملأه بمدح نفسه وكراماته وكشوفاته وإعلانات أخرى زكى بها نفسه ثم أصدر الجزء الثاني وكان لا يختلف عن الأول من حيث المضمون ثم أصدر الجزء الثالث سنة ١٨٨٢م ثم أصدر الجزء الرابع سنة ١٨٨٤م وقد ضمن الجزء الثالث والرابع حث العلماء والجمعيات الإسلامية على اقناع الحكومة الانجليزية بأن المسلمين أمة هادئة سلميه مخلصة للانجليزوان جهاد الانجليز حرام وأن حكومتهم نعمة جسيمة من الله ورحمة وأنها هي الدولة الوحيدة التي تحقق أهداف المسلمين وأعاد ذلك وكرره مرة بعد مرة ففطن العلماء له وعرفوا أنه لا يريد إلا الشهرة وكسب المال لا الدفاع عن الإسلام .

وحينما وقف على كتابة خمسة أجزاء بدل الخمسين طالبه المشتركون في قيمة الخمسين جزءا فذكر أنه كان عازما على اصدار خمسين جزءا من هذا الكتاب ولكنه سيقتصر على خمسة أجزاء ولما كان الفرق بين الخمسين والخمسة هو صفر واحد فقد أنجز وعده بإتمام خمسة أجزاء وأنه لا حق لهم في المطالبة بعد ذلك حسب مزاعمه لهم .

= وتقر التوحيد وتنكر النبوة والإلهام ومؤسسها: «راجه رام موهن راي» انظر: القادياني والقادينية ص ٣٦ .

ولقد مج الناس سماع هذا الكتاب لأنه أتخمه بالإلهامات والمنامات والخوارق والكشوف والتكليمات الإلهية والنبوات والتحديات ومدح الانجليز مما يطول نقله وتثقل قراءته ثم أعلن بعد ذلك أنه هو نفسه المسيح الموعود لأنه تواتر ـ حسب قوله ـ عليه الإلهام« إنك أنت المسيح الموعود»[1]ثم جاءت سنة ١٩٠٠ وبدأ الخواص من أتباعه يلقبونه بالنبي صراحة وكان موقف الغلام إزاء هذه النقلة الخطيرة متسما بالحذر والمراوغة فكان يعجبه هذا اللقب ويبدي بين خاصته التأييد لهم.

ويظهر لمن يخالفه كلمات يمتص بها غضبه بما كان يبديه من تأويل نبوته بما يشعر بالتواضع مثل « النبي الناقص » أو «النبي الجزئي » أو النبي المحدث علها تخفف حرارة إمتعاض المخالف له ولم تدم هذه الفترة طويلا فبعد سنة ١٩٠١م أسفر عن وجهه الحقيقي بأنه نبي كامل وأن كل ما قاله أو كتبه من أنه نبي غير كامل صار منسوخا بثبوت نبوته .

ثم أدركه بعد ذلك عرق السوء في سنة ١٩٠٤م فاحتقر النبوة ورآها غير كافية في شخصه فادعي أنه « كرشن » وهو معبود من معبودي الهنادك ولعله طمع في ميل الهنادك[2] إليه وهو في هذه الدعوى الخطيرة لم يأت بجديد فهو خلف لأسلافه من الطغاة الذين ادعوا الألوهية على مر العصور .

٢ ـ إلهاماته

دعوى أي شخص أن الله ألهمه كذا وكذا من الأمور اليسيرة التي هي بإمكان كل إنسان أن يدعيها إلا أن الخطر يكمن في ظهور النتائج ـ على حد قول أحد الشعراء :

من تحلى بما ليس فيه ... فضحته نتائج الامتحان

---

(١) انظر القادياني والقاديانية ص ٣٥ ـ ٤٢ ومن ٥٠ ـ ٥٦ ، ٦٥ ، ٧٢ ومراجعه التي نقل عنها من كتب الغلام بالأردية ، وانظر القاديانية للحموي ص ١٧ .

(٢) انظر المراجع السابقة .

على أن ما يحصل للنفس من إلهام ليس له مورد واحد بل عدة موارد فقد يرد عليها الإلهام من الله تعالى وهنا لابد من أهلية صاحبها وتقواه وصدق إخلاصه لربه وصفاء توحيده .

وقد يرد عليها الإلهام من وساوس الشياطين إذا كان صاحبها لائقا بذلك بعيدا عن الله .

والهامات الغلام كلها من هذا النوع ، وقد ظهر الكذب فيها والتكلف الممقوت رغم أنه يصوغها على غرار الآيات القرآنية يريد أن يوحي به إلى الناس على أنه الهام من الله له ووحي مباشر إليه يتبين ذلك من خلال صيغته وإنشائه.

لقد كثرت إلهامات الغلام التي جعلها بمثابة وحي من الله تعالى وهي أفكار زخرفها وتقول فيها على الله تعالى وتنطع وخرج عن الإيمان بالإسلام وبختم النبوة المحمدية ثم تحول القادياني من شخص مسلم غيور على الدين في أول أمره إلى عدو لدود للمسلمين والإسلام حينما رأي إقبال الناس عليه ودفع الحكومة الانجليزية له إلى الأمام في غيه كما هو عادة الانجليز وخداعهم للناس .

ولهذا فقد وصل به التعلق بالانجليز إلى حد أن الذي يأتيه بالوحي هو رجل في صورة شاب إنجليزي .

بل والوحي نفسه اختلط عليه الأمر فيه فمرة يوحي إليه بالعربية ومرة بالفارسية وأخرى بالأردية بل وأحيانا بالانجليزية إتماما للنعمة .

ويمكن أن أجعل عذر الندوي في عدم الإتيان بتلك الإلهامات التي نزلت على الغلام كلها أجعله عذرا لي وذلك في قوله عن الغلام :

« ثم ذكر الشيء الكثير من إلهاماته يطول نقله وتثقل قراءته على القارئ الأديب إلا أننا نقتصر على مثالين من هذه الإلهامات الطريقة» [1] .

(١) القادياني والقاديانية ص ٤٥ .

ثم ذكر مثالين منها تكفي القارىء لاصدار الحكم على الغلام ومدى ماوصل إليه من استهتار بكتاب الله وسنة نبيه بل وبعقول الناس بل وبعقله أيضا هو حيث جاء بكلام لايفهمه حتى هوفضلا عن غيره فمما أورده الغلام في كتابه «براهين أحمدية» قوله : « لقد الهمت آنفا وأنا أعلق هذه الحاشية وذلك في شهر مارس عام ١٨٨٢ م مانصه حرفيا : «يا أحمد بارك الله فيك ما رميت إذ رميت ولكن الله رمي . الرحمن علم القرآن لتنذر قوما ما أنذر آباؤهم ولتستبين سبيل المجرمين قل إني أمرت وأنا أول المؤمنين قل جاء الحق وزهق الباطل إن الباطل كان زهوقا كل بركة من محمد ﷺ فتبارك من علم وتعلم...إلى أن يقول:« يقولون أني لك هذا أنى لك هذا إن هذا إلاقول البشر وأعانه عليه قوم آخرون[1]... إلى أن يقول:أني رافعك إليّ وألقيت عليك محبة مني لا إله إلاالله فاكتب وليطبع(كذا)وليرسل في الأرض خذوا التوحيد التوحيد ياأبناء الفارس (كذا)....أصحاب الصفة وما أدراك ما أصحاب الصفة ... إلى أن يقول:

قيل ارجعوا إلى الله فلا ترجعون . وقيل استحوذوا فلا تستحوذون ولا يخفى على الله خافية ولا يصلح شيء قبل إصلاحه ومن رد من مطبعه (كذا) فلا مرد له»[2].

وأكتفي بذكر هذه النصوص على الوحي الذي يزعمه ولكن من الأنفع لطلاب العلم أن يقفوا على الحق جملة الإلهام أو الوحي الذي نزل على الغلام في آخر كتابه ضميمة الوحي ليقف عليه القارىء وليرى مقدار ماوصل إليه هذا الشخص في إقدامه على التلاعب بكتاب الله عز وجل وليري الوقاحة التامة التي اتصف بها هذا الرجل وعدم خوفه عاقبة أكاذيبه .

---

(١) لقد صدق في هذا فإن هذا الخلط والتكسير للآيات الكريمة من وضعه وأعانه عليه الحكيم نور الدين البهيروي .

(٢) هذا تخويف لأصحاب المطابع أن لايردوا أي كتاب يصل إليهم من الغلام دون طباعته .

وليرى كـذلك جملة من الكلام الركيك والهـذيان الفاحش والفكر الناقص المضطرب الذي تحدى به البشر .

وكتاب الغلام أو رسالته التي جعلهـا بعد ذلك ملحقة بكتابه براهين أحمدية وضميمـة له صاغها على طريقة القرآن الكريم في قـصر الآيات وطريقة الوقوف على رأس كل آية . ثم خلـط بين آيات مـتبـاعـدة دون رابط مع تبـديل كلمـات القرآن بكلمات من عنده أحيانا وتحريف لألفـاظ القرآن أحيانا أخرى مع الجسارة التامة على التلاعب بترتيب الآيات ونطقها وتبديل ما شاء وترك ما يشاء .

وليقف كذلك على جهل الغلام بخالق السموات والأرض وبدائيته في ذلك حيث لفق ٩٧ صفحة ليضاهي بها القرآن الكريم [(١)] .

وقد تحدى الغلام البشر أن يأتوا بصفـحات من مثل كلامه الذي هو كالقرآن فقال : يرد على الذين يقولون بأن كلامه مسروق وليس بإلهام من الله :

« ووالله إنه ظل فصاحة القرآن ليكون آية لقوم يتدبرون.أتقولون سارق فأتوا بصفحات مسروقه كمثلها في التزام الحق والحكمة إن كنتم تصدقون»[(١)].

هذا وهو القائل :

« الا لعنة الله على من أفـترى على الله أو كذب الصـادقين وكل من كذب الصادق أو افترى جـمعهم الله في نار أعدت لهم وليسوا منـها بخارجين قال كم لبثتم في الأرض عدد سنين »[(٢)].

وبعـد أن تحـدى الغلام البـشـر أن يأتوا بصـفـحــات من مـثل الوحي الذي جــاءه عاد وتحدى البشـر أن يأتوا بآية من تلك الآيات التي تلقاها عن الله تعـالى قائلا ومقـسما«ووالله لو اجتـمع أولهم وآخرهم وخواصهم وعـوامهم ورجالهم

(١) انظر لذلك كتاب الغلام « براهين أحمدية » ٣/٢٣٩ - ٢٤٢ ، ٤/٥٠٩ و ص ٥٥٤ - ٥٥٦ نقلا عن القادياني والقاديانية ص ٤٢ - ٤٤ .

(٢) ضميمة الوحي ص ١٠ .　　　(٣) المصدر السابق ص ١١ .

ونساؤهم ما استطاعوا أن يأتوا بآية كما نعطي من ربنا ولو كان بعضهم لبعض ظهيرا»[1] ومن أقوى ما أوحى إليه هذا الكلام «فروا من مائدة الله ورغفانها وانتشروا وبقيت الخوان على مكانها وآثروا عصيدة الدنيا وتحلبت لها أفواههم وتلمظت لها شفاههم»[2] إلخ فمن يستطيع أن يأتي بمثل هذا غيره.

وقد ذكر أن من الأدلة على نبوته أنه كان قد نفش في خاتمه « أليس الله بكاف عبده يا أهل الآراء»[3] قبل أن يخبره الله بأنه نبي فاعجب لهذا الدليل أيها العاقل وذكر أن الخاتم مضى عليه أكثر من ثلاثين سنة ولا يزال محفوظا لديه فضلا من الله ورحمة ومع هذا الفضل من الله عليه فقد سجل على نفسه أنه كان يكتم بعض الوحي خوفا من الحكومة فقد نبأه الله أن رجلا من اعدائه اسمه سعد الله سيموت فأراد أن ينشر هذا الإلهام فثناه عنه وكيله فقال .

« فأردت أن أفصله في كلامي وأشيع ماصنع الله بذلك الفتان .. فمنعني من ذلك وكيل كان من جماعتي وخوفني من إرادة اشاعتي وقال لو أشعتها لا تأمن مقت الحكام ويجرك القانون إلى الآثام ... وليست الحكومة تارك المجرمين»[4].

فكيف يكتم الوحي لئلا يكون مجرما أمام الحكومة وصدق الله ﴿ **ولو كان من عند غير الله لوجدوا فيه اختلافا كثيرا** ﴾ .

ومن إلهاماته الأخرى هذه العبارات :

١ ـ إني ألهمت ان شاء الله [5].

٢ ـ إني أُلهمت رجل معقول [6].

٣ ـ اني الهمت الأسف كل الأسف [7].

(١) ضميمة الوحي ٢٤ .
(٢) المصدر السابق ص ٤١ .
(٣) ضميمة الوحي ص ٣١ .
(٤) ضميمة الوحي صـ ٣٩ .
(٥) البشرى للغلام : ٢ / ٦٥ .
(٦) المصدر السابق ص ٨٤ .
(٧) مجموعة إلهامات الغلام ـ البشرى : ٢ / ٧١ .

٤ ـ أني ألهمت جوهدري رستم [1]على .

٥ ـ فراش العيش [2].

٦ ـ أنت مني بمنزلة أولادي[3]بهذه الوثنية زعم أن الله خاطبه ـ تعالى الله ـ عن افترائه.

وهناك إلهامات كثيرة مملة كما ذكر الندوي بعضها وذكر المودودي بعضا وذكر إحسان إلهي بعضا منها[4] أيضا ويكفي مجرد قراءتها دليلا واضحا على شخصية القادياني وشعوذته .

٣ ـ دعواه أنه المسيح الموعود

بعد أن أعاد القادياني وأبدى في دعوى الإلهام انتقل إلى الدعوى الثانية وهي أنه المسيح الموعود قال في ضميمة الوحي « واتى المسيح الموعود مهجرا بأمر الله العلام ليظهر الله ضياءه التام على الأنام بعد الظلام »[5] إلا أن العلماء يذكرون أن الفضل في هذا التوجه يعود إلى صديقه الحكيم نور الدين ويتضح ذلك في رسالة بعثها القادياني ردا على رسالة لصديقه الحكيم الذي كتب إليه إقتراحه المشهور للغلام في أن يدعى أنه المسيح فكتب له الغلام مبديا تواضعه في أول الأمر وعدم طموحه إلى ذلك جاءفيها قوله : « لقد تساءل الأستاذ الكريم ما المانع من أن يدعي هذا العاجز[6]ـ أنه مثيل للمسيح وينحى في جانب مصداق الحديث الذي جاء فيه أن المسيح ينزل في دمشق ، وأي ضرر في ذلك ؟ فليعلم الأستاذ الكريم أن العاجز ليست له حاجة إلى أن يكون مثيلا للمسيح ، إن همه

---

(١) البشرى ص ٩٤ .

(٢) البشري ص ٨٨ .

(٣) « أربعين » حاشية ص ٢٣ .

(٤) انظر القادياني والقاديانية ص ٤٢ ـ ٤٤ وانظر ما هي القاديانية وانظر القاديانية دراسة وتحليل ص ١٥٣ ، ١٥٤ .

(٥) ضميمة الوحي ص ١٢ .

(٦) يعني الميرزا نفسه .

الوحيد أن يدخله الله في عباده المتواضعين المطيعين »[1]وما ألطفه من تواضع لوبقي عليه إن كان صادقا في هذا الكلام إلا أنه قد يتبادر إلى الذهن أن ما أظهره هنا من التحرج والتواضع يحتمل أنه :

١ ـ كان يخاف مغبة هذه الدعوى .

٢ ـ أو أنه قالها قبل أن تختمر الفكرة في ذهنه .

٣ ـ أو أنه كان ماكرا يريد أن يستثبت من رغبات الناس ويسبر غورهم وبالأخص صديقه المذكور .

ومهما كان فقد وجهه الحكيم إلى دعوى أنه مثيل للمسيح وبين له الخطة في ذلك بتأويل الأحاديث على وفق دعوى الغلام وربما لم يكن الحيكم نور الدين وحده مصدر هذه الفكرة بل الإنجليز أيضا بطبيعة الحال كان لهم دور بارز في إضرامها ليوجهوها بعد ذلك الوجهة المطلوبة لهم والتي أول أهدافهم منها محو فكرة الجهاد من أذهان المسلمين وعلى أي حال كان فقد قبل الميرزا مشورة صديقه في أن يصبح نبيا وتأكد لديه أن الفرصة قد واتته ومن هنا بدأ الميرزا غلام أحمد في تنفيذ تلك الفكرة وأخذ يدعو إلى ذلك بكل مايستطيعه من إمكانيات.

قال الندوي:«وهنا تتميز الفكرة القاديانية عن الديانات السماوية والدعوات النبوية تميزاً واضحا فإن الأنبياء والرسل ـ صلوات الله وسلامه عليهم ـ ينزل عليهم الوحي من السماء ويمتلؤن إيمانا وثقه برسالتهم ، ولا تنبثق عقيدتهم أودعوتهم من اقتراح أو توجيه»[2] كما حصل للغلام المذكور وقد أخذ القادياني بعد ذلك يدلل على أنه هو المثيل للمسيح الموعود الذي بشرت به الأحاديث وأنه ينبغي على كل مسلم أن يشكر الله على نزول المثيل الموعود وهو القادياني في عصره الجديد أما المسيح ابن مريم حسب زعمه فإنه لا يعود

---

(١) مكتوبات أحمدية ٥/٨٥ ، نقلا عن القادياني والقاديانية ص : ٥٢ .

(٢) القادياني والقاديانية ص ٥٣ .

إلى الأرض ولكن الذي سيعود هو المثيل للمسيح والشبيه له لا المسيح نفسه ولذلك فإن شبه المسيح تماما هو القادياني وعلى الناس أن يصدقوا هذا التفسير منه ويتركوا ماجاء من النصوص في ثبوت عودة المسيح ابن مريم الذي أرسل في عصره إلى بني إسرائيل لأن عودته إنما هي مثال للمسيح الهندي الغلام أحمد ولقد ألف عدة كتب في إثبات هذا المفهوم الجديد وله نصوص كثيرة فيه يمكن أن نقتصر منها على هذا المثال من كلامه الذي جاء في كتابه « توضيح مرام»[1] ترجمة الأستاذ الندوي[2] حيث قال « ان المسلمين والنصاري يعتقدون باختلاف يسير أن المسيح ابن مريم قد رفع إلى السماء بجسده العنصري وأنه سينزل من السماء في عصر من العصور وقد أثبت في كتابي - يعني فتح إسلام - « أنها عقيدة خاطئة وقد شرحت أنه ليس المراد من النزول هو نزول المسيح بل هو إعلام على طريق الاستعارة بقدوم مثيل المسيح وأن هذا العاجز هو مصداق هذا الخبر حسب الإعلام والإلهام ومن هنا فإنه لامناص من تقمص شخصية المسيح والعراك المرير لا نتزاعها وتسليم المخالفين له بها .

وقد أكثر من الكلام حول وفاة المسيح وتحقيق أنه كان له أب وأن المقصود بكونه لا أب له أي أنه جاءه العلم من غير تعلم[3].

دور صديقه الحكيم نور الدين في دفعه إلى الأمام

لقد كان لنور الدين اليد العليا على الغلام حيث كان يمهد له الصعاب ويشاركه في إبراز القضايا الخطيرة وطريقة حلها وتوجيهها ، ومن ذلك تفسير دمشق الوارده في صحيح مسلم أن المسيح ينزل في دمشق . فكيف ذلك ونزول القادياني كان في قاديان وبين البلدتين من البعد وعدم العلاقة بينهما مالا يخفى على أحد .

---

(١) توضيح مرام ص ٢ . (٢) القادياني والقاديانية ص ٥٧ .

(٣) انظر ضميمة الوحي ص ٥٤ ـ ٥٥ .

وهذه القضية أثارها نور الدين وهي قضية خطيرة إن لم يوجد لها حل وتوجيه مقبول عند الناس وبعد تفكير اهتدى الغلام إلى الحل الذي اطلعه الله عليه ـ حسب قوله ـ وهو أن دمشق التي ينزل فيها المسيح ليست هي دمشق المعروفة بالشام ولكن المراد بدمشق أنها قرية يسكنها رجال طبيعتهم يزيدية ـ أي قاديان ـ فاتفقت في الوصف مع دمشق الشام من حيث إن طبيعة أهل هاتين المدينتين يزيدية . فقال : « وإنه لما كانت قرية قاديان شبيهة بدمشق أنزلني فيها لأمر عظيم ـ أي قاديان ـ بطرف شرقي عند المنارة البيضاء من المسجد الذي من دخله كان آمنا»[1] يعني المسجد الذي بناه بقاديان ليحج إليه أتباعه المرتدون عن الإسلام مضاهاة للمسجد الحرام وجعل عنده منارة بيضاء ليضلل الناس في صدق الحديث عليه لنزوله أو ظهوره عند هذه المنارة التي بناها .

٢ ـ تأويل الرداءان الأصفران :

كما أول نصوصا كثيرة تأويلات باطنية ضالة . مثل تأويل ما جاء في أحاديث نزول المسيح أنه ينزل وعليه رداءان أصفران أولهما القادياني على نفسه بأنهما المرضان الذان كانا يلازمانه وهو الصداع الشديد والدوار الذي في مقدم رأسه وكثرة البول الناتج عن السكر الذي أصابه[2] وان الله ابتلاه بهذا لئلا يقع الخلل في نبوءة الردائين الأصفرين زيادة في تثبيت الناس فيه وسخر من الأحاديث التي تدل على نزول المسيح ابن مريم من السماء وزعم ان النبي محمدا ﷺ ألقى الله عليه علما إجماليا عن المسيح ليكمل تفصيله على النحو المذكور القادياني حين بعثته الجديدة من الهند وقرر أن قبر المسيح ابن مريم موجود في كشمير وتعسف في ذلك وجاء بالعجائب والغرائب من التأويلات التي لا تستند إلاعلى الهوى وعدم المبالاة وهكذا أثبت لنفسه أنه هو المثيل

---

(١) ماهي القاديانية ص ٣٨ ـ ٤٠ ، القادياني والقاديانية ص ٥٨ .

(٢) براهين أحمدية ص ٢٠١ وسيرة المهدي ؛: ٢ / ٢٣٨ .

للمسيح ابن مريم لوجود التشابه التام بينهما في المسكنة والتواضع والثقة في الله والتوكل عليه وتجديد كل منهما للدين كما كان يذكر الغلام .

إلا أنه يرد سؤال مهم وهو أنه من الضروري أن يكون مثيل المسيح أيضا نبيا لأن المسيح كان نبيا ؟ وهذا سؤال يبدو أنه قد يشكل عقبة أمام القادياني وهو نفسه صاحب هذا السؤال ولكن أجاب عنه بقوله بعد إيراد السؤال « فالجواب الأول عن هذا ، أن سيدنا ومولانا ما اشترط للمسيح القادم بالنبوة وكتب بكل وضوح أنه سيكون رجلا مسلما متبعا للشريعة الفرقانية شأن عامة المسلمين ولا يظهر شيئا أكثر من هذا »(١) .

وعلى هذا فهو ليس المسيح وليس نبي قال : « وإنى ما أدعيت قط أني المسيح ابن مريم والذى يتهمنى بهذا فأنه المفترى الكذاب بل الذى قد نشر من جانبي منذ سبعة أو ثمانية أعوام هو أنى مثيل المسيح »(٢) لكنه لم يقف عند هذا الحد فيما بعد ، وهذا الكلام إنما جاء في مرحلة من مراحل التخطيط للنبوة ومن هنا فإنه قد ارتفع بعد أن أثبت مثليته للمسيح إلى أنه هو نفسه المسيح وأمه فقال : « وهذا هو عيسى المرتقب ، وليس المراد بمريم وعيسى في العبارات الإلهامية إلا أنا » وقال « وهو قد سماني بمريم في الجزء الثالث من البراهين الأحمدية ثم نشأت في الصفة المريمية إلى سنتين كما هو الظاهر من البراهين الأحمدية ومازلت أنمو وأتربى وراء الحجاب ثم ... نفخ فيّ روح عيسى كمريم وحملت بعيسى على وجه الاستعارة ثم بعد عدة أشهر جعلت عيسى بعد أن كنت مريم بإلهام جاءني في آخر الجزء الرابع من البراهين الأحمدية فهكذا أصبحت ابن مريم»(٣) وقد حاول الميرزا بشير محمود تأسيس هذه الفكرة حيث زعم أن كلمة « مريم » تعنى حالة ووضعا خاصا من أوضاع المؤمنين في مرحلة من

---

(١) توضيح مرام ص ١٩ .

(٢) إزالة أوهام للميرزا ص١٩٠ .

(٣) إزالة أوهام ص ٦٥٩ ـ ماهى القاديانية ص ٤١ .

مراحل حياتهم ثم ينتقلون إلى « العيسوية » الهداية التامة[1] وبهذا البهتان العظيم والخيال السقيم والعقوق أيضا لأمه لأنه صار ابنا لمريم وليس لأمه جراغ بي بي أراد أن يثبت نبوته والذى يظهر لي أن هذه التلفيقات في أفكاره ترجع إلى أنه كان متأثرا بالقول بالتناسخ إلا أنه لم يجرؤ على التصريح به في ت الفترة فحاول تغطيته بمثل تلك العبارات المملؤة بالغموض عن عمد .

وللعلماء ردود على هذه الأفكار طويلة وفي الواقع أنه لاينبغي مجرد الاهتمام بها ولا الردود عليها فهى أحط من أن تثبت أمام المناقشة والجدال ، ومن الجدير بالتنبيه إليه أن بشير محمود أحمد في كتابه : « دعوة الأمير» قد ذكر كلاما كثيرا حول إثبات وفاة المسيح عيسى ابن مريم وزعم أن الذين يقولون بحياته إلى يومنا الحاضر أنهم لايعرفون الله حق معرفته حيث جعلوا المسيح مثيلا له في عدم الفناء وزعم أن اعتقاد حياة المسيح إلى اليوم فيه تأييد للنصارى في زعمهم ألوهية عيسى أوأنه ابن الله وهى مغالطة واضحة فإن المسلمين حين يقولون أن المسيح حى الآن في السماء لايقولون أن حياته مثل حياة الله بل يثبتون أنه سيرجع إلى الدنيا ثم يموت بعد ذلك كغيره من البشر» وقد اعتبر الميرزا بشير محمود القول بأن عيسى رفع إلى السماء ومحمدا مدفونا في الأرض من أشد الإهانات التى توجه للرسول محمد ﷺ ومنزلته عند الله ويقول كيف أن الرسول محمدا ﷺ حبيب الله تركه للهموم والمصائب ولم يرفعه إلى السماء وعيسى بمجرد أن تعرض لأدنى خطر رفعه الله إليه وجاء بشخص مثيل له ليصلب إلخ ما أورده من مغالطات شريرة فإنه من المعلوم لدى أفهام العقلاء أن كون عيسى رفع ومحمد ﷺ مدفون في الأرض هذا ليس إهانه للرسول ﷺ لا من قريب ولامن بعيد فالأرض والسماء كلها لله وقد اختار الله أن يكون الأمر على ما ذكر ولايسئل الله عز وجل عما يفعل ولايعترض إلا جاهل ونحن مع

(١) معتقدات الجماعة الأحمدية الإسلامية من كتاب « دعوة الأمير » للميرزا بشير محمود إنظر من ص ٢٩ - ٣٠ .

النصوص ما أثبتتـه نثبته وما نفته ننفيه وقـد نفت النصوص أن عيسى صلب بل إنه رفع فيجب اعـتقاد ذلك والقول بأن الرسول مـحمدا ﷺ مدفـون في الأرض إهانة[1] له هذه الإهانه لا وجود لها إلا في أذهان المغالطين .

كما أنه أورد أدلة على وفاة المسيح هى في واقعها شـبهات وتحريف للمعاني زخـرف فيـها القـول وظن أنه قـد أصاب الحق يحـتاج إيـرادها والرد عليهـا إلى دراسة مستقلة .

ومن الأمور التي قررها بشير محـمود هو أن والده الميرزا هو المثيل للمسيح المتوفى وأن القول بنزول المسيح عيسى ابن مريم مرة ثانيـة إلى الدنيا يعتبر احتقاراً للرسول مـحمد ﷺ وهضـما للقـول بقدرة الله في إرسـال الأنبيـاء والمصلحين إذكيف يضطر الله إلى إرسال ميت حسب زعمـه - من بنى إسرائيل وأمه محمد ﷺ مـوجودين . وهذا المفـهوم مـأخوذ عن ضـميـمة الوحى حـيث قال الغـلام القاديـاني « ويدفنون خيـر الرسل في التراب ويصـعدون عـيسى إلى السـموات العلى فتلك إذا قسمة ضيزى يبصرون ثم لا يبصرون يرون الحق ثم يتعامون»[2].

٤ـ ادعاؤه النبوة

وحـينما وصل إلى الـدرجة النهـائية لـتدرجـه إلى مقـام النبـوة صرح بآخـر تفاصيل الخطة وأزاح الضباب الذى جـعله سابقا غطاء للوصول إلى هذه الدرجة التى أعلن فيها نبوته وصال وجال وتحدى الناس وراهن على صدق نبوته وصدق نفـسـه أنه نبي ومن هنا انطلق آخـذا في اعـتبـاره أن يغطى الإسـلام برداء نبـوته الجديدة وأن يتحول المسلمون على مـر الزمن من الإسلام الذى إرتضاه الله لنبيه محمد ﷺ ومن اتبعه إلى يـوم القيامة أن يتحـولوا إلى القاديانية فتـصبح قاديان بدلا عن مكة والمدينـة وبيت المقـدس أيضـا وتنتـقل مهـوى الأفـئـدة إلى قـاديان

(١) معتقدات الجماعة الأحمدية الإسلامية من ص ٩ إلى ص ٢٩ .

(٢) ضميمة الوحى ص ٣٥ .

ويصبح زيارة مسجد القادياني والسلام على القاديانى بدلا عن زيارة المسجد النبوى والسلام على رسول الله محمد ﷺ وتصبح تعاليم القاديانى بديلة لتعاليم القرآن الكريم والسنة النبوية إلى آخر ما كان يهدف إليه وفي ظنى أن المنية عاجلته قبل أن يكمل المخطط تماما ولربما لو امتدت به الحياة بعد تلك الفترة التى قضاها لكان له شأن آخر .

وعلى كل حال فقد ادعى الغلام النبوة وبين المهام التى اسندها الله إليه حسب زعمه فقال : « أنا على بصيرة من رب وهاب بعثني الله على رأس المائة لأجدد الدين وأنور وجه الملة وأكسر الصليب وأطفئ نار النصرانية وأقيم سنة خير البرية ولأصلح مافسد وأروج ماكسد وأنا المسيح الموعود والمهدي المعهود منّ الله عليّ بالوحي والإلهام وكلمني كما كلم رسله الكرام»[1] إلا أنه تميز عن الرسل بخاصية لا توجد فيهم وهى :

أن الرسل كانوا يفرحون بأخذ النبوة ويتقبلونها بلهفة بينما هو تقبلها رغم كراهيته لها وإيثاره الخمول على الشهرة وهذا فى قوله :

« كنت أحب أن أعيش مكتوما كأهل القبور فأخرجني ربي على كراهيتي من الخروج وأضاء اسمى في العالم مع هربي من الشهرة والعروج ولبثت عمرا كالسر المستور أو القنفذ المذعور .... ثم أعطاني ربي ما يحفظ العدا».[2]

وقوله :-

« فأخرجنى الله من حجرتى وعرفني في الناس وأنا كاره من شهرتي وجعلني خليفة آخر الزمان وإمام هذا الأوان»[3] .

لقد كان القادياني لبقا في إبداء فكرته يمشي خطوة خطوة وينتقل من

(١) ضميمة الوحى ص ٢٢ .

(٢) أى ما يثير غضبهم وحقدهم . انظر لهذا النص ضميمة الوحى ص ٣٤ .

(٣) خاتمة رسالته ضميمة الوحى ص ٨٦ .

مرحلة إلى مرحلة فبدأ يتكلم عن الإلهام والعلم الباطني والعلم اليقيني كمنزلة طبيعية يصل إليها الإنسان بلزوم متابعة النبي ﷺ والاضمحلال فيه على طريقة الصوفية. ويتكلم عن صفات النبوة والنبي الذى يجمع هذه الخصائص وإمكان ذلك.

ولعله كان يدرس الأحوال ويتأكد من وجود المحيط المناسب لهذه الدعوى الكبيرة.

التى ستحدث الضجة العظيمة التى كان يترقبها في المجتمع الإسلامي حين إعلانها . وقد حدث الحادث المرتقب عام ١٩٠٠م حينما ألقى إمام مسجده ويسمى عبد الكريم خطبة الجمعة معلنا فيها أن الغلام صار نبيا رسولا لا يؤمن بالله من لا يؤمن به وحصلت المفاجأة واندهش المصلون لهذا الحدث الغريب وحصل الجدال والنقاش بين هذا الخطيب وبين المسلمين الذين ماكانوا يعرفون عنه إلا أنه عالم ومجدد وداعية إلى الإسلام ومناظرا لخصومه .

فعاد عبد الكريم وألقى خطبة أخرى فى هذا المعنى في الجمعة الثانية والتفت إلى الغلام أحمد وقال له « أنا أعتقد أنك نبي ورسول فإن كنت مخطئا نبهنى على ذلك ، ولما قضيت الصلاة وهم الميرزا بالانصراف أمسك الخطيب عبد الكريم بذيلة وطلب منه توضيح هذا الأمر فأقبل إليه الميرزا وقال » هذا الذى أدين به وأدعيه « فارتفعت الأصوات بالنقاش فخرج الميرزا من بيته وقال : **﴿ياأيها الذين آمنوا لاترفعوا أصواتكم فوق صوت النبي﴾**.[1]

ومن هنا شمر عن ساعد الجد في دعوى النبوة بل وتحدى على ذلك وأنه نبى مرسل من الله صاحب شريعة وكفّر جميع من لايؤمن به وأثبت لنفسه أنه رسول من الله[2] ، وأنه نبي سماه الله بذلك حسب قوله « سماني الله نبيا تحت

---

(١) محاضرة السيد سرور شاه القادياني صحيفة الفضل القاديانية عدد (٥١) مجلد ١٠ ٤ يناير ١٩٢٣ م ، القادياني والقاديانية ص ٦٦ ، ٦٧ ، الآية من سة الحجرات:٢.

(٢) ضميمة الوحي ١٣ .

فيض النبوة المحمدية وأوحى إليّ ما أوحى » (1) .

وقال أيضا :

«وإني والله من الرحمن يكلمني ربي ويوحي إليّ بالفضل والإحسان » .

« وخاطبني ربي أنك بأعيننا فأوفى وعده » (2) .

وبعد أن صرح بالنبوة أخذ يتدرج أيضا في تلطفه مع المخالفين إلى أن جاء الحكم الأخير عليهم بالكفر والنارفبدأ بالقضية هكذا كل من لا يؤمن بنبوة الغلام ويكفر به يستوجب العقاب إلى حد ما(3) ولايكون الإنسان كافرا أو دجالا لأجل انكاره لدعواه إلا أنه يكون ضالا منحرفا عن جادة الصواب وبكون فاسقا وجاهلا جهلا محضا إلى آخر ما وصف به مخالفيه في هذه الفترة .

ثم جاءت الفترة النهائية وفيها الشدة والغلظه على المخالفين وإخراجهم من الملة إن لم يدخلوا في دينه بخلاف من مات قبل مجيئه ومن هنا قال : « إن الذين خلوا من قبلي لا إثم عليهم وهم مبرؤن والذين بلغتهم دعوتي ورأوا آياتي وعرفوني وعرفتهم بنفسي وتمت عليهم حجتي ثم كفروا بآيات الله وأذوني أولئك قوم حق عليهم عقاب الله خصوصا بعد أن صار مهديا متجسدا بمحمد ﷺ كما زعم (4) .

ولأن الله أنزل عليه بالالهام « كل رجل لا يتبعك ولا يدخل في بيعتك ويبقى مخالفا لك هو عاص لله والرسول وهو من أصحاب النار » (5) .

وهناك نصوص كثيرة في دعوى تجسد محمد ﷺ بالغلام في قاديان

---

(1) المصدر السابق ص 18 . (2) ضميمة الوحي ص 26 .

(3) رسالة الأربعين ص 7 رقم (4) .

(4) ضميمة الوحي ص 46 وانظر أيضا إرشاد الميرزا جريدة الفضل 26 / 1 / 161 م .

(5) حجة الله : محاضرة للميرزا ألقاها في لا هور منقولة من كتاب النبوه في الإسلام لمحمد علي اللاهوري ص 214.

وظهوره مرة أخرى داعيا إلى الإسلام ونشره من جديد ، منها :

« أن الله قد أنزل محمدا ﷺ مرة أخرى في قاديان لينجز وعده»[1] ومنها «فالمسيح الموعود هو محمد رسول الله وقد جاء إلى الدنيا مرة أخري لنشر الإسلام»[2].

ومنها: «فإن المسيح الموعود ليس بشخص غير النبي الكريم بل إنه هو نفسه»[3] وعلى أساس هذا المفهوم فكل من أنكر أو كذب بنبوة الغلام فهو نفسه تكذيب وإنكار لنبوة محمد ﷺ وكل جزاء يلحق من كذب بمحمد ﷺ هو نفسه الجزاء الذي يحل بمن يكذب بالقادياني .

وانتقلت نفس الصفات التي اختارها الله لنبيه محمد ﷺ فصارت للقادياني فهو مفضل ومسجده مفضل وقبره مفضل وقاديان نفسها مفضلة أيضا ويجب على المسلم أن لايرى فارقا بين قبر الرسول محمدا ﷺ وقبر الغلام لأن القبرين في منزلة واحدة لأن الغلام أسمه أيضا محمد .

ولهذا فكل آية فيها ذكر محمد فإنها تنطلق أيضا على الغلام المسيح الموعود لاتحادهما في الاسم وشمول الرسالة والتجسد ومن هنا فلا غرابة في عدم تغيير القادياني لفظة الشهادة في الإسلام بل أبقاها على صيغتها الشرعية : « لا إله إلا الله محمد رسول الله » . لأن القاديانيين يزعمون كما زعم لهم الغلام نفسه أن من أسمائه « محمداً » فلهذا يكفي ذلك اللفظ عن الإتيان بصيغة جديدة وفي هذا يقول بشير أحمد ابن الغلام القادياني : « نحن لا نحتاج لديننا إلى كلمة جديدة للشهادة بنبوة غلام أحمد لأنه ليس بين النبي وبين غلام أحمد أي فارق»[1].

---

(١) كلمة الفصل لبشير أحمد القادياني ص ١٠٥ . (٢) المصدر السابق ص ١٥٨ .

(٣) المصدر السابق ١٤٧.

(٤) انظر كلمة الفصل ص ١٥٨ ج ١٤ ، القاديانية لإحسان إلهى ص ٨٦ - ٨٧ .

هذا تعليلهم ولعل الصحيح أنهم لم يغيروا الشهادة خبثا وتقية ليكملوا تحت شعار الإسلام ما يهدم الإسلام ويحقق أهدافهم وتنتشر تعاليمهم بين العامه من المسلمين على طرف من الحذر وعمق في التمويه والسير إلى النهاية ببطء ودقة.

الفصل الخامس

نبوءات الغلام المتنبئ

وبعد أن أثبت لنفسه النبوة كان حتما عليه أن يخبر بالمغيبات على طريقة الرسل الذين يطلعهم الله على غيبه لمصلحة يعلمها عز وجل .

فكان الغلام إذاً على نفس المسلك ولكن كان بينه وبين المسلك النبوي كما بين السماء والأرض .

ما أبعد الفرق بين القوم في شرف   وبيننا ياحثالات الحثالات (١)

لقد ظن الغلام أنه بمجرد الأخبار بالمغيبات تثبت نبوته وتناس مصداق ما يخبر به النبي ووقوعه على وفق ما أخبر ولقد خانه الحظ السعيد في أغلب أخباره فكانت تأتي النتائج سلبية و بعكس ما يخبر به تماما مرة بعد مرة ولقد عانى هموما شديدة من ذلك إلا أنه كان يحاول إخفاء ذلك بشتى الأجوية والحيل لتغطية الفشل الذريع الذي كان يمني به ولكنه كان من الثبات بمكان فلا يفشل في خبر إلا وقد جاء بغيره على طريقة الكهان الذين يصدقون في كل مائة كذبة مرة واحدة لتكون منطلقا لنشرها بين الناس..

وتنبؤاته كثيرة ومتنوعه بعضها يعود إلى حياته الشخصية وبعضها إلى غيره من الناس وبعضها إلى الأحوال الطبيعية والتغيرات المستمرة في الكون وقد قال في بيانه لكثرتها وفي بيان أنها كلها إلهام: «وأنها أبناء كثيرة منها ذكرنا ومنها لم نذكر وكفي هذا القدر للأتقياء»(٢)وفيما يلي نذكر بعض تلك الإلهامات التي جاء بها للتدليل على نبوته ومنها :ـ

١ ـ قصة غرامية حصلت له ـ لا يهمنا منها إلاجانبا واحدا ـ ومفاد هذه القصة أن الغلام أحب امرأة تسمى محمدي بيكم بنت الميرزا أحمد بك وهو

---

(١) نصيحة الاخوان للشيخ حافظ بن أحمد الحكمي ص٦.   (٢) ضميمة الوحي ص٥.

ابن خاله. خطبها الغلام بعد أن زعم أن الله أوحى إليه أنها ستكون زوجة له وأن الله وعده بذلك والله لا يخلف الوعد وتحدى على ذلك كل من أراد أن يحول بينه وبين الزواج بها وجاء بإلهامات وأخبار طويلة وأن الذي يتزوجها غيره لابد وأن يموت في خلال سنتين ، وخاب أمله ورفض والدها أن يزوجها منه رغم ما بذل في تحقيق ذلك ، ورغم هذه الصولات والجولات فقد وقع المحذور وتزوجت هذه المرأة من غيره وأنجبت له أولادا وعاش زوجها عيشة هنيئة سنين عديدة ومات الغلام وهو يتحدى من يشككه في أخبار الله له وصدق عليه قوله حين قال متحديا إن لم يتحقق هذا النبأ فأكون أخبث الخبثاء أيها الحمقى يخاطب مخالفيه»[1] بل وأكد أن هذا الخبر هو معيار لصدقه من كذبة[2] فقد مات ولم يتزوجها لاهو ولا أحد من أقربائه .

٢ ـ وتنبأ كذلك بأمور كثيرة خاب أمله فيها كلها ، فقد جرؤ على ادعاء أمر خطير جدا يظهر فيه كذب الكاذب بعد فترة بسيطه مهما كان وذلك هو ادعاؤه علم الغيب ومعرفة وفيات الناس الذين يغضب عليهم حيث يقول : إن فلانا الذي عاداني سيموت بعد كذا من المدة يحددها بالتاريخ فينتظر القاديانيون بفارغ الصبر تحقيق تلك النبوءة فينعكس الحال تماما والأمثلة على ذلك كثيرة وقد لا يهمنا استقصاء هاذلك أنها جزء متمم لدعوى النبوة وفرع عنها . ومادام الأصل قد قام على شفا جرف هارفإن الفرع تبع له وقد صارت أخبار نبؤاته وفشله فيها من الحكايات التي يتسلى بها الناس ومن ذلك :

١ ـ ماتنبأ به من موت رجل نصراني اسمه عبد الله آثم ناظره فلم يفز الغلام عليه فغضب وأراد أن يمحو العار عن قصوره أمام هذا النصراني فزعم أن عبد الله آثم سيموت إن لم يتب بعد خمسة عشر شهرا حسب ما أوحى به الله إليه وأكد ذلك بقوله : « مافتح على الليلة هو هذا بأني حينما تضرعت وابتهلت أمام

(١) ضميمة إنجام آثم للغلام ص ٥٤ .

(٢) المصدر السابق ص ٢٢٣ ، انظر القاديانية لإحسان إلهي ١٧١ ـ ١٧٢ .

الله عز وجل ودعوت منه بأنه يفصل في هذا الأمر فأعطاني آية بأن الكذاب يموت في خمسة عشر شهرا بشرط أن لا يرجع إلى الحق والصادق يكرم ويوقر وإن لم يمت الكذاب في خمسة عشر شهرا من ٥ مايو سنة ١٨٩٣ م ولم يتحقق ما قلت فأكون مستعداً لكل جزاء يسود وجهي وأذلل ويجعل في جيدي حبل واشنق وأنا أقسم بالله العظيم أنه يقع ماقلت ولابد له أن يقع»[١].

رحم الله من قال إن البلاء موكل بالمنطق لقد أوقع الغلام نفسه في مأزق حرج لم يخرج منه بعد ذلك لا هوولا أتباعه وقد وقع له في هذا الخبر الذي زعم أنه عن الله تعالى أمور :

١ ـ أنه وحي من الله .

٢ ـ حدده بالمدة الدقيقة .

٣ ـ وجدت فيه صفة الحلاف المهين .

٤ ـ سب نفسه بأقذع السب إن كذب وقد كذب .

٥ ـ أنه يستحق أن يشنق إن كذب .

فماذا كانت النتيجة لقد كان القاديانيون ونبيهم يلهثون مما يجدون من خوف العار وظهور الكذاب وصاروا ينظرون إلى المدة بغاية القلق والهم كأنما «يساقون إلى الموت وهم ينظرون» كل ما مر يوم إصفرت وجوههم وملأوا المساجد بالصلوات والابتهالات أن يموت عبد الله آثم إلى أن انتهت المدة والرجل في كمال صحته فأسقط في أيديهم وخاب أملهم .

فادعوا أن عبد الله آثم قد رجع عن النصرانية ولهذا أمهله الله ولم يمته فلما سمع بذلك كتب يكذبهم ويفتخر أنه مسيحي وعاش بعد ذلك مدة .

٢ ـ نبوءته عن نفسه بأنه لا يموت حتى يتجاوز سنة ١٩٢٠م ثم مات سنة ١٩٠٨م[٢].

---

(١) الحرب المقدس ص ١٨٨.

(٢) سيرة المهدي لبشير أحمد ص ٧ .

٣ ـ نبوءته عن رجل اسمه عبد الحكيم من المسلمين ناظره فغضب الغلام وزعم أنه أوحي إليه أن عبد الحكيم سوف لا يعيش طويلا بل يموت في حياة القادياني فكانت النتيجة بالعكس إذ مات الكذاب منهما في حياة الصادق كما هو تعبير القادياني وعاش عبد الحكيم بعد موت الغلام زمنا »(١) .

قصة مناظرته مع الشيخ ثناء الله الأمر تسرى ودعاؤه أن يهلك الله الكاذب منهما في حياة الصادق بمرض خطير مثل الكوليرا أو غيرها فاستجاب الله دعاؤه وأمات الكاذب ـ الغلام ـ وبقي الشيخ ثناء الله بعده مدة طويلة (٢) .

وكان يتنبأ بأن زوجته ستلد ولدا جميلا ذكرا وأن الله أخبره بذلك فتلد زوجته أنثى وحدث هذا أكثر من مرة ومع ذلك لم ييئس الغلام أن يصدق في أي مرة ومن أكاذيب نبوءته أن الطاعون لا يمكن أن يصل قاديان مادام فيها رسوله ـ أي يقصد نفسه ـ حتى ولو استمر الطاعون سبعين سنة(٣)، فكذبه الله ودخل الطاعون قاديان وفتك بهم بل ودخل بيت الغلام نفسه وكانت وفاته به مع أن الطاعون آنذاك لم يعم البلاد والقرى المجاورة لقاديان كلها قال في ضميمة الوحي: «وآية له أن الله بشره بأن الطاعون لا يدخل داره وأن الزلازل لا تهلكه وأنصاره ويدفع الله عن بيته شرهما»(٤) وقال أيضا«وجعل الله داره حرما آمنا من دخلها حفظ من الطاعون وما مسه شيء من الأذى»(٥).

وتنبأ لأحد اتباعه ويسمي منظور محمد أن زوجته ـ وكانت حاملا ـ ستلد ولدا مباركا يسمى بشير الدولة من زوجته محمدي بيجوم فكانت النتيجة أن زوجة منظور ولدت بنتا ثم لم تلد حتى ماتت(٦) .

وأحيانا كان يتنبأ بوقوع زلازل هائلة يتأثر منها حتى الجن والطيور وأنها ستقع

---

(١) القاديانية لإحسان إلهي ص ١٨٥ .
(٢) القاديانية ص ١٥٤ ، ١٥٩ .
(٣) دافع البلاء للغلام ص ١٠ ـ ١١ .
(٤) ضميمة الوحي ص ٩ .
(٥) المصدر السابق ص ١٩ .
(٦) مجلة الفضل سنة ١٩٠٦ م ص ١٢٢ .

في مدة أقصاها كذ وكذا . ولكن النتيجة تظهر لتكذيب الغلام ولايقع إلا الخير لا الزلازل التي تنبأ بها بأخبار الله له ـ كما يزعم ـ .

وتنبأ بأن الله أوحى إليه إلهاما أنه سيتزوج بعد تاريخ سنة ١٨٨٦ م نساء(١) ذوات بركة وخير ينجبن له أولادا صالحين وكانت النتيجة أنه مات قبل تحقق هذا الوحي المزعوم.

وتنبأ لمولود له اسمه مبارك أحمد بأنه يكون له فضل على العالمين ويكون له شهرة عالمية وأيادي على الخلق(٢) كانت النتيجة أن الولد مات بعد ثمان سنوات من عمره .

ورغم وقوع القادياني في أكثر من موقع حرج يبطل ما يتنبأ به فأنه لم يتعظ من كل حادثة يكذب فيها بل يشفع الكذبة بأخرى ولعله كان يأمل أن يصيب مرة ويخطيء مرة أخرى ، ولعل هذه المواقف المخزية التي تعرض لها كثيرا ولم ينته عن غيه إنما تدل على بلادته وعدم احترامه لنفسه وتدل كذلك على أن أتباعه أيضا لاعقول لهم بل هم في عداد البهائم حيث لم يرتابوا في تلك النبؤات الكثيرة التي كذب الله فيها الغلام خصوصا وأنها تتعلق بأمور لاتخفى نتائجها كموت فلان وولادة فلان ... إلخ وقد بدأ القاديانيون يفسرون تلك النبوءات تفسيرات وتأويلات متكلفة ليوهموا الناس بصدق غلامهم كما أن الغلام نفسه وبعد أن ذاق الأمرين من تنبوءاته الكاذبة سلك مسلكا آخر لتنبوءاته وهو أنه إذا سمع بحادثة مازعم على الفور أنه كان قد تنبأ بها وأخبر بها قبل وقوعها وكل كاذب يجد من يصدقه ولكل صوت صدى ، وأحيانا كان يتنبأ بوقوع أمور طبيعية لابد من وقوعها كقوله مثلا : ألهمت أن فلانا سيموت وألهمت أن حربا ستقع بين الناس وأن الزلازل ستحدث ونحو ذلك من الأمور التي تقع عادة فإن جاءت كما أخبر فرح بها هو وأتباعه وإن كان العكس نكسوا رؤسهم قليلا ثم

---

(١) تبليغ رسالة : ١ / ٥٨ .

(٢) ترياق القلوب ص ٤٣ .

يأخذون في جمع وتلفيق المبررات .

وفي كتابه ـ ضميمة الوحي ـ تنبأ في أكثر من مكان بأن الناس سيأتون إليه في قاديان أفواجا فقال عن نفسه عن طريق الإلهام « ويعان من حضرة الكبرياء وتأتيه من كل فج عميق أفواج بعد أفواج كبحر مواج حتى يكاد أن يسئم من كثرتهم ويضيق صدره من رؤيتهم ويروعه ما يروع العايل المعيل عند كثرة العيال وحمل الأعباء وقلة المال » (١).

فكانت النتيجة عكس ذلك حوربت القاديانية من قبل المسلمين في الهند وباكستان حربا شعواء وخرجت مهزومة محكوم عليها بالارتداد والكفر بالله ولم تنتشر إلا في بلدان نائية بين جهلة المسلمين وعوامهم .

---

(٣) ضميمة الوحي ص ٣ .

الفصل السادس

غلوه وتفضيله نفسه على الأنبياء وغيرهم

لم يقتصر الميرزا على التنبؤ بل حمله غروره على أن فضّل نفسه على أكثر الأنبياء والمرسلين وأنه جمع فيه ما تفرق في أنبياء كثيرين فما من نبي إلا وقد أخذ منه قسطا حسب قوله الآتي : « لقد أراد الله أن يتمثل جميع الأنبياء والمرسلين في شخص رجل واحد وإنني ذلك الرجل »[١] وقوله : « وآتاني مالم يؤت أحدا من العالمين»[٢] كما فضل نفسه على النبي ﷺ حيث قال متطاولا :

له خسف القمر المنير وإن لي غسا القمران المشرقان أتنكر[٣]

وله نصوص كثيرة في تفضيله نفسه على سائر البشر مع أنه كان في أول أمره يصف نفسه بالمسكين والضعيف ثم جاء الميرزا بشير الدين محمود خليفته الثاني ليعلن غلوه فيه بقوله : « أن غلام أحمد أفضل من بعض أولي العزم من الرسل»[٤].

وقال عنه أيضا أنه كان أفضل من كثير من الأنبياء ويجوز أن يكون أفضل من جميع الأنبياء[٥] وقال أيضا مقارنا حال الناس في عهد والده وحالهم في عصر الرسول ﷺ والفيوضات الربانية في حياة كل منهما ولم يحرم - أي الرسول ﷺ الدنيا من الفيوض الروحانية بل زادها غزارة وتدفقا وإن كانت تجري من قبل كترعة صغيرة فالآن أصبحت كنهر زاخر لأن العلم لم يبلغ عندئذ دوره الكمال لكن الآن قد بلغ أوجه[٦] ثم ادعى الغلام أنه عين محمد ﷺ فقال:

---

(١) آئينة كمالات اسلام ص ٩٠ . (٢) ملحق حقيقة الوحي ص ٨٧ .

(٣) اعجاز أحمدي ص ٧١ وفي ضميمة الوحي ص ٧ قال في تعداده لآياته « منها أن الشهب الثواقب انقضت له مرتان وشهد على صدقه القمران إذا انخسفا في رمضان وهو كلام كاذب لم يذكره غيره . (٤) حقيقة النبوة لليمرزا بشير الدين محمود ص٢٥٧.

(٥) صحيفة الفضل جـ١٤ عدد٢٩١ سنة١٩٢٧م إبريل (انظر القادياني والقاديانية ص ٧٦، ٧٨).

(٦) دعوة الأمير - معتقدات الجماعة الإسلامية الأحمدية ص ٣١ .

«من فرق بيني وبين المصطفي فما عرفني وما رأى[1] كما ادعى كذلك أنه مظهر « لكرشن » وأنه برز فيه وتجلى[2] ثم ادعى أنه ابن الله تعالى الله عن أقواله الكفرية علوا كبيراً - فقال إن الله ألهمه أنت مني بمنزلة أولادي[3] وخاطبه الله مرة بقوله : « اسمع ياولدي[4] ياشمس ياقمر[5] أنت من ماءنا وهم من فشل[6].

ومن هنا رأى بأن مدحه لنفسه من الأمور الجيدة « فقال يصف شخصه ويقارن بينه وبين الاماكن المقدسة :

« وإني والله في هذا الأمر كعبة المحتاج كما أن في مكة كعبة الحجاج وإني أنا الحجر الأسود الذي وضع له القبول في الأرض والناس بمسه يتبركون لعن الله قوما يقولون أنه يريد الدنيا وإنا من الدنيا مبعدون » .

قال في الهامش « هذه خلاصة ما أوحى الله إليّ » [7].

ثم زعم أن كل المصائب التي حلت بالقارة الهندية إنما كانت توطئه لبعثته حيث قال: « فاعلموا رحمكم الله أن هذه المصائب من الأقدار التي ما رأيتم قبل هذا الزمان ولا آباءكم في حين من الأحيان إنما هي آيات الرجل بعث فيكم من الله المنان»[8].

وإذا كانت تلك الكوارث كلها بسببه فلا عيب بعد ذلك على من تشاءم به ورأى أنه مصدر الكوارث والعقاب الشديد على حد قول الله تعالى:﴿**واتقوا فتنة لا تصيبن الذين ظلموا منكم خاصة**﴾ .

---

(١) جريدة الفضل ١٧ يونيو سنة ١٩١٥ م .

(٢) محاضرات الميرزا في سيالكوت في ٢ /١١/١٩٠٤ ص ٣٤ .

(٣) رسالة الأربعين ص ٢٣ رقم ٤ .

(٤) البشري : ١ / ٤٩ .

(٥) حقيقة الوحي ص ٧٣ .

(٦) انجاح آثم ص٥٥ للغلام أحمد .انظر ماهي القاديانية ص٣٤، القاديانية لإحسان الهي ص ١٠٠،ص١٥٤.

(٧) ضميمة الوحي ص ٤٥ .

(٨) المصدر السابق ص ٦٥ .

وهذه الإلهامات والكشوف والوحي الذي ادعاه في أقواله السابقه إنما تدل على جهله المطبق وجهل أتباعه وعدم معرفة الغلام قدر الأنبياء العظيم الذي لا يصل إليه أحد غيرهم وتدل كذلك على عدم معرفته بنفسه أيضا حيث ظن أنه بمجرد التفضيل الفارغ لشخصه ينقله إلى رتبتهم فقوله إن الله جمع فيه كل صفات الأنبياء وأنه آتاه مالم يؤت أحدا من العالمين كذب ظاهر فإن للأنبياء صفات لم يجرؤ القادياني على ادعائها فلم يؤت ملك سليمان ولا صبر أيوب.

ولا سفينة نوح ولا بركات محمد ﷺ وانتشار دينه في أقطار الأرض بسرعة مذهلة دون اللجوء إلى أي دولة من الدول ولا الحب الذي كان يكنه المسلمون له بخلاف القادياني الذي مات وهو يحاول جاهدا أن يزوجوه ببنت ابن خاله فرفضوه رغم ما أذل نفسه لهم وتوسل بشتى الوسائل دون جدوى فكيف بعد ذلك يتجاسر أن يفضل نفسه على جميع البشر بل وعلى أولي العزم من الرسل الذين اجتباهم الله وجعل لهم الود والاحترام في نفس كل شخص عاقل بل وأغرب من هذا أن يقال ومن أي طريق أقدم على دعوى أنه عين محمد ﷺ وأنه كان لمحمد ﷺ حسب مزاعم القادياني وأتباعه بعثتين الأولى وكانت بمكة والثانية وكانت بالقاديان بالهند وأن محمدا في بعثته الثانية كان أكمل منه في بعثته الأولى. إذا كان يزعم أن ذلك تم عن طريق التناسخ فإن التناسخ لم يقل به أحد من العقلاء غير عباد البقر والفروج من الهندوس والبوذيين ثم كيف تناقض بعد ذلك في مسألة واحدة هامة وخطيرة جدا فزعم أولا أنه مظهر لكرشن معبود الهنادك ثم زعم بعد ذلك أنه محمد ﷺ كيف ساغ له أن يجمع بين الشرق والغرب الليل والنهار في مكان واحد هذا هو عين التخبط والجهل الشنيع.

ولقد زاد على جهله بحق الأنبياء الجهل بحق الله عز وجل فها هو يثبت أن الله قال له « أنت مني بمنزلة أولادي » .

تعالى الله عن هذا المعتقد الجاهلي فإن الله تعالى لم يولد ولم يكن له كفوا

أحد ، فهو منزه عن الصاحبة والولد ﴿ إن كل من في السموات والأرض إلا أتي الرحمن عبدا لقد أحصاهم وعدهم عدا وكلهم آتية يوم القيامة فردا﴾ .

بل هو قول عظيم جدا﴿تكاد السموات يتفطرن منه وتنشق الأرض وتخر الجبال هدّا أن دعوا للرحمن ولدا ﴾ .

ولقد أخبر الله أن كل من نسب إلى الرحمن ولدا فإنه كاذب كما قال تعالى ﴿ ألا إنهم من إفكهم ليقولون ولد الله وإنهم لكاذبون ﴾ .

ومن حكم الله عليه بأنه كاذب فقد استحق المقت وعدم الالتفات إلى قوله فإن المؤمن لا يكون كذابا لايستحله ولا يستمر عليه إلامن من مقته الله ولهذا فإن خطاب الله له بقوله : « اسمع ياولدي » ونسبة هذا الفجور إلى وحي الله جريمة كبرى وكلام لم يقله نبي من الأنبياء ولا ذكر في كتاب من الكتب المنزلة ولم يقل به إلا الجهال الذين يقولون المنكر والزور .

وقول القادياني إن الله خاطبه بقوله ياشمس ياقمر فمعاذ الله أن يصدر هذا من الله عز وجل وإنما هذا قول الفارغين العاطلين عن المعرفة وليس هناك مايدعو إلى هذا الغزل فإنه لم يؤت جمال يوسف ولابهاؤه ومع ذلك لم يوصف يوسف بمثل هذا الوصف فأين القادياني وأين الشمس والقمر .

ثم ذكر القادياني تعبيرا مجوسيا وثنيا جل الله عنه حيث زعم أن الله ألهمه أنت من مائنا وهم من فشل كبرت كلمة تخرج من فمه كذبا وزورا وتنزه الله عن كل نقص ﴿فهو القاهر فوق عباده وهو الحكيم الخبير ﴾﴿ يعلم خائنة الأعين وما تخفي الصدور﴾،﴿ إن كل من في السموات والأرض إلا آت الرحمن عبدا﴾ .

وإذا كان القادياني قد غلا في نفسه وفضلها على جميع الأنبياء والمرسلين فمن الطبيعي أن يفضلها على جميع أمة محمد ﷺ ابتداء بالصحابة الكرام فمن بعدهم وهذا هو الذي وقع بالفعل .

فقد فضل القادياني نفسه على جميع أمة محمد ﷺ بما فيهم الصحابة كلهم لم يستثن أحدا منهم فقد أداه الغرور إلى أن يقول :

« لاشك أنه ولد في أمة محمد ﷺ آلاف من الأولياء والأصفياء ولكن ماكان أحد مثلي(١) وقد يبدو هذا التفضيل برغم بشاعته صغيرا بالنسبة لتفضيل نفسه على جميع الأنبياء حيث قال :

« جاء أنبياء كثيرون ولكن لم يتقدم أحد عليّ في معرفة الله وكل ما أعطي لجميع الأنبياء أعطيت أنا وحدي بأكمله » (٢).

وجاء في تمجيد أتباعه له على نفس المعنى :

« نحن نعتقد بأن الله أنزل لصداقة غلام أحمد آيات وبينات لو توزع على ألف نبي لثبتت بها نبوتهم . وكان يجمع في ذاته جميع الصفات القدسية التي وجدت في جميع الأنبياء (٣).

وقد فضل نفسه على أنبياء خصهم بأسمائهم وقبلهم فضل نفسه على آدم عليه السلام فقال : « إن الله خلق آدم وجعله سيدا مطاعا وأميرا حاكما على كل ذي نسمة كما يظهر من قوله اسجدو لآدم « ثم أغواه الشيطان وأخرجه من الجنة ورجع الحكم إلى الشيطان وصار آدم مصغرا ثم خلقني الله لكي أهزم الشيطان وهذا ما وعده في القرآن» .

وتوجد نصوص كثيره من كلامه في تفضيل نفسه على نوح وعيسى ويوسف وإذا كان هذا هو موقفه من الأنبياء فما الحال بغيرهم خصوصا أصحاب محمد ﷺ الذين هم هدف حربه ، وحرب كل الطوائف المعادية للإسلام ولهذا نرى القادياني وقد فضل نفسه على كثير من مشاهير الصحابة مثل أبي بكر

---

(١) تذكرة الشهادتين للغلام ص ٢٩ .

(٢) درثمين للغلام ص ٢٨٧ ، ٢٨٨ وانظر ضميمة الوحي ص ١٣ .

(٣) جريدة الفضل ١٦ أكتوبر سنة ١٩١٧ م .

وعمر وعليّ والحسن والحسين وأبي هريرة دون أن يجد رادعا من حياء أو ضمير وهو حينما يسب ويشتم هؤلاء الأخيار ويترفع عليهم نسي قوله : « الذي يسب أو يشتم الأخيار المقدسين فليس إلاخبيث ملعون لئيم » (١).

وقد تطاول أحد أقرباء الغلام وقال في جرأة شريرة أين أبو بكر وعمر منغلام أحمد إنهما لا يستحقان أن يحملا نعليه » (٢).

ونصوص أخرى كلها تدور على تفضيل القادياني على من لايساوي شراك نعل أحدهم نتركها لتفاهتها ولما فيها أيضا من الظلم الصريح بسبب تنقص القاديانيين بالأنبياء وبأصحاب محمد ﷺ .

ومن الغريب حقا أن القاديانيين حينما يزعمون أو يزعم الغلام لنفسه أن له هذا الفضل الذي لاحد له يأبى الله إلا أن يظهره على حقيقته ، فإذا به يوصف بأنه كان سكيرا عربيدا يحب الأفيون حبا شديدا حتى جعله في شريعته نصف الطب يقول عنه ابنه محمود أحمد : « إن الأفيون يستعمل في الأدوية كثيرا حتى كان أبي يقول إن الأفيون نصف الطب » ثم يقول محمود عن تحليله: «ولذا استعماله للتداوي يجوز ولا بأس به ».

ويذكر كذلك أن والده صنع من الأفيون دواء إلهيا بإلهام منه عز وجل فقال بعد كلامه السابق : « وأنه(٣) صنع دواء باسم ترياق إلهي بهدي الله وأعينه وكان الجزء الأكبر في هذا الدواء الأفيون وكان يعطي هذا الدواء لخليفته الأول نور الدين كما كان يستعمله هو أيضا حينا بعد حين لمختلف الأمراض»(٤). وكان الغلام يشتري خمرا خاصا يأتي من بريطانيا يسمى وائن هو أقوى المسكرات(٥) فكيف ساغ لهذا الحشاش ـ كما سماه إحسان إلهي رحمه الله ـ أن يفضل نفسه على آدم والأنبياء والمرسلين وجميع أمة محمد ﷺ .

(١) البلاغ المبين ص ١٩ . (٢) المهدي ص ٥٧ رقم ٣٠٤ لمحمد حسين القادياني .
(٣) أي والده . (٤) مقال محمود أحمد في جريدة الفضل١٩ يوليو سنة١٩٢٩م.
(٥) مكتوب الإمام باسم الغلام ص ٥ للطبيب محمد حسين القادياني .

وقد تبع هذا التفضيل دعوى المعجزات التي فاقت معجزات الأنبياء لأن الغلام تمدح بمعجزات كثيرة وزعم أنها فاقت معجزات الرسول محمد ﷺ وعيسى بن مريم وغيرهما من الأنبياء عليهم الصلاة والسلام حيث قارن الغلام بين معجزات الرسول ﷺ فبلغت ثلاثة آلاف معجزة ، وبين معجزاته فبلغت أكثر من مليون معجزة [٢].

وهي معجزات خرافية وفضائح شنيعة ظنها ماءً فإذا بها سراب .

ومن تلك المعجزات الهامة أنه تزوج بزوجته الثانية وهي شابة وكان عمره هو فوق الخمسين وكان مصابا بعدة أمراض فتاكة قال عنها :

« والمعجزة الثانية بأنه لما نزل الوحي المقدس في شأن الزواج كنت مصابا بضعف القلب والدماغ والجسم ومرض البول ودوران الرأس والدق وفي هذه الأمراض المضنية لما تزوجت تأسف بعض الناس لأن حالتي وقوتي الرجولية كانت كالمعدوم وكنت كشيخ فان »[٣] .

كما أنه أيضا ما كانت به قوة رجولية للزواج ومع ذلك أنجب أولادا فقال: «حينما تزوجت لا زلت متيقنا بأني لست برجل مدة طويلة » [٤] ثم قال «ولكن مع هذه الأمراض والضعف أعطيت الصحة وأربعة بنون » [٥].

ومن هنا حق للشيخ إحسان إلهي رحمه الله أن يعلق على هذه المعجزة العظيمة بقوله : « وليت شعري ماذا يريد من معجزاته ؟ إن كان المراد من المعجزات بأنه ولد له الأولاد مع أنه كان محروما من القوة الرجولية فهذه معجزة زوجته لا معجزته هو»[٦] أنه تمدح بهذه المعجزة في غفلة عن عقله فجاءت فضيحة مضحكة .

---

(١) تحفة كولرة ص ٤٠ .

(٢) هامش نزول المسيح ص ٢٠٩ للغلام .

(٣) مكتوبات أحمدية : ٥ / ١٤٥ .

(٤) هامش نزول المسيح ص ٢٠٩ للغلام .

(٥) القاديانية دراسة وتحليل ص ٧٢ .

الفصل السابع

أهم عقائد القاديانية

لقد تخبط القادياني وأتباعه في متاهات عديدة وجاءوا بأفكار شاذة غريبه وتناقضوا في أقوالهم وأفعالهم . ومن الأمور التي تظهر في معتقدات زعيمهم القادياني مبادئ كثيرة ننبه إلى أهمها بإيجاز فيما يلي :-

١ ـ اعتقاد التناسخ والحلول وأن الأنبياء تتناسخ أرواحهم وتتقمص روح بعضهم وحقيقته جسد وحقيقة آخرين وتظهر في مظهر الجسد الآخر تماما وقد قال بهذا ليصل إلى تثبيت بعثته ونبوته .

وعلى هذا الاعتقاد الفاسد قرر أن إبراهيم عليه الصلاة والسلام قد ولد بعادته وفطرته ومشابهته القلبية بعد وفاته بنحو ألفي سنة وخمسين في بيت عبدالله بن عبد المطلب وسمي بمحمد ﷺ ومثل هذه الولادة حصلت لعيسى عليه السلام حينما ظهر بمظهر القادياني أيضا. وأن الرسول محمدﷺ بعث مرتين كما صرح القاديانيون بذلك بعثته الأولى وبعثته الأخرى حينما حلت روحانيته في القادياني نفسه .

وفي هذا يقول القادياني « إن مراتب الوجود دائرة وقد ولد إبراهيم بعادته وفطرته ومشابهته القلبية بعد وفاته بنحو الفي سنة وخمسين في بيت عبد الله بن عبد المطلب وسمي بمحمد ﷺ » (١).

وقال أيضا :« وتحل الحقيقة المحمدية وتتجلي في متبع كامل » ...(٢).

وقد مضي مئات الأفراد تحققت فيهم الحقيقة المحمدية وكانوا يسمون عند الله عن طريق الظل محمدا وأحمد » (٣) .

---

(١) ترياق القلوب ص ١٥٥ . (٢) يقصد بالمتبع الكامل نفسه .

(٣) آئينه كمالات إسلام ص ٣٤٦ .

ويقصد بطريق الظل أنهم أشباح للرسول محمد ﷺ على طريقة التأويلات الباطنية ويجاب عن هذا بقول الله تعالى: ﴿ **أطلع الغيب أم اتخذ عند الرحمن عهدا** ﴾ فمن الذي أخبره بأن هؤلاء الأظلة هم عند الله محمدا وأحمد ويقول عن حلول شخصية المسيح ابن مريم في شخصه هو حين أرسله الله « إن الله أرسل رجلا كان أنموذجا لروحانية عيسى وقد ظهر في مظهره وسمي المسيح الموعود ، لأن الحقيقة العيسوية قد حلت فيه . ومعني ذلك أن الحقيقة العيسوية قد اتحدت به»[1].

وهذه العقيدة المجوسية أي عقيدة التناسخ إنما تأثر بها لأمور منها :

بعده عن الدين وعن الحقائق التي ذكرت فيه لمصير الروح بعد الموت ومنها مجاورته للهندوس وميله إليهم في هذا المبدأ خصوصا وأنه يحقق لم مكاسب في أولها هذه العقيدة التي تسبغ عليه شخصية المسيح وشخصية محمد عليهما الصلاة والسلام فلا عجب بعد ذلك في تأكيده لعقيدة الحلول والتناسخ[2] بين البشر بل الأدهى والأمر من ذلك أنه أدعى حلول الله عز وجل فيه حيث قال «إن الله أنزل في وأنا واسطة بينه وبين المخلوقات كلها»[3].

٢ ـ التشبيه :

كما أن للقادياني أقوال كفريه في وصف الله تعالى فهو يزعم أن الله قال عن نفسه جل وعلا بأنه يصلي ويصوم ويصحو وينام وأنه يخطيء ويصيب .

قال القادياني « قال لي الله أني أصلي وأصوم وأصحو وأنام» [4] وقال أيضا: «قال الله: إني مع الرسول أجيب أخطيء وأصيب أني مع الرسول محيط»[5].

ويبلغ منتهى التشبيه والتجسيم حين زعم أنه رأى في الكشف أنه قدم أوراقا

(١) المصدر السابق ص ١٨٠ .
(٢) انظر القادياني والقاديانية ص ٧٤ ، ٧٥ .
(٣) كتاب البرية ص ٧٥ للغلام .
(٤) البشري للقادياني ٢ / ٩٧ .
(٥) المصدر السابق ص ٧٩

كثيرة إلى الله تعالى ليوقع عليها ويصدق على طلباته التي اقترحها فوقع الله عليها بحبر أحمر وكان عنده - كما يزعم - في وقت الكشف رجل من مريديه اسمه عبد الله ثم نفض الرب القلم فسقطت منه قطرات الحبر على أثوابه وأثواب مريد وحينما انتهى الكشف رأي - كما يكذب - بالفعل أن أثوابه وأثواب عبد الله لطخت بتلك الحمرة [1]، وقد وصف الله تعالى بأنه مثل الأخطبوط على طريقته البدائية حيث قال نستطيع أن نفرض لتصوير وجود الله تعالى بأنه له أيادي وأرجل كثيرة وأعضاءه بكثرة لا تعد ولا تحصي وفي ضخامة لانهاية لطولها وعرضها مثل الأخطبوط له وعروق كثيرة امتدت إلى أنحاء العالم وأطرافه[2]. بل يصف القادياني إله العالمين بصفات في غاية القبح والشناعة ننزه عن ذكرها أسماع وأبصار طلاب العلم كلها تدور حول الجنس والولادة على طريقة الباطنيه وغلاة التشبيه والتجسيم بل وعلى طريقة النصارى الذين أدعوا أن لله ولدا[3].

وفي صراحة تامة يصرح الغلام بأن الله له فم - تعالى الله عن قوله - ينفخ به الصور تأييدا لدعوته المشئومة حيث قال :

« ستؤسس جماعة وينفخ الله الصور بفمه لتأييدها وينجذب إلى هذا الصوت كل سعيد ولا يبقي إلا الأشقياء الذين حقت عليهم الضلالة وخلقوا ليملأوا جهنم » [4].

لقد وصل في تشبيه رب العالمين إلى مثل ما وصل إليه عتاة التجسيم والتشبيه مثله مثل هشام بن الحكم الرافضي وغيره ممن ضل سعيه في الحياة الدنيا وهو يظن أنه يحسن صنعا .

---

(١) ترياق القلوب ص ٣٣ حقيقة الوحي للقادياني ص ٢٥٥ . كلاهما للغلام .

(٢) توضيح المرام للقادياني ص ٧٥ .

(٣) انظر القاديانية لاحسان الهي ظهير رحمه الله تعالى ص ٩٩ ، ١٠٠ .

(٤) براهين أحمدية ٨٢/٥ .

وأغلب الظن أن الغلام كان متأكدا من حركته بأنه لم يحسن فيها صنعا ولكن غلبته شهوته وحبه الزعامة .

ولقد شبه الله بإنسان له قصر فيه باب يمنع الداخلين إلا بإذنه قال في ضميمة الوحي « ولا يوصل إلى قصر الله وبابه إلا هذا الدين الأجلى » (١).

ومما لا ريب فيه أن من تصور أن الله تعالى يصلي ويصوم أو يفعل غيرهما من العبادة أنه لا حظ له من العقل فضلا عن الدين فلمن يصلي ويصوم الرب عز وجل ومن الذي كلفه بهذه التكليفات تعالى الله عن هذا المعتقد الجاهلي البدائي وأما كونه عز وجل يلحقه النوم والصحو والخطأ والصواب وغير ذلك من صفات النقص التي تحل بالبشر لنقصهم وافتقارهم إلى ذلك فإن الله تعالى هو الخلاق العظيم والقوي العزيز يعلم ما في السموات ومافي الأرض ومابينهما وماتحت الثرى.

وورد في الحديث عن المصطفي ﷺ أنه قال :« **إن الله لا ينام ولا ينبغي له أن ينام**» (٢).

وهو حي قيوم لا تأخذه سنة ولا نوم يعلم خائنة الأعين وما تخفي الصدور لا يكون إلا ما أرد تنزه سبحانه عن الخطأ لأنه محال عليه عز وجل لنفاذ علمه بكل شيء.

ووصفه تعالى بالتوقيع والكتابة أو أنه مثل الإخطبوط أو أن له ولدا كل هذه الأوصاف إنما يطلقها على الله تعالى من خرج عن الحق واتبع هواه وأفسد عقله قرناء السوء من الجن والإنس وصار أضل من الأنعام واتخذ دينه لهوا ولعبا وفضل العقائد الوثنية والخرافية على دين الإسلام فانسلخ منه وأضله الله على علم نعوذ بالله من الزيغ والضلال .

---

(١) ضميمة الوحي ص ١٩ .

(٢) أخرجه مسلم : ١٦٢/١ .

الفصل الثامن

علاقة القاديانية بالإسلام وبالمسلمين وبغير المسلمين ومو قف علماء الهند وباكستان من القاديانيين

لقد ابتعد القادياني عن الإسلام وعن المسلمين ، وزاحمت القاديانية الإسلام وأرادت أن تحل محله في العقيدة والفكر والعاطفة وقطعت أقوى صلة للقاديانية بالإسلام وجعلت كل من يدخل هذه الديانة الجديدة أو الإسلام الجديد. كما يزعم القاديانيون بعيدا عن الإسلام الذى ارتضاه رب العالمين لخلقه ومن هنا نرى القاديانيين يقارنون بين أصحاب الرسول محمد ﷺ وبين أتباع الغلام دون أن يجدوا في ذلك أى حرج فقد جاء في صحيفة الفضل القاديانية« لم يكن فرق بين أصحاب النبي ﷺ وتلاميذ الميرزا غلام أحمد أن أولئك رجال البعثة الأولى وهؤلاء رجال البعثة الثانية» (١).

ثم جعلوا الحج الأكبر هو زيارة قاديان وقبر القادياني مضاهاة لزيارة المسجد النبوى الشريف والسلام على الرسول ﷺ بالمدينة المنورة ونصوا على أن الأماكن المقدسة في الإسلام ثلاثة مكة والمدينة وقاديان وأولوا المراد بالمسجد الأقصى بأنه مسجد قاديان . فقد جاء في تلك الصحيفة أيضا :

« إن الذى يزور قبر المسيح الموعود البيضاء يساهم في البركات التى تخص قبة النبى الخضراء في المدينة فما أشقى الرجل الذى يحرم نفسه هذا التمتع في الحج الأكبر إلى قاديان » (٢) .

وفيها أيضا « أن الحج إلى مكة بغير الحج إلى قاديان حج جاف خشيب لأن الحج إلى مكة اليوم لا يؤدى رسالته ولا يفي بغرضه » (٣) .

---

(١) جريدة الفضل عدد (٩٢) ٢٨ مايوسنة ١٩١٨ م .

(٢) المصدر السابق عدد (١٨٤٨) ج .١٠ سنة ١٩٢٢ م .

(٣) القادياني والقاديانية للندوى نقلا عن المجلد ٢١ عدد ٣٣ .

واخترعوا لهم أشهرا غير الأشهر الإسلامية وهى :

الصلح ، التبليغ ، الأمان ، الشهادة ، الهجرة ، الإحسان ، الوفاء ، الظهور ، تبوك ، الإخاء ، النبوءة ، الفتح[1] .

وهو نفس المسلك الذى سار عليه البهاء المازندراني حين اخترع له أشهراً غير الأشهر الإسلامية ليقطعوا صلتهم بالأشهر الإسلامية وبما جاء فيها من مناسبات مفضلة ، ومن هنا يتضح أن علاقة القاديانيين بالمسلمين أتباع محمد ﷺ علاقة مبتورة فقد قطعوا كل صلة بهم وعاملوهم على الأسس الآتية :

١ ـ أن المسلمين كفار ما لم يدخلوا في القاديانية لأنهم يفرقون بين الرسل والله تعالى يقول ﴿ **لا نفرق بين أحد من رسله** ﴾ فالمؤمن بالإسلام ونبيه إذا لم يؤمن بالقاديانية ونبيها فإنه يكون كافرا .

٢ ـ وعلى هذا فإنه لو مات مسلم فإنه لا يجوز للقادياني الصلاة عليه ولا دفنه في مقابرهم لأنه كافر لعدم إيمانه بنبوة الغلام فلا تجوز الصلاة عليه ولو كان طفلا أيضا ويذكر أن ظفر الله خان وزير خارجية باكستان لم يصل على القائد الشهير محمد على جناح حين مات لأنه في نظر ظفر الله كافر لعدم إيمانه ينبوة الغلام .

٣ ـ لا يجوز نكاح المسلم بالقاديانية ويجوز ذلك للقدياني كما هو الحال بالنسبة لأهل الكتاب أى أنهم يعاملون المسلمين معاملة أهل الكتاب .

٤ ـ لا تصح الصلاة خلف غير القادياني مهما كانت منزلته ، وإذا فعل ذلك تقية أو لمصلحة فعليه أن يعيد تلك الصلاة حتما حتى وإن كان صلاها في أحد الحرمين الشريفين وهذه التقية أو النفاق هو الأساس الذى قام عليه مذهب الشيعة والباطنية والقاديانية .

---

(١) القادياني والقاديانية ص ١٢١ .

٥ ـ لا يجوز حضور اجتماعات المسلمين سواء كانت فى أفراحهم أو فى مصائبهم بل ولا يجوز أن يذكر المخالف للقاديانية من المسلمين أو يترحم عليه أو يستغفر له .

٦ ـ بل وأبعد من هذا أنهم لا يجوزون الصلاة على من يصلى من القاديانيين خلف المسلمين أو يتعامل معهم أو يوادهم[١] .

علاقتهم بغير المسلمين

وأما علاقتهم بغير المسلمين فنوجزها فيما يلى :ـ

١ ـ لقد قامت بين القاديانيين وبين كثير من الملل المخالفة للإسلام علاقات قوية خصوصا بينهم وبين الدول المعادية للمسلمين مثل بريطانيا وإسرائيل اليهودية الحاقدة فهى تتمتع معهم بصداقات حميمة واتصالات وثيقة وقد أعطتهم إسرائيل أمكنة لفتح المراكز والمدارس وأغدقت عليهم الأموال سرا وجهرا وقد جاء في خطاب للقاديانيين باسم مراكزنا في الخارج هذا النص :

« ويمكن للقارئين أن يعرفوا مكانتنا في إسرائيل بأمر بسيط بأن مبلغنا جوهدرى محمد شريف حينما أراد الرجوع من إسرائيل إلى باكستان سنة ١٩٥٦ م أرسل إليه رئيس دولة إسرائيل بأن يزوره قبل مغادرته البلاد فاغتنم المبشر هذه الفرصة وقدم إليه القرآن المترجم إلى الألمانية الذى قبله الرئيس بكل سرور؟ وقد نشر تفاصيل اللقاء[٢] في الصحف الإسرائيلية كما أذيع أيضا فى الإذاعة، بل وقد سمحت لهم إسرائل بإنشاء مدرسة بقرب جبل الكبابير ومن المعروف بداهة أن إسرائيل ما كانت لتحتضن هذه الدعوة القاديانية ولا أن تقوم

---

(١) انظر مصادر هذا الكلام في القاديانية دراسة وتحليل ص ٣٤ ، فصل « القاديانية والمسلمون » .

(٢) كتاب « مراكزنا في الخارج ص ٧٩ ، انظر القاديانية لإحسان إلهي ص ٤٨ وانظر كتاب ما هى القاديانية ص ٦٦ حيث نقل الكلام السابق بتصرف وعزاه إلى كتاب القاديانية « بعثاتنا الخارجية » تأليف الميرزا مبارك أحمد القادياني.

بتمـويلها بل والدعاية لهـا لوأنها تعرف فيـها مثـقال ذرة من الإسلام الذى تعتـبره إسرائيل الخطر الحقيـقى عليها كما أن إسرائيل تمول جميع الحـركات الهدامة من قاديانية وبهائية وغير ذلك لتحقق أهدافها في السيطرة والعلو فالمؤامرات واضحة لا تحتاج إلى سياسى بارع ولا ذكى فى تحليل الأحداث .

٢ ـ رحب القومـيون الهنود بالقاديانية وفـرحوا بها وتحمـسوا لها كـثيرا لأن هؤلاء الهنادك يحقـدون على الإسلام حقـدا لا يقل عن حقد اليهـود والنصارى وضايقـهم جدا توجه المـسلمون الهنود بقلوبهم إلى نبـيهم محـمد ﷺ وكتاب ربهم بل وإلى الجزيرة العربية إلى مكة المكرمة والمدينة المنورة ولهـذا فقد اعتبروا توجه الناس إلى قاديان انتصارا للوطنية الهندية على الإسلام الأجنبى عن بلادهم وفرصة سـانحة للتحـول العظيم في تفكير المسلمين الهنود وغيـرهم من الإسلام إلى القـومـيات والتـعـصب لـهـا بدلا عن الإسـلام . وفي هذا يقـول الكاتب الهندوكي د . شنكرداس مهرا : ـ

إن المسلمين الهنود يعتـبرون أنفسهم أمـة منفصلة متميـزة ولا يزالون يتغنون ببلاد العـرب ويحنون إليهـا ولو استطاعـوا لأطلقوا على الهند اسـم العرب وفي هذا الظلام الحالك وفي هذا اليأس الشامل يظهـر شعاع من النور يبعث الأمل فى صدور الوطنيين وهى حركة الأحمديين (القاديانيين) .

وكلما أقبل المسلمون إلى الأحمدية نظروا إلـى قاديان كمكة هـذه البلاد والمركز الروحى العالمي وأصبحوا مخلصين للهند وقوميين بمعنى الكلمة .

إن تقدم الحـركة الأحـمدية ضـربة قاضيـة على الحضـارة العربيـة والوحدة الإسلامية .وكل من اعتنق الأحمدية تغيرت وجهة نظره وضعفت صلته الروحية بمحمد(ﷺ)بذلك وتنتقل الخلافة من الجزيرة العربية وتركيا إلى قاديان في الهند ولا يتبـقى لمكة والمدينة إلا حـرمة تقليـدية إن كل أحمـدى سواء كان فـى البلاد العربية أو تركيا أو إيران أو في أى ناحية من نواحى العالم يستمد من قاديان القوة

الروحية وتصبح قاديان أرض نجاة له وفي ذلك سر فضل الهند وهذا هو سر عدم ارتياح المسلمين إلى حركة الأحمدية وقلقهم منها لأنهم يعتقدون أن حركة الأحمدية هي المنافسة للحضارة العربية والإسلام ، ولذلك اعتزل الأحمديون عن حركة الخلافة لأنهم يحرصون على تأسيس الخلافة في قاديان مكان تركيا والجزيرة العربية وإن كان هذا الواقع مقلقا للمسلمين الذين لايزالون يحلمون بالاتحاد الإسلامي وبالاتحاد العربي ولكنه مصدر سرور وارتياح للوطنيين الهنديين»(١) .

والكلام ظاهر المعنى ينفث خبثا وحقدا على المسلمين وعلى الإسلام ويريد قائله أن تشن الحرب التي لاهوادة فيها على كل مسلم غير القاديانيين الذين يرى فيهم تحقيق أحلامه الكفرية ومحو الإسلام من أذهان المسلمين والاهتداء بعميل الانجليز وبالوطنيين الهنود كما يريد فوضوى المجوسية ودعاتها الحاقدون .ومما يوضح موقف القاديانيين من الإسلام أيضًا ذلك الدفاع الذي بذله عدو الإسلام والمسلمين في الهند جواهر لال نهرو رئيس وزراء الهند حينذاك عن هذه الطائفة المسلمين ـ يقصد القاديانيين ـ على حد زعمه وغريب منه أن يتعاطف مع المسلمين فقد قال متسائلا ومستنكرًا « لماذا يلح المسلمون على فصل القاديانية عن الإسلام.

وهي طائفة من طوائف المسلمين الكثيرة ؟ فأجابه الدكتور محمد إقبال رحمه الله فقال : « القاديانية تريد أن تنحت من أمة النبي العربي ﷺ أمة جديدة تؤمن بالنبي الهندي» وقال : إنها أشد خطرا على الحياة الاجتماعية الإسلامية في الهند من عقائد « أسفنورا »الفيلسوف الثائر على نظام اليهود »(٢) .

---

(١) مقالة الدكتور شنكرداس مهرا في صحيفة بند في ماترم الصادرة في ٢٢ أبريل سنة ١٩٣٢ م انظر القادياني والقاديانية ص ١٢٢ .

(١) انظر ما هي القاديانية ص ٥٧ وقد أثنى المودودي على الجهود التي بذلها محمد إقبال رحمه الله لدحض القاديانية والمواقف المشرفة التي وقفها في وجه القاديانيين بإخلاص وصدق غيرة على دينه الإسلامي الحنيف .

وحينما تظاهر القاديانيون في خبث ودهاء ومكر بالإسلام إنما أرادوا أن يموهوا على المسلمين ويدخلون على عوامهم من طرق لا يفطنون لها ليسلخوهم عن دينهم شيئًا فشيئًا إن استطاعوا ولن يتم لهم ذلك إن شاء الله تعالى.

ومن هنا نجد أن لعلماء الهند وباكستان من المسلمين مواقف ونضال مرير للقاديانية حيث جعلوها بالعراء وبينوا زيف تظاهر القاديانيين بالإسلام ومدى عداوتهم له .

والجدير بالذكر أن محكمة باكستانية موقرة أصدرت حكما شرعيا بشأن هذه الفئة الشريرة من القاديانيين وبكل حزم وشجاعة وقد ظهرفى الأسواق فى شكل كتاب ، وقد صدر الكتاب مترجما من الأردية إلى العربية « تعريب الأستاذ / محمد بشير باسم المحكمة الشرعية الفيدرالية بجمهورية باكستان الإسلامية تقرر القاديانية فئة كافرة » .

جاء في أول الكتاب قوله : « بإذن من المحكمة الشرعية الفيدرالية الباكستانية باسلام آباد طبعنا النص الكامل لحكمها على الالتماس الشرعي رقم ١٧/ أي لعام ١٩٨٤ م والالتماس الشرعي رقم ٢/آيل لعام١٩٨٤م والقاضي بوضع القاديانيين من كلتا الفرقتين: الفرقة اللاهورية والفرقة القاديانية » [(١)] .

وكانت هذه المحكمة مؤلفة من سيادة القاضي فخر عالم رئيس القضاة القاضي شودري محمد صديق .

القاضي الشيخ : ملك غلام علي .

القاضي الشيخ : عبد القدوس القاسمي .

وقد بحث هؤلاء القضاة مسألة القاديانية بكل جد وحزم وقد استعانوا بمجموعة من العلماء في مناقشتهم لقضية القادياني وزعمه النبوة ومواقف

---

(١) ص ٧ .

القاديـانيين من المسلمين ومن الإسلام ونبيه وتعـاليمـه علي ضوء الالتـماس الذي قدمـه بعض المحامين والقـاديانيين ومنهم مجيب الرحمن والنقـيب المتقـاعد عبد الواحد وغيرهما .

وقد استوفت المحكمة دراسة المسألة كاملة وظهرت النتيجة بتاريخ ١٩٨٤ م كما يلي :-

١ ـ أصدر رئيس المحكمة فخر عالم مرسوما يسمى :

« مرسوم حظر ومعاقبة النشاطات المناهضـة للإسلام للفرقة القاديانية والفرقة اللاهورية والأحمديين » .

٢ ـ جعلت هذه البنود فعلا أجراميا من القادياني :

أ ـ أن يسمي نفسـه أو يتظاهر بطريقة مباشـرة أو غير مباشـرة بكونه مسلما أوان يسمي مذهبه الإسلام .

ب ـ أن ينشر ويروج مذهبه أو أن يدعو غيره إلي قبول مذهبه أو يثير بطريقة ما المشاعر الدينية للمسلمين .

ج ـ أن يدعو الناس إلى الصلاة بقراءة الآذان أو يسـمى طريقة ندائه للصلاة أو شكله بكلمة الآذان .

د ـ أن يدعو أو يسمي محل عبادته مسجدا .

هـ ـ أن يذكر أي شخص غير أحد من خلفاء النبي محمد ﷺ بكلمة أمير المؤمنين أو خليفـة المؤمنين أو خليفة المسلمين أو الصـحابي أو رضي الله عنه أو أن يذكر أحدا غير زوج من أزواج النبي ﷺ بكلمة أم المؤمنين أو أن يسمى غير أهل بيت النبي ﷺ بكلمة أهل البيت » [(١)].

ومما لاريب فيه أن هذا تـوفيق عظيم من اللـه لهذه المحكمـة أجـزل الله لهم

---

(١) المحكمة الشرعية الفيدرالية : بجمهورية باكستان الإسلامية تقررالقاديانية فئة كافرة ص١٠.

ولمن ساعدهم الأجر والثواب إلى يوم الدين .

فإنهم أصابوا القاديانية في مقتلها دون أن يظلموهم بكلمة واحدة أو قانون غير ما يستحقونه .

وفي أحكام العقوبات جاء في المرسوم :

« أي شخص يدنس اسما مقدسا لأي من أزواج النبي ﷺ(أمهات المؤمنين) أو أهل بيته أو خلفائه الراشدين أو صحابته بأية كلمات منطوقه أو مكتوبة أو بأى تعبير محسوس أو بأي تعريض أو تلميح أو إيماء إما بطريقة مباشرة أو غير مباشرة سيعاقب بسجن لمدة يجوز أن تمتد إلي ثلاث سنوات عن كل تعبير أو الغرامة أو العقوبتين كليتهما»[1] ومنه :

« أي شخص من الفرقة القاديانية أو الفرقة اللاهورية الذين يسمون أنفسهم أحمديين أو بأى اسم آخر يذكر بكلمات منطوقة أو مكتوبة أو بأى تعبير محسوس طريقة النداء للصلوات التي تستعملها فرقته بكلمة الآذان أو يقرأ الآذان كما يقرؤه المسلمون سيعاقب بسجن لمدة يجوز أن تمتد إلي ثلاث سنوات عن كل تعبير وسيكون معرضا للغرامة أيضا»[2].

وقد بلغت دراسة المحكمة لهذه الطائفة ١٨٨ مائة وثمان وثمانين صفحة استوعبت أهم ما يتعلق بأفكار القادياني وفرقته الشريرة وانتهت بصرف النظر عن الالتماسات التي تقدم بها مجيب الرحمن وعبد الواحد وغيرهما من القاديانيين.

(١) القاديانية فئة كافرة ص ١٤ .

(٢) المصدر السابق ص ١٥ .

الفصل التاسع

أسباب انتشار القاديانية

إن البشر ليسوا علي درجة واحدة من الفهم والذكاء ولا قوة الإيمان وضعفه، بل هم أصناف وأشكال منهم الخامل ، ومنهم المخادع ، ومنهم من يحب المسكنة والذلة ومنهم من يحب الرياسة والسلطة والشهرة ، ولهذا فكل صائح يجد له صدى وكل داع يجد له أتباعا مهما كانت دعوته خيرة أو شريرة الخيرة يقبلها أهل الخير والشريرة يتلقفها أهل الشر والتافهه يتقبلها التافه من الناس وضعاف النفوس.

والقادياني ودعوته الشريرة التافهه وجد لها من يتقبلها والذي يهمنا هنا هو نظرة سريعة في الأسباب التي ساعدت علي انتشار وباء القاديانية ويمكن أن نوجز عناصر تلك الأسباب في الأمور التالية :

١ ـ جهل كثير من الناس بحقيقة الدين الذي ارتضاه الله فأكثرهم مسلم بالتبعيه والتقليد يتأثرون بكل دعوة ويقلدون كل صائح .

٢ ـ وقوف الاستعمار إلى جانب هذه الدعوة الخبيثة وتأييده لها ماديا ومعنويا لإدراكهم نتائجها في تحقيق أطماعهم في العالم الإسلامي .

٣ ـ استغلال القاديانيون لفقراء بعض المسلمين بمساعدتهم المادية ببناء المدارس والمساجد والمستشفيات وتوزيع الكتب وإيجاد بعض الوظائف وغير ذلك .

٤ ـ نشاط القاديانيون وذهابهم إلي الأماكن النائية من بلدان المسلمين التي يكثر فيها الجهل والعامية .

٥ ـ تمويه القاديانيون علي السذج من المسلمين بأن القاديانية والإسلام شيء واحد وأن القاديانية ما قامت إلا لخدمة الإسلام .

٦ ـ عدم قيام علماء الإسلام بالتوعية الكافية ضد القاديانية وغيرها من الطوائف

الضالة التي بدأت تنتشر في هذا الزمن أكثر من أي وقت مضى وبتخطيط أدق وأكمل عن مامضى إذ العالم اليوم من عزّ بزّ ومن غلب استلب .

هذه هي أهم الأسباب وربما توجد أسباب أخرى كثيره ساعدت في نشر القاديانية في أماكن كثيرة من بلدان المسلمين .

ويطول المقام لشرح تلك الأسباب التي استغلها القاديانيون وحولوا كثيرا من المسلمين إلى ديانتهم ، وأدخلوا كذلك كثيرا من غير المسلمين في القاديانية علي أساس أنها هي الدين الإسلامي الذي أرتضاه الله وأنزل به القرآن الكريم وأرسل به محمداً ﷺ بحيث لا يعلم الشخص مدى البعد بينه وبين الإسلام إلا إذا وفقه الله فأبصر واقع القاديانية علي أنه وجد بعد ذلك نوع من اليقظة الإسلامية ووجد علماء أوقفوا القاديانية عند حدها في بعض البلدان وكتبوا مقالات كثيرة بل ووجد أيضا من بعض من دخل القاديانية من المفكرين على أساس أنها هي الإسلام ولكنه تبين له بعد ذلك أنها عدوة للإسلام فبدأ يهاجمها ويدعو إلى الإسلام الصحيح.

ومع هذا كله فقد انتشرت القاديانية في هذه الأيام وبدأت تستعيد أنفاسها في أماكن متفرقة من العالم الإسلامي مستغلين نفس الأسباب التي ذكرت آنفا والأمل في الله قوي أن يهيىء من عباده من يتصدى للقاديانية وغيرها من التيارات الهدامة المعاصرة ويكشف زيفها ويبين خطرها على الإسلام والمسلمين وما ذلك علي الله بعزيز.

ولولا أن خطة قوية وتيارا هائلا لصرف أنظار الناس عن واقع هذه الفرق الخبيثة لانكشفت ولبان لكل ذي لب الخطر الذي يترصد العقيدة الإسلامية من جراء انتشار هذه الفرق التي تتظاهر بالإسلام لبناء عقائدها المنحرفة وأمجادها الزائفة ولا أدل على نجاح تلك الخطة من إنصراف عامة المسلمين بل وطلاب العلم عن معرفة هذه الفرق التي يموج بها العالم الإسلامي في شتى الدول

الإسلامية دون استثناء فانظر ـ أخي القارئ الكريم ـ إلي أي اجتماع بين المسلمين كبيرا كان ذلك الاجتماع أو صغيرا وسواء كان المجتمعون طلاب علم أو عامة . لا تسمع أي حديث عن هذه الفرق وبيان أخطارها على الدين والمجتمع حتى ليخيل لغير المتتبع لهذه الحركات الهدامة أنه لا توجد بين المسلمين أي فرقة خارجة عن التدين الصحيح ولهذا يرددون عبارة المسلمون بخير دائما.

ولقد عزى الشيخ إحسان إلهي رحمه الله سبب انتشار القاديانية في بلدان المسلمين وخصوصا أفريقيا وأوربا إلى أهم الأسباب الآتية :

١ ـ مساعدة الاستعمار بشتي أشكاله لهم حيث يمدونهم بكل أنواع المساعدات .

٢ ـ قلة وجود العلماء المسلمين الحقيقيين وشغور مناصبهم في تلك البلاد .

٣ ـ جهل أكثر المسلمين لحقيقة القاديانية الأصلية وأهدافهم .

٤ ـ غفلة العالم الإسلامي عن أفريقيا في الوقت الذي تنشر فيها القاديانية أكثر من خمس[1] مجلات راقية بينما لا توجد مجلة احدة للمسلمين في أفريقيا كلها تجابههم.

٥ ـ وجود مئات المبلغين القاديانيين الذين يتجولون من أدنى أفريقيا إلى أقصاها عبر القارات الأخرى .

٦ ـ أقاموا فيها ٤٧ سبعا وأربعين مدرسة ، وبنوا ٢٦٠ ستين ومائتي مسجدا[2] هذا غير ما يتبع ذلك من المكتبات العامة والخاصة والمؤلفات والنشرات وترجمة القرآن إلى لغات شتى .

---

(١) لقد زاد عدد المجلات إلى أكثر من هذا العدد كما ذكر النجرامي .في كتابه « أباطيل القاديانية في الميزان صـ١٠٥.

(٢) لقد زاد عدد المساجد إلى أكثر من هذا العدد كما ذكر النجرامى .

٧ ـ كما فتحوا في الآونـة الأخيرة مستشفيات ودور اجتمـاعية في مختلف أنحـائها وأصـبح آتبـاعهم حـسب نشـراتهم أكثر من مليـوني شخص في مـدة لاتتجاوز خمسة عشرة سنة [1]، وهذا كله يجـري في الوقت الذي شحت فـيه الدول الإسـلاميـة بإرسال الدعـاة إلى تلك الأمـاكن النائيـة من العالم الإسـلامي ليواجـهوا نشـاط آلاف القاديانيين ومـاذلك عن فقـر في الدول الإسلاميـة ولكنه ضعف الحماس للدين الإسلامي وأنشغالهم بأنفـسهم وبأمور أخرى افتعلها أعداء الإسلام لإلهـاء زعماء المسلـمين بها وإشغـالهم بعدين عن واجـبهم الذي يحتـمه عليـهم دينهم الإسلامي ولو توجـهت الدول الإسلامـية إلى خـدمة الدين الذي ارتضـاه الله لهم وبذلت بعض الأمـوال التي تذهـب إلى هنا وهناك فـيمـا لايعود أكثره لخـير الإسلام والمسلمين لوتوجه هؤلاء بنية صـادقة وعزم قوى لتغـير الحال المهين الذي تعـيشـه الأمة الإسـلاميـة في كل مكان ولصـار المسلمون هم سـادة العالم ومـشاعل أنواره ومحط آمـال الفقراء والمستـضعفين في العـالم كله ومنفذا لكل من أحاطت به ظلمات الجهل والظلم المشين .

إلا أن العالم الإسلامي مع الأسف الشديد صار حاله مع دينه مثل حال العلم عند كثير من أتباعه حين وصفهم الجرجاني بقوله :

ولكن أهانوه فهان ودنسوا   محياه بالأطماع حتى تجهما

لقد كان للـقاديانيين نشاط قوي في الصـحافة والمجلات لعلمهم بـتأثير هذه الوسيلة في مفاهيم الأمة ومن هنا فقد أصدر القاديانيون عدة مجلات بعدة لغات وفي عدة دول نذكرهنا الأرقام التي أفادها النجرامي إضافة إلى ماسبق ذكره عن إحسان إلهي :

فلهم في نيجيريا مجلة أسبوعية باللغة الانجليزية .

---

(٣) القـاديانية دراسـة وتحليل ص ١٥ ولعل هذه الأرقـام التى ذكـرها كـانت فى ذلك الوقت وربما زادت فى عصرنا الحاضر زيادات لايعلمها إلا الله ومنها ظاهر ومنها خفى .

ولهم في غانا مجلة شهرية باللغة الانجليزية .

ولهم في سيراليون مجلة شهرية باللغة الانجليزية .

ولهم في كينيا مجلة تصدر كل ثلاثة أشهر باللغة الانجليزية .

ولهم في شرق أفريقيا مجلة شهرية تصدر بالسواحلية .

ولهم في موريشيس مجلة شهرية تصدر باللغة الانجليزية والفرنسية .

ولهم في سيلون مجلة شهرية تصدر باللغة الانجليزية .

ولهم في أندونيسيا مجلة شهرية تصدر باللغة الأندونيسية .

ولهم في إسرائيل مجلة شهرية تصدر باللغة العربية .

ولهم في سويسرا مجلة شهرية تصدر باللغة الألمانية .

ولهم في لندن مجلة شهرية تصدر باللغة الانجليزية .

ولهم في الدانمارك مجلة شهرية تصدر باللغة الدانماركية .

هذا بالإضافة إلى الكتب الكثيرة والمبالغ الضخمة التي ترسلها دائما إلى بلدان كثيرة لنشر القاديانية بين شعوب تلك البدان .

كما أن لهم نشاطات أخرى وهي بناء المدارس والمساجد فقد بلغ عدد المدارس في أفريقيا حوالى ٤٧ مدرسة كما تقدم.

كما بلغ عدد المساجد التي بنوها في العالم حوالي ٣٤٣ مسجدا ، بنوا في أمريكا وفي هولندا وسويسرا وبورما كل بلد من هذه البلدان مسجدا واحدا .

وفي ألمانيا مسجدين ـ ألمانيا الغربية ـ .

وفي سيلون مسجدين وكذا الملايو وفي الولايات المتحدة الأمريكية ثلاثة مساجد وفي بورنيو ستة مساجد .

وفي موريشيوس عشرين مسجدا وفي شمال أفريقيا أربعين مسجدا وكذا في نيجيريا وفي سيراليون ستين مسجدا وكذا في أندونيسيا وفي غانا ١٦١ مائة وواحد وستين مسجدا .

وهذه المساجد إنما أقيمت لتكون وكرا للقاديانية ومحلا للتخطيط وحبك الدسائس على الأمة الإسلامية وإقامة الزعامة القاديانية على حساب الإسلام فهي أشبه ما تكون بمسجد الضرار الذي هدمه الرسول ﷺ بأمر ربه حينما بنى على نية سيئة .

يقول النجرامي : « فليتنا نعمل بهذه المساجد كما عمل الرسول ﷺ بمسجد الضرار حتي لا تكون نقطة الانطلاق لهذه الحركة الضالة تنطلق من خلالها للكيد للمسلمين وتفتيت وحدتهم وبذر الشقاق بين جموعهم » (١) .

ومما لاريب فيه أن هذه الأعمال التي قام بها القاديانيون وهذا النشاط الذي أبداه هؤلاء في نشر باطلهم يحتاج ضرورة إلى أعمال خيرة تقابله وتصده وإلا لكان المجال مفتوحا أمام هؤلاء الذين ازداد نشاطهم أكثر مما ذكر سابقا وزاد طمعهم في بلدان المسلمين والاستوحاذ على شباب المسلمين خصوصا والأوضاع الداخلية تساعدهم على ذلك كثيرا في ظل الحكام الذين هم رؤوس حراب فوق الشعوب الإسلامية فإن كثيرا من حكام الدول الإسلامية لم يبق فيهم مايتفاءل به الإسلام والمسلمون لأنهم إن لم يبدؤه بالحرب كان أقل ما فيهم نحوه الاستهتار بمبادئه وإظهار الجفاء لتعاليمه والتقطيب المكفهر في وجوه من يمثلونه لأن هؤلاء لا يثمنون عند عتاة الكفر والإلحاد إلا بقدر مايهدمون من تعاليم الإسلام .

---

(١) انظر أباطيل القاديانية في الميزان ص ١٠٦ - ١٠٨ .

الفصل العاشر

وفاة القادياني

وقعت في عام ١٩٠٧ م بين القادياني وبين العلامة ثناء الله الامرتسري مناظرات خروج الغلام منها مدحورا مغضبا ثم تحدى القادياني الشيخ ثناء الله بأن الله سيميت الكاذب منهما في حياة الآخر ودعا الله تعالى أن يقبض المبطل في حياة صاحبه ويسلط عليه داءا مثل الهيضة والطاعون يكون فيه حتفه .

وفي شهر مايو ١٩٠٨ م أجيبت دعوته فأصيب بالهيضة الوبائية الكوليرا في لاهور فمات في بيت الخلاء وكان جالسا لقضاء حاجته﴿**واستفتحوا وخاب كل جبار عنيد**﴾ .

ونقلت جثته إلى قاديان حيث دفن في المقبرة التي سماها بمقبرة الجنة بهشتي مقبره[١] وعاش ثناء الله بعده أربعين سنة في نضال القاديانيين والرد عليهم وانطبق على القادياني قوله: « إن كنت كذابا ومفتريا كما تزعم في كل مقالة لك فانني سأهلك في حياتك لأنني أعلم أن المفسد الكذاب لا يعيش طويلا في عاقبة الأمر يموت ذلا وحسرة في حياة ألد أعدائه حتى لا يتكمن من إفساد عبادة»[٢].

وبعد هلاك الميرزا خلفه في زعامة القاديانية صديقه الحميم وشريكه في قيام نبوته الحكيم نور الدين البهيروى » .

والملاحظ أن القادياني أثبت أنه كان كذابا في دعواه النبوة حتى في موته لأن الرسول ﷺ قال :(ما قبض الله نبيا إلا في الموضع الذي يحب أن يدفن فيه) كما رواه الصحابي الجليل أبو بكر رضي الله عنه عن النبي ﷺ[٣] .

---

(١) القادياني والقاديانية ص ٢٦ ، ٢٧ .

(٢) المصدر السابق نقلا عن إعلان الغلام بتاريخ ٥ إبرايل سنة ١٩٠٧ م .

(٣) أخرجه الترمذي : ٣٣٨/٣ كتاب الجنائز .

الفصل الحادي عشر

بعض زعماء القاديانية

برز كثير من زعماء القاديانية وكبرائهم متخذين من حيل القادياني وضلالاته منهجا لهم .

وطمع بعضهم في نفس المكانة التي احتلها زعيمهم ـ أي مرتبة النبوة ـ إلا أن بريطانيا لم تشأ أن تقويهم إلى حد نصرتهم على أدعاء النبوة كما فعلت مع الغلام لئلا يذهب تأثير القاديانية من نفوس أتباع القادياني بحيث تصبح النبوءة متعددة في عصر واحد مما يستدعي فتور الناس عن التصديق.أو الشك في نبوة الغلام فتخسر ما بنته في أعوام عديدة وكانوا أذكي من أولئك الذين تشوفوا للنبوة.

وفيما يلي نذكر بعض أولئك الزعماء بصورة موجزة إتماما للتعريف بالقاديانيين وهم بالإضافة إلى الغلام أحمد القادياني المؤسس الأول للقاديانية : ـ

١ ـ **الحكيم نور الدين البهيروي** : هذا الرجل هو الشخصية البارزة بعد الغلام وصار هو الخليفة للقاديانية بعد موت الغلام ، ويعتقد بعض الباحثين أنه صاحب الفكرة والتصميم في الحركة القاديانية كلها وكان محبا للعز والجاه يتمنى ذلك بأي ثمن كان وقد وجد في الغلام ما يمكنه من تحقيق مايهدف إليه من الشهرة فالتحق به وصار أكبر أعوانه والمخطط والمنفذ لأكثر آراء المتنبي وكان المتنبي يبالغ في إكرامه إلى أبعد الحدود .

ولد الحيكم نور الدين في عام ١٢٥٨هـ في بهيرة من مديرية شاه بور في البنجاب غربي الباكستان ـ وتسمي هذه المديرية الآن ـ سركودها[١] ـ وأبوه غلام رسول كان إماما في مسجد بهيرة وقد درس الحكيم نور الدين الفارسية وتعلم الخط ومبادئ العربية .

---

(١) القادياني ، للندوي ص ٢٨ .

وعين أستاذا للفارسية في مدرسة حكومية في راولبندي في عام ١٨٥٨م ثم عين مديرا لمدرسة ابتدائية لمدة أربع سنوات ثم تركها وانقطع للدارسة وملازمة بعض الشيوخ في « رامبور » ثم سافر إلى لكهنو ودرس الطب على الطبيب المشهور الحكيم على حسين مدة سنتين ثم سافر إلى بهوبال ثم إلى الحجاز وفي كل ذلك يتلقى العلم عن علماء هذه البلدان .

ثم عين طبيبا خاصا في ولاية جمون ـ كشمير الجنوبية ـ واشتهر بها وفي هذا الوقت تعرف على الميرزا غلام أحمد القادياني الذي كان مقيما في سيالكوت وتوثقت بينهما الصداقة وشرع يحرض القادياني على ادعاء النبوة ويؤلف الكتب لتصديق وتكفير من لا يؤمن بنبوته ولقب بالخليفة الأول وخليفة المسيح الموعود بمباركة الاستعمار البريطاني . وكان آخر حياته أن سقط عن فرسه وجرح واعتقل لسانه قبل وفاته بأيام ومات في ١٣ من مارس عام ١٩١٤ م واستخلف الميرزا بشير الدين محمود نجل الميرزا غلام أحمد .

صفاته :

وكان الحكيم المذكور كما وصفه الندوي قلق النفس ثائر الفكر عقلي النزعه تأثر بالمدرسة التي تدين بضرورة اخضاع الدين والعقيدة والقرآن للعلوم الطبيعية التي دخلت عن طريق الانجليز وتأويل كل ماعارض المقررات الطبيعية في ذلك العصر وكان كثير الرغبة في المباحثات والمناظرات [١].

وقد ظل متحمسا للقاديانية زعيما لها بعد وفاة الميرزا القادياني إلى أن توفى.

٢ ـ محمود أحمد : ابن غلام أحمد والخليفة الثاني للقاديانية تولى زعامة القاديانيين بعد وفاة نور الدين .

وأعلن أنه خليفة ليس للقاديانيين فقط ، وإنما هو خليفة لجميع أهل الأرض بما

---

(١) انظر ترجمة هذا الشخص في ما كتبه عنه الندوي في الفصل الثالث ص٢٨ من كتابه القادياني والقاديانية .

فيهم بريطانيا ـ التي تفانى في الجاسوسية لها حيث أعلن قوله: «أنا لست فقط خليفة القاديانية ولا خليفة الهند بل أنا خليفة المسيح الموعود فإذا أنا خليفة لأفغانستان والعالم العربي وإيران والصين واليابان وأوربا وأمريكا وأفريقيا وسماترا وجاوا وحتى أنا خليفة لبريطانيا أيضا وسلطاني محيط جميع قارات العالم»(١).

ثم ادعى أن لقمان هو والده وأنه هو ولد لقمان الذي ذكره الله بقوله: ﴿**وإذ قال لقمان لابنه**﴾ ومما يذكر عن سيرته أنها كانت مملؤة فحشا وشناعة وفجورا مما جعل القاديانيين يتألمون منه...

ومما كان يوصي به أتباعه أنه يقول لهم « إن آلام الحكومة الانجليزية آلامنا وكان يشاركهم في أفراحهم ويرى خدمتهم شرفا له على نفس المسلك الذي كان عليه والده من قبل « ومن يشابه أبه فما ظلم » واستمر في غيه إلى أن عاقبه الله بعدة أمراض ألزمته الفراش إلى أن هلك سنة ١٩٦٥ م .

٣ـ الخواجة كمال الدين: كان يدعي لنفسه أنه مثل غلام أحمد في الإصلاح والتجديد وقد أخذ كثيرا من الأموال وذهب إلى انجلترا لتبليغ القاديانية وسكن في «ووكنج مشن» ومال إلى انتهاب اللذات وبناء البيوت الفاخرة.

وكان إذا سمع بشخص أسلم ادعى فورا أنه أسلم على يديه على الطريقة القاديانية الخارجة عن هدى الإسلام . وكان بعض هؤلاء الذين يدخلون في الإسلام من الأوربيين ـ ويدعي الخواجة أنهم أسلموا على طريقة القاديانية ـ حين يعلمون ادعاء الخواجة يكذبونه ويبينون أنه لاعلاقة لهم بمذهب القاديانية وقد ذكر سائح هندي عن الخواجة كمال الدين وطريقته في طعامه فقال: «إن الأستاذ كمال الدين كان جالسا مع أحد أصدقائه في المطعم يأكلان الطعام وبعد ذهابهما سألت صبي المطعم ماذا أكل هذان الشيخان فقال بكل سذاجة أطيب نوع من لحم الخنزير»(٢).

---

(١) جريدة الفضل ١ نوفمبر لسنة ١٩٣١ م ترجمة إحسان إلهي ص ٢٥٣ القاديانية .

(٢) جريدة الفضل ٢١ أغسطس سنة ١٩٢٤ م .

قال إحسان إلهي : « فهذا الصحابي الجليل للمتنبي القادياني ومن زعماء القاديانية اللاهورية مات بعد أن ترك تركة ضخمة »[1] وأيضا يأكل أطيب نوع من لحم الخنزير ، وأين الطيب وأين لحم الخنزير ؟

وقال فضل كريم خان في تكذيبه لادعاء القاديانيين أن الناس أسلموا على أيديهم في « ووكنج مشن » قال : « لا يوجد في عظماء الانجليز الذين أسلموا من يرجع الفضل في إسلامه إلى ووكنج مشن . وقد أعلن اللورد هدلي أنه درس الإسلام بنفسه واعتنق الإسلام وقال ولم أتعرف على الخواجة كمال الدين إلا قبل إسلامي بأسبوعين فقط . وقد أسلم المستر مار ماديوك بكتهال في مصر وبفضل الأتراك والمصريين وتأثيرهم . وقد اعتنق سرارجيبا لدهملتن بضرورة عائلية وهكذا إذا فحصنا وجدنا أن ووكنج مشن ليس لها في إسلام هؤلاء فضل ولا نصيب»[2].

ويقول في نفس هذه المقالة رادا على الذين يزعمون أن مسجد ووكنج مشن من بناء القاديانيين ومبينا صلة القاديانيين به بعد ذلك .

« لست أدري كيف شاع في الهند أن جامع ووكنج من بناء القادنيين الواقع أن هذا الجامع إنما بني بالمال الذي تبرعت به إمارة بوفال الإسلامية أما المسكن الذي بجوار الجامع فهو في تذكار وزير حيدر اباد المشهور سرسالا رجنك وقد بني كل ذلك تحت إشراف العالم الألماني الدكتور لائتس لقد أسكن المؤلف الإسلامي المشهور السيد أمير عليّ الخواجة كمال الدين في هذا الجامع . وإلى الأول يرجع الفضل في بقاء هذا الجامع مركزا للمسلمين » [3].

٤- وهناك شخصيات أخري قاديانية ـ مثل محمد أحسن أمر وهي الذي

---

(١) القاديانية ص ٢٦٠ .

(٢، ٣) مجلة حقيقت إسلام لا هور يناير سنة ١٩٣٤م. انظر كتاب القادياني والقاديانية للندوي ص ١٥٤ ، ١٥٥ ، فصل « دعاية وتهريج » .

كان مصدر عون للقادياني حيث كان يرسل إليه مسودات كتبه ليصلح ما يحتاج إلى إصلاحه فيها ثم يرسلها للغلام ليجعل اسمه على الكتاب .

وقد كان في عيشة راضية طوال عهد الغلام إلا أنه وفي خلافة ابن الغلام محمود أحمد وقع بين شركة النبوة القاديانية من التشاجر والسباب والتفرقة ما كان طبيعيا في مثل تلك العلاقات القائمة على الكذب والحيل أن يقع .

ومنهم محمد صادق وكان مفتيا للقاديانية وعبد الكريم السيالكوتي إمام مسجد الغلام وخطيبه وصديق الغلام الخاص الذي مدحه بقوله: «لم يولد في القاديانية رجل ثالث يضاهي حضرةالشيخ عبد الكريم ، وهو أول من خاطب الغلام .

برسول الله ونبي الله فأذاقه الله في هذه الدنيا عذابا تقشعر منه الجلود كتب ابن الغلام أحمد بشير أحمد عن مرض عبد الكريم فقال : « فابتلي الشيخ عبد الكريم في مرض كاربينكل ومابقي في جسمه موضع إلاشق من العمليات الجراحية وكان يصرخ في مرضه صرخات لا يحتمل الإنسان سماعها ولأجل ذلك غيرّ حضرة المسيح الموعود مسكنه ؛ لأن الشيخ عبد الكريم كان يسكن في نفس البيت الذي كان يسكنه المسيح الموعود وكان الشيخ عبد الكريم يبكي ويصرخ لكي يزوره حضرة المسيح ولكن حضرة المسيح لم يذهب لعيادته لأنه كان يقول أنا أريد أن أذهب إليه ولكنني لا أطيق أن أراه في هذه الحالة وبعض الأحيان كان الشيخ عبد الكريم يفقد شعوره لشدة مرضه وكان يقول هاتوا إليّ المركب حتى أذهب إلى حضرة المسيح لانـي منذ أيام ما رأيته ، كأنه كان يظن بأنه يسكن بعيدا عن حضرته في خارج القاديان وهكذا استمر به المرض حتى هلك .

ومنهم يارمحمد وهو من المؤسسين الأوائل لنبوة الغلام وبعد هلاك الغلام استسهل يارمحمد أمر النبوة فادعى هو الآخر أنه نبي تابع لحضرة الغلام وكان

من أساتذة ابن الغلام محمود أحمد الذي رد بعد ذلك على يار محمد وخطئه في دعواه النبوة وأن ذلك إنما كان عن سبب اختلال وقع به .

ومنهم نور أحمد القادياني الذي أعلن أنه رسول الله أيضا فاعلن قوله : لا إله إلا الله نور أحمد رسول الله ، أنا رسول الله أرسلت رحمة للعالمين كما أنا مظهر لجميع الأنبياء فرد عليه ابن الغلام وخطأه وزعم بأن به مرض الجنون حسدا من ابن الغلام له .

ومنهم عبد الله تيمابورى ادعى النبوة حسب بشارات غلام أحمد فقال : أنا هو الذى بشر عنه حضرة الأقدس المسيح الموعود غلام أحمد بأنه يرسل نبى فها أنا أرسلت ببركة غلام أحمد وفيضانه وسوف يظهر على يدى صداقة حضرة الغلام على الدنيا .

ولقد هان أمر النبوة فى نظر صحابة الغلام فادعى كل واحد أنه هو النبي المبعوث بعد الغلام وكونوا جماعة قاديانية أخرى وحصل بينهم نزاعات كثيرة إلاأنه كان يجمعهم تقريبا إنتسابهم إلى الغلام وأن الغلام القادياني نبي الله ورسله كما أنهم أنبياء الله ورسوله ولا نجاة لمن لم يؤمن بنبوة غلام أحمد كما لا نجاة لمن لم يؤمن بنبوتهم ورسالتهم هم أيضا.

والفرق بينهم وبين المتنبي الغلام القادياني بزعمهم أن الغلام اكتسب النبوة بلا واسطة وهم اكتسبوها بواسطته فهو كالأستاذ لهم وهؤلاء كالتلاميذ له وكانوا خلفا جيدا للغلام وجيدا للاستعمار البريطاني ولكن بريطانيا لم تقدم على دعمهم دعما كاملا ولم تدع إلى نبوتهم كما دعت إلى نبوة الغلام لئلا يستهين الناس بالقادياني فتبطل دعواه النبوة وينفر الناس عنها كما تقدم .

هؤلاء هم أشهر زعماء القاديانية وهناك مئات من الزعماء الأشقياء لهذه الفرقة الضالة وقد خذلهم الله في أماكن كثيرة وانبرى لهم أتباع محمد ﷺ يردون عليهم ويبينون خروجهم عن الإسلام ويحذرون منهم مما جعل القاديانيين

يتتبعون بدعوتهم الديار النائية للمسلمين ومن تكثر بينهم الأمية وقد نجحوا في دعوتهم بينهم والحرب بين قوى الخير وقوى الشر من الأمور التي لاتنتهى بين البشر ولله حكمة في ذلك والحمد لله على كل حال ونعوذ بالله من حال أهل النار .

﴿ ربنا لاتزغ قلوبنا بعد إذ هديتنا وهب لنا من لدنك رحمة إنك أنت الوهاب ﴾ .

الفصل الثانى عشر

الفرع اللاهوري القادياني

أمير هذا الفرع هو محمد على من أوائل المنشئين صرح القاديانية وممن كان له يد ومنه عظيمة في توجيه الغلام المتنبي ومساعدته بالفكر والقلم أيضا وكان هو الآخر من أشد المخلصين للإنجليز والمحرضين على بذل الطاعة التامة لهم ، وقد كانت لهم مواقف مع الغلام وأسرته إذ كان أحيانا يتبرم من استبداد المتنبي بالاموال التى تصل إليه من أتباعه فيصرح للمتنبي بهذا ويرد عليه المتنبي هذه التهمة وبعد وفاة الغلام استفحل الخلاف بين إسرة المتنبىء ومحمد على حول اقتسام الأموال التى جاءتهم حيث استغلها ورثة المتنبي مع علمهم « بأن هذه النبوة شركة تجارية وهم كلهم شركاء فيها»[1] ولعل هذه الخلافات الشخصية لم يكن لها تأثير على إتمام الخطة وإحلال القاديانية محل الإسلام خصوصا والقوة التى انشأت الغلام وفكرته لاتزال هى القوة والمتآمرون لايزالون في إتمام حبكها وتنفيذها .

أما بالنسبة لحقيقة معتقد هذا الرجل في غلام أحمد وهل كان متلونا أم كان له مبدأ أملي عليه أم أنه كان مقتنعا به دون تدخل أحد فإن الذي اتضح لي من كلام العلماء الذين نقلوا عنه أراءه أنهم مختلفون على النحو الآتي :

١ ـ منهم من يرى بأن محمد على أختير من قبل الساسة الإنجليز لإ تمام مخطط القاديانية بطريقة يتحاشي بها المواجهة مع مختلف طوائف المسلمين في الهند والباكستان وغيرهما ويتحاشي بها كذلك من مصادمة علماء الإسلام الذين نشطوا في فضح القاديانية وإخراجها عن الدين الإسلامي فاقتضى الحال أن يتظاهر محمد على وفرعه بأنهم معتدلون لا يقولون بنبوة الغلام وإنما يثبتون أنه مجدد ومصلح لاستدراج الناس إلى القاديانية ولامتصاص غضب المسلمين على

(١) القاديانية لإحسان إلهي ص ٢٥٠ .

القاديانية فتظاهر بعد ذلك محمد على وفرعه بهذه الفكرة بغرض اصطياد من يقع في أيديهم[1].

٢ ـ ومنهم من يري بأن محمد على وفرعه كانوا يعتقدون بأن الميرزا غلام أحمد لم يدع النبوة وكل ما جاء عنه في ذلك إنما هي تعبيرات ومجازات وكابروا في ذلك اللغة وكابروا الواقع .

وقد لقبهم القاديانيون بالمنافقين « لأنهم يحاولون الجمع بين العقيدة القاديانية والانتساب إلى مؤسسها وزعيمها وبين ارضاء الجماهير » ومع هذا الموقف .

فإن محمد على اللاهوري دائما يلقب الميرزا غلام أحمد بمجدد القرن الرابع عشر والمصلح الأكبر وزيادة على ذلك يعتقد أنه المسيح الموعود » .

قال الندوي عنهم « وعلى ذلك تلتقي الطائفتان »[2].

٣ ـ وذهب الأستاذ مرزا محمد سليم أختر في كتابه لماذا تركت القاديانية إلى رأي آخر حيث قال بعد أن ذكر ما وقع بين محمد على وجماعة الربوه من خلاف على منصب الخلافة بعد نور الدين قال : « وانكر نبوة الميرزا ليكسب العزة عند المسلمين » ثم قال : « ولم ينكر أحد هذه الحقيقة أن محمد على اقر بنبوة الميرزا وإنكاره لنبوته يعتبر كالعقدة في الهواء » [3].

والواقع أن القول بأن الفرع اللاهوري وعلى رأسهم محمد على ما كانوا يؤمنون بنبوة الغلام عن اقتناع قول بعيد جدا ذلك أن مواقفهم وتصريحاتهم كلها تشهد باقرارهم بنبوة الغلام وليس فقط أنه مصلح ومجدد .

كما أن تصريحات الغلام نفسه بنبوته لا تخفي على من هو أبعد من الفرع اللاهوري فكيف يقال بأنها خفيت عليهم .

(١) انظر ما كتبه إحسان إلهي في كتابه القاديانية دراسة وتحليل ص ٢٤٢ .

(٢) القادياني والقاديانية ص ١٤٤ .

(٣) لماذا تركت القاديانية ص ٣١ ترجمة محمد كليم الدين .

كمـا أن معتـقد الفرع اللاهوري ليس له أيّ أسـاس آخر غيـر الأساس الذي بناه غلام أحمد وأسهم فيه محمد على نفسه .

والباطل لابد وأن يتناقض أهله فـيه فقد صـرح محمد علي نفسـه بقوله عن الغلام : نحن نعتقد أن غلام أحمد مسيح موعود ومهدي معهود وهو رسول الله ونبيه ونزله فـي مرتبة بينها لنفسـه أي أنه أفضل من جميع الرسل كـما نحن نؤمن بأن لا نجاة لمن لا يؤمن به»[1].

ونصوص أخرى كثيرة كلها تثبت أن هذا الفرع لا يختلف في النتيجة عن الحركة القاديانية الأم في قاديان وأنه كان يراوغ في إظهار معتقده نفاقا وايغالا في خداع العامة حتى أنه كان يوصي أتبـاعه في جزيرة مارشيس أن لا ينشروا هناك أن الغـلام نبي . وأن من لم يؤمن به فهـو كـافر ، لأن هذا المسلك يضـر بانتشـار القاديانية[2] أي ولكن ينشروا أنه مجدد لتقريب وجذب المسلمين إليهم .

ومن أقوال هذا الفرع أيضا :

« ياليت أن القـاديانية كـانت تظهـر غلام أحـمد بصـورة غيـر النبي ... ولو فعلوا هذا لكانت القاديانية دخلت في أنحاء العالم كله » [3].

وبهذا يتضح أن هذا الفرع أمكر وأكثـر إحتيالا لنشر القاديانية وهو الذي أتيح له التوغل في العصر الحاضر إلى أقصى البلدان الإسلامية في آسيا وفي أفريقيا.

وقد قام محمد على بنشاط كبير في عرض القاديانية . ولعل من أهم أعماله ترجمـته للقرآن الكريم إلى اللغـة الانجليزية[4]حيث مـلأها بالأفكار القاديـانية مما

---

(١) جريدة الفضل : ٣ / ٤١١ .   (٢) التبليغ : ١ /٢١ .

(٣) بيغام صلح ١٧ إبريل لسنة ١٩٣٤ م جريدة الفرع اللاهوري .

(٤) يذكر محمد اختر الذي كان قاديانيا ثم انفصل عنهم أن تلك الترجمـة ليست من صنع محمد علي كلها وإنما هي للحكيم نور الدين البيهيروي ونسبها محمد علي لنفسه .
انظر كتابه لماذا تركت القاديانية ص ٣٢ ترجمة محمد كليم الدين .

جعل الكثير من الناس يقعون ضحية تلك الأفكار ظانين أنها ترجمة رجل مسلم لقد اتجه هذا الرجل في تفسيره للقرآن وجهة خطيرة لم يتورع فيها عن الكذب والتعسف ومخالفة أهل العلم واللغة والإجماع وإنما فسره بمعاني باطنية فيها التركيز على إنكار الإيمان بالغيب وبالقدرة الإلهية والأمثلة على ذلك كثيرة جدا منها على سبيل المثال .

١ ـ قوله تعالى لموسى﴿ **فاضرب بعصاك الحجر فانفجرت منه اثنتا عشرة عينا**﴾ أي أن الله أمر موسى بالمسير إلى جبل فيه اثنتا عشرة عينا .

٢ ـ ﴿**ورفعنا فوقكم الطور**﴾ أي كنتم في منخفض من الأرض والجبل يطل عليكم.

٣ ـ ﴿ **فقلنا لهم كونوا قردة خاسئين** ﴾؛ أي مسخت قلوبهم وأخلاقهم .

٤ ـ ﴿**أني أخلق لكم من الطين كهيئة الطير فانفخ فيه فيكون طيرا بإذن الله**﴾ المراد بالطير هنا استعارة أي رجال يستطيعون أن يرتفعوا من الأرض وما يتصل بها من أخلاق وأشياء ويطيروا إلى الله ويحلقوا في عالم الروح .

٥ ـ المراد باليد البيضاء التي أعطي موسى أي الحجة والحبال والعصي في قوله تعالى ﴿ **فألقوا حبالهم وعصيهم** ﴾ أي وسائلهم وحيلهم التي عملوها في أحباط سعي موسى[١].

وفي قوله تعالى : ﴿ **فلما قضينا عليه الموت ماد لهم على موته إلا دابة الأرض**﴾ الآية ، دابة الأرض : هو رجل اسمه رحبعام بن سليمان الذي تولى الملك بعده وسمى دابة الأرض لقصر نظره إذ كان لا يجاوز الأرض .

والمنسأة التي هي العصا كناية عن ضعف الحكومة وانقراضها .

والجن : شعوب أجنبية بقيت في حكم بني إسرائيل إلى ذلك العهد،

---

(١) انظر ص ١٤٥ ـ ١٥٣ .

وهدهد سليمـان : هو إنسان كان يسـمى الهدهد وكان رئيس البـوليس السرى في حكومة سليمان. وقد تلاعب بمعاني القرآن الكريم على هذا التفسير الباطني الهزلي المملوء بالأكاذيب والخرافات وقد تلقفه المسلمون خصوصا من لم يعرف العربيـة بكل سرور لعـدم علمهم بأن تفـسيـر محمـد على للقرآن الكريم بـاللغة الإنجليزية إنما يراد به هدم معاني الشريعة الإسلامية والمفاهيم الصحيحة وقد ذكر الأستاذ الندوي في كتابه القادياني والقاديانيـة كثيرا من مثل هذا التلاعب بالقرآن للتحذير وإبراء الذمة [1].

---

(١) انظر ص ١٤٥ - ١٥٣ .

من أهم مراجع القاديانية

١ ـ **ماهي القاديانية** / أبو الأعلى المودودي .

٢ ـ **القادياني والقاديانية** / أبو الحسن على الندوي .

٣ ـ **القاديانية دراسة وتحليل** / إحسان إلهي ظهير .

٤ ـ **القاديانية** / عبد الله صالح الحموي .

٥ ـ **معتقدات الجماعة الأحمدية الإسلامية** / بشير محمود أحمد .

٦ ـ **لماذا تركت القاديانية** / ميرزا محمد سليم أختر .

٧ ـ **المحكمة الشرعية الفيدرالية بجمهورية باكستان الإسلامية تقرر «القاديانية فئة كافرة »** تعريب الأستاذ محمد بشير .

٨ ـ **القاديانية الخطر الذي يهدد الإسلام** / د / أحمد محمد عوف .

٩ ـ **حب العرب إيمان** / للميرزا غلام أحمد ـ خطبة جمعة .

١٠ ـ **أباطيل القاديانية في الميزان** / د / محمد يوسف النجرامي .

١١ ـ **دعوة الأمير** / معتقدات الجماعة الأحمدية الإسلامية / للميرزا بشير محمود أحمد .

١٢ ـ **ضميمة الوحي** / للقادياني .

١٣ ـ **توجد بحوث عن القاديانية منها :**

١ ـ **القاديانية في اندونيسيا** للشيخ شفيق أمر الله شمس الدين .

٢ ـ **القاديانية في غانا** للشيخ سحنون تاج الدين .

كما انني قدمت أثناء الكتابة عن القاديانية ما ترجمه المشائخ أبو الأعلى المودودى والشيخ الندوي والشيخ إحسان إلهي على ما ترجمه غيرهم للثقة القوية بغزارة علم هؤلاء وإحاطتهم بمفاهيم القاديانية كلها وعظيم شرفهم في الخلق والدين فالاعتماد على ترجمة هؤلاء أولى من غيرهم في نظرى خصوصا لمن لم يعرف اللغة الأردية .

الباب الثامن

الصوفية

الفصل الأول

تمهيد: في بيان انحراف الصوفية بصفة عامة

الصوفية التي نبحثها هنا هي الصوفية التي خرجت عن الحق إلى الغلو متأثرة بشتى الأفكار المنحرفة التي هي في الواقع أفكار بدعية طرأت على المسلمين في غياب الوعي الإسلامي وبروز الجهل وعلماء السوء المغرمون بالخرافات وحب الزعامة وهي ذات مفاهيم خاطئة مضطربة تأثرت بمسالك منحرفة وبالغت فيها إلى حد الهوس والاضطراب الفكري الشنيع .

وكأن حافظ إبراهيم حينما ندب اللغة العربية بقوله :

فجاءت كثوب ضم سبعين رقعة　　　مشكلة الألوان مختلفات

كأنه عني المذهب الصوفي في انحرافه وتنوع مصادره وتلفيق أفكاره من شتى المذاهب ولقد جرأ أصحاب هذه الطريقة الصوفية على القول على الله بغير علم ، كما كذبوا وأكثروا أيضا على رسوله ﷺ لتقوية مبادئهم الكثيرة وتأييدها وبالغوا في الكذب وزخرف القول وتفننوا في الطرق والآراء حتى ليخيل للشخص أنهم على شيء وهم في فراغ وجهل شديد .

وطرقوا مسائل ليست من الإسلام في شيء ولم يقل بها أحد من المسلمين وأظهروها بزخرفهم على أنها من الإسلام بما قدموه من تقليب الأدلة وإثارة الشبه والتفنن في الاستدلال والجواب ، وقالوا بوحدة الوجود والحلول والاتحاد ووحدة الشهود والكشف والقطب والغوث وغير ذلك من الأمور التي طرقها

كبار دعاتهم مثل الحلاج وابن عربي وابن الفارض والبسطامي والجيلي وغيرهم ممن لبس عليهم أبليس فقالوا بوجود الله تعالى في كل شيء حتى صار في عرف غلاتهم أن من لا يعتقد اتصاف الخلق بأوصاف الخالق لا يمكن أن يعد صوفيا ووليا من أولياء الله كما ذكر الأستاذ إحسان إلهي ذلك عنهم(١) .

وهكذا أصبح المذهب الصوفي بعد أن لبس إبليس على أتباعه خليط من شتى الأفكار والآراء المنحرفة ، حيث يظهر فيه جليا غلو الشيعة ومباديء الباطنية وآراء المسيحية والهندوكية والبوذية وغير ذلك من الديانات والفلسفات القديمة كالأفلاطونية والأفلوطينية وسائر ما قال به علماء اليونان(٢) وقد قامت الدعوة للصوفية واظهار شأنها من جديد في هذا العصر على نطاق واسع بسبب عوامل عدة منها :

جهل كثير من المسلمين بحقيقة دينهم ثم الجهل بحقيقة الصوفية كذلك ومنها مساعدة أعداء الإسلام على نشر الصوفية ، لأنهم يعرفون المكاسب التي سيجنون ثمارها إذا علا سلطان الصوفية وفشا الجهل وانتشرت الخرافات الصوفية وخزعبلاتها وتأثروا بآرائها السلبية في مفهوم وحدة الجهاد في سبيل الله وفي مفهوم الأديان التابعة لمفهوم وحدة الوجود وأعداء الإسلام هنا فريقين :

فريق عداوته ظاهرة وهم المستعمرون ومن يبيتون النية لهدم الإسلام وتشتيت كلمة المسلمين وقد استفاد هؤلاء من أفكار الصوفية كثيرا حين نام المسلمون على دعوى الزهد والإقبال على الآخرة بغير بينة والتمسح بصور الأولياء وطلب البركة والنصر منهم في حياتهم وبعد موتهم أيضا والعكوف على قبورهم.

وفريق آخر متلبسون باسم الدين ويحكمون كثيراً من ديار المسلمين وهؤلاء

(١) التصوف المنشأ والمصدر ص ٦ .

(٢) انظر التصوف وتأثره بالنصرانية والفلسفات القديمة .

يساعدون الصوفية خوفا من عودة الإسلامي السلفي الذي يصطدم مع ميول ورغبات هؤلاء وشهواتهم لأجل هذا ولغيره كان تنبيه طلاب العلم إلى خطر هذا المذهب الرديء واجب يحتمه وجوب النصح لكل مسلم يحب حماية نفسه ودينه من الانزلاق في خضم الأفكار المبثوثة بين صفوف المسلمين ، والتي كان من نتيجتها زيادة الكوارث والخبال الذي حل بديار المسلمين حين ابتعدوا عن المنهج الحق الذي شرعه الله لعباده ولقد فرح أعداء الإسلام بانتشار الصوفية التي مهدت لهم السبيل بدعوى الزهد والتقشف والابتعاد عن المظاهر وعن منازعة الحكام والرضى بأفعالهم فعاش المسلمون على هامش الحياة بعد أن خدرت الصوفية أعصابهم بترهاتها وخزعبلاتها التي تنافي العقل السليم والدين الإسلامي الحنيف في كثير من مبادئها وطقوسها المختلفة ونظرتها إلى الحياة .

الفصل الثاني

التعريف بالصوفية لغة وا صطلاحا

اختلفت كلمة العلماء حول التعريف الحقيقي للصوفية وللتصوف اختلافا كثيرا قلما يوجد له مثيل ، وقد ذكر بعض العلماء أن تلك التعريفات قد تصل إلى الألفين يقول محمد طاهر الحامدي : « الأقوال المأثورة في التصوف قيل أنها زهاء ألفين »[1]، وقد نقل إحسان إلهي في كتابه«التصوف المنشأ والمصدر» أقوالا كثيرة عن أقطاب التصوف في تعريفهم ومفهومهم للتصوف[2] ولكن مهما قيل عن كثرتها واختلاف الناس فيها فإنها كلها لا طائل من ورائها عند التمعن في دراستها مما يستدعي الحال غض النظر عن تلك التعريفات كلها والقاء الضوء على الأقرب منها وفيما يلي بيان ذلك .

١ ـ في اللغة :

يطلق علماء اللغة كلمة (صوف) في معاجم اللغة تحت مادة (صوف) على عدة معان منها إطلاق كلمة صوف على الصوف المعروف من شعر الحيوانات ومنها كلمة صوفان وصوفانة وتطلق على بقلة زغباء قصيرة . وقد أطلقت كلمة « صوف » في بعض دلالتها بمعنى الميل فيقال صاف السهم عن الهدف بمعنى مال عنه وصاف عن الشر أي عدل عنه [3].

٢ ـ في الاصطلاح :

يجب إدراك أن الصوفية مرت بمراحل وتطورات ومفاهيم مختلفة ومن هنا وقع كثير من الجدل بين العلماء في التعريف بالصوفية ومهما قيل عن كثرة التعريفات للتصوف فإنه يصدق عليه عموما أنه يدعه محدثة في الدين وطرائق ما أنزل الله بها من سلطان .

---

(١) انظر : التصوف المنشأ والمصدر ص٣٧.

(٢) انظر:ص٣٦ـ ٤٨(الفصل الثالث).

(٣) انظر : معاجم اللغة في مادة « صوف » .

ونذكر فيما يلي بعض التعريفات التي أطلقت على مفهوم التصوف سواء كانت من الصوفية أو من مخالفيهم ومن ذلك ما يلي :

١ ـ التصوف هو تجريد العمل لله تعالى والزهد في الدنيا وترك دواعي الشهرة والميل إلى التواضع والخمول وإماتة الشهوات في النفس .

وهذا التعريف قد لا يصدق في الواقع إلا على التصوف في عهده الأول الذي كان التصوف فيه عبارة عن الانقطاع لعبادة الله وحده والزهد في الدنيا والتخفف من متاعها والإقبال على الآخره دون أن يلبسوا ذلك بشيء من الأفكار والسلوك المشين الذي وصلت إليه الصوفية بعد ذلك .

٢ ـ وذهب قسم كثير من العلماء إلى أن سبب التسمية للمتصوفة بهذا الاسم أي «الصوفية» إنما كان نسبة إلى لبسهم الصوف الذي يعبر عن الزهد والتقشف وترك التنعم والملذات المباحة وقد علق القشيري على هذا بقوله : « فذلك وجه ولكن القوم لم يختصوا بلبس الصوف » .

٣ ـ وبعض العلماء يرى أن التصوف مأخوذ عن الصفاء أي صفاء أسرارهم أو صفاء قلوبهم أو صفاء معاملتهم لله تعالى وهوما يحب الصوفيون التسمي به بل إن كل انتساب فيما لاحظ (نيكلسون)إلى الصوف يقابله اثنا عشر تعريفا تعتمد على الصفاء الذي حاول الصوفية ان ينتسبوا إليه [١]. إلا أن القشيري قد استبعد هذا المفهوم في اللغة بقوله: « ومن قال أنه مشتق من الصفاء فاشتقاق الصوفي من الصفاء بعيد في مقتضى اللغة [٢].

٤ ـ وبعضهم يرى أنه نسبة إلى الصفة التي كان يجلس فيها فقراء الصحابة رضوان الله عليهم في المسجد ويرى القشيري أن النسبه إلى الصفه لاتجيء على نحو الصوفي[٣].

٥ ـ وبعضهم يرى أنه نسبة إلى الصف الأول قال القشيري :

---

(١) انظر دراسات في الفرق ص ٩٨ . (٢) الرسالة القشيرية جـ ٢ ص ٥٥٠ .

(٣) المصدر السابق .

« فكأنهم في الصف الأول بقلوبهم فالمعنى صحيح ولكن اللغة لا تقتضي هذه النسبة إلى الصف [1].

٦ ـ وبعضهم يرى أنه نسبة إلى قبيلة بني صوفة وهي قبيلة بدوية كانت حول البيت في الجاهلية وهي تنتسب إلى رجل يقال له صوفة كان قد انقطع للعبادة في المسجد الحرام .

٧ ـ وبعضهم يري أنها نسبة إلى الصفوة من خلق الله .

وهناك تعريفات كثيرة خاض فيها العلماء باجتهاداتهم بعضها من وضع أقطاب التصوف وبعضها من غيرهم لايهمنا سردها هنا بالتفصيل والدراسة الشاملة لها كلها[2]،إذ الغرض إنما هو التنبيه إلى ما وقع من اختلاف في التعريف بهم ولما كانت كل تلك التعريفات أمور اجتهادية واستحسانات وتقريب لهذا المذهب فإنك تجد أنه يرد عليها اعتراضات كثيرة وفي بعضها أخطاء واضحة ولشيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله ردود على بعض تلك التعريفات فقد ذكر أنه إذا كانت النسبة إلى أهل الصفة ـ وهو خطأ تاريخي كما سنبين ـ ذلك ـ فإنه يقال صُفّي ، وأما إذا كانت إلى الصف المقدم بين يدي الله تعالى فإنه يقال صَفّي وأما كانت نسبة إلى الصفوة من خلق الله فإنه يقال صَفَوِيٌّ ، وأما إذا كانت النسبة إلى ذلك الرجل الجاهلي فإنه لا أحد من المتصوفة يرضى أن ينسب إلى قبيلة جاهلية قبل الإسلام إضافة إلى أنه لم تعرف هذه التسمية بين الصحابة ولا كانت هذه القبيلة مشهورة أيضا [3].

وقد زعم كاتب نصراني هو «جورجي زيدان »« أن كلمة تصوف في العربية تعادلها كلمة « سوفيا » اليونانية والتي معناها الحكمة»[4]، أي أن التصوف

---

(١) المصدر نفسه .

(٢) انظر الرسالة القشيرية ص ٥٥٠ جـ ١ وانظر الصوفية معتقداً ومسلكا ص ١٩ ـ ٣٦ وانظر الصوفية المنشأ والمصدر ص ٢٠ ـ ٣٩ .

(٣) الصوفية والفقراء لشيخ الإسلام ص١٣/١٤. (٤)انظر الصوفية معتقدا ومسلكا ص٢٣.

نسبة إلى الحكمة اليونانية وهو زعم أبطله كثير من العلماء وربما لأن التصوف إنما ظهر بعد الإسلام ولايمنع هذا أن تتأثر الصوفية بعد ذلك بشتى التأثيرات بل هو الواقع ولكن ليس بالمفهوم اليوناني بالكامل، هذا ونسبة التصوف إلى الصوف أقرب إلى الاشتقاق اللغوي كما أنه أقرب كذلك إلى ذوق الصوفية وحالهم في تمسكهم بلباس الصوف وقد ذهب إلى تقرير هذا القول كثير من العلماء في نسبتهم لهذه الطائفة التي لم توجد في زمن النبيﷺ ولا في زمن الصحابة ولا التابعين لهم بإحسان إذ لو وجدت في هذه الأزمنة وعرفها الناس وعرفوا مسالكها لاشتهرت تسميتها ولما حصل لبس أوخلاف في حقيقتها واتجاهاتها بين المتأخرين.

وقد رجح شيخ الإسلام فيما يظهر من كلامه أن التصوف نسبة إلى الصوف حيث قال « وقيل وهو المعروف أنه نسبة إلى لبس الصوف » .

ثم علل ذلك بقوله : « فإنه أول ما ظهرت الصوفية من البصرة وأول من بنى دويرة الصوفية بعض أصحاب عبد الواحد بن زيد وعبد الواحد من أصحاب الحسن وكان في البصرة من المبالغة في الزهد والعبادة والخوف ونحو ذلك مالم يكن في سائر أهل الأمصار ولهذا كان يقال فقه كوفي وعبادة بصرية [1].

وأيد السهروردي صحة القول بنسبة الصوفية إلى الصوف وذكر أدلة كثيرة على فضائل لبس الصوف وبالغ في مدح الصوفية حين اختاروا هذا الاسم بما يطول نقله .

ثم ذكر الأسماء الأخرى والتي منها نسبتهم إلى أهل الصفة من فقراء الصحابه المهاجرين ثم قال :

« وهذا وإن كان لا يستقيم من حيث الاشتقاق اللغوي ولكن صحيح من حيث المعنى لأن الصوفيه يشاكل حالهم حال أولئك » [2].

وستأتي مناقشة هذا الادعاء للسهروردي .

---

(١) الصوفية والفقراء ص ١٥ .

(٢) انظرعوارف المعارف ص ٤٥ - ٤٩ .

الفصل الثالث

هل توجد علاقة بين المتصوفة وأهل الصفة

والواقع أن هذه القضية تعتبر من القضايا الساخنة خاض غمارها المتصوفة من جانب وغير المتصوفه من الجانب الآخر حول الصلة بين الفريقين الصوفية وأهل الصفة .

فهل توجد فعلا علاقة بين الصوفية وأهل الصفة ؟

الجواب : أنه بالرغم مما بذله المتصوفة من جدل وبحوث لتقريب التصوف إلى أهل الصفة فإن ذلك لم يجدهم شيئا .

فهناك من المتصوفة كالمنوفي ، والسهروردي ، وغيرهما من كبار الصوفية من يزعم وجود تلك الصلة بين الفريقين وأن أهل الصُفة هم سلف أهل التصوف فالسهروردي يري أن العلاقة بين المتصوفة وأهل الصفة تتمثل في حب الانفراد والعزلة عن الناس والشوق إلى الله تعالى ، وأن هذه الفكرة هي الجامع بين الصوفية وأهل الصفة فيما يرى وقد قال في إثبات ذلك :

« الصوفية يشاكل حالهم حال أولئك[1] لكونهم مجتمعين متآلفين متصاحبين لله وفي الله كأصحاب الصفة وكانوا نحوا من أربعمائة رجل لم تكن لهم مساكن بالمدينة ولا عشائر جمعوا أنفسهم في المسجد كاجتماع الصوفية قديمًا وحديثا في الزوايا والربط»[2] الخ كلامه .

وأما المنوفي فقد قال عنهم :

« هم قوم أخلاهم الحق من الركون إلى شيء من العروض الفانية وشغل أفئدتهم بالحياة الباقية « إلى أن يقول : « استوطنوا الصفة فصفوا أنفسهم من الأكدار ونقوها من الأغيار واعتصموا من حظوظ النفوس بالإيثار » .

---

(١) أي أهل الصفة .	(٢) عوارف المعارف صـ ٤٧ .

إلى أن قال :« وكان الظاهر من أحوالهم والمشهود من أخبارهم غلبة الفقر عليهم وإيثارهم القلة واختيارهم لها فلم يجتمع لهم نوعان ولا حضر لهم من الأطعمة لونان»[1] .

والحقيقة أن السهروردي وغيره من المتصوفة لم يستطيعوا أن يأتوا برباط أحد أو بوجه شبه يعتبر قاسما مشتركا صحيحا مقبولا بين حال أهل الصفة رضوان الله عليهم وبين المتصوفة مع كثرة ماحاول هو وغيره وبشتى الأساليب أن يوجد وا تلك الصلة المزعومة وأن يكون آلئك الصحابه الأفاضل هم الأساس لأقطاب التصوف والمثل الأول لهم .

مع محاولة بعضهم كذلك ربط حركة التصوف وما تحمل من حب العزلة والانفراد والخلوة بما وقع للرسول ﷺ من تجبيب الخلوة إليه في غار حراء يتعبد فيه الليالي ذوات العدد .

وقد فاتهم أن هذا لا يصلح أن يكون دليلا لهم على ذلك فإن أقل ما ينقضه هو أن تلك الخلوة إنما كانت بعناية من الله له ليستعد لحمل أعباء الرسالة فيما بعد وقبل أن يكلف أيضا بدعوة الناس وإقامة شعائر الدين وأن الرسول ﷺ بمجرد أن اختاره الله لتبليغ الدعوة كان محط أنظار الناس في كل لحظة من لحظات عمره المبارك وإلا فكيف انتشر الإسلام بعد ذلك ودخل الناس في دين الله أفواجا لو بقي على تلك الخلوة وبمفهوم الصوفية أيضا ، والحق أن المتصوفة ليس لهم مستند في تعلقهم بأساس تصوفهم سواء كان ذلك التعلق بالصحابة من أهل الصفه أو بالرسول ﷺ في خلوته في غار حراء ومن زعم أن بدايات التصوف كان الرسول ﷺ أو أهل الصفة فلا شك في خطئه . وإذا كان المتصوفة فيما يدعون يحبون الفقر والخرقة[2]، والانزواء في الزوايا والأربطة فإن الثابت المتواتر

---

(١) جمهرة الأولياء جـ ١ صـ ١٣١ .

(٢) ذكر السهروردي للبس الخرقة حقوقا لا يحتملها إلا من كان موفقا غاية التوفيق فيما يريد أن يوحي به السهروري في عوارف المعارف ص ٥٢ .

أن أهل الصفه في مجملهم كانوا كثيرا ما يشكون حالهم إلى رسول الله ﷺ على أمل أن يساعدهم على حياة طيبة في الدنيا تكون عونا لهم إلى الآخرة وقد أخبر الله عنهم أنهم يتولون وأعينهم تفيض من الدمع حزنا أن لا يجدوا ماينفقون، وقد تحقق لمعظمهم بعد ذلك مال وافر عملا منهم بقول الله تعالى: ﴿**ولا تنس نصيبك من الدنيا**﴾، واجتمعت لبعضهم ألوان الأطعمة المباحة ولم يزهدوا عن الدنيا نهائيا لأنهم يعلمون أن ذلك لا ينافي الزهد بينما معظم المتصوفة إنما يريد بإظهار ذلك الزهد وتلك الرهبانية الوصول إلى ما في أيدي الناس واستعباد أذهانهم وأفكارهم لازهدا حقيقيا عن الدنيا في أكثر أحوالهم حيث وجد لبعضهم بعد موتهم مدخرات كثيرة مما يتنافى ودعوى الزهد لأن الزهد الحقيقي هو ما كان عليه الرسول ﷺ وأصحابه من بعده فلا رهبانية ولا تواكل ولا تحريم لما أحله الله من الطيبات ولا استحلال مالم يرد به الشرع، وهذا هو الزهد لا إظهار الفقر والعوز كما يراه غلاة المتصوفة .

إن تلك الصلة بين الصوفية وأهل الصفة التي يزعمها السهروري والمنوفي محض خيال ذلك أن أهل الصفة ما كانوا يحبون الفقر ولا يحبون الانفراد والعزلة عن الناس وكيف يحبون العزلة والانفراد وهم في أكثر أماكن تجمع الناس وأيضا هل كان مكثهم في الصفة بمحض رغبتهم أم كانت حالة طارئة أملتها عليهم الظروف المعيشية ذلك أنه لا يخفى على طلاب العلم ـ أن أهل الصفة كانوا من الفقراء الذين لايجدون مأوى غير المسجد في الوقت الذي كانوا يبحثون فيه بكل جد من أجل الوصول إلى حال اليسار والغنى خصوصا وهم يتلون قول الله تعالى : ﴿ **ولا تنس نصيبك من الدنيا** ﴾، كما يسمعون قول المصطفى ﷺ: « **المؤمن القوي خير وأحب إلى الله من المؤمن الضعيف وفي كل خير**»[1]. وقوله أيضا : « **اليد العليا خير من اليد السفلى** » [2].

(١) أخرجه مسلم في صحيحه ج ٥ ص ٥٢٠ .

(٢) أخرجه البخاري جـ ٥ ص ٣٧٧ ومسلم وأبو داود والترمذي والنسائي وأحمد .

فما كان أحدهم يحمل الزنبيل على ظهره ويطوف بالبيوت في طلب رزقه متكاسلا عن العمل متكلا على ما في أيدي الناس أعطوه أم منعوه كما هي حال كثير من المتصوفة بعد أن فسدت فطرهم واختلت مفاهيمهم .

وحين صاروا كما مدحهم السهروردي بقوله :

« واتخذوا لنفوسهم زوايا يجتمعون فيها تارة وينفردون أخرى أسوة بأهل الصفة تاركين للأسباب متبتلين إلى رب الأرباب » [1].

وأما زعم المنوفي أن الله اختار أهل الصفة ليكونوا كذلك وهم أيضا قد اختاروا الفقر والمسكنة فهو زعم باطل يكذبه الله في القرآن الكريم وتكذبه السنة النبوية والتاريخ لقد كان من أهل الصفة من أصبح أميرا ومن أصبح غنيا ذا ثراء كبير ومال وفير ومن أصبح قائد جيوش جرارة وهم مع ذلك في قمة الزهد والخشوع لربهم .

---

(١) عوارف المعارف ص ٤٩ .

الفصل الرابع

أسماء الصوفية وسبب تسميتهم بها

من أشهر الأسماء لهذه الطائفة اسم « الصوفية » ولهم أسماء أخرى غير مشهورة على ألسنة الناس ومن تلك الأسماء التي أطلقت عليهم أو أطلقوها هم على أنفسهم :

١ - **الصوفية** : وهو الاسم المشهور الذي يشمل كل فرقهم وهم يرضون به ويتمدحون بالانتساب إليه وقد سبق تعليل هذه التسمية .

٢ - **أرباب الحقائق** : لزعمهم أنهم وصلوا إلى حقائق الأمور وخفاياها بخلاف غيرهم من الناس الذين أطلقوا عليهم اسم« أهل الظاهر »وأهل الرسوم»[١].

٣ - **الفقراء**:وهو اسم زعم السهروردي أن الله هو الذي سماهم به حيث قال:« وأهل الشام لايفرقون بين التصوف والفقر يقولون قال الله تعالى ﴿**للفقراء الذين أحصروا في سبيل الله**﴾ هذا وصف الصوفية والله تعالى سماهم فقراء»[٢].

٤ - **ويسمون شكفتيه في خراسان** نسبة إلى الغار قال السهروردي عن الصوفية في خراسان :« كان منهم طائفة بخراسان يأوون إلى الكهوف والمغارات ولا يسكنون القرى والمدن يسمونهم في خراسان شكفتية لأن شكفت اسم الغاريتسبونهم إلى المأوى والمستقر [٣].

٥ - **جوعية** قال السهروري وأهل الشام يسمونهم جوعية [٤].

٦ - **الملامية أو الملامتية** : وقد عنون المنوفي لها بقوله« أهل الملامة والملامتية»[٥].

والملامتية هي احدى تطور المذهب الصوفي ووساوسه المتشعبة وأمانيه

---

(١) انظر الصوفيه معتقدا ومسلكا ص ٣١ .
(٢) انظرعوارف المعارف ص ٤٢ .
(٣ ، ٤) عوارف المعارف ص ٤٨ .
(٥) جمهرة الأولياء جـ١ص١٢٢.

البـراقة وهذه الملامـة التي يعتنقـها بعض الصـوفيه ويتظاهـر بها هي في احـدى مفاهيمهـا النفاق بعينه يدخل فيه الشخص من حيث يشعـر أولا يشعر بل وسموه النفاق المحمود[1]، حين يأتي الصـوفي بما يلام عليـه لأجل أغراض سـامـية فـيمـا يزعمـون ولكن متى كـان النفاق محـمودا ، والملامتي حـسب المفهـوم الصوفي عرفه السهروري بقوله عن بعضـهـم « الملامتي هو الذي لا يظهر خيرا ولا يضمر شـرا » ثم قال : « وشـرح هذا هو أن الملامتـي تشربت عـروقه طعم الإخـلاص وتحقق بالصـدق فـلا يـجب أن يطلع أحـد على حـاله وأعــماله ، ولا يتم هذا الإخلاص إلا إذا أصـبح يستـوي عنده المدح والذم له من الناس وأن لا يفكر في اقتضاء ثواب العمل في الآخرة [2].

ويعللون لهذا بأنه مع الناس فـي الظاهر وهو مع الله في الباطن مهمـا كانت أفعاله في الظاهر ومن هنا يقول أبو سعيد الخراز :

« رياء العـارفين أفضل مـن إخلاص المريدين » وقـد شـرح السهـروري هذا الكلام بقوله ومـعني قوله أن إخلاص المريدين معلول برؤيـة الإخلاص والعارف منزه عن الرياء الذي يبطل الـعمل ولكن لعله يظهـر شـيئـا من حاله وعـمله بعلم كامل عنده فـيه لجـذب مريد أو معـاناة خلق من أخلاق النفس في إظهـاره الحال والعـمل وللعارفين في ذلك علم دقـيق لا يعرفـه غيـرهم فيـرى ذلك ناقص العلم صـورة رياء وليس برياء إنما هـو صريح الـعلم لله وبالله من غـيـر حـضـور نفس ووجود آفة فيه [3].

والصـحـيح أنه التـلاعب بعـقول النـاس والترويج لـلباطل بـأبطل منه وقلب للحقـائق إذ كان الأولى أن يغلظ ذنب العارف لا أن يكـون الرياء منه أفضل من غيـره ومتى كـانت دعوة المـصلحين تقوم على أسـاس مداهنة الناس ومـراءاتهم

---

(١) انظر الصوفية معتقدًا ومسلكًا ص ٣٣٤ .

(٢) انظر عوارف المعارف ص ٥٤ .

(٣) عوارف المعارف ص ٥٤ .

وأيضا كيف صح له أن يصف محض الرياء بأنه ليس رياء وإنما هو صريح العلم لله وبالله من غير حضور نفس فمن يقبل هذا الخداع ويتهم نظره وعقله ويصدق بأن تلك الحال التي اعترت الصوفي إنما هي من أجل أن يجذب المريد أو يريد أن يذل نفسه فمن أين يعلم الناس ذلك حتى يمكنهم أن يسموا الرياء عبادة لله ولهذا فإن من الثابت عندهم أن كل ما يصدر عن الصوفي ينبغي أن يفسر بخير حتى وإن كان فعل الفواحش فيجب الاعتقاد على أنه لم يفعل ذلك إلا لحكمة جليلة كما بين ذلك الشعراني في طبقاته وغيره من كبار الصوفية في تراجمهم لسادتهم عتاة الصوفية وفي هذا يقول الدباغ :

« إن غير الولي إذا انكشفت عورته نفرت منه الملائكة الكرام والمراد بالعورة العورة الحسية والعورة المعنوية التي تكون بذكر المجون وألفاظ السفه، وأما الولي فإنها لا تنفر منه إذا وقع له ذلك لأنه إنما يفعله لغرض صحيح فيترك ستر عورته لما هو أولى منه »[1].

ويؤكد الفوتي أن الواجب في حق المشائخ والأولياء - وهي كثيرة جدا منها:

١ - عدم الاعتراض على الشيخ في أي شيء يفعله ولو كان ظاهره حرام .

٢ - أن يكون المريد بين يدي الشيخ كالميت بين يدي الغاسل[2] وشروط أخرى يندى لها الجبين ويموت القلب حسرة على آلئك الذين أذلتهم الصوفية وملكت عليهم كل عرق ينبض بالحياء والحياة وذكر علماء التصوف أمثلة وأخبار كثيرة في وجوب التسليم والرضاء لكل ما يفعله الولي الصوفي مهما كان ذلك العمل وهو ما قرره الفوتي وعلى حرازم والشعراني والمنوفي وأبو يزيد البسطامي والسهروري وغيرهم من كبار الصوفية المجرمين في حق البشرية .

ومهما كان فإن الملامتية في حقيقتها إنما هي احدى مصايد الصوفية مهما زخرفوا القول فيها وقال ابن عربي عن هؤلاء الملامتية :

(١) الإبريز ص ٤٣ جـ ٢ .   (٢) انظر رماح حزب الرحيم جـ١ ص ١٣٢ .

« أنهم رجال قطعهم الله إليه وصانهم صيانة الغيرة عليهم لئلا تمتد إليهم عين فتشغلهم عن الله ، لقد انفردوا مع الله راسخين لا يتزلزلون عن عبوديتهم مع الله طرفة عين[1].

ويرى ابن عربي في فتوحاته المكية أن هذا الاسم أطلق عليهم لأنهم أخفوا مكانتهم الشريفة في العامة فكأن المكانة تلومهم حيث لم يظهروا عزتها وسلطانها[2].

وقد شبههم المنوفي في كتابه جمهرة الأولياء بأهل الكهف في فتوتهم وحالهم حين قال في التعريف بهم «الملامة نعت لأبدال أهل الفتوة واسم الملامية أو الملامتية أطلق على قوم يلومون أنفسهم مع حسن أحوالهم ونموها » وقد استفاض المنوفي في الأمثلة للملامتية وحشر كثيرا من الناس أمثلة للفتوة[3].

وقد قسم شيخ الإسلام الملامية إلى قسمين :

١ ـ ملامية يفعلون ما يحبه الله ورسوله ولا يخافون لومة لائم في ذلك وهؤلاء هم أهل الملام المحمود .

٢ ـ وملامية يفعلون ما يبغضه الله ورسوله ويصبرون على الملام في ذلك والصبر عليه وهؤلاء هم أهل الملام المذموم .

قال :« وبهذا يحصل الفرق بين الملامية الذين يفعلون ما يحبه الله ورسوله ولا يخافون لومة لائم في ذلك ، وبين الملامية الذين يفعلون ما يبغضه الله ورسوله ويصبرون على الملام في ذلك »[4].

---

(١) هذا النص عن مقدمة رسالة الملامتية تحقيق د . أبو العلا العفيفي ص ٢٠ وأما في الفتوحات المكية فإن النص يبدأ من قوله « لقد انفردوا مع الله » الخ جـ ٣ ص ٣٩ .

(٢) الفتوحات المكية جـ٣ ص ٤٠ .

(٣)جمهرة الأولياء جـ ١ ص ١٢٢ ـ ١٣٠ .

(٤) مجموع فتاوى شيخ الإسلام جـ١ ص ٦١ .

وأشار العلامة ابن الجوزي رحمه الله إلى مسلك من مسالك هؤلاء الملامية وهو ارتكاب المعاصي بحجة عدم لفت الأنظار إلى صلاحهم كما يتصورون فقال:

« وفي الصوفية قوم يسمون الملامتية اقتحموا الذنوب وقالوا : مقصودنا أن نسقط عن أعين الناس فنسلم من الجاه ، ثم قال معلقا على هذا الزعم الباطل: «وهؤلاء قد اسقطوا جاهم عند الله لمخالفة الشرع » [1].

(١) تلبيس إبليس ص ٣٦٣ .

الفصل الخامس

متى ظهر المذهب الصوفي

لقد تضاربت أقوال العلماء وتعددت مفاهيمهم حول الوقت الذي ظهرت فيه الصوفية وكل أدلى بدلوه حسبما ترجح لديه والواقع أنه لا يعرف بالتحديد الدقيق متى بدأ التصوف في المسلمين ولا من هو أول متصوف وقد تقدم ذكر السبب في عدم اتفاق العلماء على تاريخ ظهور أي فرقة من الفرق بالتحديد الدقيق السالم من الاختلاف ، ونظرا لكثرة تلك التحديدات لظهور الصوفية وما تتطلبه من دراسة قد تأخذ حجما كبيرا فقد رأيت أن أذكر الأقوال في بدأ نشأتهم سردا مجردة عن الدراسة التفصيلية فقد لا يتعلق بها غرض كبير بقدرما يتعلق الغرض بذكر آرائهم وإبطال الخاطيء منها وبيان بعد بعضها عن الدين الإسلامي الحنيف والتحذير من الاغترار بها وعدم الركون إلى زخرف القول فيها لأنها من وحي الشياطين إلى أوليائهم وفيما يلي ذكر تلك التحديدات من أقوال العلماء :

١ ـ أن هذه التسمية عرفت قبل الإسلام مرادا بها أصحاب الفضل والشرف .

٢ ـ أن المذهب الصوفي ظهر سنة ١٥٠ هـ .

٣ ـ أن المذهب الصوفي ظهر سنة ١٨٩ هـ .

٤ ـ أن المذهب الصوفي ظهر بعد المائتين من الهجرة .

٥ ـ أن المذهب الصوفي ظهر قبل المائتين من الهجرة .

٦ ـ أن المذهب الصوفي ظهر بعد القرون الثلاثة الأولى أي في القرن الرابع الهجري .

٧ ـ أنه اشتد بعد النصف الثاني من القرن الثامن والتاسع والعاشر حين ظهرت آلاف الطرق الصوفية .

٨ ـ أن التصوف كان معروفا في زمن النبي ﷺ كما قال الهجويري من علماء الصوفية وهذا من أبطل الأقوال [١].

والذي يظهر لي من بين هذه الاختلافات أن التصوف ظهر بعد الإسلام في شكل زهد ورغبة في الدار الآخرة وكبح جماح النفس في حب الدنيا مهما أمكن. ثم صارت الأمور على هذا المفهوم ثم لحقه ما يلحق غيره من سائر المبادئ والأفكار من حب التطوير وإدخال شتى المفاهيم بقصد تهذيب الفكرة وتقديمها في شكل متكامل بغض النظر عن مطابقتها للحق أو مجانبتها له .

على أن أقطاب التصوف وهم يبنون هذا المسلك لم يوفقوا إلى الابتعاد عن شتى التيارات والأفكار المخالفه للإسلام والتأثر بها وظهورها واضحة جلية في معتقداتهم وسائر سلوكهم على المستوى الفردي أو الجماعي ـ بعد أن تنوين الأساس الذي قام عليه المذهب في أوله .

وعلى كل ما ورد من الأقوال فإن العلماء على أن التصوف ليس له وجود في عهد النبي ﷺ على الصحيح من أقوالهم إذ من المحال أن يتشرف أحد من الصحابة بالانتساب إلى غير صحبة النبي ﷺ وأن هذه التسميه حدثت بعد ذلك حين لبس إبليس على أولئك القوم وصاروا أحزابا كل حزب بما لديهم فرحون.

ومن هنا يذكر السهروري ظهور الصوفية بقوله :

« وهذا الاسم لم يكن في زمن رسول الله ﷺ وقيل كان في زمن

---

(١) انظر كشف المحجوب للهجويري ص ٧٧٢ / التصوف الإسلامي وتاريخه تأليف نيكلسون ترجمة أبو العلا العفيفي ص ٣/ دائرة المعارف الإسلامية جـ٥ص٢٦٦، اللمع للطوسي ص ٤٢، الرسالة القشيرية جـ ١ص٣ ، عوارف المعارف للسهروري ص ٦٣ ، الصوفية والفقراء ص٥، وانظر الفكر الإسلامي ص٣٣-٣٦عبد الرحمن عبد الخالق، التصوف المنشأ والمصادر ص٤٠-٤٨ الفصل الرابع للشيخ / إحسان إلهي ، الصوفية معتقدا ومسلكا صـ٥٣ بعنوان «حول التصوف في التاريخ الإسلامي » د . صابر طعيمة.

التابعين... وقيل لم يعرف هذا الاسم إلى المائتين من الهجرة العربية لأن في زمن رسول الله ﷺ كان أصحاب رسول الله ﷺ يسمون الرجل صحابيا لشرف صحبة رسول الله ﷺ (١).

ويقول المنوفي :« ولم تطلق كلمة صوفية على جماعة بعينها إلا في القرن الثاني للهجرة»(٢).

وهذا ما يذكره شيخ الإسلام رحمه الله بقوله :

« أما لفظ الصوفية فإنه لم يكن مشهورا في القرون الثلاثة وإنما اشتهر التكلم به بعد ذلك » (٣).

وكذلك يذكر أيضا أن التصوف أول ما اشتهر كان في البصرة حتى قيل فقه كوفي وعبادة بصرية، وأن الصوفية ما ظهرت من البصرة لأن بعض هؤلاء كان إذا سمع القرآن يصعق وبعضهم يخر ميتًا كما حدث ذلك لغير الصوفيه أيضا وقد حدث أن قاضي البصرة زرارة ابن اوفى قرأ في صلاة الفجر﴿ **فإذا نقر في الناقور**﴾فخر ميتا.وقد أنكر الصحابة الموجود منهم في ذلك الوقت هذا السلوك ومقتوه أشد المقت قال ابن تيمية : «ولم يكن في الصحابة من هذا حاله » (٤).

وقد تقدم في حديث العرباض بن سارية وصف حال الصحابة حين سماعهم للقرآن الكريم ولخطب النبي (ﷺ) وهم أعرف الناس بالحق وأخشعهم لله وأبعدهم عن مفتريات الصوفية وشركياتهم .

ولقد بين علماء السلف كل ذلك أكمل بيان ، ولا زال علماء الحق أيضًا يجاهدون التصوف بأفكارهم وأقلامهم وإبطال الفكر الصوفي الباطني المتمثل في تقديس القبور والمزارات والأولياء ودعوى علم الغيب وختم الولاية إلى آخر

---

(١) عوارف المعارف ص ٤٨ .

(٢) جمهرة الأولياء جـ ١ ص ٢٦٩ .

(٣) مجموع الفتاوى جـ ١١ ص ٥ .

(٤) انظر الصوفية والفقراء ص ١٥ / ١٦ .

أفكار الصوفية المنحرف منها . وكان لهؤلاء العلماء من أمثال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله في القرن الثامن وتلميذه ابن القيم وابن كثير والحافظ الذهبي والحافظ المزي وغيرهم من العلماء وممن جاء بعدهم كالشيخ المجدد محمد بن عبد الوهاب في القرن الثاني عشر حيث كان لعلماء الحق من هؤلاء رحمهم الله وغيرهم الباع الطويل في كسر شوكة التصوف وبيان انحراف المتصوفة عن الحق ، وتحذيرهم لأفكار المسلمين وإذلال مشائخ التصوف لهم إلى حد العبودية كما سيتضح ذلك من خلال هذه الدراسة للصوفية .

الفصل السادس

حقيقة التصوف

لقد مضى زمن رسول الله ﷺ وزمن الصحابة والتابعين لهم بإحسان ولم يعرف عنهم أي سلوك يتميزون به غير اتباع الكتاب والسنة والتشرف بنسبتهم إلى ذلك غير ملتفتين إلى التنطع في سلوكهم أو مخترعين طرائق ورهبانية مبتدعة.

إلى أن أحدث أناس في الدين بدعة التصوف منحرفين عن المنهج السليم وراحوا يتخبطون في دوائر وهمية وفرق عديدة وأحزابًا متناحرة كل حزب بما لديهم فرحون .

وقد أخذ كل فريق من هؤلاء يعبر عن التصوف حسب ما يراه ويطول سرد تلك المفاهيم والتعبيرات والأقوال التي صدرت عن أقطاب هؤلاء كالجريري والجنيد وعمرو بن عثمان المكي ومحمد بن على القصاب ومعروف الكرخي والسهروردي والشبلي والشاذلي والتجاني والبسطامي وابن عربي وابن الفارض وغيرهم ولهذا فإن العلماء لم يتفقوا على بيان محدد لمفهوم التصوف عند الصوفيين وذلك لإطلاق هؤلاء الصوفية عبارات شتى حسب ذوق كل فريق وتخيلاته لمفهوم التضوف إلا أن الحصيلة العامة لأقوالهم تلتقي حول أن التصوف هو القرب من الله وترك الاكتساب والتمسك بالخلق الرفيع والجود ورفع التكاليف عن بعض فضلائهم حين يتصلون بالله عز وجل على حد زعمهم ويصلون إلى درجة اليقين وظهور المكاشفات ثم هم بهد ذلك درجات في تطبيق هذا المفهوم ولقد ذكر القشيري في « رسالته » عدداً من الآراء الصوفية في مفهوم التصوف والصوفي حيث قال :

« وتكلم الناس في التصوف ما معناه وفي الصوفي من هو ؟ فكل عبر بما وقع له واستقصاء جميعه يخرجنا عن المقصود من الايجاز وسنذكر هنا بعض

مقالاتهم فيه على حد التلويح » .

وإذا كان القشيري قد اعتذر عن إيراد كل ذلك لكثرته مكتفيا بذكر بعض مقالاتهم فإنني أنا كذلك أعتذر عن إيراد كل ما ذكره القشيري لكثرته أيضا واذكر من ذلك مانقله عن الجنيد أنه قال :

« إذا رأيت الصوفي يعني بظاهره فاعلم أن باطنه خراب » .

وقال القشيري :

« سمعت أبا حاتم السجستاني يقول : سمعت أبا نصر السراج يقول : سئل ابن الجلاء ما معنى قولهم صوفي ؟ فقال ليس نعرفه في شرط العلم ولكن نعرف أن من كان فقيرا مجردا من الأسباب وكان مع الله تعالى بلا مكان ولا يمنعه الحق سبحانه عن علم كل مكان ، يسمي صوفيا » . ونقل عن أبي يعقوب المزابلي أنه قال « التصوف حال تضمحل فيها معالم الإنسانية » .

وقال القشيري أيضا : « سمعت الأستاذ أبا على الدقاق رحمه الله يقول أحسن ما قيل في هذا الباب قول من قال : هذا طريق لا يصلح إلا لأقوام قد كنس الله بأرواحهم المزابل[1]، ولهذا قال رحمه الله يوما : « لو لم يكن للفقير إلاروح فعرضها على كلاب هذا الباب لم ينظر كلب إليها » .

وعن الاستاذ أبي سهل الصعلوكي أنه قال :

« التصوف الإعراض عن الاعتراض » .

قال القشيري :

« ويقال الصوفي المصطلم عنه [2]، بما لاح له من الحق » [3].

وهناك أقوال أخرى ذكرها القشيري كلها تدور حول مدح التصوف وبيان

---

(١) هكذا العبارة : أي لاقيمة لهم في نظر الناس .
(٢) اي المستغرق عن نفسه .
(٣) الرسالة القشيرية ص ٥٥٠ ـ ٥٧ جـ ٢ .

تعلقات الصوفية ومفاهيمهم حول المولى جل وعلا وحول هذا الكون وواجبات الصوفي واهتماماته الدنيوية والأخروية صيغت بزخرف من القول وإيغال في الخيال في بعضها وحكم جيدة في البعض الآخر .

وأما السهروردي فقد أورد باباً خاصا في كتابه عوارف المعارف قال فيه: «الباب الخامس في ماهية التصوف » .

وقد أكد في هذا الباب على أن أساس التصوف هو الفقر حيث قال: «فالفقر كائن في ماهية التصوف وهو أساسه وبه قوامه » ، و نقل أقولا كثيرة عن صفة هذا الفقر الصوفي منها : ما قاله الشبلي حين سئل عن حقيقة الفقر فقال : «أن لا يستغنى بشيء دون الحق » .

ونقل عن مظفر القرميسني أنه قال: « الفقير الذي لا يكون له إلى الله حاجة»[1]؟

وقال السهروري :

« وقيل التصوف ذكر مع اجتماع ووجد مع استماع وعمل مع اتباع » الخ ما ذكر مما قدمنا ذكره عن القشيري وقد أضاف أوصافا أخرى لا ضرورة لذكرها[2].

وأما حقيقة التصوف وأصله عند غغير الصوفية فقد اختلفت وجهة نظر العلماء في الحكم عليه .

وأهم ما قيل في ذلك :

١ ـ أن التصوف على الاطلاق أساسه الإسلام وأن أصوله العقدية وسلوكهم فيه مستمدة من نصوص الكتاب والسنة وما أدى إليه الاجتهاد في فهمها.

---

(١) أي لا نشغاله بطاعة الله عن طلبه له حسب التفسير الصوفي .

(٢) انظر عوارف المعارف ص ٤٠ ـ ٤٤ .

وهذا القول قريب من وجهة نظر الصوفية ومفهومهم فيه رغم اعتراف بعضهم بتأثر التصوف ببعض التيارات الفكرية الخارجة عن الإسلام .

٢ ـ أن التصوف على الاطلاق ليس إسلامي النشأة ، وإنما وفد على البيئة الإسلامية مع ماوفد من عادات وتقاليد الأجناس الأخرى بعد ما امتزجت واختلطت عقب الفتح الإسلامي .

وعلى هذا الرأي بعض الملاحظات ـ فقد ينطبق هذا الرأي على ذلك النوع من التصوف الذي قام على أساس من الغلو والانحراف الذي جاء به أصحاب وحدة الوجود والحلول والاتحاد مع تظاهرهم بالانتساب إلى الإسلام وتقديسهم لنبي الإسلام محمد ﷺ ولعل سبب هذا القول إنما يعود إلى الواقع الذي اشتمل عليه مفهوم التصوف وقد يبدو للناظر أنه يوجد لكل من القولين السابقين ما يبررهما في العقائد الصوفية وأهل هذا القول يرجعون نشأة التصوف إلى أنه فارسي أو هندي أو يوناني أو مسيحي أو أنه مزيج من هذا كله وعلى رأس هذا الفريق كثير من المستشرقين ومن غيرهم أيضا .

ومما نكتفي بالإشارة إليه هنا بغض النظر عن ترجيح نشأة التصوف وحقيقته أن الطريقة الصوفية قد تأثرت كثيراً بالآراء والأفكار المخالفة للإسلام حيث تظهر فيها تلك الأفكار واضحة جلية في جوانب كثيرة في الاعتقاد والسلوك خصوصا الأفكار الهندية والفارسية واليونانية والمسيحية كما سيتضح ذلك من دراستنا لهذه الطائفة بعد أن كان التصوف في بدء أمره عند بعض المسلمين عبارة عن الزهد عن الدنيا والرغبة في الآخره وقتل هوى النفس والاتجاه إلى الله ولبس الصوف لتعويد النفس على التحمل والمكابدة إلى أن أخذ يتطور في الانحدار والبعد عن حقيقة الإسلام في كثير من الأمور التي طرقها التصوف فأصبح مذموما ثفر عنه أهل الحق لخلط المتصوفة بين الزهد والتصوف الغالي إذ الزهد المشروع لم يذمه أحد وتوجه الذم إلى التصوف رغم تظاهر المتصوفة

بالزهد حتى صار أطيب الطعام عندهم ما كان عن ذل السؤال وحمل الزنبيل والتسول والانزواء في أماكن عبادتهم وانتظار ما يجود به الناس عليهم ويظنون أنهم يحققون بذلك التوكل الذي يريده الله ، وهم في الحقيقة إنما يحققون التواكل والكسل البغيض عن طلب الرزق واعزاز النفس إضافة إلى الابتعاد عن تعاليم الدين الإسلامي الحنيف وما يهدف إليه من إيجاد اليقين بعزة النفس وكرامتها في الدنيا والآخرة .

ومهما قيل عن حقيقة التصوف فإننا سندرس أهم الآراء الصوفية بتفصيل يتضح به الحكم على الصوفية بصورة جلية من واقع كلامهم وسلوكهم إن شاء الله تعالى.

الفصل السابع

أقسام المتصوفة وذكر طرقهم واختيار الطريقة التجانية نموذجا ودراستها دراسة شاملة من واقع كتبهم

الصوفيون طوائف عديدة وأهواء متباينة شأن كل أصحاب البدع حين يتركون المنهج الذي شرعه الله لعباده .

ولقد اختلف العلماء في عدهم لأقسام وطرق التصوف اختلافا واسعا إذ تجد بعضهم يعدهم قسمين وبعضهم يعدهم ثلاثة أقسام وبعضهم يوصلهم إلى ستة أقسام .

وهذا الاختلاف سببه تنوع مصادر الصوفية وتنوع أفكارهم فبعض الصوفية تابعون للمذهب الإشراقي الذي يدعي أن المعرفة والعلم تقذف في النفس بسبب طول المجاهدة الروحيه إذ يحصل لها بذلك فيض وإشراق إلهي ومذهبهم أشبه ما يكون بالمذهب البوذي في رياضه النفس وحملها على المكاره هذا قسم من الصوفية وقسم آخر بعض العلماء يعبر عنهم بصوفية الحقائق وهم من صفوا من الكدر وامتلؤا من الفكر كما يدعون على طريقة الفلسفه الهندية وقسم آخر من الصوفية قائلون بالحلول أي دعوى أن الله تعالى عن قولهم حل في مخلوقاته وأن أرواحهم لاهوتية وأجسامهم ناسوتية .

ومن أكابر أهل هذا المذهب الرديئي ، الحلاج حين قال في تفسير هذا الحلول:

سبحان من أظهر ناسوته ... سر سنا لا هوته الثاقب

ثم بدا في خلقه ظاهراً ... في صورة الآكل والشارب

حتى لقد عاينه خلقه ... كلحظة الحاجب بالحاجب

وصوفية وحدة الوجود هم القائلون بأن الموجودات كلها تمثل الباري عز

وجل ، وفي أولهم ابن عربي وهو من المؤسسين لمذهب وحدة الوجود يقول في تقرير ذلك في كتابه الفتوحات المكية .

العبد رب والرب عبد   ياليت شعري من المكلف

إن قلت عبد فذاك رب   أو قلت رب فأني يكلف

وقد قسم شيخ الإسلام الصوفية إلى ثلاثة أقسام هم :

١ ـ صوفية الحقائق   ٢ ـ صوفية الأرزاق   ٣ ـ صوفية الرسم

وقال عن القسم الأول :

« فأما صوفية الحقائق فهم الذين وصفناهم ولعله يقصد بذلك ما قدم من ذكر خلاف الناس في الحكم على الصوفية والتصوف حيث قال : « ولأجل ما وقع في كثير منهم من الاجتهاد والتنازع فيه تنازع الناس في طريقهم فطائفة ذمت الصوفية والتصوف وقالوا إنهم مبتدعون خارجون عن السنة ...» قال : « وطائفة غلت فيهم وادعوا أنهم أفضل الخلق وأكملهم بعد الأنبياء » ثم قال في بيان حكمه عليهم بعد ذكر هذا الخلاف :

« وكلا طرفي قصد الأمور ذميم والصواب أنهم مجتهدون في طاعة الله تعالى كما اجتهد من أهل طاعة الله » الخ ما ذكره عنهم .

ولعل هذا الحكم منه إنما ينطبق على التصوف في بدء أمره حينما كان بمعنى الزهد والاجتهاد في العبادة .

ثم قال عن القسم الثاني منهم :

« وأما صوفية الأرزاق فهم الذين وقفت عليهم الوقوف كالخوانك فلا يشترط في هؤلاء أن يكونوا من أهل الحقائق فإن هذا عزيز وأكبر أهل الحقائق لايتصدون بلوازم الخوانك ولكن يشترط فيهم ثلاثة شروط » ، ثم ذكرها وهي

وجود العدالة الشرعية فيهم والتأدب بآداب الشرع وأن لايكون متمسكا بفضول الدنيا .

ثم قال عن القسم الثالث منهم :

« وأما صوفية الرسم فهم المقتصرون على النسبة فهمهم في اللباس والآداب الوصفية ونحو ذلك[1] ، أي أنهم يتشبهون بالصوفية في الظاهر ويعرفون أقوالهم ولكنهم خارجون عن طريقهم همهم جمع الأموال والاحتيال على الجهال بأمرهم.

وهذا التقسيم واضح جلي إلا أنه ليس فيه توضيح وبيان لمدي ما وصلت إليه العقيدة الصوفية فيما بعد ومدى تأثرها بالينابيع والمصادر الخارجة عن الإسلام.

لقد أصبح من الصعب جدا تمييز طوائف التصوف أو الحكم عليهم بحكم واحد شامل لجميع فرقهم وعقائدهم المتشعبة ، إذ لا يمكن معرفة كل قسم من أقسام التصوف قائما بنفسه متميزا عن غيره إلا من خلال « الطرق » الكثيرة والتي هي تعبير عن التزام مجموعة من الاتباع أو المريدين بشيخ يجعلونه قدوتهم وينفذون ما يوجبه عليهم من أذكار وسلوك وقد تتفق طريقته مع بعض الطرق وقد تختلف عنها ، والطرق الصوفية لم تقف عند حد أو مفهوم فهي دائما في ازدياد وتجدد إذ كل من ابتدع طريقا وجد له اتباعا يتسمون باسمه أو باسم طريقته، وقد ذكر الشيخ أبو على حسن بن على العجيمي الحنفي طرق الصوفية فعد منها أربعين طريقا في رسالة له وقد لخصها الشيخ أبو سالم العياشي في رحلته وقد أوصلها غيرهم إلى أكثر من ذلك .

وبعد أن ذكر على بن محمد الدخيل الله ذلك قال :

« والحق أن الطرق الصوفية كثيرة جدا بحيث يصعب حصرها إذ لكل من

---

(١) الصوفيه والفقراء ص ٣٣ .

عن له أن يبتدع طريقا فعل وسماها باسمه واسم قبيلته أو عشيرته وهذا مشاهد بكثرة في أفريقيا إذ بين فترة وأخرى تخرج طريقة جديدة تحمل اسما جديدا ولهذا أوضاع معينة وأوراد مقررة » [1].

وذكر الدكتور صابر طعيمة ما مجموعه ٦٦ طريقة وقال :

« وأما الطرق الصوفية الحديثة فمن العسير تسجيل أسماء معظمها في كتاب ويكفي أنه في النصف الثاني من القرن الرابع عشر الهجري قد بلغ عد الطرق الصوفية في بلد واحد أكثر من مائة طريق [2].

ثم أخذ يعد منها ٥٢ طريقة نقلا عن المنوفي في كتابه جمهرة الأولياء الذي ذكر فيه قسما كبيرا من طرقهم تحت عنوان « هذا بيان بشيوخ الطرق الصوفية في عصرنا » [3].

وكل الطرق الصوفية ناتجة عن الهوى ونابعة منه ومبنية على الرغبة في الزعامة والعلو في الأرض واستعباد الناس وصار زعماء الصوفية في مجموعهم يحرصون حرصا شديداً على هذه الزعامة الروحية ووصل بهم الحرص عليها أن جلعوها وراثية وكأنها جزء من المال الذي يخلفه الميت على حد ما أورده محمود أبو الفيض المنوفي الحسيني فإنه قال بعد سرده الطويل لطرق الصوفية وأسماء مشائخها قال بعدها : « وكل هذه الطرق تنسب كل واحدة لولي من الأولياء رضي الله عنهم وقد يرثها حفيد أوسبط لولي من آلئك الأولياء فيكرمه الله سبحانه وتعالى بكرامة آبائه وأجداده الصالحين فإن سار على دربهم أكرمه الله مثل ما أكرمهم وأن فرط أو قصر أكرمه الله لأجلهم [4]، وهذا جهل شنيع

---

(١) انظر التجانية ص ٢٨ وقد ذكر من طرق الصوفية أربعا وثلاثين طريقة .

(٢) الصوفية معتقدا ومسلكا ص ٤١ - ٤٣ .

(٣) انظر جمهرة الأولياء جـ ١ ص ٢٧٥ -٢٧٧ صدر ذكر تلك الطرق بقوله : « وهذا بيان بشيوخ الطرق الصوفية في عصرنا » .

(٤) جمهرة الأولياء وأعلام أهل التصوف جـ ٢ ص ٢٧٧ .

وكذب من أشد أنواع الكذب فإن هذه المحاباة التي افترضوها على الله تعالى إنما هي من جنس الهوس والأماني الباطلة والقرآن مملؤ بالرد على مثل هذه الافتراءات والسنة كذلك ترد مثل هذه الأفكار الجاهلية فالقرآن يصرح بأن ﴿**كل امرئ بما كسب رهين**﴾ وأن كل نفس لها ما كسبت وعليها مااكتسبت.

وأن صلاح الآباء ـ إن كانوا صالحين بحق لايغني عن الأبناء إن لم يكونوا كذلك وقد صرح الرسول ﷺ لقرابته أنه لايملك لهم من الله شيئا وأن عليهم أن لا يتكلوا على الأنساب بل عليهم أن يحذروا الله عز وجل وأن يتقربوا إليه بالأعمال الصالحه إذ لو كانت الأنساب تغني لما هلك والد إبراهيم وابن نوح على نبينا وعليهما الصلاة والسلام وهذا رد صريح على ما يزعمه الصوفيون من التقرب إلى الله بولاية القطب الفلاني أو الغوث الفلاني وأن الله يفيض حتي على العصاة منهم إكرامًا لآبائهم وأن الذي جرأهم على هذا هو قلة خوفهم من الله تعالى واستحلالهم الكذب في سبيل مدح أوليائهم بالحق وبالباطل، وقد قال عبد الرحمن عبد الخالق في بيان تاريخ نشأة الطرق الصوفية ونظامها الوراثي «وقد قيل أن أول صوفي وضع نظام الصوفية هو الصوفي الإيراني محمد أحمد المهيمي المتوفي سنة ٤٣٠ هـ والمعروف باسم أبي سعيد فقد أقام في بلدته نظاما للدراويش وأقام بناءً للصوفية بجوار منزله وسن نظام تسلسل الطرق عن طريق الوراثة وبين كثيرا من أمور التربيه الصوفية. بل هو من أوائل من كتب في طريقة التربية الصوفية وهو أكبر من عبد الكريم القشيري صاحب الرسالة القشيرية[1].

ومن طرق الصوفية الكثيرة:

الطريقة التجانية:

وسندرسها بإيجاز جدا كمثال للطرق الصوفية التي تعتم واجهة الإسلام

---

(١) الفكر الصوفي في ضوء الكتاب والسنة ص ٣٤٩.

المشرقة لدى كثير من جهلاء المسلمين الذين جرفهم تيار التجانية وأذلتهم واستعبدتهم واوصلتهم إلى مآسي يندى لها الجبين ولقد وقفت بنفسي على بعض مايتعبد به التجانيون من طاعة مشائخهم وإحياء خرافاتهم التي ما أنزل الله بها من سلطان وشدة تعصبهم لها ونفورهم عن كل من يريد أن يسدي لهم النصيحة خروجا عن كتمان الحق ، وهذه الطريقة التي لها الأمر والنهي في أقطار كثيرة من بلاد أفريقيا بخصوصها .هي نسبة إلى شخص يسمى أحمد بن محمد بن مختار التيجاني ولد سنة ١١٥٠هـ بقرية عين ماضي وينسب إلى بلدة تسمى «بني تجين» من قرى البربر ولم يترك هذا التيجاني بدعة قديمة ولاحديثه للتصوف إلا ادعاها وزخرف القول فيها ولم يترك فضلا مزعوما ادعاه شيخ صوفي لنفسه إلا وادعاه هو لنفسه وزاد عليه[1] ، ولقد ادعي أمورا كثيرة يطول الحديث لو بسطت وإنما نشير إليها إجمالا فيما يأتي :

١ ـ ادعى أنه خاتم الأولياء جميعا وهي دعوى كاذبة مبنية على فهم خاطيء وقياس باطل فزعم أن الولاية لها ختم كختم النبوة ومحمد رسول الله ﷺ خاتم الأنبياء والتيجاني خاتم الأولياء فلا ولي بعده .

٢ ـ أنه الغوث الأكبر في حياته وبعد مماته وقد جعل نفسه بهذه الدعوى وثنا يعبد من دون الله .

٣ ـ أن أرواح الأولياء منذ آدم إلى وقت ظهوره لا يأتيها الفتح والعلم الرباني إلا بواسطته هو وهذا نهاية الحمق والقول على الله بغير علم والاستهانة بعقول الناس وخداعهم .

٤ ـ زعم متطاولا أن قدمه على رقبة كل ولي لله تعالى منذ أن خلق آدم إلى النفخ في الصور وربما يجازي بهذا الكبر أن يحشر في صورة الذرة كما هو جزاء المتكبرين .

---

(١) انظر الفكر الصوفي ص ٣٥١ .

٥ ـ أنه هو أول من يدخل الجنة هو أصحابه وأتباعهم وصدق عليهم قول الله ﴿**تلك أما نيهم**﴾ .

٦ ـ أن الله شفعه في جميع الناس الذين يعيشون في قرنه الذي عاش فيه .

٧ ـ أن الرسول ﷺ أعطاه ذكرا يسمى « صلاة الفاتح » يفضل كل ذكر قرئ في الأرض ستين ألف مرة بما في ذلك القرآن الكريم والذكر المزعوم هنا ـ صلاة الفاتح ـ ذكر مبتدع سيء التركيب ركيك العبارة وهو لايعد و ثلاثة أسطر وهو :

« اللهم صلي على سيدنا محمد الفاتح لما أغلق والخاتم لما سبق ناصر الحق بالحق الهادي إلى صراطك المستقيم وعلى آله حق قدره ومقداره العظيم » .

هذا هو الذكر الهائل عنده الذي ألهمه الله حسب زعمه ، أو علمّه به النبي ﷺ يقظة لا مناما ثم فضله على كل ذكر ، ولقد رأيت أتباعه وهم يجلسون في يوم الجمعة ـ من بعد صلاة العصر إلى المغرب وهم يرددون هذا الكلام بصوت جماعي ومرتفع جدا يسمع من مكان بعيد ثم ينصرفون وهم لا يشكون في أنهم من أعظم الخلق عبادة وأجرا عند الله واستبدلوا الذي هو أدنى بالذي هو خير .

فما الجديد في هذا الذكر وما معنى تلك الكلمات الجوفاء وذلك التركيب المفكك الواقع أنه ليس فيها ما يستحق ذلك الأجر العظيم الذي لا يعده الحاسبون حسب ما قدروه لصلاة الفاتح ومع ذلك فهو يزعم أنه تلقاه عن الله وعن رسوله محمد ﷺ والقرآن الكريم مملؤ بالأدعية الشرعية النافعة الفاضلة وكتب الحديث مملؤة بالأذكار النبوية الصحيحة التي يؤجر صاحبها على قولها وتجاب دعوته اشتملت على أنواع التوحيد بأحسن الألفاظ وأشمل المعاني ممن أوتي جوامع الكلم الذي لا ينطق عن الهوى إن هو إلا وحي يوحى .

ثم لم يقف التجاني عند هذا الحد في غلوه في تقدير نفسه وفي تقدير ماجاء به من خرافات وأذكار في صلاة الفاتح المزعومة أنها من الله تعالى وأن لها ذلك

الفضل الذي لا يصفه الواصفون وفي غيرها من الأذكار الأخرى بل زعم أيضا أن أتباعه لا تكتب عليهم سيئات ماعملوا بل يدخلون الجنة مهما عصوا وبغير حساب ولا عقاب ولو عملوا من الذنوب ماعملوا بضمانة رسول الله ﷺ له كما زعم لنفسه.

وهذا الهوس هو من جنس هوس اليهود الذين زعموا أن الله لا يعذبهم إلا أياما معدودة إن عذبهم ـ لأنهم شعب الله المختار ـ كما يعتقدون ويتشدقون بالتمدح بذلك في التلمود وفي غيره من كتبهم المقدسة عندهم ثم يدعي التيجانيون كرامات لم يقل بها حتى أفضل الرسل محمد ﷺ ومنها أن من رأى التيجاني يومي الاثنين والجمعة فإنه يكون من أهل الجنه إكرامًا للتيجاني حتى وإن كان الرائي كافرا لأنه لا يتمكن من رؤية التجاني في هذين اليومين إلا من سبقت له السعادة في علم الله تعالى كما قرره على حرازم والفوتي وهذه الدعوى لهذا الضال من غرائب الأمور.

ولو كانت له ولأتباعه أفهام لعلموا أن الرسول ﷺ وهو أفضل البشر لم يقل ذلك وأنه كان يراه المؤمن والكافر في كل أيامه ويبقى المؤمن مؤمنا والكافر كافرا إلى أن يؤمن ولم يقل ﷺ بما قاله التيجاني المذكور.

ومن خرافات التيجاني: زعمه أنه يرى الرسول ﷺ في كل وقت يشاء وأن الرسول ﷺ يجالسهم ويحضر سمرهم ولهوهم ويلقي عليهم أذكارهم وأدعيتهم الشركية والخرافية حسب ما يفترون ولقد صرف التيجانيون الناس عن الهدى والطريق الصحيح وملؤا أذهانهم بشركيات وخرافات لا تمت إلى الدين الإسلامي بأي علاقه وجنوا على عقائد المسلمين بما ألقوه في قلوبهم من الرجوع إلى الوثنية والخرافات الجاهلية والتعلق بغير الله تعالى وصرف أنظارهم عن واقعهم المتردى من حيث لا يشعر هؤلاء الأتباع ولقد انتشرت هذه الطريقة الضالة في شمال ووسط وغرب أفريقيا وضمت تحت لوائها ملايين كثيرة من

أبناء المسلمبن الذين أصبحوا لاهم لأحدهم إلا أن يأخذ بطريقة شيخه ليضمن دخول الجنة بغض النظر عن العمل وصحته ثم جاء من بنى على هذا الواقع الفاسد وزعم أنه صاحب الفيض التجاني الذي بشر به التجاني وأن أتباعه هو الآخر يدخلون الجنة جميعا بغير حساب ولا عقاب ولو كانوا على أي ملة قبل ذلك ومن هؤلاء الذين ادعو هذا الفيض المزعوم الحاج إبراهيم السنغالي والذي كان له شأن عظيم وحركة قوية وبسط دعوته تلك في أصقاع واسعة من القارة الأفريقية.

وإلى جانب الطريقة التجانية طرق كثيرة كما ذكرنا من قبل يحتاج بيانها إلى عدة صفحات وهي في جملتها لا تخرج عن هوس وتخبطات التجانية .

وقد استحسنت هنا ذكر بعض الأمثلة من كتب الصوفية التجانية تمثل أنواعا من الآراء والمفاهيم التي يحرصون عليها دون مبالاة فيها من الغلو والانحراف وقد وقع اختياري على قراءة وتمحيص ما في جواهر المعاني تأليف على حرازم ورماح حزب الرحيم تأليف الفوتي وكتيب الهداية الربانية في فقة الطريقة التجانية حيث أضع العنوان المناسب ثم أنقل تحته ما يدل عليه من كلام علماء التجانية وأوضح ما يميز الانحراف في كتب التجانية هو الغلو الفاحش في أئمة الصوفية التجاني وغيره ومدحهم بما لا يليق إلا بالله العظيم من علمهم المغيبات وأنواع العلوهم والمعارف التي لا يدركها إلا الله عز وجل وبالتالي ذكر مدائح لهم وهي في الحقيقة ذم ما بعده ذم تدل دلالة صريحة على بعدآلئك الأئمة ومجونهم واستهتارهم بعقول الناس وخروجهم عن أدنى حد الأدب مع الله ومع رسوله ومع سائر الناس .

قال على حرازم في كتابه « جواهر المعاني » عن السيد أحمد بن محمد بالفتح جد أحمد التيجاني :

« وقد حكى عنه رضي الله عنه أنه كان له بيت في داره لم يدخلها أحد

غيره وكان إذا خرج من داره للمسجد يتبرقع ولا يرى أحد وجهه ولا يكشف عن وجهه إلا إذا دخل المسجد ثم إذا رجع إلى داره عاد إلى ستر وجهه حتى يدخل لخلوته وقد سألت الشيخ رضي الله عنه عن سبب ستر وجهه عن الناس فأجاب رضي الله عنه قال : ولعله بلغ مرتبة في الولاية فإن من بلغها يصير كل من رأى وجهه لا يقدر على مفارقته طرفة عين وإن فارقه وإنحجب عنه مات لحينه[1].

ويقول عن نسب التجاني حين سأل الرسول ﷺ يقظة لا مناما كما يزعم دائما: « ولم يكتف بما هو مذكور من الآباء والأجداد والرسوم وإخبار الأعيان والآحاد حتى سأل سيد الوجود وعلم الشهود ﷺ في كل نفس مشهود عن نسبه وهل هو من الأبناء والأولاد ومن الآل والأحفاد فأجابه ﷺ بقوله أنت ولدى حقا أنت ولدى حقا كررها ﷺ ثلاثا وقال له ﷺ : نسبك إلى الحسن بن على صحيح » [2] .

التجاني يرى الأنبياء : أورد على حرازم عدة روايات تثبت رؤية التجاني للرسول محمدا ﷺ وسؤاله عن أحكام كثيرة في الفقه وعن الجمع بين بعض الأحاديث التي ظاهرها التعارض وكان النبي ﷺ يجيبه عن كل سؤال بغاية التلطف ثم التقى بموسي وسأله كذلك عن بعض الأسئلة وأجابه عنها ثم قال على حرازم:« فانظر رحمك الله أحوال هذا الشيخ مع صفوة الله من خلقه» . [3]

المشابة بين التجاني في حال سكره وبين النبي ﷺ حال تلقيه الوحي يقول على حرازم:«لايزال تظهر عليه الغيبة في حال ظهور صحوه فضلا عن حال ظهور سكره.. وكذلك يظهر عليه رضى اله عنه من آثار جذبه وقوة حاله أمور أخرى كعظم جثته وإمتلاء بدنه وتهلل وجهه وثقل الأمر عليه حتى لايستطيع حركة ونذكر هنا ما كان يقع للنبي ﷺعند نزول الوحي وتلقي الأمر الإلهي[4]».

---

(١) ص ٢٦جـ١.　(٢) ص ٢٦ ج ١.　(٣) ص٤٧ .　(٤) ص ٥٠ .

التجاني يعلم الغيب لكل أمر مهما كانت دقته ويعلم ما في قلوب أصحابه يقول في هذا : « ومن كماله رضى الله عنه نفوذ بصيرته الربانيه . . . من إظهار مضمرات وإخبار بمغيبات وعلم بعواقب الحاجات . . . فيعرف أحوال قلوب الأصحاب . . . ويعرف ما هم عليه ظاهرا وباطنا ومازاد ومانقص[1] ».

الاسم الأعظم وموقف التجاني منه : يقول عنه : « قال سيدنا رضي الله عنه أعطيت اسم الله العظيم الأعظم صيغا عديدة وعلمني كيفية أستخرج بها ما أحببت من تراكيبه » ثم أعطاه أيضا الاسم الخاص بعلى رضي الله عنه فقال: «قال لي سيد الوجود ﷺ وهذا الاسم الخاص بسيدنا على لا يعطى إلا لمن سبق عند الله في الأزل أنه يصير قطبًا »

وفي هذا الكلام الذى لاعقل له أمور ، ما هو الاسم الخاص بعلى غيرعلى بن أبى طالب ؟

٢ ـ كيف يقول الرسول ﷺ لعلي « سيدنا علي» كما هو ظاهر النص؟

وأما بالنسبة لثواب الاسم الذى أعطيه التجاني فأقله ما يذكره على حرازم بقوله: «قال الشيخ رضي الله عنه حاكيا ماأخبره به سيد الوجود ﷺ فأنه يحصل لتاليه في كل مرة سبعون ألف مقام في الجنة في كل مقام سبعون ألفا من كل شئ في الجنة . . . وله في كل مقام سبعون حورا ، وسبعون نهرا من العسل ، وكلما خرج من فمه هبطت عليه أربعة من الملائكة المقربين فكتبوه من فيه ... وله في كل مرة ثواب جميع ما ذكر الله به على السنة جميع خلقه في سائر عالمه وله في كل مرة ثواب ما سبح به ربنا على لسان كل مخلوق من أول خلق العالم إلى آخره وله ثواب صلاة الفاتح لما أغلق[2] ، بتمامها ستة آلاف مرة لكل مرة منه وله ثواب سورة الفاتحة وله ثواب من قرأ القرآن كله أعني بكل مرة أجر ختمة وله في كل مرة من تلاوته ثواب كل دعاء وقع في الوجود وكل ما تلاه التالي تلته

(١) ص٥٤ . (٢) وسيأتي أن صلاة الفاتح لها من الأجر ما لا يتصوره عقل .

معه جميع ملائكة عوالم الله بأسرها وكل ملك يتلوه بجميع ألسنته فإن من الملائكة من له سبعون لسانا ومنهم من له ستون لسانا [1] ، وخوفا أن يمل القارئ فسأقف هنا وإلا فإن النص قد استغرق ست صفحات في جواهر المعاني كلها في مضاعفة الأجر لمن تلاه ، دعاء التجاني الذى علمه به الرسول ﷺ في إحدى مقابلته له يقظة لا مناما .

أوراد التجاني : أورد على حرازم في كتابه جواهر المعاني أورادا عديدة لايتسع المقام لذكرها عن شيخه التجاني بأسلوب ركيك ومعاني متنافرة هابطة مملة .

من رأى التجاني فهو في الجنة . قال على حرازم : « قال رضي الله عنه أخبرني سيد الوجود ﷺ يقظة لا مناما قال لي أنت من الآمنين وكل من رآك من الآمنين إن مات على الإيمان وكل من أحسن إليك بخدمة أو غيرها وكل من أطعمك يدخلون الجنة بلا حساب ولا عقاب ». [2]

ثواب صلاة الفاتح : ليس من السهل كتابة كل ما ذكره التجاني لفضل صلاة الفاتح وذلك لكثرة ما أورده التجانيون غير أننا سنكتفي بمثال واحد من تلك الترهات الحمقى قال التجاني عن نفسه : « ثم أمرني ﷺ للرجوع إلى صلاة الفاتح لما أغلق فلما أمرني بالرجوع إليها سألته ﷺ عن فضلها فأخبرني أولا بأن المرة الواحدة منها تعدل من القرآن ست مرات ثم أخبرني ثانيا أن المرة الواحدة منها تعدل كل تسبيح وقع في الكون ومن كل ذكر ومن كل دعاء كبيرا أو صغيرا ومن القرآن ستة آلاف مرة » إلى أن يقول :« قال ﷺ مامعناه إن صلاة الفاتح لما أغلق بستمائة ألف صلاة وكل صلاة من الستمائة ألف صلاة بأربعمائة غزوة ثم قال بعده ﷺ إن من صلى بها أى بالفاتح لما أغلق إلخ مرة واحدة حصل له ثواب ما إذا صلى بكل صلاة وقعت في العالم من كل جن وإنس وملك

---

(1) ٧٢ .   (2) ص ١٠٩ .

ستمائة ألف صلاة من أول العالم إلى وقت تلفظ الذاكر بها أى كأنه صلى بكل صلاة ستمائة ألف صلاة من جميع المصلين عموما ملكا وجنا وإنسا وكل صلاة من ذلك بأربعمائة غزوة وكل صلاة من ذلك بزوجة من الحور وعشر حسنات ومحو عشر سيئات ورفع عشر درجات وأن الله يصلى عليه وملائكته بكل صلاة على عشر مرات »[1].

وقد أضاف محمد السيد التجاني إلى تلك الخيالات في فضل صلاة الفاتح خيالات أخرى قال فيها : « وصلاة الفاتح التي هي من الله كتبت بحروف مستقيمة بكل لسان تفهمه من لسان العربية فوق رأسه وهى تاجه وعزه وملكه وبها فضل على سائر ملك الله وبها تثبتت خلافته في الدنيا والأخرة وبها ظهرت الحقيقة المحمديه كل الظهور وبها ثبتت الحقيقة المحمدية في محراب القدس وبها أعز الله دينه وبها ظهرت مقامات الدين كلها وبها فضلت هذه الأمه وصارت وسطا وبها قوام الأرواح والأشباح وبها ظهرت التكاليف وبها برزت الجنة ونعيمها وبها ساد سيدنا محمد غيره ممن دونه من الأنبياء والمرسلين وبها تعرف جبريل وإسرافيل وميكائيل وعزرائيل عليهم السلام وبها نظام الكائنات وفيها روح الموجودات وحياتها وبها شرفت الأنبياء والملائكة وبها ظهرت محاسن الأخلاق المحمدية وهى التي شرف الله بها النبي ﷺ وشرفها بالنبي ﷺ وهي مرتبته وحقيقته ﷺ وهى أول الصلوات التي ظهرت من قلب رسول الله ﷺ أو من قلوب العارفين فإن الله جلا جلاله هو الذى صلى عليه أى تجلى فيه بكمال ذاته ومراتبه وأسمائه وصفاته وذلك التجلى هو عين تشريفه وإعزازه وتفضيله على سائر الخلائق لأنه لم يتجل في أحد بكمال ذاته إلا فيه ﷺ [2] الخ . هذه العجائب والغرائب التي لامستند لها إلا الخيال والأماني الفارغة وإلا فهل يوجد في الشريعة الإسلامية دليل واحد على تلك الخزعبلات والتهويلات .

---

(١) ص ١١٤ ـ ١١٥ .　　(٢) الهداية الربانية في فقه الطريقة التيجانية ص٢٣.

خاصية صلاة الفاتح: « وخاصية صلاة الفاتح لما أغلق إلخ، أمر إلهى لا مدخل للعقول فيه ولوقدرت مائة ألف أمة في كل أمة مائه ألف قبيلة في كل قبيلة مائة ألف رجل وعاش كل واحد منهم مائة ألف عام يذكر كل واحد منهم في كل يوم ألف صلاة على النبي ﷺ من غير صلاة الفاتح لما أغلق وجميع ثواب هذه الأمم كلها في مدة هذه السنين كلها في هذه الأذكار كلها ما لحقوا كلهم ثواب مرة واحدة من صلاة الفاتح لما أغلق فلا تلتفت لتكذيب مكذب[1] ». الشيخ الواصل يرى الله علانية في كل وقت مع إنتقاء والغيرية بينهما كما قرره التجاني: « اعلم أن سيدنا رضي الله عنه سئل عن حقيقة الشيخ الواصل ما هو فأجاب رضي الله عنه بقوله أما حقيقة الشيخ الواصل فهو الذى رفعت له جميع الحجب عن كمال النظر إلى الحضرة الإلهية نظرا عينيا وتحقيقا يقينا فإن الأمر أوله محاضرة وهو مطالعة الحقائق من وراء ستر كثيف ثم مكاشفة وهو مطالعة الحقائق من وراء ستر رقيق ثم مشاهدة وهو تجلي الحقائق بلا حجاب لكن مع خصوصية ثم معاينة وهو مطالعة الحقائق بلا حجاب ولا خصوصية ولا بقاء للغير والغيرية عينا وأثرا وهو مقام السحق والمحق والدك وفناء الفناء فليس في هذا إلا معاينة الحق في الحق للحق بالحق فلم يبق إلا الله لاشيءغيره ،فلا ثم موصول ولا ثم واصل [2] وفعل الأولياء للفواحش علانية إنما هو تخيل من الناظر أو من باب ستر حال الولي بعد أن رأوا عامة الناس لاهم لهم إلا قضاء رغباتهم فأحب الأولياء الصوفية عند ذلك ألاّ يظهروا أنفسهم للعامة فاحتجبوا عنهم بارتكاب تلك الفواحش في الظاهر قال على حرازم : « فلما عرف العارفون ما في العامة من هذا الأمر إحتجبوا عن العامة وطرد وهم بكل وجه وبكل حال ... فخلط العارفون عليهم بوجوه من التخليط استتارا عن العامة بإظهار أمور من الزنا والكذب الفاحش والخمر وقتل النفس وغير ذلك من الدواهي التي تحكم على صاحبها أنه في سخط الله وغضبه والأمور التي يقتحمها العارفون في هذا

(١) ص ١١٧ .　　(٢) ص ١٣٥.

الميدان إنما يظهرون صورا من الغيب لا وجود لها في الخارج إنما هي تصورات خيالية ، يراها غيرهم حقيقة فيفعلون في تلك الصور أمورا منكرة في الشرع وهم في الحقيقة لم يفعلوا شيئا فاستتروا بذلك من العامة حفظا لمقامهم»(١).

وهكذا فعل الزنا وشرب الخمور وغيرها من الفواحش لا حقيقة لها حتى وإن ثبت أن الصوفي يفعلها فإنما ذلك خيال وما أكثر ما يثبت عن هؤلاء من فعل الفواحس حتى في البهائم كما يثبت الشعراني في ذلك في طبقاته عن على وحيش رضي الله عنه كما هي عادته في الترضي عن أولئك الفجار؟!.

دعاء تجاني في طلب الاتصاف بالألوهية ؟!

« ومن أدعيته رضي الله عنه مما أملاه علينا ونصه رضي الله عنه اللهم حققني بك تحقيقا يسقط النسب والرتب والتعينات والتعقلات والاعتبارات والتوهمات والتخيلات حيث لاأين ولا كيف ولارسم ولاعلم ولاوصف ولامساكنة ولاملاحظة مستغرفا فيك بمحق الغير والغيرية بتحقيقي بك من حيث أنت بما أنت وكيف أنت حيث لاحسن ولااعتبار إلاأنت بك لك عنك منك»(٢).

مباسطة البسطامي مع ربه كما يرويها التجاني لتلميذه على حرازم أنه قال :

« إن أبا يزيد باسطه الحق في بعض مباسطته قال له : ياعبد السوء لو أخبرت الناس بمساويك يرجموك بالحجارة فقال له : .

وعزتك لو أخبرت الناس بما كشفت لي من سعة رحمتك لما عبدك أحد فقال له لا تفعل فسكت». (٣)

اهَانَة للقرأن الكريم :

« فإذا عرفت هذه الحيثية عرفت أن الصلاة عليه ﷺ لمثل أهل هذا الوقت أفضل لهم من تلاوة القرآن »(٤).

---

(١) ص ١٣٧ . (٢) ص ١٤٦ . (٣) ص ١٥٣ . (٤)ص ١٥٤ .

السر في وجود هذا الكون ومصدره :

« قال سيدنا رضي الله عنه ما خلق الله لنفسه إلا سيدنا محمدا ﷺ والباقي من الوجود كله مخلوق لأجله ﷺ معلل بوجوده ﷺ ولولا أنه خلق سيدنا محمداً ﷺ ما خلق شيئا من العوالم » (١).

تلاعب بمعاني النصوص :

أورد علي حرازم عن شيخه وسيده التجاني نصوصا كثيرة في تفسير القرآن الكريم وبعض الأحاديث فسرها بمحض الهوى والجهل والتخبط والقول على الله بغير علم في جرأة عاتية .

تشبيه الله بخلقه :

روى التجاني عن النبي (ﷺ) أنه قال :

« رأيت ربي في صورة شاب » (٢).

الحلول والاتحاد :

قال التجاني : « فهو سبحانه وتعالى مع كلّ شيء بذاته وأقرب إلى كل شيء بذاته من وجه لا يدركه العقل » (٣).

وقال :

« اعلم أن أذواق العارفين في ذوات الوجود أنهم يرون أعيان الموجودات كسراب بقيعة الآية ـ فما في ذوات الوجود كله إلا الله سبحانه وتعالى تجلى بصورها وأسمائها وما ثم إلا أسماؤه وصفاته فظاهر الوجود صور الموجودات وصورها وأسماؤها ظاهرة بصورة الغير والغيرية إلى أن يقول :

« فإذا رأيت ما يظهر من صور الموجودات على اختلاف أحواله وتباين

---

(١) ص١٧٣. (٢) ص ١٩٧ . (٣) ص ٢١٥ .

أشكاله وتشتيت أموره من مذمومة ومحمودة فما فيها إلا تجليات الحق سبحانه وتعالى»[1].

الولايه والألوهية وهل يوجد فرق بينهما أولا ؟ عند التجاني .

١ ـ معرفة الولي أصعب من معرفة الله .

٢ ـ لوكشف عن حقيقة الولي لعبد قاله المرسي .

٣ ـ«وأمري بأمر الله إن قلت كن يكن » قاله الجيلاني .

٤ ـ ياريح اسكني عليهم بأذني »[2].

قال على حرازم :

« فأجاب رضي الله عنه بقوله : « وحقيقة الولي أنه يسلب من جميع الصفات البشرية ويتحلى بالأخلاق الألهية ظاهرا وباطنا . إلى أن يقول: «ومعنى قوله لو كشف عن حقيقة الولي لعبد لأن أوصافه من أوصاف إلهه ونعوته من نعوته لأنه ينسلخ من جميع الأوصاف البشرية كما تنسلخ الشاة من جلدها ويلبس خلعة الأخلاق الإلهية » .

وعن تملك أقطاب الصوفية للكون بتفويض من الله لهم يقول على حرازم عن شيخه: « قال رضي الله عنه معني ذلك أن الله ملكهم الخلافه العظمي واستخلفهم على مملكته تفويضا عاما أن يفعلوا في المملكة كل ما يريدون وملكهم الله تعالى كلمة التكوين متى قالوا للشيء كن كان من حينه » فأي إلحاد بعد هذا من هؤلاء الذين يترضى عنهم على حرازم .

الصلاحيات للولي أعلى من الصلاحيات للنبي قال :

« وسألته رضي الله عنه عن قولهم إن دائرة الولي أوسع من دائرة النبي ﷺ

---

(١) ص ٣٥٠ جـ ١ .   (٢) تلك النصوص في ٦٧ جـ ٢ .

فأجاب رضي الله عنه بقوله المراد بالولي أولياء هذه الأمه فقط ... إلى أن قال :

« الرسول ليس له عموم الأمر والنهي إلا ما سمعه من مرسله سبحانه وتعالى لا يزيد وراء ذلك شيئا وإنما هو في ذلك مبلغ فقط ليس بآمر ولاناه إلا أن يكون الرسول خليفه ، فله المرتبه الأولى فالخليفة الولي أوسع دائرة في الأمر والنهي والحكم من الرسول الذي ليس بخليفه » (١).

حقيقة القطبانية تمتد قدرتها بامتداد ما وصلت إليه الألوهية وتحجبها أيضا قال على حرازم :

« وسألته رضي الله عنه عن حقيقة القطبانية فأجاب رضي الله عنه بقوله اعلم أن حقيقة القطبانيه هي الخلافة عن الحق مطلقا في جميع الوجود جملة وتفصيلا حيثما كان الرب إلها كان هو خليفه في تصريف الحكم وتنفيذه في كل من عليه ألوهية الله تعالى ثم قيامه بالبرزخية العظمي بين الحق والخلق فلا يصل إلى الخلق شيء كائنا ما كان من الحق إلا بحكم القطب » (٢).

رغبة الصوفية في تجهيل الخلق بربهم ونسيانهم لذكره ليصفو لهم وحدهم قال التجاني :

« المحبة الصادقة هي التي تورث الغيرة لصاحبها قيل للشبلي رضي الله عنه متى تستريح قال إذا لم أرله ذاكرا غيري ، وقال أبو يزيد رضي الله عنه لصاحبه حين قال له وهل سألته المعرفه به قال له اسكت غرت عليه من أن يعرفه غيري .

التوحيد عند التجانية يقتضي شعور الشخص أنه هو الله لا فارق بين ذاته وذات المولي عز وجل وأن ينس جسمية نفسه تماما قال على براده :

« سألت سيدنا رضي الله عنه عن هذا التوحيد فأجاب سيدنا رضي الله عنه عن التوحيد وهو توحيده لنفسه بنفسه عن نفسه وهذا التوحيد لا سبيل إليه إلا

---

(١) جـ ٢ ص ٧٩ .
(٢) ص ٨١ جـ ٢ .

بالفناء قال الجريري رضي الله عنه كل إشارة أشار بها الخلق إلى الحق فهي مردودة عليهم حتى يشيروا إلى الحق بالحق أراد بهذا الذي ذكرناه هو عرو النسب حيث تنطمس النسب في الذات ... قال الشبلي حين دخل عليه رجل قال له ما تريد قال له أسأل عن الشبلي قال له مات لا رحمه الله (١) .

كلمات غامضة صوفية :

١ ـ التجلي الأول : هو الله عز وجل .

٢ ـ التجلي الثاني : هو ظهور محمد (ﷺ) قبل الخلق .

٣ ـ التجلي الأخير : هو ظهور آدم ويسمى أيضا اللباس الأخير (٢).

حمق وخرافة :

يقرر التجاني أن الأنبياء لم يخرجوا من أمهاتهم من المحل المعتاد للولادة وإنما يخرجون من تحت سرة أمهاتهم تنزيها لهم ثم أخذ يدلل على هذه الخرافه بما تمجه الأسماع (٣).

نزول الوحي على القطب من الله لكن بواسطة الحقيقة المحمدية وإن رآه من الله فقد خدع ولبس عليه قال :

«وماذكر من أن العقل يأخذ العلم عن الله بواسطة فإنه نفي الواسطة المشهورة لا يشهد واسطة بينة وبين الحق أصلا لكنها موجوده في نفسها غير مشهوده له وهي الحقيقة المحمدية فإنه لا مطمع لأحد في درك حقيقتها فضلا عن مشاهدتها فإنها أخفى من السر الخفي فإنه يرى نفسه يأخذ العلم عن الله بلا واسطة وما برز له ذلك العلم إلا من الحقيقة المحمدية من حيث لايراها وإن رآه من الله فإنه مغطى عليه بحجاب التلبيس فهذا معنى أخذ العلم عن الله بلا واسطة(٤).

---

(١) جـ ٢ ص ٩٧ .

(٢) ص ١٠٠ جـ ٢ .

(٣) ص ١٠٤ / ١٠٥ .

(٤) جـ ٢ ص ١٠٧ .

شكوى علماء الصوفيه من علماء المسلمين في حجزهم عن الإتيان بما لم تأت به الأنبياء قال :

« قال الشيخ الأكبر رضي الله عنه لولا علماء الظاهرأ وكما قال لأتت الأولياء عن الله بما أتت به الأنبياء [1].

معنى قول الشيخ الضال ابن عربي من وحد فقد ألحد « واعتبارهم التوحيد الذي جاء به الرسول ﷺ إلحاداً قال على حرازم عن شيخه التجاني :

« وسألته رضي الله عنه عن معنى قول الشيخ الأكبر من وحد فقد ألحد فأجاب رضي الله عنه بقوله معنى الألحاد هو الخروج عن الجادة المستقيمة فإن العارف إذا وحد بتوحيد العامة فقد ألحد والعامي إذا وحد بتوحيد العارف فقد ألحد يعني كفر » .

التجاني يعرف أنفاس الإنسان وخواطره بغض النظر عن طول عمره أو قصره قال : « وسألته رضي الله عنه عن عدد أنفاس الإنسان فأجاب رضي الله عنه بقوله عدد أنفاس الإنسان أربعة وعشرون ألفا نصفها داخل ونصفها خارج وأما الخواطر فعددها سبعون ألف خاطرة تخطر كل يوم على القلب حتما لا يتخلف منها واحد » [2].

القطب الصوفي لا يستطيع أن يسمع كلام الناس بعد أن يسمع كلام الله له إلا بعد فترة نقاهة وسماعه لكلام الله أعلى من سماع الأنبياء له قال : « ثم قال سيدنا رضي الله عنه من فتح عليه في هذا الأمر العظيم والنعيم الجسيم لايقدرأن يسمع كلام الخلق إلا إذا اعتزل ثلاثة أيام يذكر الله فحينئذ يقدر على سماع كلامهم وإن لم يفعل ماذكر فإنه مهما سمع كلامهم يتقيأ لقبحه بالنسبة للذة ما سمع من كلام الحق وسماع كلام الله لمن سمعه لا بأذن فقط بل بجميع أجزاء ذاته كلها حتى يصير كل ذره من ذاته تلتذ مثل جميع ذاته بكمالها[3].

---

(١) ص ١٠٨ .　　(٢) ص ١١٠ .　　(٣) جـ ٢ ص ١١١ .

الجنه في نظر الصوفية لا قيمة لها :

قال : « ومن كلامه رضي الله عنه قال كل العارفين في شغل عن الله تعالى لأنهم بقى لهم ضرب من حظوظهم إلا أهل التجلي الأكبر الذين لاحظ لهم في الجنة فإنهم عنده سبحانه وتعالى مقيدون في حضرة قربه وواصلهم بما لا تحيط العقول وصفه.... فإن هؤلاء لاالتفات لهم إلى الجنة ونعيمها ولا عبرة لهم بها أوجدت أم عدمت »[1].

والبديل لها عند الصوفية هو النظر إلى المشائخ والجلوس بين أيديهم بكل الخضوع والتذلل ولهذا يقول محمد السيد التجاني في كتابه الهداية الربانية في فقه الطريقة التجانية ناقلا عن مشائخ الصوفيه « الجلوس بين يدي ولي قدر ما تحلب فيه شأة أفضل من عبادة ألف سنه » [2]، وعلى المسلمين أن لا يجتهدوا في طلب ليلة القدر التي هي خير من ألف شهر فقط بينما الجلوس أمام شيخ صوفي داجن في زاويته المظلمة حساً ومعنى خمس دقائق خير من عبادة ألف سنة فهل بعد هذا السفه للنفس والحمق المردي حمق أوسفه ؟

كيفية خلق هذا الكون عند الصوفية:

يقول :

« ومن كلامه رضي الله عنه قال أول موجود أوجده الله تعالى من حضرة الغيب هو روح سيدنا محمد ﷺ ثم نسل الله أرواح العالم من روحه ﷺ الأجسام النورانية كالملائكة ومن ضاهاهم . وأما الأجسام الكثيفة الظلمانية فإنما خلقت من النسبة الثانية من روحه ﷺ فإن لروحه ﷺ نسبتين أفاضها على الوجود كله فالنسبة الأولى نسبة النور المحض ومنه خلقت الأرواح كلها والأجسام النورانية التي لاظلمة فيها . والنسبةالثانية من نسبة روحه ﷺ نسبة الظلام ومن هذه النسبة خلق الأجسام الظلمانية كالشياطين وسائر الأجسام

---

(١) ص ١٣١ .

(٢) الهداية الربانية في فقه الطريقة التجانية ص ٢٠ .

الكثيفة والجحيم ودركاتها كما أن الجنة وجميع درجاتها خلقت من النسبة النورانية فهذه نسبة العالم كله إلى روحه ﷺ أما حقيقة المحمدية ﷺ فهي أول موجود أوجده الله تعالى من حضرة الغيب وليس عند الله من خلق موجود قبلها»[1].

فالملائكة والشياطين والجنة والنار بل والكون كله مخلوق من روح محمد ﷺ فأين العقول التي تصدق بمثل هذا الفحش والإهانه لنبي الإسلام ﷺ أن تكون الشياطين والجحيم وغيرهما ممانص عليه التجاني مخلوقة من روح محمد ﷺ كبرت كلمة تخرج من فمه .

تطاول التجاني على الصحابه وكل من جاء بعدهم .

قال التجاني في كتابه إلى أهل الاغواط :

« وأقول لكم إن مقامنا عند الله في الآخره لا يصله أحد من الأولياء ولا يقاربه لا من صغر ولا من كبروأن جميع الأولياء من عصر الصحابة إلى النفخ في الصور ليس فيهم من يصل مقامنا ولا يقاربه لبعد مرامه عن جميع العقول وصعوبة مسلكه على أكابر الفحول»[2].

تصرف التجاني في الجنة .

جاء كذلك في كتابه إلى أهل الأغواط بالمغرب يقول لهم : « ولم أقل لكم ذلك حتى سمعته من الرسول ﷺ تحقيقا ليس من الرجال أن يدخل كافة أصحابه الجنة بغير حساب ولا عقاب ولو عملوا من الذنوب ماعملوا وبلغوا من المعاصي ما بلغوا إلا أنا وحدي » [3].

عدوان الصوفية بعضهم على بعض وطلب كل صاحب طريقة العلو على الآخرين .

---

(١) ص ١٣٥ . (٢) ص ١٦٦ . (٣) ص ١٦٦ .

سـأل رجل من أهل فاس بالمغـرب التجـاني عن الدائرة الشـاذلية وأسـمائها وخواصها وفضائلها فأجابه التجاني بقوله :

« اعلم أن التمسك بما في كتب أهل الخواص من دائرة الشـاذلية رضي الله عنه أسماء الله والحروف والجداول كله كسراب بقيعة يحسبه الظمآن ماء حتى إذا جاءه لم يجده شيئًا مافي جميعها إلا التعب والطمع الذي لايوجد فيه قليل من الفائدة ولا جدوى من الفائدة » [1] .

الصوفي له قوة الخلاق العظيم كما يرى التجاني :

قال على حرازم تحت عنوان « سر » شريف :

« قـال سيـدنا رضي الله عنه إذا تجلى الله لسر عبـد ملكه جـميع الأسـرار وألحقه بدرجة الأحـرار وكان له تصـرف ذاتي متى توجـهت إرادته لأي خارق كان انخـرق له في الحين إلا أن بعضهم يضيـف لها كلمـة كن وبعضهـم بمجرد الإرادة»[2].

ومعني هذا التطاول الغريب أن الله تعالى « إذا أراد شيئا أن يقـول له كن فيكون » أمـا هؤلاء فإذا أراد أحـدهم شيئا تكفيـه مجـرد الإرادة لا يجادة وإذا أضاف إليـها « كن » فلا حرج عليه عند بعضهم فكلمة « كن » عندهم إنما هي مجرد إضافه عارضة .

مزايا التجاني لم يصلها أحد من البشر بل ولا ملك مقرب ولانبي مرسل .

١ ـ كل من أخـذ وردنا وداوم عليـه إلى الممـات أنه يدخل الجنـة بغيـر حسـاب ولاعقاب هو ووالداه وأزواجه وذريته » [3].

٢ ـ وكذلك من حصل له النظر فينا يوم الجمعه أو الاثنين يدخل الجنةبغير حساب ولاعقاب [4].

---

(١) ص ١٦٨ . (٢) ص ١٧٠ . (٣)،(٤) ص ١٧٠ .

والسبب في تخصيص يوم الجمعة والاثنين بحصول هذا الفضل العظيم لمن نظر إلى وجهه الذي عليه غبرة هو اعتقاده أن الجمعة خلق فيها أدم والأثنين خلق فيه محمد ﷺ ومن هنا حصل له هذا الفضل العظيم في هذين اليومين الذي وقع فيهما الفرع أفضل من الأصل على ميزان التجاني المعكوس .

جفاء وعتو ونفور عن الله تعالى وحمق مركب .

مدح التجاني أبا عبيده الخواص بقوله :

« وله منذ أربعين سنه ما رفع رأسه إلى السماء حياء من الله تعالى وهذا هو حياء العارفين »[1].

أذكار وأدعية بعبارات متكلفه وكلمات غامضه وأساليب ركيكه مرذولة قال على حرازم :

« وأول ما نبدأ به ذكر الصلوات التي أملاها مولانا رسول الله ﷺ من فيضه الشريف يقظة على شيخنا أبي العباس .. الأولى سماها شيخنا رضي الله عنه ياقوتة الحقائق في التعريف بحقيقة سيد الخلائق ونصها الله الله الله اللهم أنت الله الذي لا إله إلا أنت العالي في عظمة انفراد حضرة أحديتك التي شئت فيه بوجود شؤونك ... اللهم برتبة هذه العظمة وإطلاقها في وجد وعدم أن تصل وتسلم على ترجمان لسان القدم اللوح المحفوظ والنور الساري المحدود .. لله لله لله آه آمين هو هو هو أمين » [2].

ذلك هو الدعاء الأول وما يحمله من هذيان يبعث على الاشمئزاز والنفور.

أما الدعاء الثاني فقد جاء فيه قوله وبعباراته المتكلفه التي تخفي وراءها قبائح وجهل شنيع قال :

« وهي أيضا من إملائه ﷺ لشيخنا يقظة وهي اللهم صل وسلم على عين

---

(١) ص ١٨٠ . (٢) ص ٢١٦ .

الرحمة الربانية والياقوتة المتحققة الحائطة بمركز الفهوم والمعاني ونور الأكوان المتكونة الآدمي صاحب الحق الرباني البرق الاسطع بمزون الأرياح المالئة لكل متعرض من البحور والأواني ... اللهم صلي وسلم على عين الحق التي تتجلى منها عروس الحقائق عين المعارف الأقوم صراطك التام الأسقم ... إحاطة النور المطلسم»(١).

وما أدري من أين يأتي الخشوع في مثل هذا الدعاء الذي هو أقرب إلى الالغاز والهذيان .

وجاء في نص الدعاء الثالث :

« اللهم صل وسلم على عين ذاتك العلية ... عبدك القائم بك منك لك إليك بأتم الصلوات الزكية المصلي في محراب عين هاء الهوية فصل اللهم عليه صلاة كاملة تامة بك ومنك وإليك وعليك ... وتب علينا بمحض فضلك الكريم في الصلاة عليه » (٢).

وقد شرح على حرازم تلك الأدعية فكان كمن أراد أن يكحلها فأعماها حيث جاء هو الآخر بكلمات أغمض من النص بغرض أن تلك الأدعية وشرحها تحمل علما لا يعرفه إلا هؤلاء العباقره .

وقد شرح وصف التجاني للرسول ﷺ بأنه اللوح المحفوظ فقال : « قوله اللوح المحفوظ اعلم أن اللوح المحفوظ هنا هو نبينا وسيدنا محمد ﷺ .. وتشبيهه هنا ﷺ باللوح المحفوظ يسمي عند المتكلمين تشبيه التسامح وإلا فهو ﷺ أكبر وأوسع من اللوح المحفوظ بأضعاف مضاعفة لأن غاية علوم اللوح وما سطر فيه إنما هو منشأ العالم إلى النفخ في الصور فرداً فرداً بلا شذوذ وأما ماوراء ذلك من أحوال يوم القيامة وأحوال الشؤن والأمور والاعتبارات واللوازم والمقتضيات كلها ليس في اللوح المحفوظ منه شيء إلا أمور قليلة مثل فلان يعمل كذا وكذا

(١) ص ٢١٦ .   (٢) ص ٢١٧ .

من الأعمال وجزاؤه في جنة الخلد أو جنة النعيم أو جنـة المأوى له فيها كذ وكذا وفلان يعمل كذا وكـذا من الشر ومستقره في الدرك الثانـيه أو الثالثه وهكذا هو قليل بالنسبـه لأحوال الجنه والنار وأحوال يوم القيـامة وأما هو ﷺ فإنه جمع في حـقيـقتـه المحمـدية كل ما أحـاط به علم الله تعـالى من الأزل إلى الأبد من علوم المخلوقات بأسرها ومعرفة مقتضياتها ولوازمها » [1].

المراتب الصوفية يبينها خليفة التجاني على حرازم بقوله :

المرتبة الأولى مرتبة الاستهتار بذكر الله تعالى حتى يقع صاحبها في الذهول عن الأكوان والطمأنينة بذكر الله تعالى مستغرقا جميع أوقات دهره وهم الأولياء.

المرتبة الثـانية : لبـاس الحلة الملكيـة وهي فـوق هذه المرتبـه وهي أن يتـصف صاحبها بأحوال الملائكة » [2].

المرتبة الثالثة : وهي فـوق هذه وهي لبـاس الحلة الإلهـيه وهي لا تذكـر ولا يعلمها إلا من ذاقهـا وصاحبها هو الذي يطلق عليه اسم الـصديق فهي حزب من النبوة أو هي النبوة بعينها وهم العارفون والصديقون » [3].

وتفسيره بأنهـا النبوة خداع وجبن عن إظهار الحقيـقة إذ أن هذه المرتبة لباس الحله الإلهيـة التي لا يعرفـها إلا من ذاقهـا تفيـد معني الأولوهيـة إلا أنه لم يصرح بهذا لئلا يكشف الحقيقة فتظهر حقيقتهم الإجرامية.

جوهرة الكمال :

يسميها الـتجانيون صلاة جوهرة الكمال وهي التي قدمنا بعـضا منها وأولها «اللهـم صل وسلم على عين الرحمة الربانية والياقوتة المتحققه » إلخ [4].

قال على حرازم في أول كلامه في شرحها :

---

(١) ص٢٣٩ .

(٢) ومن أحيل علي مليىء فليحتل وقد صدق من قال « الجنون فنون».

(٣) ص ٢٤٩ .

(٤) انظرها ص ٢١٦ جـ ٢ .

« الحمد لله الذي فتق من كنه الغيب رتق الكائنات وجعل أصلها ونشأتها نور حقيقة سيدنا محمد فكان أصل الموجودات فأوجد منها بقدرته القدسيه وكلمته الأزلية فطرة آدم وجعل شكله صورة العالم وعلمه الأسماء كلها وجعله من جميع البرية خلاصتها وصفوتها وأخرج من عنصره الأرواح والذرية والأشباح[1]، واختار منها صفوة الأنبياء والرسل والأولياء بالرسالة والولاية[2] إلى آخر ما جاء به من عجائب الحمق .

خواص هذه الصلاة :زعم التجانيون أن لهذه الصلاة أو الدعاء خواص لا يقدر لها قدر ولا ظن أحداً لم تدنس الصوفية فطرتة يصدقها قال :

« وذكر لها رسول الله ﷺ خواص منها :

١ ـ أن المرة الواحدة تعدل تسبيح العالم ثلاث مرات .

٢ ـ أن من قرأها سبعا فأكثر يحضره روح النبي ﷺ والخلفاء الأربعة مادام يذكرها .

٣ ـ ومنها أن من لازمها أزيد من سبع مرات يحبه النبي ﷺ محبة خاصة ولا يموت حتى يكون من الأولياء وقال الشيخ رضي الله عنه من داوم عليها سبعا عند النوم على طهارة كاملة وفراش طاهر يرى النبي ﷺ [3].

إلى أن قال :« فإنه لولا وجوده ﷺ ما كان وجود لموجود أصلا من غير الحق سبحانه وتعالى ... فإنه لولا هو ﷺ ما خلق شيء من الأكوان ولا رحم شيء منها لا بالوجود ولا بإفاضة الرحمة [4].

ثم قال :« تنبيه شريف » .

اعلم أنه لما خلق الله الحقيقة المحمدية أودع فيها سبحانه وتعالى جميع ما

---

(١) انظر إلى تعمق هؤلاء في الباطنية .

(٢) صـ ٢٥٤ .

(٣) ص ٢٥٥ .

(٤) ص ٢٥٦ .

قسمه لخلقه من فيوض العلوم والمعارف والأسرار والتجليات والأنوار والحقائق بجميع أحكامها ومقتضياتها ولوازمها ثم هو ﷺ الآن بترقى في شهود الكمالات الإلهية مما لا مطمع فيه لغيره ولا تنقضي تلك الكمالات بطول أبد الأباد»[1].

وتظهر الطلاسم واضحة في هذا الدعاء النجاني العجيب الغريب المسمى بحزب البحر قال محمد السيد النجاني :

«مقصد حزب البحر التعوذ والبسملة وبه نستعين وبه الحول والقوة رب سهل ويسر ولا تعسر علينا يا ميسر كل عسير أبت خدذ رزط ظكل منص صعغ فقس شهولاي لا إله إلا الله عشرا ثم صلاة الفاتح عشرا ويرفع يديه إلى السماء ويقرأ فاتحة الكتاب مرة بنية ما يريد ثم بسم الله الرحمن الرحيم يا الله ياعليّ إلخ»[2].

وقد ذكر دعاءا يقوله من أراد أن يجتمع بالنبي (ﷺ) يقظة لا مناما وفي آخره يبخر بالعود أو الجاوي على طريقة الشعوذة والسحرة .

ثم ذكر دعاء آخر لجلب الغنى ودفع الفقر .

ثم ذكر دعاء لكيفية خاصة من جوهرة الكمال تقوم مقام اللطيف الكبير هكذا وبهذا الأسلوب .

إلى أن ذكر الطامة الكبرى وهي في قوله الآتي :

« كيفية من الصلوات تسمى مهر السر والحور وعين الفتح والنور من أكثر من تلاوتها يرى رب العزة في المنام ولا يفارقه رسول الله وروح القدس أبدا[3]وأحب أن لا أذكر تلك الأدعية لأنزه سمع وبصر القارئ عن حشو ذهنه بخزعبلات الصوفية وخرافاتهم ومن تناقضاتهم أن يأتوا بدعاء لجلب الغنى ودفع

---

(١) ص ٢٦٤ .
(٢) الهداية الربانية في فقه الطريقه التجانية ص ٢٥ .
(٣) المصدر السابق ص ٢٥ إلي صـ ٢٦ .

الفقر وهم لا يحبون الدنيا كما يزعمون ويحبون الفقر ويجعلونه من أشرف الأسماء لديهم .

وأما زعمهم رؤية الرسول ﷺ ورؤية المولى عز وجل والاتحاد به فهي ديدنهم وعليها قام دينهم .

يجب الخضوع التام لأقطاب التصوف وترك الإنكار عليهم في أي شيء يقول الفوتي في كتابه: « رماح حزب الرحيم على نحور حزب الرجيم » هامش جواهر المعاني:

« اعلم أن المنكر على الأولياء ساقط من عين الله وهالك في الدنيا والآخرة وأنه في لعنة الله ومحاربته » [1]، ويقصد بأولياء الله هنا أقطاب التصوف .

فليعتصم المريد بشيخه وليتمسك به تمسك الأعمى على شاطيء البحر بالقائد بحيث يفرض أمره إليه بالكلية ولا يخالفه في ورد ولا صدر ولا يبقى في متابعته شيئا ولا يذر وليعلم أن نفعه في خطأ شيخه لو أخطأ أكثر من نفعه في صواب نفسه لو أصاب [2]، إلى أن قال : « ولا اعتراض بأن يكون بين يديه كالميت بين يدي غاسله وقد قالوا من قال لشيخه لمَ فإنه لا ينتفع به »[3].

التصدر للمشيخة خطر عظيم إلا بإذن شيخ صوفي .

يقول الفوتي : « قلت التصدر للشيخوخة بغير إذن شيخ كامل خطر جدا لأن يكن سببا لسوء الخاتمة وإن لم يتب فاعله فلا يموت إلا كافرا »[4] .

الاتصاف بالله وتهوين الفاحشة :

ذكر الفوتي أن أحد المريدين طلب من شيخه أن يدله على الله فقال له أتصف بصفة من صفات الله تعالى فاختار الصدق ثم ارتكب جريمة زنا وحين

---

(١) ص ٥١ جـ ١ .

(٢) ص ١٠٣ رماح .

(٣) رماح ص ١٠٥ .

(٤) ص ١١٠ .

سئل أجاب بقوله نعم فسجنه الوالي لظنه أنه مجنون فشفع فيه بعضهم فأخرج من السجن بفضل صدقه كما يزعم وقد صاغها الفوتي بأسلوب مزخرف مطول يهون الجريمة بدلا عن التنفير عنها[1] وذكر الفوتي في رماحه قصصا كثيرة جدا كلها تهدف إلى طاعة المشائخ طاعة عمياء لا اعتراض ولا جدال حتى ولو أمر الشيخ المريد بفعل الفواحش وقتل النفوس فعليه التنفيذ لأنه لا يعرف الحكمة من وراء ذلك إلا الشيخ منها أن بعض المشائخ أمر مريدا له بقتل والده فجاء المريد بالليل ووالده عند أمه فاحتز رأسه وجاء به إلى الشيخ فلما عرف صدق إيمان المريد كشف له عن الرأس فإذا هو ليس والد المريد وإنما كان علجا في حال غياب أبيه جاء الشيخ الوحي بذلك .

ثم ذكر قصصا كثيرة حول هذه الطاعة ثم عقب بذكر قصص أخرى تفيد أن التلميذ لا ينبغي أن يشك في شيخه حتى ولو رآه يشرب الخمر ويزني ويقتل النفوس وقد دخلت على أحد المشائخ أمرأة في خلوته ولما رأى أن تلميذه ، لم يتغير عليه أخبره أنها ليست امرأة ولكنها الدنيا تصورت في صورة امرأة ثم دخلت عليه .

إلى آخر ما ذكر من أمثال هذه الفواحش بأسلوب سافر لم اذكره بنصه لأولئك الذين سماهم أولياء والذين قال عنهم بعد ذلك :

« الشيخ هو الولي الكامل في قومه كالنبي في أمته وأن مبايعته كمبايعة النبي ﷺ لكونه نائبا عن النبي ﷺ »[2].

ومن هنا فإنه ينبغي على المريد :

« أن يرى استمداده من شيخه هو استمداده من النبي ﷺ لأنه نائبه»[3].

« فعلم أن كل من لم يعتقد في شيخه أنه أشفق عليه من نفسه وأنه لا يأمر

---

(١) ص ١١٤ . (٢) ص ١٢٦ .

(٣) ص ١٢٦ / ١٢٧ .

قط بترك شيء إلا ليعطيه أنفس منه فمحبته نفاق »[1].

وذكر أن الشيخ لو طلب إلى أحد مريديه أن يطلق زوجته أو يأتي بنصف ماله أو منعه من وظائفه ومصالحه فأبى لكان قد دلل على نفاق أيضا ولعل في ذكر الآداب التي ينبغي على المريد أن يمتثلها أقوى تصوير لمدى هيمنة شيوخ الصوفية على أتباعهم ومدى الغبن والذل الذين يلحقان بأولئك القطعان من أتباع رهبان الصوفية وقد ذكر الفوتي منها ما يلي:

١ ـ تعظيم الشيخ وتوقيره ظاهراً وباطنا وعدم الاعتراض عليه في شيء فعله ولو كان ظاهره أنه حرام وعدم الالتجاء لغيره من الصالحين .

٢ ـ أن لا يقعد وشيخه واقف .

٣ ـ ولا ينام بحضرته إلا بإذنه في محل الضرورات ككونه معه في مكان واحد .

٤ ـ أن لا يكثر الكلام بحضرته ولو باسطه .

٥ ـ وأن لا يجلس على سجادته .

٦ ـ ولا يسبح بسبحته .

٧ ـ ولا يجلس في المكان المعد له .

٨ ـ ولا يلح عليه في أمر .

٩ ـ ولا يسافر .

١٠ ـ ولا يتزوج .

١١ ـ ولا يفعل فعلا من الأمور المهمة إلا بإذنه .

١٢ ـ ولا يمسك يده للسلام ويده مشغولة بشيء كقلم أو أكل أو شرب بل يسلم بلسانه وينظر بعد ذلك ما يأمره به .

١٣ ـ ولا يمشي أمامه ولا يساويه إلا بليل مظلم ليكون مشيه أمامه صونا له عن مصادمة ضرر .

---

(١) صـ ١٢٨ .

١٤ ـ وأن لا يذكره بخير عند أعدائه خوفا من أن يكون وسيلة لقدحهم فيه .

١٥ ـ وأن يحفظه في غيبته كحفظه في حضوره .

١٦ ـ وأن يلاحظه بقلبه في جميع أحواله سفرا وحضرا لتعمه بركته .

١٧ ـ وأن لا يعاشر من كان الشيخ يكرهه أو من طرده الشيخ عنه .

١٨ ـ وأن يحب كل من أحبه الشيخ ويكره كل من كرهه الشيخ .

١٩ ـ وأن يرى كل بركة حصلت له من بركات الدنيا والآخرة فببركته .

٢٠ ـ وأن يصبر على جفوته وإعراضه عنه .

٢١ ـ وأن يحمل كلامه على ظاهره فيمتثله إلا لقرينه صارفة .

٢٢ ـ وأن لا يتجسس على أحوال الشيخ من عبادة أو عاده فإن في ذلك هلاكه.

٢٣ ـ وأن لا يدخل عليه خلوة إلا بإذن .

٢٤ ـ ولا يرفع الستارة التي فيها الشيخ إلا بإذن وإلا هلك .

٢٥ ـ وأن لا يزور الشيخ إلا وهو على طهارة لأن حضرة الشيخ حضرة الله تعالى .

٢٦ ـ وأن يحسن الظن به في كل حال .

٢٧ ـ وأن يقدم محبته على محبة غيره ما عدا الله ورسوله .

٢٨ ـ وأن لا يكلفه شيئا حتى لو قدم من سفر لكان هو الذي يسعى ليسلم على الشيخ ولا ينتظر أن الشيخ يأتيه للسلام عليه .

٢٩ ـ وأن لا يكتم عن شيخه شيئا مما يخطر له .

٣٠ ـ وأن لا يعترض عليه فيما يكون منه .

٣١ ـ وأن لا ينظر في أفعال الشيخ ولا يتعدى أمر شيخه ولا يتأول عليه كلامه .

٣٢ ـ ولا يطلب علة للأمر الذي يأمره به بل يبادر إلى امتثال ما أمره به سواء عقل

معناه أو لم يعقل .. ومتى تأول على الشيخ ما أمره به أو يقول تخيلت أنك أردت كذا فليعلم أنه في ادبار فليبك على نفسه .

٣٣ ـ ولا يلبس ثوبا لبسه شيخه إلا إذا كساه الشيخ إياه .

٣٤ ـ ولا يسأله عن شيء سؤال من يطلب الجواب منه بل يجب عليه أن يقص ما وقع له فإن أجابه كان وإلا فلا وإن وصف ذلك على أن يجيب الشيخ فقد جعله سؤالا وإذا جعله سؤالا فقد أساء الأدب .

٣٥ ـ ولا يخون شيخه في أمر مأمور به .

٣٦ ـ ومن شرط المريد أن يكون بين يدي الشيخ كالميت بين يدي الغاسل إن غسل عضوا من أعضائه قبل عضو آخر أو حركه أو تصرف فيه كيف يشاء فلا يخطر عليه خاطر اعتراضه .

٣٧ ـ ولا يجلس بين يديه إلا مستوفزاً كجلوس العبد بين يدي سيده وذكر شروطا إلى أن قال :

٣٨ ـ ولا يقعد مقعدا حيث كان إلا ويتيقن أن الشيخ يراه فليلزم ذلك .

٣٩ ـ ولا يديم النظر إليه فإن ذلك يورث قلة الأدب والحياء ويخرج الاحترام من القلب .

٤٠ ـ ولا يكثر مجالسته .

٤١ ـ ولا يقضي لأحد حاجة حتى يشاوره فيها .

٤٢ ـ وإن طلق امرأة فمن الأدب ألا يتزوجها .

٤٣ ـ ولا يدخل عليه متى دخل عليه إلا قبل يديه وأطرق .

٤٤ ـ ويتحبب إليه بامتثال أمره ونهيه .

٤٥ ـ وليكن حافظا شحيحا على عرضه .

٤٦ ـ وإذا قدم إليه طعاما فليلقه أمامه بجميع ما يحتاج إليه وليقف خلف الباب

فإذا دعاه أجابه وإلاّ فليتركه حتي يفرغ فإذا فرغ أزال المائدة فإن بقي شيء من طعامه وأمره بالأكل فليأكل ولا يؤثر بنصيبه أحداً .

٤٧ ـ ويجتهد أن لا يراه إلا فيما يسره ولا يتمن عليه وليحذر مكر الشيوخ فإنهم يمكرون بالطالب فليحافظ على أنفاسه في الحضور معه .

٤٨ ـ ومن شرط المريد أن لا يرد على الشيخ كلامه ولو كان الحق بيد المريد .

٤٩ ـ الاعتراض على الشيوخ حرام على المريدين وقوعه فهذا مريد مسخر للشياطين .

٥٠ ـ ومن شرط المريد إذا وجهه شيخه في أمرأن يمضي لأمره من غير تأمل ولا توقف ولا يصرفه عنه صارف حتى قال بعض الشيوخ لبعض المريدين أرأيت لو وجهك شيخك في أمر فمررت بمسجد تقام فيه الصلاة فما تصنع فقال أمضي لأمر الشيخ ولا أصلي حتى أرجع إليه فقال له أحسنت .

٥١ ـ ومن شرط المريد الوفاء بكل ما يشترط عليه الشيخ سواء كان صعبا أو سهلا وليس للمريد أن يعترض على الشيخ في شيء ... فإنهم قالوا الاعتراض على الشيوخ سم قاتل .

٥٢ ـ وإن رأيت من الشيخ ما يتراءى عندك أنه غير مشروع فاتهم نفسك .

٥٣ـ الولي ينظر إلى باطن المريد ولا عبرة عنده بظاهره .

٥٤ ـ كل ما يفعله الولي من الأعمال التي تعيبه في الظاهر إنما يكون بسبب معاصي الناس المريدين له وإلا لما حصل له ذلك لو كانوا أصحاب خير وبر لرأوا كل ما يفعله حسنا[1].

ولقد تركت ذكر آداب وشروط كثيرة واجبه لمشائخ الصوفية بإيجاب النبي ﷺ لها على حد افتراء هؤلاء الكذابين سراق عقول البشر الذين لا يهمهم أن

---

(١) انظر لتلك الأقوال رماح الفوتي من ص : ٩٤ إلى ص : ١٤٠ ج١ .

يدوسوا كرامة الإنسان بأرجلهم ـ ولقد ظهر للقارئ الكريم من خلال ما قدمنا من الآداب التي تطلب من المريد وهي في الحقيقة أغلال ما يبعث على الأسي والحزن على أولئك الذين أصبحوا ضحايا الجشع الصوفي ولقد كنت أتحرق غيظا في أثناء كتابتي لهذا الدجل الصوفي التيجاني وتشويههم لصورة الإسلام السمحاء واستعبادهم الهؤلاء البله والعوام من المسلمين إلى حد أنهم يشترطون عليهم أن يروا المنكرات التي يفعلها المشائخ من الزنا وبيع الحشيش وسائر أنواع المنكرات أن يروا ذلك إما أنهم يفعلونه لحكمة لا يعلمها إلا هؤلاء الأقطاب أو بسبب معاص الناس أو أنها صور تخيل للشخص وليست حقيقية فأي لصوصية هذه وأي استهتار بكرامة الإنسان؟.

قارن يا أخي المسلم بين من يدخل الإسلام ومدى ما يشعر به من كرامة نفسه وحين يقال له أنت الإنسان المكرم الذي خلق الله من أجلك هذا الكون الهائل أنت أكرم على الله من السموات والأرض أنت خليفة الله في الأرض إلى غير ذلك من تعاليم الإسلام .

وبين تعاليم هؤلاء اللصوص المحترفون حين يشترطون على الداخل في الإسلام على طريقتهم أن يرمي نفسه أرضا لا حراك به كالميت بين يدي الغاسل وإذا قدم لشيخه أكلا أن يقف وراء الباب ثم يأكل بعد ذلك ما بقي بعد شبع شيخه الجشع الذي لا يسأل عما يفعل.

لقد سد كهنة التصوف كل منفذ لعودة عقل الإنسان إلى الصواب وكبلوه بسلاسل وأغلالا لا انفكاك له منها إلا إذا تداركته رحمة الله تعالى ولهذا نجد أن من خرج عن طرقهم الفاسدة يكاد يصعق حين تذكر له .

تثليث صوفي :يقول الفوتي « فإن المريد لا يجئ منه شيء حتى لا يكون بقلبه غير الشيخ والله تعالى والرسول ﷺ[1]، الشيخ ، الله ، الرسول.

---

(١)ص ١٥٣ جـ ١ .

تشريع جديد لأقطاب التصوف :

« ثم إن العبد إذا دخل طريق القوم وتبحر فيه أعطاه الله هناك قوه الاستنباط نظير الأحكام الظاهرة على حد سواء فيستنبط في الطريق واجبات ومندوبات ومحرمات ومكروهات وخلاف الأولى »[1].

تثبيث الفرقة بين المسلمين وإحكام قبضتهم على أتباعهم وحجرهم عليهم يقول علي حرازم: « وأما أتباعه رضي الله عنه - أي التيجاني - فقد أخبره سيد الوجود ﷺ أن كل من أحبه فهو حبيبه للنبي ﷺ ولا يموت حتى يكون وليا قطعا وأمره أن ينهي أصحابه عن زيارة الأولياء الأحياء منهم والأموات وكل من زار منهم ينسلخ عن طريقته إلى أن يقول :

« ويجب على الشيخ أن لا يترك أصحابه يزورون شيخا آخر ولا يجالسون أصحابه فإن المضرة سريعة للمريدين[2].

وسمعت سيدي عليا المرصفي يقول لا ينبغي لمريد أن يزور ولا يزار لغلبة الآفات عليه »[3].

تحكم على الله وترهيب للأتباع :

« حكى القشيري في رسالته أن شقيقا البلخي وأبا تراب النخشبي قدما على ابن يزيد وقدمت السفرة وشاب يخدم أبا يزيد فقال شقيق كل معنا يافتى فقال أنا صائم فقال أبو تراب ولك أجر صوم شهر فأبى فقال شقيق كل ولك أجر صوم سنه فأبى فقال أبو زيد دعوا من سقط من عين الله فأخذ ذلك الشاب بعد مدة وقطعت يده بسرقة »[4].

مبدأ باطني وهو التبني الروحي كما يسمونه :

قال الفوتي : « الفصل الثالث والعشرون في أعلامهم بأن الوالد المعنوي

---

(١) ص ١٥٨ .
(٢) ص ١٥٩ .
(٣) ص ١٦٠ وفي رسالة القشيري جـ٢ صـ ١٧٦ .
(٤) ص ١٦٠ .

الذي هو الشيخ أرفع رتبة وأولي بالبر والتوقير وأحق رعاية وآكد دراية وأقرب حسبا وأوصل نسبا من الوالد الحسي[1]، ثم جاء في هذا الفصل بكل طامة إلى أن قال أكاذيب تردها النصوص الصحيحة والفطر السلمية في دور المشائخ الصوفية في يوم القيامة منها « وأيضا يدعو المريدين بأسماء مشائخهم - أي في يوم القيامة - ويدعوهم إلى منازلهم ودعاؤهم في ذلك اليوم الشديد الذي تذهل فيه كل مرضعة عما أرضعت بأسماء المشائخ دون أسماء الآباء والأمهات يكفي دليلا على ارتفاع رتبة المشيخة التي هي الولادة المعنوية على رتبة الولادة الجسمية»[2].

ومن هنا فجزاء المشائخ لا يكاد يبلغه أحد وقد أوصله كهنة التصوف إلى مرتبه فوق مرتبة الأنبياء حسب قولهم الآتي .

« والله لو وقف المريدون على الجمر بين يدي أشياخهم منذ خلق الله الدنيا إلى أنقضائها لم يقوموا بواجب حق معلمهم في إرشادهم إلى إزالة تلك الموانع التي تمنعهم من دخول حضرة الله »[3] قالوا : « ومن نسب تلميذا إلى غير أستاذه كمن نسب ولداً إلى غير أبيه[4].

العشق والغرام في المذهب الصوفي وأكاذيبهم في ذلك :

« روي السهروردي بسنده أن النبي ﷺ قال حاكيا عن ربه إذا كان الغالب على عبدي الاشتغال بي جعلت همه ولذته في ذكري فإذا جعلت همته ولذته في ذكري عشقني وعشقته ورفعت الحجاب فيما بيني وبينه لا يسهو إذا سها الناس أولئك كلامهم كلام الأنبياء أولئك الأبطال الأبدال حقا أولئك الذين إذا أردت بأهل الأرض عقوبة أو عذابا ذكرتهم فصرفته بهم عنهم »[5].

وهذا الحديث بلا شك أنه من جنس الأحاديث التي يرويها الصوفي عن

---

(١) ص ١٦١ .
(٢) ص ١٦٢ .
(٣، ٤) ص ١٦٥ .
(٥) ص ١٦٩ .

قلبه عن ربه مباشرة دون أن يعلم بها النبي محمد ﷺ .

متى يسقط ذكر الله تعالى عند الصوفية ، فلا يعد لذكر الله وجود في حقهم يقول الفوتي :

« قلت وإذا أكثر العبد ذكر ربه باللسان حصل له الحضور وإذا حصل له كثرة الذكر مع الحضور صار الحق مشهوده وهناك يستغني عن ذكر اللسان ... لأن حضرة شهود الحق سبحانه حضرة بهت وخرس يستغني صاحبها في الجمعية بالمدلول فقد استغنى العبد عن الدليل فافهم » [1].

ويوضح المقصود من الكلام السابق قوله عن ما يجده الشخص في ميدان التصوف في كفره الآتي :

« وفي هذا الميدان ينمحي الذاكر والذكر ويصير في حالة أن لو نطق لقال أنا الله لا إله إلا أنا وحدي لاستهلاكه في بحار التوحيد وهذه المرتبة هي آخر مراتب الذكر وصاحبها صامت جامد لا يذكر ولا يتحرك » [2].

وإذا ذكر الله بلسانه في هذه الحال فإنه بعتبر في حقه ذنب وفي هذا الحال المعكوس يقول :

بذكر الله تزداد الذنوب ... وتنطمس السرائر والقلوب

فترك الذكر أفضل كل شيء ... وشمس الذات ليس لها غروب [3].

زاد الله ذنوبهم وطمس سرائرهم وقلوبهم انظر كيف تلاعب الشيطان بهم حتى أصبح ذكر الله يزيد ذنوب الإنسان ويطمس سريرته وقلبه لأن الأولى به حين يصل إلى تلك المرتبة أن يترك كل شيء لاتحاده التام بالله تعالى حيث تصبح ذاته لاغروب لها بعد ذلك .

---

(١) ص ١٧١ .

(٣،٢) ص ١٧٢ .

مستند الصوفية في وجدهم ورقصهم :

قال الفوتي :« وقالت عائشة رضي الله عنها كان رسول الله ﷺ يذكر الله تعالى على كل أحيانه فإذا انضم إلى هذا القيام رقص أو وجد ونحوه فلا إنكارعليهم فإن ذلك من لذات الشهود والمواجيد وقد ورد في بعض طرق الحديث رقص جعفر بن أبي طالب بين يدي الرسول ﷺ حين قال له أشبهت خلقي وخلقي من لذة هذا الخطاب ولم ينكر عليه ذلك النبي ﷺ فكان هذا أصلا في الجملة في رقص الصوفية ووجدهم » (١).

ومما يدركه طلاب العلم أن هذا القول مملؤ بالمغالطة والكذب فأين اهتزاز جعفر وخفته في حال سماعه قول الرسول ﷺ من رقص الصوفية وتمايلهم طربا لا يمت إلى الخشوع بأدنى قرابة وبذكر لا يورث أيضا أي خضوع ولا ذكر للآخرة مثل ما يذكره الفوتي بقوله في تعداد أنواع ذكرهم قال :

« فلا حرج على الذاكر ما دام مسلوب الاختيار يستعمله كيف شاء على أنواع مختلفه كلها محموده وصاحبها مشكور عليها فلها كلها أسرار فربما يجري على لسانه الله الله الله أو هو هو هو أو لا لا لا لا لا لا لا أو آآآآ بالمد أو أأأأأ بالقصر أو ا هـا هـا هـا هـا هـا هـ اهـ أو ها ها ها ها ها ها ها ها أو... عياط بغير حرف أو صراخ وتخبيط فأدبه في ذلك الوقت أن يسلم نفسه لوارده يتصرف فيه كيف يشاء » (٢).

ولك أيها القارئ اللبيب أن تتصور الصوفي وهو يترنح يمينا وشمالا وهو يصرخ هو هو هو أو لا لا لا لا لا لا لا أوأأأأوآ أو هاهاها ها ها ها ها هاها أو بغير تلك الصفات الهوجاء بأن يكون عياطا بغير حرف أو كان ذكره أنه يصرخ أو تخبيط كالذي مسه الشيطان فكيف تتصور النتيجة أنها مآس تقشعر لها الجلود إن هذا عار على الإسلام والمسلمين بل عار على العقل والإدراك إنك لو اطلعت

(١) ص ١٧٩ .	(٢) ص ١٨٠ .

عليـهم وهـم يرددون هو هو هو ولم تـكن تعرف التـصـوف من قـبل لوليت منهم فرار ولملئت منهم رعبا .

ذكر الله وصفة طبية محتكرة على أقطاب الصوفية وبرضاهم قال الفوتي :

« اعلم أن الذكر المأخوذ عن غير شيخ أو عن شيخ غير مفتوح عليه عارف هلاك صاحبه أقرب من سلامته لا سيما أسماء الله تعالى » وسبب ذلك يبينه أحد كهنة الصوفية وهو عبد العزيز الدبا غ بقوله: « الأسماء الحسنى لها أنوار من أنوار الحق سبحـانه فإذا أردت أن تذكر الاسم فإن كـان مع الاسم نوره الذي يحجب من الشيطان وأنـت تذكره لم يضرك وإن لم يكن مع الاسم نوره الذي يحجب من الشيطان حضر الشيطان وتسبب في ضرر العبد والشيخ إذا كان عارفا وهو في حضرة الحق » [1] .

من رأى الثعلبي أحـد أقطاب الصوفيه دخل الجنه . اجـتمع أحمد التيجاني بالشريف الحسني التهامي فقـال له : « سمعت أن لك مـزية عظيمة فقـال له : ما هي قـال له : من رآك يدخل الجنـه قال : نـعم إلا أن المزية ليست لي فـقـال له : شيـخنا لمن هي قال : للشيخ الثعلبي لأن من رآه ومن رآى من رآه ومن رآى إلى سبعة أو ثمانية أو إثني عشر إنسانا يدخل الجنه وأنا رأيت من رأى من رآه»[2].

وقال كذلك :

عن الثعلبي أنه قال : « من رآني إلى سبعة ضمنت له الجنة » [3].

الأوليـاء يرون النبي ﷺ يقظة لا منا مـا حـسـب زعم الفـوتي في قـوله : « الفصل الحادي والثلاثون في إعلامهم أن الأولياء يرون النبي ﷺ يقظة وأنه ﷺ يحضـر كل مجلس أو مكان أراد بـجسده وروحـه وأنه يتصـرف ويسيـر حيث يشـاء في أقطار الأرض في الملكوت وهو بهيئته التي كـان عليهـا قبل وفـاته لم

---

(١) ص ١٨٦ . (٢) ص ١٩٣ . (٣) ص ١٩٣ .

يتبدل منه شيء وأنه مغيب عن الأبصار.

كما غيبت الملائكة مع كونهم أحياء بأجسادهم فإذا أراد الله أن يراه عبد رفع الحجاب فيراه على هيئته التي كان هو عليها » [1].

وجاء في هذا الباب بما لا يتصوره عقل سليم من مجيئ النبي ﷺ إليهم ومقابلاتهم له وأخذهم عنه علوما وفوائد وغير ذلك مما لا نرى التطويل بذكره وفوق ما تقدم يذكر الفوتي أ ن النبي ﷺ يحضر الديوان الصوفي وقد أطال في أخبار هذا الديوان والترتيب الذي يسيرون عليه حينما يحضر الرسول ﷺ أو حينما يتغيب قال في أول ذلك الكلام :

« قلت ولا ينكر رؤية النبي ﷺ يقظة إلا من لا شعور له بمقامات العارفين ولا اطلاع له على ديوان الصالحين فها أنا ألخص لك شيئا من ذلك » [2].

وقاك الله من ذلك التلخيص الذي هو أشبه ما يكون بحكايات ألف ليلة وليلة إلا أن تلك الحكايات لالف ليله وليله لاتصل إلى عشر الأكاذيب التي ساقها أقطاب التصوف في تفاصيل ذلك الديوان الغريب الذي يحضره الأولياء والنبي محمد ﷺ وأحيانا يحضره الأنبياء كلهم ويحضره أيضا الأموات ويعرفون بعلامات في لباسهم وكلامهم»[3]، وأخبار أخرى إذا قرأها العاقل حمد الله على نعمه العقل والدين .

والنبي ﷺ لا يحضر الديوان الصوفي فقط وإنما يحضر أيضا حسب أكاذيب الصوفية صلاة جوهرة الكمال حسبما يقرره محمد السيد التجاني في كتابه الهداية الربانية حيث يقول :

« وكذلك يحضر الرسول ﷺ مع الخلفاء الأربعة والشيخ ومع عدد عظيم من صفوة الملائكة في الوظيفة السابعة من الجوهرة إلى الاختتام ويشفع في جميع

---

(١) ص ٢١٠ .　　(٢) انظر رماح الفوتي ص ٢١٢ إلي ص ٢١٤ .

(٣) انظر رماح الفوتي ص ٢١٢ إلى ٢١٤ .

الحاضرين شفاعه خاصة تلحقهم وتلحق السابع من أولاده ولو لم يكن فقيراً إن حضرها بمحبة في الذكر وأهله ولو لم يعرف خاصيتها بل يحضر النبي ﷺ لكل من قرأها في غير الوظيفة حتى يختم ولو سار عمره ما فارقه ﷺ صاحبا أو فقيرا أوتلميذا وهذا أغرب من كل غريب تفضل به الحق سبحانه على أهل هذه الطريقه لا غير »[1].

ولئن كان محمد السيد التجاني قد كذب في أن النبي ﷺ والخلفاء الأربعة وتلك الصفوف من الملائكة يحضرون .

فإنه قد صدق حين قال عن كل ما ذكره سابقا : « وهذا أغرب من كل غريب » نعم إنه في منتهى الغرابة فأي عقل سليم يصدق مثل ذلك الهراء السمج والكذب على الله وعلى نبيه وعلى خيار الصحابة .

ولقد ذكر في كلامه بموقف مر على حيث وقفت أمام بائع في حانوته - دكانه - وقد كتب عليه لوحه كبيرة هذا عنوانها « من يصدق خصم خمسين في المائه » فقلت له نعم لا أحد يصدق وأنا أولهم أنك تخصم خمسين في المائة فضحك وقال : « الناس يفهمون غير مافهمته » .

أمثله مختصرة من مزاعم التيجاني يذكرها الفوتي ، وفيها من المبالغات وتزكية النفس وإطرائها مالا يليق بمخلوق منها قوله :

١ - قد أخبرني سيد الوجود ﷺ بأني أنا القطب المكتوم منه إلى مشافهة يقظة لا مناما .

٢ - لا يشرب ولي ولا يسقى إلا من بحرنا من نشأة العالم إلى النفخ في الصور .

٣ - إذا جمع الله خلقه في الموقف ينادى مناد بأعلى صوته حتى يسمعه كل من في الموقف يا أهل المحشر هذا إمامكم الذي كان مددكم منه» .

---

(١) الهداية الربانية في فقه الطريقة التجانية ص ٢١ .

٤ ـ قال الشيخ عبد القادر الجيلاني قدمي هذا على رقبة كل ولي لله تعالى يعني أهل عصره وأما أنا فقدماى هاتان وجمعهما على رقبة كل ولي لله تعالى من لدن آدم إلى النفخ في الصور .

٥ ـ هذا القرن أفضل من جميع ما تقدمه من القرون السالفة سوى القرون الثلاثة الوارد النص بأفضيلتها »[١].

ثم ذكر الفوتي فضائل من تمسك بطريقة التجاني نوردها ليقف القارئ على مدى الهوس والأماني الفارغه التي أقام الصوفية مذهبهم عليها :

١ ـ أن جده ﷺ ضمن لهم أن يموتوا على الإيمان والإسلام .

٢ ـ أن يخفف الله عنهم سكرات الموت .

٣ ـ لايرون في قبورهم إلا مايسرهم .

٤ ـ أن يؤمنهم الله من جميع أنواع عذابه وتخويفه وجميع الشرور من الموت إلى المستقر في الجنه .

٥ ـ يغفر الله لهم جميع ذنوبهم ما تقدم وما تأخر منها .

٦ ـ أن يؤدي الله عنهم جميع تبعاتهم ومظالمهم من خزائن فضله عز وجل لا من حسناتهم.

٧ ـ أن لا يحاسبهم الله تعالى يوم القيامة ولا يناقشهم ولا يسألهم عن القليل والكثير .

٨ ـ أن يظلهم الله في ظل عرشه يوم القيامة .

٩ ـ أن يجيزهم الله تعالى على الصراط أسرع من طرفة العين على كواهل الملائكة.

١٠ ـ أن يسقيهم الله تعالى من حوض النبي ﷺ .

---

(١) انظر من ص ٤ إلي ٣٦ . جـ ٢ .

١١ ـ أن يدخلهم الله الجنة بغير حساب ولا عقاب في أول الزمرة الأولى .

١٢ ـ إنهم يستقرون في عليين وجنة الفردوس وجنة عدن .

١٣ ـ أن النبي ﷺ يحب كل من أحب التجاني .

١٤ ـ أن محب التجاني لا يموت حتى يكون وليا .

١٥ ـ أن أبوي آخذي ورده وأزواجه وذريته يدخلون الجنه بغير حساب ولا عقاب ولو لم يكن لهم به تعلق .

١٦ ـ أن التجانيين تلاميذ للنبي ﷺ وأحباب له .

١٧ ـ أن أصحاب التجاني يعتبرون صحابيين مثل صحابة الرسول ﷺ .

١٨ ـ أن أي أذية لأي تيجاني تعتبر أذية للرسول ﷺ .

١٩ ـ أن الإمام المهدي في آخر الزمان يأخذ عنهم ويدخل في زمرتههم ويطلب إليهم أن يعلوه الفاتحه .

٢٠ ـ أن كل واحد من التجانيين أعلى من أكبر ولي من الأولياء ممن عداهم .

٢١ ـ في الأذكار التى أعطيها التجاني اسم الله الأعظم .

٢٢ ـ أن كل تيجاني يحفظ الأذكار آمن من السلب .

٢٣ ـ أن الله تعالى يعطيهم عن كل عامل تقبل الله عمله الضعف في أجره وهم رقود.

٢٤ ـ لا يمر عليه ما يمر على سائر الناس من التعب في الموقف .

٢٥ ـ أن النبي ﷺ يحضر هو وخلفاؤه مع التجانيين دائما .

٢٦ ـ يتميزون في يوم القيامة عن سائر الناس بأن كل واحد منهم مكتوب بين عينيه محمد ﷺ وعلى قلبه مما يلي ظهره محمد بن عبد الله وعلى رأسه تاج من نور مكتوب فيه الطريقة التجانية منشؤها الحقيقة المحمدية .

٢٧ ـ أن التجاني لا يعذب ولو قتل سبعين روحا إذا تاب بعدها .

اقتصر على ما ذكرو إلا فإن الفوتي ذكر بعد ذلك مزايا تدل على سعة خياله وعدم خوفه من القول على الله بغير علم .

ثم ذكر مزايا الأذكار الطريقة التجانية لا يستطيع الخلق حصرها ولو جاءوا بكل أجهزة الآلات الحاسبة واستدل على ذلك بأن الله يرزق من يشاء بغير حساب كل المخلوقات من السموات والأرض ومن فيهن والعرش والكرسي والقلم واللوح المحفوظ كلها خلقت من نور محمد ﷺ والأرواح كلها كذلك من نوره ﷺ هذه الخرافات كلها يثبتها الفوتي في رماحه تبعا لمفاهيم الصوفية الضالة ويثبت أن الله قبل كل شيء ليس معه إلا ذات النبي ﷺ وأن الملائكة وجبريل في أولهم أنما خلقوا لخدمة محمد ﷺ[1].

تلاعب التجانية بتفسير القرآن الكريم

« أنه ﷺ عين الرحمة الربانية لأن جميع الوجود رحم بالوجود بوجوده ﷺ ومن فيض وجوده أيضا رحم جميع الوجود فلهذا قيل فيه عين الرحمة ﷺ وهو المراد بقوله: ﴿ **ورحمتي وسعت كل شيء** ﴾ وقوله تعالى : ﴿ **وما أرسلناك إلا رحمة للعالمين**﴾[2].

الصوفية باطنية ويفضلون العلوم الباطنية على الغلوم الإسلامية .

تساءل الفوتي على لسان شخص ما الفائدة من الالتجاء إلى علم الشريعة أي علم الظاهر مع أن علم الحقيقة أي العلم الباطني أفضل ثم أجاب عن ذلك وصيغة السؤال والجواب هي« فإن قلت فلم لايكتفي الإنسان بعلم الباطن المسمى علم الحقيقة فيعمل بها حيث كانت هي المقصودة بالذات فلم يقدم على الظاهرالمسمى بالشريعة التي هي الوسيلة ، ثم قال في الجواب « قلت اعلم وفقني الله وإياك لما يحبه ويرضاه أن علم الشريعة الذي هو علم الظاهر وسيلة إلى المقصود بالذات الذي هو علم الحقيقه كما ذكرت وعلم الحقيقه أفضل

---

(١) انظر ص ١١٨ - ١٢٠ .
(٢) ص ١٢٧ .

وأشرف منه إلا أن الانتفاع بعلم الحقيقة منوط باستصحاب علم الشريعة » ونقل عن عبد العزيز بن مسعود الدباغ قوله :

« إن علم الظاهر بمثابة الفنار الذي يضيء ليلا فإنه يفيد في ظلمة الليل فائدة جليلة. وعلم الباطن بمثابة طلوع الشمس وسطوع أنوارها وقت الظهيرة»[1].

---

(١) ص ١٤٧ .

الفصل الثامن

الخلوات الصوفية ومنها الخلوات التجانية

أورد الفوتي في رماحه المعوجة إيضاحات كثيرة لهذه الخلوات الصوفية تحتاج إلى دراسة مستقلة ولئلا يفوت القارئ بعض أخبارها فإنني سأكتفي بإيجاز بعض ماقرره فيها كهنة الصوفية الذين أسهموا بجهد كبير في تنويم الأمة الإسلامية وتأخرها وتخدير كل عرق نابض فيها حتى وصلت إلى ما وصلت إليه مما لا يزال أقوى شاهد على تلك الجهود في عصرنا الحاضر ما هو حاصل بين المسلمين.

الدليل على الخلوات الصوفية حسب زعمهم :

يستدلون بما رواه البخاري عن عائشة رضي الله عنها قالت « أول ما بدأ برسول الله ﷺ من الوحي الرؤيا الصالحة في النوم فكان لايرى رؤيا الإجاءت مثل فلق الصبح ثم حبب إليه الخلاء فكان يخلو بغار حراء فيتحنث فيه وهو التعبد الليالي ذوات العدد إلخ الحديث » (١).

يقول الفوتي :

« فهذا الحديث المنبيء عن بدء رسول الله ﷺ هو الأصل في اثبات المشائخ للخلوه لمريد من الطالبين » (٢).

والجواب :

١ـ أن هذا الحديث بينه وبين الخلوة الصوفية فراق لا لقاء معه فإن خلوة الرسول ﷺ إنما كانت لتحبيب الله عز وجل له ليهيئه لحمل الأمانة العظمى .

٢ ـ كانت قبل أن يؤمر بتبليغ الناس الدين الإسلامي .

---

(١) انظر صحيح البخاري مع الفتح جـ ١ صـ ٢٢ .

(٢) انظر ما كتبه الفوتي من صـ١٦١ إلى صـ ١٦٨ وقد ذكرت ذلك هنا بتصرف .

٣ ـ لم يأمر بهـا النبي ﷺ ولا أشار إليها ولا استحسنها لأمته على الطريقة الصوفية .

٤ ـ لم يفعلها أحد من الصحابه ولا من بعدهم من التابعين لهم بإحسان .

٥ ـ أنها تنافي ما هو ظاهر من الشريعة الإسلامية بالاكتساب وبدعوة الناس ومخالطتهم إلى غير ذلك من الأجوبة التي يدركها طلاب العلم .

والخلوة الصوفية بدعة مستحدثة و ليس فيها أي نفع لا للشخص ولا للمجتمع يخرج منها الشخص مظلم الفكر محلا للوساوس نافرا عن الناس .

مدتها : يقول الفوتي :

وأكثرها عند القوم لا حد له لكن السنة تشير للأربعين بمواعدة موسى ﷺ والقصد في الحقيقة الثلاثون إذ هي أصل المواعدة وجاور ﷺ بحراء شهرا».

شروط الخلوة الصوفية :

ذكر الفوتي ستة وعشرين شرطا لصحتها نذكرها باختصار وللقارئ أن يلاحظ أثناء عرضها مدي تغلغل الأفكار المخالفة للإسلام فيها من بوذية وهندوسية ونصرانية وغير ذلك.

١ ـ أن يعود نفسه قبل دخولها إذا أراد الشروع السهر والذكر وخفة الأكل والعزلة .

٢ ـ أن يكون دخول الخلوة بحضور الشيخ ومباركته له وللمكان أيضا .

٣ ـ أن يعتقد في نفسه أن دخوله الخلوة إنما هو بقصد أن يستريح الناس من شره.

٤ ـ أن يدخلها كما يدخل المسجد مبسملا متعوذا بالله تعالى من شر نفسة مستعينا مستمدا من أرواح مشايخه بواسطة شيخه المباشر .

٥ ـ أن يدخل الشيخ الخلوة ويركع فيها ركعتين قبل دخول المريد ويتوجه إلى الله تعالى في توفيق المريد .

٦ ـ أن يعتقد عند دخوله الخلوة أن الله تعالى ليس كمثله شيء فكلما يتجلى له في خلوته من الصور ويقول له أنا الله فليقل سبحان الله آمنت بالله .

٧ ـ أن لا يتلهف كثيرا على كثرة ظهور الكرامات .

٨ ـ أن يكون غير مستند إلى جدار الخلوة ولا متكئا على شيء مطرقا رأسه تعظيما لله تعالى مغمضا عينيه ملاحظا قوله تعالى أنا جليس من ذكرني ثم يجعل خيال شيخه بين عينيه فإنه معه وإن لم يره المريد .

٩ ـ أن يشغل قلبه بمعنى الذكر على قدر مقامه مراعيا معني الإحسان وهو أن تعبد الله كأنك تراه .

١٠ ـ أن يداوم الصوم لأنه يؤثر فى تقليل الأجزاء الترابية والمائية فيصفو القلب .

١١ ـ أن تكون الخلوة مظلمة لا يدخل فيها شعاع الشمس وضوء النهار فيسد على نفسه طرق الحواس الظاهرة وسد طرق الحواس الظاهرة شرط لفتح حواس القلب .

١٢ ـ دوام الوضوء لتتلألأ الأنوار فيها بعد ذلك .

١٣ ـ دوام السكوت إلا عن ذكر الله تعالى الاعند الضرورة القصوى فيتكلم بحذر شديد أن يزيد .

١٤ ـ أن تكون الخلوة بعيدة عن حس الكلام وتشويش الناس عليه .

١٥ ـ كونه إذا خرج للوضوء والصلاة يخرج مطرقا رأسه إلى الأرض غير ناظر إلى أحد ويحذر كل الحذر نظر الناس إليه مغطيا رأسه ورقبته بشيء لأنه ربما يحصل له عرق الذكر فيلحقه الهواء فيضره .

١٦ ـ أن يحافظ على صلاة الجمعة والجماعة ـ وإن وجد نفقة فليتخذ له شخصا يصلي معه في خلوته ؛ أي بالإيجار .

وإذا خرج لصلاة الجماعة ليتأخر حتى يكبر الإمام تكبيرة الإحرام فإذا انتهى من الصلاة رجع فورا إلى خلوته قال السهروردى .

« وقد رأينا من يتشوش عقله في خلوته ولعل ذلك لشؤم إصراره على ترك صلاة الجماعة .

١٧ ـ المحافظة على الأمر الوسط في الطعام لا فوق الشبع ولا الجوع المفرط .

١٨ ـ أن لا ينام إلا إذا سبه النوم بأن تشوش عليه الذكر .

١٩ ـ نفى الخواطر عن نفسه خيرة كانت أم شريرة .

٢٠ ـ دوام ربط القلب بالشيخ بالاعتقاد والاستمداد على وصف التسليم والمحبة والاعتقاد التام بأنه لا يصل إليه أي خير إلا من قبل شيخه المباشر ومتي غاب فكره عن الشيخ فقد خسر الصفقة .

٢١ ـ ترك الاعتراض على الشيخ لأنه أعلم بمصالحه وأكبر عقلا وأعظم لأنه بلغ مبلغ الرجال بخلاف المريد .

٢٢ ـ أنهم في أثناء خلواتهم لا يفتحون أبواب خلواتهم لمجيئ الناس إليهم وزيارتهم والتبرك بهم وإياك وتلبيسات النفوس وخداع الشيطان بالإلقاء فيك إن هذا الشخص يهتدي بك وبكلامك وينتفع بملاقاتك في الدين فإنها من شبكات مكر اللعين .

٢٣ ـ أنهم إذا شاهدوا أشياء تقع لهم في اليقظة أو بين النوم واليقظة فلا يستقبحون ذلك ولا يستحسنونه بل يعرضون ذلك على الشيخ وهو يتصرف بعد ذلك .

٢٤ ـ دوام الذكر والأذكار حسب ترتيب الشيخ لها .

٢٥ ـ الإخلاص وحسم مادة الرياء وطلب السمعة بالكلية .

٢٦ ـ أن لا يعين مدة يخرج بعد كمالها فإن النفس يصير لها بذلك تتطلع إلى انقضاء المدة بل يدخلها وهو يحدث نفسه بأنه قد انتهى من الحياة ودخل القبر.

هذه أهم الشروط التي لفقها علماء التصوف مثل على حرازم والفوتي والسهروري والشيخ نجم الدين البكري وغيرهم من عتاة التصوف .

ولاشك أن القارئ يدرك مدى تأثر هؤلاء الصوفية بالمبادئ الخارجة عن الإسلام وكيف حاولوا أن يظهروها ويغطوها بغطاء إسلامي وإلا فأين مستندهم من القرآن الكريم أو السنه النبوية على تلك الرهبانية وتلك الخلوة في ذلك الحفش المظلم الذي يسد فيه أي شعاع للنور ويجلس غير مستبند إلى شيء هل هو من الإسلام وتلك الطاعة العمياء التى ما أنزل الله بها من سلطان والتي لا ينبغي أن تكون إلا لله ولرسوله فقط هل هي من الإسلام إن كل ذلك جناية على العقل أيما جناية وإذلال للمؤمن ايما إذلال وإساءة لتعاليم الإسلام الحنيف وتشويه لصورته المشرقة عند من لا يعرفه .

زوجة الشيخ المطلقه منه لا يحق للمريد أن يتزوجها لقول الله في حق نبيه محمد ﷺ ﴿**ولا أن تنكحوا أزواجه من بعده**﴾ يقول الفوتي في بيانه لأقسام الناس بالنسبه لطاعة شيوخهم .

« ومنهم من يتزوج مطلقة شيخه لولا قول الله تعالى ﴿ **ولا أن تنكحوا أزواجه من بعده أبدا** ﴾ [1].

أقسام الخلوات الصوفية :

١ ـ خلوة الأربعين يوما التي تقدم ذكرها وشروطها .

٢ ـ خلوة فاتحة الكتاب وكيفيتها أن تصوم أربعين يوما وتحترز فيها من أكل الحيوان وما يخرج منه وتقرأ هذا الدعاء .. إلخ ما يذكر وهنا لا أظن أن الأمر يحتاج إلى اجتهاد في استكشاف نزعة التصوف الوثنية .

٣ ـ خلوة البسملة ومدتها تسعة عشر يوما ومن فاته سربسم الله الرحمن الرحيم

---

(١) ص ١٩٩ .

فلا يطمع أن يفتح عليه بشيء .

٤ ـ خلوة الفاتحة أيضا وهي أن يلازم قراءتها بالخلوة أربعين يوما .

٥ ـ خلوة الياقوتة الفريدة وخلوتها عشرون يوما تتلى كل يوم في الخلوة ألفي مرة .

وقال الفوتي بعد ذكر تلك الخلوات الخرافيه :

« انتهى ما أردنا ذكره منها ولكل واحد منها ثمرات لا يمكن حصرها منعني من ذكر بعضها الخوف من شياطين الطلبه»[1].ولعله كان يدرك أن هؤلاء الطلبة ربما لا يزال فيهم وميض من العقل والمعرفة فآخر الأخبار بكل التفاصيل إلى وقتها.

ولعل الذى شجع الصوفية على هذا الخبط والاضطراب ما هو مقرر عندهم في القاعدة الآتية : « أصحاب الفتح الأكبر لا يتقيدون بمذهب من مذاهب المجتهدين بل يدورون مع الحق عند الله تعالى أينما دار [2]. » ولهذا فكل عمل يعملونه يعتبر من باب التشريع للأمة . تثبيط الصوفية اتباعهم عن الجهاد في سبيل الله وقتال الكفار وتسميتهم للجهاد هذا بالجهاد الأصغر وتسميتهم لما يسمونه جهاد النفس بالجهاد الأكبر .

قال الفوتي . « انعقد اجماع الأمة على وجوب جهاد النفس والهجرة عن مألوفاتها وردها إلى الله تعالى أكبر من جهاد الكفار بلا ريب لوجوه [3] .

(١) أحدها إن جهاد النفس والهجرة عن مألوفاتها السيئة فرض عين وجهاد الكفار فرض كفاية .

(٢) أن النفس أعدى من كل عدو لصاحبها لأن المجاهد جهاد الكفار إن قتل

---

(١) ص ١٧٠ . (٢) ص ١٧١ .

(٣) نذكرها بتصرف انظر ص ٢١٧ إلى آخر الفصل الذى أورده وهو الحادى والخمسين .

الكافر دخل الجنة وإن قتله الكافر كا ن شهيدا بخلاف النفس فإن غلبها صاحبها استولى عليها وكان الحكم للروح وسعد وسعدت سعادة الأبد وإن غلبت وتسلطت على الروح تسلط عليه الكفر والمعاصي فيهلك .

(٣) إن ضرر الكفار مقصور في الدنيا وهى فانية ولذلك كان جهادهم أصغر ... وفي عرائس البيان عند قوله تعالى ﴿ **يأيها الذين آمنوا قاتلوا الذين يلونكم من الكفار** ﴾ النفوس التي هى تجمع الهوى والبلاء والحجاب من عرفها قاتلها وأماتها يعنون الرياضات .

(٤) إن جهاد الكفار قد لايكون فرضا في بعض السنين وجهاد النفس وردها عن مقتضى هواها والهجرة عن مألوفاتها الباطله واجب متعين على كل مسلم ومسلمه في كل لحظة .

(٥) إن بعض فروض الكفاية أفضل من جهاد الكفار .

(٦) إن فرض جهاد الكفار يسقط بمنع الأمر والنهي من الوالدين لوجوب طاعتهما ويحرم طاعتهما في مجاهدة نفسه .

(٧) إن جهاد الكفار يقدر عليه كل أحد وجهاد النفس والهجرة عن مألوفاتها... لا يقدر عليه إلا الموفقين .

(٨) إن شهيد جهاد النفس والهجرة عن مألوفاتها المخزية شهيد قطعا في الآخره وأكثر شهداء الكفار شهداء الدنيا فقط دون الآخره

(٩) إن القائم بجهاد نفسه والهجرة عن مألوفاتها المضلة قائم لإصلاح نفسه وساع في تخليصها من الدنيا وعذاب الآخرة والقائم بجهاد الكفار قائم لإصلاح غيره .

(١٠) إن شهيد جهاد النفس والهجرة عن مألوفاتها المبعدة عن الله تعالى أفضل من شهيد جهاد الكفار بدرجات .

وهناك أقوال أخرى كثيرة لأقطاب التصوف في تثبيط المسلمين عن جهاد الكفار وتركهم والانزواء في الزوايا والأربطة ومجاهدة النفس وإصلاحها دون إصلاح الآخرين ومن الواضح أن تلك التعليلات التي ذكرها الفوتي ويذكرها غيره من أقطاب الصوفية إنها تعليلات واهيه تردها النصوص الكثيرة من كتاب الله تعالى وسنة نبيه كما في سورة براءة وكما في أحاديث فضل الجهاد والقتل في سبيل الله وتمنى الشهيد الرجوع إلى الدنيا مرة أخرى ليقتل في سبيل الله لما يرى من إنعام الله ورضاه عنه . وزعم الصوفية أن جهاد النفس أولى مغالطة فإن جهاد الكفار هو أعلى جهاد للنفس وفضله أعلى وأشرف ولو أن المسلمين أطاعوا الصوفية وقبعوا في الزوايا المظلمة وتركوا قتال الكفار واهتموا بجهاد أنفسهم على طريقة الصوفية لجاء الكفار ولكان أول ما يبدأون به هو إخراج هؤلاء الدواجن من زواياهم ثم هتك أعراض المسلمين وأخذ بلدانهم وأموالهم وإذلالهم وإهانتهم إن ما يذهب إليه هؤلاء الصوفية هو تخدير وتنويم للمسلمين.

ورحم الله عبد الله بن المبارك حين قال في قصيدته العصماء التي يقول في أولها :

ياعابد الحرمين لوأبصرتنا ... لعلمت أنك بالعبادة تلعب
من كان يخضب خدّه بدموعه ... فنحورنا يوم الكتيبة تخضب

ومن الواضح أن أعداء الإسلام حينما ينظرون إلى الصوفية بعين الرضى والارتياح فإنما ذلك لأجل هذه المواقف المتخاذله التي وقفها أقطاب التصوف منهم. ولقد اتفقت دعوة الصوفية إلى ترك الجهاد مع كل الأفكار الخارجة عن منهج الله عز وجل إذ ما من طائفة من تلك الطوائف إلا وكانت الدعوة إلى ترك الجهاد من أوليات إهتماماتهم .

وأرجو من الله عز وجل أن يهيء لدراسة تلك الأفكار الصوفية المتقدمة دراسة وافية ورد كل مزاعمهم التي فرقوا بها دينهم وأمتهم إلى وقتنا الحاضر .

الفصل التاسع

مغالطات لجنة جماعة الصوفية في مدينة « ألورن » في نيجيريا »

وأما لجنة جماعة الصوفية في مدينة « ألورن في نيجيريا فقد أراد وا تحسين الوجه الكالح للتيجانية والقادرية أيضا حيث أخرجوا كتيبا باسم « رفع الشبهات عما في القادرية والتجانية من الشطحات»[1] ، وقام بترتيبه الحاج محمد إبراهيم النفاوى القادرى ، والحاج على أبوبكر جبتا التجاني . وقد صدروا هذا الكتيب بأبيات للحاج حمزة سلمان أيارغدرما الألورى ومنها :

انتبهوا يامعشر الإخـــوان   على فساد واعظي الزمـان

قد دخلوا فـي هذه البلدان   لنصرة الإلحـاد والشـيطان

وطعنوا في شيخنا التجاني   وطعنوا في شيخنا الجيلاني

إلخ تلك الأبيات التى يدافع بها عن التجـانية ويحذر من دعوة المصلحين من المسلمين إلى رجوع التجانيين إلى الحق وقد وصف هذه الـدعوة الإصلاحية أنها نصرة لـلشياطـين وللالحاد لمجرد انتقادها منـهج التجـانية وجرائـمه ويقصـد بهم جماعة نصر الإسلام في مدينة كادونا .

وما دامت الـنصيحـة واجبـة لله ولرسوله ولأئمـة المسلمين وعـامتهم فـإنني أحذرك أيهـا القارئ من قرائتـها قبل أن تـقرأ مبـادئ الصوفيـة والردود عليهم لا لغزاره علم فيهـا وإنما لكثرة المغالطات والتأويلات وإيراد الأدلة على غير مـعانيها الصحيحة سواء كانت من القرآن الكريم أو من السنة النبوية فقد جاءت ردودهم من واقع الانفـعال العـصبـى ضد من كـفرهم من بعض الـدعاة وطلبـة العلم في نيجيريا وغيرها ، كمـا يذكرون ولا ريب أن إعلان تكفيرهم وإخراجهم من الملة هم أو سائر الصوفية حكما عاما دون تفصيل لا ريب في قبح خطئه .

---

(١) رفع الشبهات عما في القادرية والتيجانية من الشطحات يتكون من ٣٢ صفحة مع مقدمة آدم عبد الله الألورى التجاني القادرى مدير المركز العربى في نيجيريا .

ومما أحب تنبيه طالب العلم عليه هو ما جاء في ردودهم من الأخطاء الفاحشة في تأويل صفات الله تعالى كما هي الطريقة المعروفة عن نفاة الصفات، حيث جعلوها من المتشابهات ثم أكدوا أنهم يؤمنون بالمتشابهات من القرآن الكريم ومن السنة النبوية ويطلبون لما ظاهره عدم موافقة الواقع تأويلا ليخلصوا بعد ذلك إلى أن أقطاب الصوفية أيضا كلامهم يحمل ما كان منه مخالفا للواقع أو فيه شطح على التأويل مع حسن الظن بهم كيف ما كان اعتقادهم وهو طلب مردود فإن الإنسان لا يعلم ما في نفسه إلا الله وإنما يحكم عليه حسب ما يظهر من قوله أو فعله أو اعتقاده .

وهؤلاء أصحاب الشطح أظهروا كلمات كفرية وفعلوا أفعالا باطلة وتمد حوا بذلك كله ولوجاز هذا المسلك لجاز أن نعتذر لمن لطم شخصا أو لعنه بأنه فعل ذلك من فرط حبه له وتقديره له .

وأما بالنسبة لجواب التجانيين في مدينة ألورن عن بعض المبالغات في الطريقة التجانية ومنها صلاة الفاتح .

فقد أجابوا عن تقرير التجانيين في أن صلاة الفاتح لما أغلق المرة الواحدة منها تعدل ستة ألاف ختمة بأن هذا من المتشابهات ولعله أريد بذلك تفضيل الممكن على المستحيل أى من حيث إنه يمكن أن يصلى بصلاة الفاتح فى دقيقة واحدة ويستحيل أن يقرأ ستة آلاف ختمة في دقيقة واحدة .

والغريب في هذا الجواب أن يتكلف له إلى هذا الحد بأن يقال أنه من المتشابه وكان الأسهل والأقوى في الجواب أنهم يقولون هذا خطأ من التجاني وخروج عن الصواب لأنهم يجعلونه من المتشابه الذى لا يعلمه إلا الله فهو قول بشر والبشر معرضون للخطأ والصواب وأى حرج في أن يخطيء التجاني أو غيره ومن المؤسف أن يقال أخطأ عمر أو أخطأ ابن عباس أو بن مسعود أو بن عمر ثم لاتحصل هذه الجرأة أمام التجاني ويقال له أخطأت فإن القرآن الكريم هو

كتاب الله لا يعدله كلام البشر مهما كانوا عليه من العلم أو الصلاح . ولكن التعصب ليس له عقل .

مع أن صلاة الفاتح هذه ليس فيها ذكر السلام على النبي ﷺ بل فيها ذكر الصلاة فقط وهونقص بلا شك في صيغة الصلاة على النبي ﷺ على ضوء قوله تعالى : ﴿ **يأيها الذين آمنوا صلوا عليه وسلموا تسليما** ﴾ ، ونذكر للقارئ هنا جواب علماء ألورن من الصوفيين التجانيين حيث قالوا : « فالواجب على المسلم أن يصلي على النبي وأن يسلم عليه مرة في عمره ثم ما زاد فعلى الاستحباب فلا يجب الجمع بينهما في زمان واحد » .

ألاترى ياأخي المسلم أن هذا من باب الدفاع عن الباطل بباطل مثله من قال من علماء المسلمين المقتدى بهم أن الصلاة والسلام على النبي ﷺ لاتجب إلا مرة واحدة أليس هناك عشرات الأحاديث في الحث على الصلاة عليه في كل وقت وخصوصا يوم الجمعة ثم أليس ظاهر القرآن الكريم يطلب إلى المؤمنين أن يداوموا الصلاة والسلام عليه ﷺ .

أليس النبي ﷺ يقول رغم أنف عبد ذكرت عنده فلم يصل علي. ثم هل نترك الصلاة والسلام عليه في التشهد في الصلاة بحجة أنه لا يجب علينا السلام عليه إلامرة واحدة في العمر ؟

فجوابهم هذا سقيم مثل سقم جوهرة الكمال التي ورد فيها وصف النبي ﷺ بالأسقم ومع ذلك حاول هؤلاء العلماءالصوفية جاهدين على إخراج ما جاء في هذه الصلاة من عثرات وجهل بصورة مقبولة وأعتقد أنهم لم ينجحوا في ذلك لأن في صلاة جوهرة الكمال أمور يقف عندها الشخص طالبا للدليل ملحا عليه منها :

(١) إيجابهم للضوء لقراءتها كما في الهداية الربانية وجوهرة الكمال ورماح الفوتي

(٢) وصف النبي بالأسقم وهى كلمة نابية لا تقبلها النفس مهما أسدل عليها من تأويلات.

(٣) ما جاء من وصف النبي ﷺ بإحاطة النور المطلسم .

(٤) زعمهم أن النبي ﷺ يحضر بنفسه عند قراءة جوهرة الكمال .

أجابوا عن وجوب الوضوء لقراءتها بأنه شرط كمال لتحصيل البركه

وعن الأسقم أنها بمعنى العدل .

وعن المطلسم أى الخفي عن الغير .

وعن حضور النبي ص بأنه ممكن لأنه من الخوارق والنبي في قبره يرد السلام على من يسلم عليه ويظهر لأحبابه في أى مكان .

ثم استدلوا على حضوره في كل مكان بدليل أحب أن تحكم عليه أنت بنفسك أيها القارئ هذا الدليل هو محطة التليفزيون حيث تبث الصور في كل مكان وهى ثابته في مكانها فهل تلك الأجوبة التي أجابوا بها عن مسائل في غاية الأهمية قد لايقتنع الشخص بما قرره علماء الصوفية فيها حتى ولووجدت له الأدلة لربما نازع فيها فإنه قد تقرر عند المسلمين أن الوضوء لايجب إلا للصلاة ولقراءة القرآن والطواف بالبيت أما أنه يجب لقراءة جوهرة الكمال فهو حكم جديد يحتاج إلى دليل وأين الدليل ؟

وأما الأسقم والمطلسم فيكفي في النفور عنها ظاهرها فهى كلمات متكلفه لم ترد في كتاب الله ولا في سنة نبيه ولا في أقوال علماء الإسلام .

وأما حضور النبي ﷺ مجالس لهوهم وطربهم فهو قول لا يسلم لهم به أى إنسان عنده مسكة من عقل أو أثارة من علم . حينما مات النبي ﷺ غسل وحفر قبره ودلي فيه كما هو الحال في بقية بني آدم ثم دفن بعد ذلك النزاع بين المسلمين في موضع دفنه وحصل ماحصل للمسلمين بعد وفاته من فتن وبلايا

كانوا أحوج إليه ومع ذلك لم يقل أحد أنه رآه أو حضر أمرهم أوأشاركهم فيه، وإذا كان الأمر على ماذكره الصوفية في حفه الشريف من أنه يخرج من قبره حين يجتمعون ويفرشونه له بساطا أبيضا يليق بوقفه عليه فمن يدفنه مرة أخرى فإنهم يزعمون أنه يحضر بجسده ويقابلهم يقظة لا مناما وهذا يبطل مااستدل به التجانيون المتأخرون من تمثيل حضوره بمحطة التليفزيون لأن هذا لايتحقق إلا إذا قالوا يحضر بروحه فقط وفي مكان واحد أيضا فقط وهم لايقولون هذا بل يقولون يحضر في كل مكان في وقت واحد وبجسده الشريف .

وهل محطة التلفزيون تصلح أن تكون دليلا مقنعا على هذه المسأله الخطيرة؟

ويجدر بالذكر هنا أن جماعة ألورن تناقضوا في مسألة أصلها خطأ وبنوا عليها حكما خاطئا وذلك في قولهم: فصلاة الفاتح خالصة جامعة شاملة للمعاني العالية ولو كان مدحا للنبي ﷺ في حياته لفرح بها كما فرح بمدح كعب بن زهير حين مدحه بقوله « إن الرسول لسيف بستضاء به: مهند من سيوف الله مسلول » وبغض النظر عن صحة تركيب البيت فإن الذى يهمنا هنا أمور منها :

١ ـ كيف يقولون أن صلاة الفاتح لو مدح بها النبي ﷺ في حياته لفرح بها وهم يعتقدون ويقررون في كتبهم المعتمدة أن الرسول يحضر أماكنهم ويجالسهم ويحضر الديوان العام لهم بجسده وروحه ومعنى هذا أنه سمع بهذه الصلاة مرات عديدة .

٢ ـ أنهم يقررون أنها وحي من الرسول ﷺ للتيجاني فكيف بعد ذلك يقولون أنه لو سمع بها لفرح .

٣ ـ أنه ليس فيها مايفرح ففي الأذكار الثابتة والصلوات التي علمها ﷺ أمته ما لا تعتبر صلاة الفاتح لما أغلق شيئا بالنسبة لها .

٤ ـ أن قصيدة كعب أعجبت النبي ﷺ لجودة قريحه كعب وإتيانه بمعاني خلابة

فيـها تدل على سعـة فكره فهي من باب إن من البيـان لسحرا بخـلاف دعاء الفاتح فليس فيه شيء من هذا .

٥- كيف يقـررون فرح النبي ﷺ بها لو سـمعها مع أن فـيها إثبـات أجور لايعلم عددها إلا اللـه أو رسوله ﷺ بوحي وهي أمور غـيبية لا تقال إلا باخـبار الله ورسـوله عنهـا فاثبـاتهم لتلك الأجـور إمـا أن تكون بإخـبار الرسـول ﷺ وذكره لها وإما أن تكون من وضع خيـالاتهم، وإذا قالوا بأنه لم يعلم بها فإنها تعتـبر من الأمور المردوده لان من أحدث في الديـن ما لم يثبت فهـورد عليه فكيف يدعون أنها كانت من تعليم الرسول ﷺ ثم يقولون لو علم بها لفرح بها ثم يثبتون فيها أجورا خيالية بدون سند صحيح .

وعلى هذا فيعتبر قول جماعة «ألورن» أن النبي ﷺ لو كان سمعها لفرح بها كلام من تـلقاء أنفسهم واجتهاد خاص بهـم تناقضـوا فيه دون أن يشـعـروامع أن هذا القول ليس مسلمً لهم فإنها فإنه بامكان كل شخص أن يختـرع في الدين مايشاء ثم يقول بمثل مقالتهم هذه ويعلل بمثل تعليلاتهم.

تنبيه :

لقد أطلت في النقل عن التجانية فيما تقدم برغبة مني لأمور أبديها فيما يأتي:

(١) أن ذلك النقل كان من أهم كتب التجانيه مثل جواهر المعاني ورماح الفوتي وغيرهما من كتب التجانيين .

(٢) لأن التجانيه لاتزال مستولية على مـفاهيم كثير من الناس ولاتزال لها سلطتها الفولاذيه على كثير من بلاد أفريقيا بخصوصها .

(٣) لكي يقف القارئ على أفكار الـتجانيه ومـا تحمله من أخطار من كتبـهـم لئلا يظن أحد بوقوع التحامل عليهم .

(٤) كنت قد جمـعت تلك الأقوال في أوراق خاصة للرجوع إليهـا عند الحاجة ثم رأيت أن حاجة طلاب العلم إليها أيضا لدراسـتها وللرد على التجانيه ربما

تفوق حاجتي فأحببت أن أقدمها بل أعتبرها هدية إليهم حيث قرأت أهم مصادرهم واستخلصت منها ما يحتاج إلى تنبيه ودراسة ونقد لضرره على الإسلام والمسلمين .

(٥) عرضت تلك الأفكار من باب النصيحة لكي لا يقع أى شخص ضحية تلك الأفكار التجانية الخاطئة ولينجو منها من أراد الله به خيرا ممن وقع فيها بعد ما يقرأ بنفسه ما تبيته التجانيه لاتباعها من ذل واستعباد لا يليق بالإنسان الذى كرمه الله تعالى .

(٦) ما لمسته بنفسي من التعصب الأعمى للتيجاني وأفكاره من جهله بعض المسلمين مما يجعل الواقف على ذلك في حزن على هؤلاء الذين أرغمت أنوفهم في الأرض دون أن يشعروا بكرامتهم المداسة من قبل أقطاب التصوف حيث علقوا أنظارهم وأهدافهم بالوصول إلى الكرامات والاتحاد مع الله ومناجاته لهم ووصولهم إلى درجة يسقط معها كل تكليف وأنهم في الآخرة من الآمنين لأنهم قد رأوا التجاني أورأوا من يراه إلى اثنى عشر رجلاً هو أو الثعلبي أو غيرهما ممن جرأ على استعباد أفكار الناس دون الرحمة بهم أو عطف على مصيرهم .

(٧) كانت في نيتي أن أجعل تلك النصوص موضع دراسة خاصة إذ لاتحتمل هذه الدراسة التوسع في دراسة تلك النصوص وفحصها والرد عليها ومهما يكن فقد حصلت عندى قناعة تامة بأن إطلاع طلاب العلم على تلك النصوص حتى وإن كانت بطريقة موجزة فيها نفع عظيم لهم وفيها أيضا تزويدهم بما يدحض تعصب التجانيين ضدهم ودفع شبههم والتطاول عليهم حين يغالطون في نفي المفاهيم الضالة التي توجد في كتبهم المعتمدة والتظاهر بالإستقامة وعدم الغلو .

والله الهادي إلى سواء السبيل وهو حسبنا ونعم الوكيل .

الفصل العاشر

كيفية الدخول في المذهب الصوفي

للصوفية طرق عديدة ومسالك مظلمة وقواعد خاصة للتربية حسب منهجهم وكيفية ذلك عندهم نوجز الكلام عنه فيما يلي :

١ ـ أول ما يجب على الداخل هو أن يختار الفرد أو الجماعة من المريدين شيخا لهم يسلك بهم رياضه خاصه بهم على دعوى وزعم تصفية القلب للوصول بالمريد إلى معرفة الله هكذا يزعمون وهو في الحقيقة يصل إلى متاهات وضلال بعيد ولا يتم السير في الطريق الصوفي إلا إذا عطل المريد عقله وفكره.

٢ ـ أن يتبع المريد شيخه اتباعا مطلقا حتى وإن كان في تحريم الحلال وإحلال الحرام.

٣ ـ عليه أن يردد ما يردده الشيخ من أذكار .

٤ ـ ثم يكون وجوبا عليه أن يكون بين يدي شيخه كالميت بين يدي الغاسل يقلبه كيف يشاء فإن الاعتراض وإبداء الرأى من أكبر الأخطار على المريد وطرده عن رحمة الله .

٥ ـ وعليه كذلك أن يعتقد أن جميع ما يفعله الشيخ هو الحق والصواب حتى وإن رآه يشرب الخمر ويزني لأن الشيخ لا يفعل الفواحش بروحه وإنما بصورته البشريه لتربية المريدين وهذا مخرج للصوفي إذا فعل فاحشة وما أكثر ما يفعلونها تحت هذا الستار وعلى التلميذ أن لا يفكر في أنه لا طاعة لمخلوق في معصية الخالق لأنه يتعارض تماما مع ما يراه زعماء الصوفيه من وجوب التسليم للشيخ في كل ما يأتي ويذر .

٦ ـ كما أنه يجب عليه أن يجتاز تلك الخلوة المفروضة .

٧ ـ وأن يتصور صورة الشيخ ماثلة أمامه في كل حال وأن يعتقد أن الشيخ يعلم به وهو في داخل خلوته ويعرف كل شؤونه ما دق منها وما جل .

٨ ـ وأن لا يغير شيخه بآخر .

٩ ـ ولا يزور أحد المشائخ والأولياء مادام في أول أمره .

١٠ ـ وأن يمشي في الطريقة منزلة حتى يصل إلى القطبانية .

١١ ـ وأن لا يخالط المقصرين والبطالين من أهل قيل وقال .

١٢ ـ وأن لا يضن بماله ولو طلبه الشيخ كله .

١٣ ـ وأن يرضى بالذل الدائم وحرمان النصيب والجوع الدائم والخمول وذم الناس له وتقديم اضرابه وأشكاله وأقرانه عليه في الإكرام والعطاء والتقريب عند الشيوخ ومجالس العلماء فيجوع هو والجماعة يشبعون والكل أعزاء ونصيبه الذل ويعز الجميع ويكون يستجيز الذل ويجعله نصيبه قال الجيلاني بعد أن ذكر ما سبق :

« فمن لم يرض بهذا ويوطن نفسه عليه فلا يكاد أن يفتح عليه ويجيء منه شيء »[1]، إلى آخر ما ذكره الجيلاني مما يطول نقله .

وأول المنازل في الطرق الصوفية يسمى فيها الداخل مريداً أي يريد السير في الطريقة وتسمى منزلة الإرادة يقبله الشيخ ويأخذ عليه العهود بالتوبة من الذنوب وصدق النية وترداد الأوراد المقررة عليه من الشيخ وأن لا يعتقد أي معتقد لم يقرره الشيخ ولا يحق له الاعتراض على الشيخ حتى إن رآه مخطئا ويسمى بعد توجهه وإرادته المذهب الصوفي سالكا وبعد استمراره وسلوكه ومواظبته على الأوراد التي يلقنه الشيخ فإذا أتقنها انتقل إلى مرتبة آخرى تسمى مرتبة العبودية [2]، وعليه أن يكثر من الضراعة والإلحاح إلى الله بترداد ما يمليه

---

(١) جـ ٢ ص ٦١٣ باب فيما يجب على المبتدئ في هذه الطريقة أولا إلى آخر ص ١٦٩ حيث ذكر الآداب التي تجب على المريد والآداب التي تجب على الشيخ .

(٢) عوقها المنوفي بقوله : « العبادة غاية التذلل للعامة ، والعبودية صدق القصد للخاصة » جمهرة الأولياء جـ ١ ص ٣٠٦ .

عليه المشائخ من أذكار وأوراد .

ثم ينتقل المريد إلى مقام آخر حيث تقبل عليه العناية الإلهية وينتقل بقلبه إلى مقام العشق لله وعلى المريد هنا أن يكثر من الرياضة التي توصله إلى ربه فيما يزعمون فيكثر من الأوراد والعزلة بنفسه والندم الشديد حتى تتملكه ، بزعمهم ـ حال علوية شريفة ينتقل بها إلى مقام يسمى (الوجد[1] والهيام) وهو أسمى من مقام العشق وعند هذا المقام المزعوم تتوارد على قلب السالك النفحات الربانية يعتقدون أنه في هذه الحال تزداد معرفة السالك الباطنيه الصفات الذات العلية ـ وهنا يصل السالك فيما يزعمون إلى الحقيقة وتسمى هذه المرحلة ـ مقام الحقيقة ـ التي يعرفها المنوفي بأنها « مشاهدة الربوبية»[2]، وهي في الحقيقة الوصول إلى أعماق الوثنيه والحلول فإذا وصل بزعمهم إلى مقام الحقيقة يمكنه أن يظل يرتقي إلى أن يحقق منازل ثلاثاً هي : « الفناء » ، « واللقاء » ،« والبقاء » ، والفناء يقصدون به أن يفنى العبد عن كل شيء في الله تعالى ويصير كما قال الحلاج ما في الجبة إلا الله .

فالوجود عنده كله يمثل الله تعالى عن قولهم وخصوصا النساء فإنه يتمثل فيهم بصورة أكمل ومن هنا بدى على أدبهم العشق والغرام والهياج الجنسي إلا أنهم زعموا أن هذا الغزل وهذا الهياج الملتهب إنما هو في الله وسموه الحب الإلهي يجتمع الرجال والنساء ويرددون إما أبياتا شعرية أو غيرها في رقص رتمايل كما يحصل في الرقصات والسهرات مما يتنافى مع أبسط المثل الإسلامية والخشوع المطلوب في العبادات وأما اللقاء والبقاء [3] فإن الصوفية يقصدون بذلك أن العبد من خلال تلك المنازل تتجلى عظمة الخالق سبحانه على قلب

---

(١) يقول المنوفي « الوجود : وجدان الحق بذاته ولهذا تسمى حضرة الجمع حضرة الوجود » جمهرة الأولياء جـ ١ ص ٣١٢ .

(٢) المصدر السابق ص ٣٠٢ .

(٣) عرفه المنوفي بأنه « قيام الأوصاف المحمودة بالله جـ ١ ص ٣٠١ جمهرة الأولياء .

السالك فلا يرى أمامه إلا الله ، ولا يجد في الوجود جميعا إلا واجب الوجود سبحانه وتمحى آثار الموجودات من أمام عينيه إلا وجود الله سبحانه وتعالى قال المنوفي:

« سئل أبو يعقوب النهرجورى عن صحة الفناء والبقاء فقال : الفناء هو رؤية قيام العبد بالله عز وجل والبقاء هو رؤية قيام الله تعالى منفردا بذاته [1].

وهذه الدرجات هى ما عبر عنه الحلاج بقوله«ما في الجبة إلا الله» وللسهروردى والمنوفي تفاصيل كثيرة حول المقامات ومراتبها العديدة في كتاب السهروردي«عوارف المعارف وكتاب المنوفي جمهرة الأولياء»[2]والواقع أن غلاتهم وقعوا في هوس وتخبط وتلاعب من الشيطان بهم لبعدهم عن منهج الله وشرعه ، فجاءوا بأفكار وأقوال وحكم تنضح وثنية وجهلا وأشعار اغزلية وقد قال الشافعي:«ما تصوف رجل في أول النهار وأتى عليه الضحى إلا وهو أحمق».

والحاصل أن تلك الطرق لدخول المذهب كما اتضح مما سبق نجمل أهمها فيما يلي :

١ ـ أن يلتزم الشخص أمام شيخه بالمحافظة على الطريقة التي يحددها له الشيخ .

٢ ـ أن يكون المريد ـ أي الداخل في المذهب ـ على صلة دائمة بشيخه المأذون له هو أو من ينيبه الشيخ عنه ليتولى تعليم المريد .

٣ ـ أن يجتاز المريد عهدا يعاهد الشيخ ويده في يده مغمضا عينيه على الالتزام والوفاء الدائم لشيخه ولطريقته لا يحيد عنها أبدا .

٤ ـ أن يكون المريد دائم الاشتغال بالأوراد والأدعية التي يقررها عليه الشيخ

(١)المصدر السابق ص ٢٦٤ .

(٢) انظر جمهرة الأولياء جـ١ ص ١٩٠ في عنوان « المقامات والأحوال » وانظر عوارف المعارف من ص ٣٣٠ إلى ص ٣٣٨ .

سواء عرف معانيها أم لا .

٥ ـ أن يكمل مدة الخلوة التي يقررها الشيخ على المريد في سرداب أودهليز أو زاوية مدة لاتزيد عن أربعين ليلة ولا تقل عن عشر ليال ولهم شروط كثيرة لصحة هذه الخلوة قاسيه جدا يخرج الشخص منها وهو في منتهى الحمق والبلادة والغفلة عن كل شيء إلا عن شيخه وأذكاره وهو الهدف الحقيقى من تلك الفكرة .

٦ ـ ومن الشروط التي يقطعونها للمريد على أنفسهم حسب زعمهم أن يصبح من أهل الكشف وأن يترقي في ذلك إلى أن يعلم ماوراء العقل ويصبح من أهل التجلي بحيث تدرك ذات المريد ذات الله في كل وقت .

٧ ـ أن يفنى المريد عن كل شيء غير الله تعالى فلا يحس بأي وجود غير وجود ربه وشيخه وبذا يصبح الشخص من أهل الحلول والاتحاد ووحدة الوجود لأن الله قد ظهر في كل شيء حسب تعاليمهم بعد فناء المريد عن كل شيء وتصوره أن الله أمامه في كل مكان .

٨ ـ أن يطلب المريد علم الباطن الذي هو بمنزلة اللب وأن يتعمق في العلم الباطني حسب ما يمليه عليه الشيخ وإذا تطور في ذلك فإنه يصل إلى حد اليقين فتسقط عنه التكاليف كما يفترون ويصبح وليا من الأولياء .

وهذه القواعد والشروط الصوفية يتمرن عليها الشخص أو الأشخاص الذين يريدون الدخول في متاهات الصوفية حتى يتقبلها الداخل بقبول حسن فيموت فكره وذوقه ويصبح في الحقيقه عبدا ذليلا لمشائخ الصوفيه فيسلكون به طرقا ملتوية وتعاليم معقدة حتي تثبت في ذهن الداخل أمور عظام أقلها أن لا حلال ولا حرام ولا علم ولا عمل إلا ما جاء عن شيخ طريقته وأذنه به وما يتلقاه عن قلبه عن ربه وما يمليه عليه ذوقه أيضا .

وإذا أراد القارئ التوسع في هذا ومعرفة كيفية الدخول في الطريق الصوفي فعليه بالرجوع إلى عوارف المعارف للسهروردي أو إلى ما كتبه الجيلاني في كتابه الغنية [1].

قال المنوفي في بيان بعض المسالك الصوفية ومنزلة الشيخ فيها : « وإذن فهناك طريق إلى الله وسالك يسلك ذلك الطريق ومرشد يدل على مفاوز الطريق ... ذلك الطريق الذي كان أول مرشد له الرسول ﷺ بعد أن تحلى بدقائق الإيمان .. وبعبارة أخرى هو طريق التصوف الذي كان أول خطوة فيه أن بايع الرسول ﷺ العشرة أهل بيعة الرضوان .... فمن بدأ السير فيه فهو مريد متصوف ومن توسط فهو سالك متعرف ومن انتهى إلى مقام التحقيق فيه المرشد المحقق[2].

وقد أوصل المنوفي الدرجات إلى سبعين درجة[3]، يكاشف العبد في آخرها إذا ترقى فيها مقاما مقاما ولا طائل من وراء سرد كل ما قرره أقطاب التصوف كالسهروردي والمنوفي والغزالي والقشيري .

فإنه يكفي حسب رأيي أن يقال في الجواب عنها كلها أنها بناء في الهواء وأفكار لم يرشد إليها كتاب ولا سنة ولا أقوال علماء الأمه الإسلامية أصحاب العقول النيرة الذين أعرضوا عن تكلف ما ليس لهم به علم من الأمور المعينية التي لا يصح فيها الحكم الا لله ولرسوله ﷺ.

---

(١) الغنية جـ ٢ ص ١٦٣ / ١٦٩ .

(٢) جمهرة الأولياء جـ ١ ص ١٤٤ .

(٣) المصدر السابق ص ١٤٧ .

الفصل الحادي عشر

أصول الصوفية

يزعم المتصوفة : كما هو شأن كل الطوائف المفارقة للمنهج الرباني أنهم على حق وأن مايدينون به من أفكار وخرافات إنما هي نابعة من تمسكهم بالكتاب والسنة وفهم حقائق الإسلام وهذه الدعوى ينتحلها زعماء الطوائف بغرض ترويج مبادئهم وإظهارها بمظهر الحق مهما كانت بعيدة عنه.

ذلك أن دعوى التمسك بالكتاب والسنة سهلة على اللسان و لكن التطبيق هو الذي يصدق ذلك أو يكذبه .

وقد ذكر أحد أعلامهم وهو السيد محمود أبو الفيض المنوفي بعض مستنداتهم فقال : « والتصوف الإسلامي نبعه القرآن أولا وسنة الرسول ﷺ، ثانيا والفقه في الدين فروعًا وأصولاً ثالثًا ولهم أى المتصوفة فوق ذلك قواعد وقوانين صوفية استمدوها من حقائق اليقين وخفى معانى القرآن ومن دقائق السنة علمية وعملية ومتابعة الرسول ﷺ في أقواله وأفعاله وأحواله وهذا في الواقع مستمد علم التصوف الإسلامي ». (١) .

أى أنهم يرجعون في جملة مستنداتهم إلى تلك الدعوى العريضة وهي أخذهم الأحكام من حقائق اليقين وخفي معاني القرآن وفي الحقيقة إنما يرجعون إلى الهوى وإلى تفسير القرآن تفسيراً باطنيًا غير مستندين إلى المعاني التي ذكرها العلماء من أهل الحق لمعاني تلك النصوص .

ثم يذكر المنوفي مستنداآخر لهم بقوله :

« ومستمد الصوفية هم أهل الصفة وإن كان تعريف الاسم يناسب لبس الصوف من حيث الاشتقاق . وهذا صحيح لأن القوم أهل الصفة وغيرهم من

---

(١) انظر كتاب جمهرة الأولياء وأعلام أهل التصوف ص ١٥٤ ج ١ .

الروحيين في الإسلام وقبل الإسلام ومن قديم الزمان كانوا يلبسون الصوف لخشونة فيه وهم متخوشنون أو قل لسبب لونه الأبيض الذي يرمز إلى الطهارة والصفاء ، وكان أيضًا لباس الحواريين » [١] .

ويذكر الغزالي أن مستندات الصوفية وأصولهم مشاهدة الملائكة وأرواح الأنبياء والخضر بخصوصه ومخاطبتهم فهو يقول :

« ومن أول الطريقة تبتدئ المكاشفات والمشاهدات حتى أنهم في يقظتهم يشاهدون الملائكة وأرواح الأنبياء ويسمعون منهم أصواتًا ويقتبسون منهم فوائد، ثم تترقى الحال من مشاهدة الصور والأمثال إلى درجات يضيق عنها النطاق ولايحاول معبر أن يعبر عنها إلا اشتمل لفظه على خطأ صريح لايمكن الاحتراز عنه إلا لمن رسخ فيه ونهل من منهله»[٢] وبطلان هذا الكلام واضح وربما أن الذين يشاهدونهم بزعم أنهم الملائكة أو أرواح الأنبياء وسماع الأصوات إنما هي شياطينهم تتلاعب بهم وتتراءى لهم ليضلونهم وما أكثر خدع الشياطين لإغواء الناس وكذلك من مزاعمهم وأصولهم في مستندهم إلى الطريق إلى الله علم الباطن الذي أفضى به رسول الله ﷺ إلى عليّ رضى الله عنه وعليّ أفضى به إلى الأئمة المذكورين في كتبهم وذلك فيما يزعمون أن جبريل عليه السلام نزل إلى الرسول ﷺأولا بالشريعة فلما تقررت الشريعة واستقرت نزل إليه بالحقيقة[٣]، المقصودة والحكمة المرجوة من أعمال الشريعة وهى الإيمان والإحسان ثم خص الرسول ﷺ بتعليم باطن الشريعة بعض أصحابه كعلي ثم الحسن دون بعض

(١) انظر المصدر السابق نفسس الجزء والصفحة .

(٢) جمهرة الأولياء ج ١ ص ١٥٥ . نقلا عن الغزالي .

(٣) يزعم الصوفية أن الشريعة هي ما أوحاه الله إلى رسوله، وأما الحقيقة فهي عندهم المعرفة العقلية التي وصلوا إليها بذوقهم وصارت من الدين بغض النظر عن موافقتها للشريعة أو مخالفتها ويجب التنبيه إلى أن وسيلة المعرفة عند الصوفية هي الذوق ولهذا اختلفت أفكارهم لاختلاف أذواقهم.

وحاشا رسول الله ﷺ من كذب هؤلاء وقد سرد المنوفي أسماء السلسلة التي تداولتها الصوفية ابتداءاً بالإمام علي إلى أحمد بن عطا الله السكندري[1]، صاحب لطائف المنن وأورد بعض النصوص المرفوعة كذبا إلى رسول الله ﷺ يذكر فيها أن كل آية لها ظاهر وباطن وظاهر الآية ماظهر من معانيها ، وباطنها ماتضمنته من أسرار إلهية لايطلع عليها إلا أهل المعرفة بالله ممن سرد أسماءهم من أوليائه الذين يعلمون علم الباطن في زعمه ولقد نفى عليّ رضى الله عنه أن يكون الرسول ﷺ قد خصهم بعلم دون سائر البشر وقد سبق إبطال مذهب الباطنية في دعواهم أن النصوص لها ظاهر وباطن .

ويقول المنوفي أيضًا في دعواهم الالتصاق بأهل الصفة :

« وكان عظماء أهل الصفة بل جلهم من أوائل الصوفية وأهل طريق الله وحسبنا في ذلك أن نزل فيهم قرآن عند قوله تعالى لنبيه ﷺ ﴿**واصبر نفسك مع الذين يدعون ربهم بالغداة والعشي يريدون وجهه ولاتعد عيناك عنهم**﴾[2].

ويقول الشعراني في مستند القوم :

« مقدمة في بيان أن طريق القوم مشيدة بالكتاب والسنة وإنها مبنية على سلوك أخلاق الأنبياء والأصفياء وبيان أنها لاتكون مذمومة إلا إن خالفت صريح القرآن أوالسنة أو الإجماع لاغير » [3] .

لكنه أضاف بعد ماتقدم قوله عن مستند جديد :

« ثم اعلم يا أخي رحمك الله أن علم التصوف عبارة عن علم انقدح في قلوب الأولياء» إلى أن قال : « فمن جعل علم التصوف علما مستقلا صدق ومن جعله من عين أحكام الشريعة صدق » [4] .

---

(١) انظر جمهرة الأولياء ج ١ ص ١٥٩ / ١٦٠ .

(٢) جمهرة الأولياء ج ١ ص ١٦٢ . والآية ٢٨ من سورة الكهف .

(٣) الطبقات الكبرى ج ١ ص ٤ .

(٤) الطبقات الكبرى ج١ ص ٤ .

ومستند آخر أيضًا يذكره بقوله :

« ثم إن العبد إذا دخل طريق القوم وتبحر فيها أعطاه الله هناك قوة الاستنباط نظير الأحكام الظاهرة على حد سواء فيستنبط في الطريق واجبات ومندوبات وآدابا ومحرمات ومكروهات وخلاف الأولى نظير مافعله المجتهدون»[1].

ومن هنا نجد أن الصوفية ينفرون أشد النفور من العلم عن طريق التعلم ويفضلون مايسمونه علم الكشف بلا واسطة وهو ماعبر عنه محي الدين بن العربي حينما كتب إلى الرازي كتابا جاء فيه :

« إن الرجل لايكمل عندنا في مقام العلم حتى يكون علمه عن الله عز وجل بلا واسطة من نقل أو شيخ فإن كان علمه مستفادًا من نقل أو شيخ فما برح عن الأخذ عن المحدثات وذلك معلول عند أهل الله عز وجل»إلى أن يقول:« فلا علم إلا ماكان عن كشف وشهود لاعن نظر وفكر وظن وتخمين»[2].

ويقول الشعراني في هذا المعنى ناقلا عن شيخه البسطامي،وموضحا مصادر التشريع في ذوقهم : « وكان الشيخ الكامل أبو زيد البسطامي رضى الله عنه يقول لعلماء عصره أخذتم علمكم من علماء الرسوم ميتا من ميت وأخذنا علمنا عن الحي الذي لايموت»[3].وبعد هذا الكلام لايلام من احتار في أمر الصوفية ومصادرهم فبينما هم يحضون على التمسك بكتاب الله تعالى وسنة نبيه ﷺ وعدم الخروج عنهما إذا بهم يفصحون بالحقيقة في النهاية وهي أن مصدرهم في التشريع إنما هو الكشف والإلهام وهو فعلا ماسلكوه في كل سلوكهم وتشريعاتهم .

وعلى نفس المعني السابق يقول الفوتي :« إن الولي المفتوح عليه لا يتقيد

(١) المصدر السابق . (٢) المصدر السابق ج١ ص ٥ .

(٣)طبقات الشعراني(المسمى الطبقات الكبرى المسماة بلواقح الأنوار في طبقات الأخبار)ص٥جـ١.

بمذهب معين من مذاهب المجتهدين بل يدور مع الحق عند الله تعالى أينما دار[1].» أي حسب تجدد الكشف له والإلهام الرباني المتكرر عليه وهو كذلك يشير إلى قول أحمد بن المبارك في الإبريز حيث قال :

« إن الولي المفتوح عليه يعرف الحق والصواب ولا يتقيد بمذهب من المذاهب ولو تعطلت المذاهب بأسرها لقدر علي إحياء الشريعة وكيف لا وهو الذي لا يغيب عنه النبي ﷺ طرفة عين ولا يخرج عن مشاهدة الحق جل جلاله لحظة»[2].

والواقع أن كل منصف له أدني المام بالشريعة الإسلامية لو حكم في دعاوى الصوفية وفي زعمهم شرعية شطحاتهم ومستنداتهم في ذلك كله لا تضح له بما لاخفاء به أن المتصوفه قد جانبوا الصواب في كثير من أمور الدين وأنه لا مستند لهم إلا هواهم الذي يسمونه الكشف والإلهام والصريح ذلك أن قولهم أن التصوف نبعه القرآن والسنة والفقه في الدين وفوق ذلك أن له قواعد وقوانين استمدوها من حقائق اليقين دعاوى غير ثابتة فليس في القرآن آيه واحدة من شرعية غلو التصوف وليس في السنة النبوية عبارة واحدة جاءت دليلا يسند شطحات الصوفية وأورادهم وترنيماتهم وحلقات رقصهم وليس في علوم الفقه الإسلامي وأصوله شيئا من هذا القبيل ثم هم لم يذكروا أيضا أدلة من القرآن تدل فعلا على ما يذهبون إليه وقد تلمسوا بعض الأدلة من السنة اساؤا الفهم فيها ولهذا جعلوا القواعد والقوانين الصوفية فوق المصادر الثلاثه القرآن ، والسنة ، والفقه الإسلامي كما قال المنوفي :

« ولهم فوق ذلك قواعد وقوانين صوفية استمدوها من حقائق اليقين » ولهذا تجد السلسلة عندهم حدثني قلبي عن ربي : « وهذه الحقائق اليقينية التي ذكرها

---

(١) رماح حزب الرحيم ص ٩٦ : جـ ١ .

(٢) المصدر السابق ص ٩٦ نقلا عن الإبريز

المنوفي هي في الحقيقة من جنس الهوى والاضطراب الفكرى ثم حرفوا معاني القرآن إلى ما يوافق أهواءهم كما فعلت الباطنية تماما .

إن ما زعمه القطب الصوفي صاحب كتاب جمهرة الأولياء من أن مستمد الصوفية هم أهل الصفة إنما هو دليل على خواء علمى بالكتاب والسنة وسيرة الصحابة الكرام فهل كان لأهل الصفة تشريع خاص بهم وهل كان لهم شرف يحبون الحفاظ عليه والانتساب إليه غير شرف الانتساب إلى الإسلام وطاعة الله وطاعة نبية ﷺ وأهل الصفة الذين ذكرهم المنوفي هم من خيار الصحابة كأبي هريرة وخباب بن الأرت وبلال وسلمان الفارسي وأبو سعيد الخدرى وأبو برزة الأسلمى وصهيب بن سنان وعمار بن ياسر وعبد الله بن مسعود وسعد بن أبي وقاص وعقبة بن عامر وأبو فكيهة ووابصة بن معبد الجهني وأنس بن مالك[1]، فهل هؤلاء الأعلام الأبرار أصحاب رسول الله ﷺ هم أصل الصوفية وهل كان هؤلاء على الزعم الصوفي هم سلف الحلاج وابن عربي وابن الفارض وابن سبعين وغيرهم من عتاة الصوفية الذين يأخذ أحدهم السكر بالله كما يزعمون إلى حد أن يقول لا إله إلا أنا - أو ما في الجبة إلا الله - أو قولهم - العبد رب والرب عبد ياليت شعرى من المكلف هل يمكن أن يكون أساس هؤلاء هم أولئك الأخيار .

بل أن المنوفي زعم أن الله عز وجل أمر نبيه أن يكون صوفيا فقال : « وأيضا قد أمر الله رسوله محمدا ﷺ بعد أن رباه وكمل خلقه وأتم عليه نعمته بأن يتصوف ويندمج في الصوفية بقوله: ﴿ **واصبر نفسك مع الذين يدعون ربهم بالغداة والعشي يريدون وجهه**﴾ ومع بعد هذا الاستدلال عن ما يهدف إليه المنوفي فإنه يواصل ما يعتبره أدلة على أن الرسول ﷺ هو أول من مشى على الطريق الصوفي فقال : « وأن الله عز وجل قبل أن يرسل محمدا برسالته

---

(١) جمهرة الأولياء جـ ١ ص ١٣٤ / ١٣٥ .

الكبرى والملة العظمى أمره بدخول الخلوة(غار حراء)» إلى أن يقول:«فلما دخل الرسول الخلوة وتعبد وتحنث في غار حراء وفيه قد أكثر من الذكر والاستغفار والإعتكاف ... وما نعتبر هذا النمط من العبادة الخاصة إلا أن نعده تصوفا إسلاميا رفيعا وأن الرسول ﷺ قد بدأ متدرجاً في الكمال كمريد ثم تهيأ لحمل الرسالة ولذا وصفه الله في كتابه بقوله ﴿ **وإنك لعلى خلق عظيم** ﴾ وحتى بعد أن حمل الرسالة وأصبح سيد المرسلين أمره الله بأن يصاحب أهل الصفة وذلك واضح في قوله : ﴿ **واصبر نفسك مع الذين يدعون ربهم بالغداة والعشى يريدون وجهه** ﴾ أى يا محمد [1].

لقد قلب المنوفي الأمور وحاول جاهدا أن يقيم الأدلة على أن نبينا محمدا ﷺ كان صوفيا قولا وفعلا قبل أن تأتيه الرسالة وبعد ماجاءته أيضا وأنه أبتدأ كأي صوفي «مريداً» ثم تدرج في الكمال وإذا امعنا النظر في هذا التصوف الذي سار عليه الرسول ﷺ قبل الرسالة حسب رأي المنوفي فلا نجد للمنوفي مستندا إلا أنه يهدف إلى منشأ التصوف الذي كان قبل الإسلام متمثلا في شتى الديانات المنحرفه علي حد قوله الآتي :

« ..... وإن تعرجت تعاليم التصوف وتلونت بعض فروعه الوانا عدة واتجهت تلك الفروع اتجاهات مختلفه بسبب المذاهب المورثة للداخلين المحدثين من الإسلام من هنود وفرس وإسرائليين ومسحيين ولا سيما في عصر الترجمة الذي شجع عليه المأمون ومن بعده من الخلفاء العباسيين فترجم المسلمون كتبا كثيرة من التصوف الهندي واليوناني والفارسي وطعمت بعض فروع التصوف الإسلامى الخالص بما دخل عليها من النزعات الأفلاطونية الحديثة أو القديمة وبعض المذاهب الهندية والفارسية في التصوف كنظرية الحلول والاتحاد والتقمص والتناسخ وما إلى ذلك » [2].

---

(٢) جمهرة الأولياء جـ ١ ص ٢٦٧ / ٢٦٨ .

(١) جمهرة الأولياء جـ ١ ص ٢٦٦ .

وبلا ريب فإن هذه الشهادة منه على ما في التصوف من خلط واضطراب وتعاليم خارجة عن الإسلام لا تحتاج إلى تعليق أحد عليها فكيف تتفق بعد هذا مفاهيم التصوف مع المفاهيم الإسلامية المنزلة على محمد ﷺ ويبقى أن ما قرره المنوفي من أن الرسول (ﷺ) هوأول من سن قواعد التصوف حينما كان يخلو لنفسه ويتعبد في غار حراء هو منتهى الجهل وأشنع القياس ولاحظ تناقض المنوفي في كتابه جمهرة الأولياء حينما لم يستطع أن يخفى حقيقة التصوف باح بأن الصوفية قد تأثرت إلى حد كبير بعقائد الداخلين في الإسلام من هنود وفرس وإسرائيليين ومسيحيين ولاسيما في عصر الترجمة لفلسفة هؤلاء حيث أخذ التصوف منها جوانب لم ينكرها المنوفي وهو في كل كتاباته عنهم يكيل المدح للصوفية، وأن أول متصوف في الإسلام هو الرسول ﷺ وأن الله أمره بذلك ليسنّ الطرق الصوفية ابتداء بالخلوة في غار حراء ثم الزهد ، وإذا كان الرسول ﷺ هو أول المتصوفة فكان ينبغي عليهم أن يقدروا هذا الموقف فيقبلون سنته لأن يردوها ويعيبون أهل الظاهر كما يسمونهم ممن يخالفهم من أهل الحق حين يقولون لهم أنتم تأخذون الحديث بسند ميت عن ميت حدثني فلان وقد مات عن فلان وقد مات على نحو ما قاله البسطامي ناعيا على علماء الشريعة ومفاخرا لهم حين قال لهم « أخذ تم علمكم ميتا عن ميت وأخذنا علمنا عن الحي الذي لا يموت يقول أمثالنا حدثنى قلبى عن ربى وأنتم تقولون حدثنى فلان وأين هو ؟ قالوا مات عن فلان وأين هو ؟ قالوا مات .

وهذا القول إنما يدل على جهل وبغض للسنة النبوية ولأهلها وللطريقة التى يتداولها أهل الحق في تلقي دينهم من مصدره الفياض .

كما أنه من غير الانصاف أن يقصروا ذلك المسلك عليهم فقط لأنه في استطاعة كل شخص من الناس أن يقول حدثني قلبي عن ربي وأن يدعي من الزهد والقرب من الله مثل مايدعون ثم إنه يلزم على قولهم هذا أن يعرض

المسلمون عن جميع كتب الحديث التى اشتملت على الأسانيد الثابتة إلى رسول الله ﷺ لأن أصحابها قد ماتوا فيقال لهم والنبي ﷺ نفسه قدمات أيضا ، وينبغى على قولهم هذا أن نأخذ بالأحاديث الجديدة التي يروونها عن قلوبهم عن ربهم مباشرة وهذا القول منهم وإن كان يبدو ساذجاً تافها إلا أنه يحمل في طياته أخطارا جسيمة بالنسبة للإسلام وللمسلمين لو تحقق لهم ما يهدفون إليه من التفاف الناس حولهم والأخذ بمبادئهم وتشريعاتهم وإلهائهم بها عن كتاب الله عز وجل وعن سنة نبيه العظيم ﷺ .

الفصل الثاني عشر

ايضاحات لبعض الآراء الاعتقادية للصوفيه

١ ـ عقيدة المتصوفة في الإله عز وجل :

الله عز وجل هو الواحد الأحد الفرد الصمد خلق المخلوقات وأوجدها وأمر الثقلين الجن والأنس بأوامر ونهاهم عن نواه من قام بامتثال أمره فيها دخل في طاعته ومن أبي صار من أعدائه وهو غني عن الخلق وعبادتهم وجعل لكلا الفريقين جزاءا عادلا إما الثواب وإما العقاب وقد وصف الله نفسه في كتابه الكريم ووصفه نبيه بالصفات الثابتة له عز وجل فهو رب كل شيء ومالكه، ﴿**إن كل من في السموات والأرض إلا آتى الرحمن عبدا لقد أحصاهم وعدهم عدا وكلهم آتيه يوم القيامة فردا**﴾ ولقد استقر في أذهان العقلاء مباينة الله لخلقه وقربه منهم بعلمه وإحاطته وأنه متفرد بالأسماء الحسنى والصفات العليا ليس كمثله شيء وهو السمع البصير ، وأمرنا عز وجل أن نصفه بما وصف به نفسه في كتابه الكريم وبما وصفه به نبيه الكريم ﷺ غير معطلين ولا محرفين ولا مكيفين ، ذاته لا تشبه ذوات خلقه وصفاته لاتشبه صفات خلقه حتى وإن اتفقت التسمية فإنها لا تتفق في الحقيقة وتبقى المباينة بين الحقائق مما لا يخفي إلا على من لم يفهم الحق.

هذا هو الاعتقاد الذي أمر الله العباد به فما هو موقف الصوفية منه. إن المتتبع لعقائد زعماء الصوفية.يجد أنهم يعتقدون بوجود معبود لا حقيقة له قائمة بذاته، معبود لم يذكر في الشريعة الإسلامية ولم تدل عليه العقول ولا الفطر السليمة إنه معبود غير رب العالمين تعالى وتقدس يظهر في صورة الصوفي العابد الذى وصل إلى مرتبة النيابة عن الله في تصريف أمور هذا الكون والتحكم فيه بحكم نيابته عن الله وعلمه بكل المغيبات ورؤيته لله في كل وقت لارتفاع الإنية بينه وبين الله عز وجل الذى يظهر أحيانا في صورة شاب وأحيانا في صورة الآكل والشارب

وأحيانا في صورة شخص كأنه محجور عليه تعالى بعد أن فوض الكون وما فيه إلى أقطاب الصوفية يتصرفون فيه بما يشاءون كما تفيده أقوالهم وتبجحهم بذلك.

٢ ـ الحلول :

ولقد أصبح الحلول من لوازم الصوفية الغلاة ومن المبادئ الأساسية عندهم ، وكتبهم مملوءة بذلك نثرا ونظما ، وقد أختلف العلماء في تعريف الحلول :

فمنهم من قال هو اتحاد جسمين بحيث تكون الإشارة إلى أحدهما إشارة إلى الآخر كحلول ماء الورد في الورد .

ومنهم من قال : هو اختصاص شيء بشيء بحيث تكون الإشارة إلى أحدهما عين الإشارة إلى الآخر .

واستعمل بعض المتصوفة لفظ الحلول ليشيروا به إلى الصلة بين الرب والعبد واللاهوت والناسوت بمعني أن الله تعالى يحل في بعض الأجساد الخاصة وهو مبدأ نصراني وأول من أعلن به من الصوفية الحسين بن منصور الحلاج حين عبر عن ذلك في أبياته الشعرية التي يقرر فيها أن الله تعالى حال في كل شيء وأنه لا فارق بين الخالق والمخلوق .

أنا من أهوى ومن أهوى أنا   نحن روحان حللنا بدنا
فإذا ابصرتني أبصرته   وإذا أبصرته أبصرتنا [١]

والقائلون بالحلول منهم من قصر الحلول وخصه ببعض الناس. كقول النصارى بالحلول في عيسى عليه السلام وكقول بعض غلاة الشيعة كالخطابية الذين اعتقدوا الله عز وجل في جعفر الصادق والسبئية الذين قالوا بحلول الله في عليّ ومثله قول النصيرية فيه وقول الدروز بحلوله عز وجل في شخص الحاكم.

وفريق آخر : قال بالحلول العام وأن الله حال في كل شيء وأنه في كل

---

(١) عوارف المعارف صـ ٣٥٣ .

مكان، وهؤلاء تأثروا بالفلسفة الطبيعية عند اليونان وهم الجهمية ومن قال بقولهم ويمثل الحلول العام البسطامي في قوله: « رفعني مرة فأقامني بين يديه وقال لي يا أبا يزيد إن خلقي يحبون أن يروك فقلت زيني بوحدانيتك وألبسني أنانيتك وارفعني إلى أحديتك حتى إذا رآني خلقك قالوا رأيناك فتكون أنت ذاك ولا أكون أنا هنا.

﴿ كبرت كلمة تخرج من أفواههم أن يقولون الاكذبا ﴾ (1).

وهذا الطلب الغريب العجيب يريد به أبو زيد البسطامي كما تقدم أن يحتال على الله عز وجل ليصبغ عليه الوحدانية ويرفع ما بينه وبين البسطامي من الإنية بحيث إذا قال الله عز وجل « أنا » وقال البسطامي « أنا » انعدم الفرق بينهما وحينئذ يمثل البسطامي الله عز وجل تمام المماثلة فإذا شوهد البسطامي شوهد عند ذلك الخلاق العظيم سبحانه وتعالى عما يقول الظالمون علوا كبيرا .

وليس هذا فقط بل أحيانا يختلط الحابل بالنابل فيحصل بين الرب والعبد مدّ وجزر حسب ما يتصوره ابن عربي في قوله :

ففي حال أقربه وفي الأحيان أجحده
فيعرفني وأنكره وأعرفه فأشهده
فإني بالغني وأنا أساعده وأسعده
فيحمدني وأحمده ويعبدني وأعبده (2)

ولعله بعد هذه المراوغة استقر الأمر على أن الله هو نفسه كل موجود على ظهر الأرض فهو العاشق والمعشوق والرجل والمرأة فالأجسام صور عنه وذلك في قوله:

فمن ليلى ومن لبنى ومن هند ومن بثنة
ومن قيس ومن بشر .أليسوا كلهم عينه (3) الخ

---

(1) جزء آية من سورة الكهف : ٥ .
(2) الفتوحات المكية جـ ٣ صـ ٤٩٨ .
(3) المصدر السابق ٥٢١ .

وفي قوله أيضا :

فعين الخلق عين الحق فيه ... فلا تنكر فإن الكون عينه

فان فرقت فالعرفان باد ... وإن لم فاعتبر فالبين بينه [1].

وقد ملأ كتابه الذى سماه بالفتوحات المكية أشعارا وشروحا لها حول هذا الاتحاد والحلول .

ويقول ابن الفارض عن الذات الإلهية كما يتصور :

ففي النشأة الأولى تراءت لآدم ... بمظهر حوا قبل حكم البنوة

وتظهر للعشاق في كل مظهر ... من اللبس في أشكال حسن بديعة

ففي مرة لبني وأخ ـرى بثينة ... وآونة تدعي بعزة عزت [2].

ومن هنا نشأ عند ابن الفارضى الفوضى الفكرية في تداخل جميع الأديان الحق منها والباطل حتى صارت بجميع أشكالها شكلاً واحداً فكأنه أراد أن يجمع بين الليل والنهار والحار والبارد والحق والباطل ، فتصور أن الملل كلها حق سواء كانت شركية أو وثنية أو مجوسية أو نصرانية أو يهودية الكل عنده يرجع إلى مصدر واحد وحقيقة واحدة هى الله،تائيته المشهورة مليئة بتأكيد هذا الخلط والاضطراب فهو بعد أن قرر أن جميع العبادات وجميع الأفعال التي تصدر عن الناس هى نفسها أفعال الله قال عن المجوس :

وأن عبد النار المجوس وما انطفت ... كما جاء في الأخبار في ألف حجة

فما عبدوا غيرى وأن كان قصدهم ... سواى وان لم يعقدوا عقدنيّتي

رأوا ضوء نارى مرة فتوهموه ... نارا فضلوا في الهدى بالأشعة [3].

وكثير من مثل هذا الهذيان في أشعارهم هو وسائر غلاة الصوفية ممن هم

(١) الفتوحات المكية . (٢) تائية ابن الفارض . (٣) تائية ابن الفارض .

على شاكلته أنهم يتصورون معبودهم يتجلى في صورة امرأه ولهذا تجد أن الصوفية يلهجون بذكر النساء ويرونهن أكمل وأتم وأجمل لتعينات الذات الإلهية التي يعتقدونها فيهن وهذا واضح جدا في تلك العناية التي لقيتها المرأة في الأدب الصوفي من التذلل ولها والتشبيب بها والتفنن في وصفها .

ومما قاله ابن عربي في تقريره حلول الله تعالى عن كلامه في المرأة أن الأمر بالغسل لأن الحق غيور على عبده أن يعتقد أن يلتذ بغيره فلهذا أحب النبي ﷺ النساء لكمال شهود الحق فيهن إذ لا نشاهد الحق مجردا عن المراد فشهود الحق في النساء أعظم وأكمله وأعظم الوصلة النكاح .. فمن جاء لامرأته أو لأنثى بمجرد الالتذاذ ولكن لايدرى بمن كما قال :

صح عند الناس أني عاشق غير أنهم لم يعرفوا عشقى لمن

كذلك هذا أحب الالتذاذ فأحب المحل الذى يكون فيه هو المرأة ولكن غاب عنه روح المسألة فلو علمها لعلم بمن التذ ؟ ومن التذ ؟ وكان كاملا قال من شاهد الحق في المرأة كان شهوده في منفعل وهو أعظم الشهود ويكون حبا إلهيا»[1].

ومن هذا المفهوم الباطل تجرأ على رسول الله ﷺ وأساء الأدب في حقه وأفترى عليه بما لايقدم عليه مسلم يعرف ولو شيئا يسيرا عن الإسلام وعن نبيه العظيم الذى اعترف له كل من عرفه أوسمع عنه بأنه خير منقذ للبشرية عابدا لربه حق عبادته متواضعا بالمؤمنين روف رحيم لكن ابن عربي يقرر حسب مذهبه الردىء أن رسول الله ﷺ، كان يحب النساء لكمال شهود الحق فيهن وحاشا رسول الله ﷺ من هذا البهتان .

بل قرر زعماء الإباحية والزنادقة العتاة ابن عربي وابن الفارض وغيرهما أن الله تعالى يتجلى في كل صورة حسنة في صورة الرجل والمرأة فيكون فاعلا

(١) كتاب ابن عربي الصوفي ص ٢٧٠ نقلا عن العلم الشامخ ص ٥٥٠ .

ومنفعلا تعالى الله عن كفرهم وإلحادهم علوا كبيرا وأن الله تجلى في صور العاشقات المعشوقات [1]، ويطول النقل عنهم لو أردنا ذلك مما يأباه الدين وتشمئز منه النفوس وتمجه الفطر السليمة ويأباه الذوق .

« وفي تفسير الحديث « فإذا أحببته كنت سمعه الذى يسمع به وبصره الذى يبصر به»[2]، « يذكر السهروردي أن المحب يعود بفوائد اكتساب الصفات من المحبوب أى بحيث تشترك الصفات بين المحب والمحبوب فلا يحصل بينهما أى فارق ثم استشهد على هذا الاتحاد والحلول بمبدأ الحلاج :

أنا من أهوى ومن أهوى أنا ... الخ .

ويقول ابن عطاء الله السكندرى في بيان حقيقة الولى :

« ولقد سمعت شيخنا أبا العباس رضي الله عنه يقول : لو كشف عن حقيقة الولي لعبد لأن أوصافه من أوصافه ونعوته من نعوته » [3]وقال أيضا في وجود الله تعالى وأنه لاخفاء به ولا حجاب عليه :

« كيف يتصوران يحجبه شيء وهو الذى ظهر بكل شيء[4].

وفي الشطحات الصوفية وجرأتهم على قول كل مايريدون مالا يخفى طلاب العلم .

ومما يذكر في سيرة ابن عربي أنه شغف حين كان بمكة بحب امرأة هى ابنة رجل يسمى الشيخ مكين الدين أبي شجاع زاهر بن رستم بن أبي الرجاء الأصفهاني ، ووصفها بأوصاف من الغزل بجمالها ما لا يحتمل المقام ذكره هنا

---

(١) ترجمان الأشواق لابن عربي وفصوص الحكم له وانظر ما ينقله عنهم د . صابر طعيمه في الصفحات من ١٦٥ - ١٨٣ .

(٢) يقول العلماء في معنى الحديث ما حاصله أن العبد قد يصل في طاعة الله تعالى إلى حد أن لا يستعمل أى جارحه من جوارح جسمه إلا فى ما يرضى الله تعالى .

(٣) لطائف المنن ص ٩٥ .

(٤) المصدر السابق ص ١٠٣ .

ضمنه كتابه ترجمان الأشواق «ثم شرحه بطلب من رجلين من خاصته فشرحهُ في كتاب سماه « ذخائر الأعلاق » .

حاول جاهدا أن يغطي ما قاله في تلك المرأة من العشق والغرام ليحوله إلى أنه قاله في الحب الإلهي ولكن لم يتم له ذلك حيث غلب الطبع التطبع وليست هذه معشوقته الوحيدة بل هناك أخرى عشقها وهو يطوف حول البيت وقال فيها أشعارا غزلية ماجنة ولم يستشعر مقدار جرمه في الحرم الذى يعاقب الله فيه على مجرد النية ، ثم وصف تلك الأشعار بعد ذلك بالحب الإلهي تمويها وتغطية لمجون هذا الشيخ الصوفي الكبير فأين الحب الإلهي في مثل قوله :

ليت شعرى هل دروا أي قلب ملكوا
وفؤادى لو درى أي شعب سلكوا
أتراهم سلموا أم تراهم هلكوا
حار أرباب الهوى في الهوى وارتبكوا [(١)].

٣ ـ وحدة الوجود :

وحدة الوجود عقيدة إلحادية تأتي بعد التشبع بفكرة الحلول في بعض الموجودات ومفادها أنه لا شيء إلا الله وكل ما في الوجود يمثل الله عز وجل لا انفصال بين الخالق والمخلوق وأن وجود الكائنات هو عين وجود الله تعالى ليس وجودها غيره ولا شيء سواه البتة وهى فكرة هندية بوذية مجوسية . وهذا هو المبدأ الذى قام عليه مذهب ابن عربي الذي قال سبحان من خلق الأشياء وهو عينها وتجرأ على تفسير كتاب الله بغير علم فاستدل بآيات من القرآن الكريم زاعما أن الله أطلق اسم الوجود على نفسه كما فى قوله تعالى ﴿ **ووجد الله عنده** ﴾ ٣٩ النور ، ﴿ **لوجدوا الله توابا رحيما** ﴾ ٦٤ النساء ، ﴿**يجد الله غفورا** ﴾ ١١٠ النساء ، واستدل بأحاديث موضوعه مثل حديث «**من عرف**

---

(١) انظر التصوف المنشأ والمصدر ص ٢٦٩ / ٢٧١ .

نفسه فقد عرف ربه » .

وهذا الاستدلال من أغرب وأنكر ما تلفظ به قائل .

إذ كيف يتأتي لهم القول أن القرآن والسنة يدعوان إلى الإلحاد والكفر بالله ؟ ولا شك أن هذه العقائد الإلحادية قديمة جدا في العبادات الهندية والديانات البوذية . وقد انقسم أصحاب هذه المبادئ الإلحادية فريقين :

١ ـ **الفريق الأول** : يرى أن الله سبحانه وتعالى روحا وأن العالم جسما لذلك الروح فإذا سما الإنسان وتطهر التصق بالروح أي بالله .

٢ ـ **الفريق الثاني** : وهؤلاء يزعمون أن جميع الموجودات لا حقيقة لوجودها غير وجود الله . فكل شيء في زعمهم هو الله تجلى فيه [1].

والإسلام بريئ من هذه الأفكار المنحرفة الخرافية كلها ﴿ **هو الأول والآخر والظاهر والباطن** ﴾ وهؤلاء يقولون أن الله ما دام وهو أصل وجود هذه الممكنات المشاهدة فكأن الموجودات في حكم العدم والوجود الحقيقي هو الله الذى تجلى في أفعاله ومخلوقاته وبالتالي فإن العقائد كلها حق والناس لا خلاف بينهم حقيقة والديانات كلها ترجع إلى عقيدة واحدة وهذا لاشك أنه خلط وانحراف شنيع أدى بمن اعتنقه إلى خذلان المسلمين وترك فكرة الجهاد . ولهذا نجد أن المستشرقين اهتموا كثيرا بدراسة ظاهرة التصوف لأنها تحقق أهدافهم في إلهاء المسلمين وتفرق كلمتهم وبالتالى فإنهم وجدوا فيها معينا لهم على نشر الإلحاد وإنكار النبوات ونبذ التكاليف الشرعية والدعوة إلى القول بوحدة الأديان وتصويبها جميعا مهما كانت حتى وإن كانت عبادة الحجر والشجر .

والواقع : أنه ما من مسلم يشك في كفر أو ارتداد من قال بوحدة الوجود وعلماء الإسلام حين حكموا بكفر غلاة المتصوفة من القائلين بوحدة الوجود

---

(١) الصوفية معتقداً ومسلكا ص ٢٠٦ / ٢٠٧ ، نقلا عن التصوف الإسلامى والإمام الشعراني للاستاذ طه عبدالباقي سرور : ١ ص ٨٩ .

والحلول والاتحاد حكموا أيضا بكفر من لم يرى تكفيرهم .

ولقد قال شيخ الإسلام عن هؤلاء : « إن كفر هؤلاء أعظم من كفر اليهود والنصارى ومشركي العرب » .

ولقد وصل الهوس والجنون بابن الفارض - بناءً على عقيدته أن الله هو عين كل شيء - وصل به الحال إلى أن يعتقد أنه هو الله حقيقة لأن الله حسب خرافاته هو عين كل شيء فهو على هذا يمثل الله تعالى عن قولهم :

وابن عربي من أساطين القائلين بوحدة الوجود والحلول والاتحاد وصحة الأديان كلها مهما كانت في الكفراذ المرجع والمآل واحد ومن هنا فهو يقول :

عقد الخلائق في الإله عقائداً وأنا اعتقدت جميع ما اعتقدوه

ويقول :

العبد رب والرب عبد ياليت شعرى من المكلف
ان قلت عبد فذاك رب أو قلت رب فأني يكلف

ولابن عربي في كتابي « فصوص الحكم » وكتابه الآخر « الفتوحات المكية من الأقوال في وحدة الوجود ونفي الفرق بين الخالق والمخلوق وثبوت اتحادهما تماما أقوال لاتكاد تحصر نثرا ونظما .

وأما ابن الفارض فإذا أراد الشخص أن يعرف عقيدته تمام المعرفة فليقرأ تائيته التى باح فيها بكل صراحة وتحد أن الله متحد بكل موجود وأن ابن الفارض نفسه هو الممثل الكبير لله تعالى في صفاته وفي أفعاله ولهذا فإنه يفسر كل مافي الوجود بأنه يصح أن يقال فيه أن الله أوجده أ وكل موجود هو أيضا ذلك الموجد . وأن كل عبادة تقام فإنها توجه له أو لله لا فارق بينهما إلا في ذكر الأثنينية التي هي أيضا لا وجود لها عند استجلاء الحقيقة حيث تتلاشى الإثنينة ويصبح الوجود واحدا ممثلا في كل شيء .

وإذا أردت تفصيل كل تلك الحقائق عنه فاقرأ تائيته أو الأبيات الآتية .

وانظر شرحها عند الشيخ عبد الرحمن الوكيل [1] .

جلت في تجليها الوجود لناظرى ... ففي كل مرئي أراها برؤية

ففي الصحو بعد المحو لم أك غيرها ... وذاتي بذاتي إذ تحلت تجلت

فوصفي إذ لم تدع باثنين وصفها ... وهيئتها إذ واحد نحن هيئتى

فإن دعيت[2] كنت المجيب وإن أكن ... منادى أجابت من دعانى ولبيت

فقد رفعت تاء المخاطب بيننا ... وفي رفعها عن فرقة الفرق رفعتى

وكل الجهات الست نحوي توجهت ... بما تم من نسك وحج وعمرة

لها صلواتي في المقام أقيمها ... وأشهد فيها أنها لها صلت

كلانا مصل واحد ساجد إلى ... حقيقته بالجمع في كل سجدة

وما كان لي صلى سواى ولم تكن ... صلاتي لغيري في أدا كل سجدة[3].

يقول ابن الفارض عن الذات الإلهية وتجليها له :

ويقول عن معنى سجود الملائكة لآدم ، وأن الملائكة إنما هم صفه من صفاته لا خلق مستقل :

وفي شهدت الساجدين لمظهرى ... فحققت أني كنت آدم سجدتي

شرحه الصوفي القاشاني بقوله :

« أى عاينت في نفسي الملائكة الساجدين لمظهرى فعلمت حقيقة اني كنت في سجدتي آدم تلك السجدة وأن الملائكة يسجدون لي والملائكة صفة من صفاتي فللساجد صفة مني تسجد لذاتي » [4].

---

(١) هذه هي الصوفية ٢٤٨ . (٢) أي الذات الإلهية . (٣) تائبة ابن الفارض .

(٤) كشف الوجوه الغر على هامش شرح الديوان ص٨٩ ج٢ نقلا عن هذه هى الصوفية ص٣٣ .

ومن عتاة دعاة وحدة الوجود الجيلي صاحب كتاب « الإنسان الكامل » .

وقد ترجم له الشعراني وأطال في ترجمته ابتدأها بقوله :

« ومنهم أبو صالح سيدى عبد القادر الجيلى رضي الله عنه ثم جاء في أخباره بما لا يصدقه عاقل »(١) .

ومما يدل على تعمق الجيلي في القول بوحدة الوجود وأنه لم يعد بينه وبين الله أى فارق ولا بينه وبين كل المخلوقات في هذا الكون أي فارق أيضا ما أورده في كتابه الإنسان الكامل » (٢).

لي الملك في الدارين لم أرفيهما ... سواى فأرجو فضله أو فأخشاه
وقد حزت أنواع الكمال ... جمال جلال الكل ماأنا إلا هو

* * *

لي الملك والملكوت نسجي وصنعتي ... لي الغيب والجبروت مني منشاه

* * *

فمهما ترى من معدن ونباته ... وحيوانه مع أنسه وسجاياه
ومهما ترى من أبحر وقفاره ... ومن شجر أو شاهق طال أعلاه
ومهما ترى من صورة معنوية ... ومن مشهد للعين طاب محياه
ومهما ترى من هيئه ملكية ... ومن منظر أبليس قد كان معناه
ومهما ترى من شهوية بشرية ... لطبع وايثار لحق تعاطاه
ومهما ترى من عرشه ومحيطه ... وكرسيه أو رفرف عز مجلاه
فانى ذاك الكل والكل مشهدي ... أنا المتجلى في حقيقته لاهو
وإني رب للآنام وسيد ... جميع الورى اسم وذاتي مسماه(٣)

(١) انظر طبقات الشعراني من ص ١٢٦ إلى ص ١٣٢ .

(٢) يقول الكشخانلى في شرح وحقيقة الإنسان الكامل « الإنسان الكامل المتحقق بحقيقة البرزخية الكبرى عين الله وعين العالم « جامع الأصول في الأولياء ص ١١١ نقلا عن هذه هي الصوفية ص ٤٤ .

(٣) الإنسان الكامل ص ٢٢ /٢٣ نقلا عن هذه هى الصوفية ج ٤٢ .

فالجيلي هو كل شيء والله هو أيضا كل شيء من خير أو شر من فسق أو فجور الكل هو الله على حسب هذه العقيدة المجوسية .

ومن القائلين بوحدة الوجود ووحدة الشهود أبو حامد الغزالي ولقد تأثر الناس به كثيرا لأنه كان في وقته يدارى كل طائفة ويتودد إليها بالموافقة وخفي أمره على كثير من الناس فلم يفطنوا إلى تعلقه بوحدة الوجود وإن كان قد صرح بها كثيرا في كتبه خصوصا إحياء علوم الدين ، وفي هذا يقول عنه عبد الرحمن الوكيل :

« لا تعجب حين ترى الغزالي يجنح في دهاء إلى السلفية في بعض ماكتب فللغزالي وجوه عدة كان يرائي بها صنوف الناس في عصره فهوأشعرى لأن نظام الملك صاحب المدرسه النظامية أراده على ذلك وهوعدو للفلسفة لأن الجماهير على تلك العداوة وهو متكلم ولكنه يتراءى بعداوته للكلاميين اتقاء غضب الحنابلة أما هو في كتبه المضنون بها على غير أهلها فصوفي إشراقي من قمة رأسه إلى أخمص قدميه ، وفي كتبه « الأخرى تجده أشعريا تارة وسلفيا مشوبا بأشعرية تارة أخرى وهكذا كان يلقي كل فريق بالوجه الذي يعرف أنهم يحبون لا يهمه أكان وجه حق أو وجه باطل » [1].

وأما بالنسبة لرجوعه عن غلوه في التصوف أو عدم رجوعه فقد قرر بعض العلماء أن الغزالي رجع عن تلك الأقوال الصوفيه إلا أن بعضهم شكك في رجوعه وتوبته ومن هنا يقول عبد الرحمن الوكيل :

« يحاول السبكي في كتابه طبقات الشافعيه تبرأة ساحة الغزالي بزعمه أنه اشتغل في أخريات أيامه بالكتاب والسنة ونحن نسأل الله أن يكون ذلك حقا .

ولكن لابد من تحذير المسلمين جميعا من تراث الغزالي فكل ماله من كتب في أيديهم تراث صوفي ولم يترك لنا في أخريات أيامه كتابا يدل على أنه اشتغل

---

(١) هذه هي الصوفية ص ٥٦ / ٥٧ .

بالكتاب وبالسنة »[1].

ومن أقوال الغزالي في وحدة الوجود كما جاءت في كتابة إحياء علوم الدين[2].

للتوحيد أربع مراتب .

والثانية :أن يصدق بمعني اللفظ قلبه كما صدق عموم المسلمين وهو اعتقاد العوام .

والثالثة : أن يشاهد دلك بطريق الكشف بواسطة نور الحق وهو مقام المقربين وذلك بأن يرى أشياء كثيرة ولكن يراها على كثرتها صادره عن الواحد القهار .

والرابعة : ألا يرى في الوجود إلا واحدا ، وهي مشاهدة الصديقين وتسمية الصوفية الفناء في التوحيد لأنه من حيث لايرى إلا واحداً فلا يرى نفسه أيضا وإذا لم ير نفسه لكونه مستغرقا بالتوحيد كان فانيا عن نفسه في توحيده بمعني أنه فني عن رؤية نفسه والخلق .

وفي هذا التعبير أمور تدل على وحدة الوجود وذلك فيما يلي :

١ ـ وصفه لعموم المسلمين بأنهم عوام في الاعتقاد ويقصد به العقيده السهلة الواضحة التي جاء بها الإسلام .

٢ ـ في تقريره أن الذى يشاهد تلك الأمور عن طريق الكشف يراها كلها صادره عن فاعل واحد هو الله تعالى على ما فيها من خير وشر .

٣ ـ قوله لايرى في الوجود إلا واحدا هذا هو عين القول بوحدة الوجود .

وعندما أورد استشكالا قد يرد في الذهن وهو قوله :

---

(١) هذه هي الصوفية ص٥٢.

(٢)إحياء علوم الدين ص ٢٤٥/٢٤٦جـ٤.

« فإن قلت كيف يتصور إلا يشاهد ألاواحدا وهو يشاهد السماء والأرض وسائر الأجسام المحسوسة وهي كثيرة فكيف يكون الكثير واحداً ؟

ولاشك أن هذا الاستشكال وارد وهو استشكال قوي جدا ويحتاج إلى جواب شاق فبماذا أجاب الغزالي عن هذا أجاب عن إيراد هذا السؤال بقوله :

« فاعلم أن هذه غاية علوم المكاشفات وأسرار هذا العلم لا يجوز أن تسطر في كتاب فقد قال العارفون افشاء سر الربوبية كفر » .

وهذا الجواب فيه اتهام لله بالتقصير في بيان أمر التوحيد حيث لم يبينه الله تمام البيان ولا بينه الرسول ﷺ ولا يعرفه أحد إلا أرباب الكشف الصوفي الذين يعرفون كل تفاصيل التوحيد إلا أنهم لا يحبون افشاء سر الربوبية لأنه يؤدى إلى الكفر حسب هذا الزعم والواقع أنه قد صدق فإن هذا التوحيد الذي لا يعرفه إلا أصحاب الكشف هو نفسه التوحيد الذي لا يفرق بين الخالق والمخلوق وهو أمر لا يقربه أحد من المسلمين .

أما الجواب الثاني فهو مثل ضربه يفيد أنه قد يحصل تعدد أشياء في شيء واحد دون فارق بينهما وذلك كالإنسان وأعضائه فهو إنسان واحد ولكن له أعضاء كثيرة روحه وجسده وأطرافه وعروقه وعظامه وأحشاؤه وهو باعتبار آخر ومشاهدة أخرى واحد أى إنسان وهذا الجواب أرد أمن الذى قبله يريد أن يثبت لنا القول بوحدة الوجود قياسا على الوحدة المتكاملة بين الإنسان وأعضائه وأردء من هذا أيضا جعله هذه الأوصاف هي نفسها الفناء في التوحيد حسب ما أورده عن موقف جرى بين الحلاج والخواص .

حيث رأي الخواص يدور في الأسفار فقال فيماذا أنت ؟ فقال : أدور في الأسفار لأصحح حالتي في التوكل فقال : الحسين ـ الحلاج ـ قد أفنيت عمرك في عمران باطنك فأين الفناء في التوحيد ؟ فكأن الخواص كان في تصحيح المقام الثالث فطالبه بالمقام الرابع .

أي أن الحلاج كان في المقام الثالث أو الرتبة الثالثة في التوحيد وهى أنه يرى الأشياء هى نفسها « الله » ولكن بطريق الواسطة والكشف فطالبه الخواص - والغزالي لإقراره كلام الخواص - بأن يرتقي إلى الدرجة الرابعة [1] في تحقيق التوحيد وهي أن لا يرى في الوجود إلا واحدا وهي (الفناء في التوحيد) بدون واسطة ولا كشف وبها يتحقق التوحيد.

وفي كتاب مشكاة الأنوار للغزالي تصريح بوحدة الوجود في أكثر من موضع[2]، وقد فندها الشيخ عبد الرحمن الوكيل وأظهر عوارها[3].

ومن كبار القائلين بوحدة الوجود عامربن عامر أبو الفضل عز الدين حيث قال محاكيا ابن الفارض في تائيته وفي معتقده أيضا :

تجلى لى المحبوب من كل وجهة	فشاهدته في كل معنى وصورة
وخاطبني مني بكشف سرائر	تعالت عن الأغيار لطفا وجلت[4].
فقال أتدرى من أنا قلت أنت يا	منادى أنا إذ كنت أنت حقيقتى
نظرت فلم أبصر سوى محض وحدة	بغير شريك قد تغطت بكثرة
تكثرت الأشياء والكل واحد	صفات وذات ضمنا في هوية
فأنت أنا لابل أنا أنت وحدة	منزهة عن كل غير وشركة[5].

وقد اختار نقل هذه الأبيات من تائية ابن عامر الشيخ عبد الرحمن الوكيل

(١) انظر إحياء علوم الدين جـ ٤ ص ٢١٢ وانظر تعليقات الشيخ عبد الرحمن الوكيل في كتابه هذه هي الصوفية من ص ٤٧ إلي ص ٥٦ .

(٢) انظر ص ١٢٢ إلى ص ١٢٥ . (٣) انظر ص ٥٤ - ٥٦ .

(٤) أي تعالي الله عن أن يكون له غير إذ هو عين كل شيء والمسلم يقول تعالى الله عن الشريك والمثيل لأنه الخلاق العليم انظر هذه هي الصوفية ص ٥٧ .

(٥) تائية ابن عامر .

وهي صريحة لا لبس فيهـا على ما يذهب إليه أهل وحدة الوجود الذين يرون أنه لا يكتمل إيمان العبد ولا يصل إلى الله إلا إذا تلاشت « أنا » مـن نفسه فأصبح في لجة جمع الجمع ورفع الإثنينية .

وقـد سلك هذا المسلك في الاعـتقـاد بوحـدة الوجود جـمـاعة أخـرى من الصـوفيـه يمكن إحـالة القارئ للاطلا ع علـى كلامـهم إلى كتـاب الشـيخ عبـد الرحمن الوكيل حيث ذكـر نصوصا كثيرة عنهم نثرا ونظمـا ومن أولئك محمد ابن إسحاق المشهور بالقونوى[1]،وعبد الغني بن إسماعيل المشهور بالنابلسي[2]. وعـبد السـلام بن بشيش أو مـشـيش وهو من كبـار شيـوخ الشـاذلية، ومـحمـد الدمرداش المحمدي [3].

وأحمد بن عجيبة الإدريسي [4].وحسن رضوان [5].

وكل واحـد من هؤلاء قـد أدلى بدلوه وخـاض فيـمـا ليس له بحق وحـاول تثبيت عقيدة وحدة الوجود بكل ما أمكنه من الكلام نثرا ونظما ما قد يطول نقله وتثقل قراءته إذ إنهم لا يختلفون إلا في الألفاظ فقط والمورد واحد .

٤ ـ وحدة الشهود أو الفناء.

وبيان العلاقة بين وحدة الشهود ووحدة الوجود:

وحدة الشهود هو ما يسمونه في بدء أمره مطالعة الحقائق من وراء ستر رقيق أي لا يصل إلى درجة الحلول والاتحاد في أول الأمر إلا بعد أن يترقى درجات ثم يصبح كما يقول على حرازم ناقلا جواب شيخه التيجاني « اعلم أن سيدنا رضي

---

(١) له كتاب « مواتب الوجود » مخطوط بالظاهريه بدمشق رقم ٥٨٩٥ .

(٢) رسالة اسمها « حكم شطح الولي »مخطوط بالظاهريه بدمشق رقم ٤٠٠٨ .

(٣) له كتاب القول الفريد .

(٤) له كتاب إيقاظ الهمم في شرح الحكم .

(٥) له كتاب روض القلوب المستطاب .

الله عنه سئل عن حقيقة الشيخ الواصل ما هو ؟ فأجاب رضي الله عنه بقوله : أما حقيقة الشيخ الواصل فهو الذى رفعت له جميع الحجب عن كمال النظر إلى الحضرة الإلهية نظرا عينيا وتحقيقا يقينيا » [1].

وهذه نهاية الفناء في الله ووحدة الشهود فيه .

وأما العلاقة بين وحدة الوجود ووحدة الشهود

فإنه يرى بعض العلماء أن بين وحدة الوجود ووحدة الشهود فارقا بعيدا وذلك أن وحدة الوجود هي الحلول والاتحاد وعدم التفرقه بين الله وبين غيره من الموجودات بينما وحدة الشهود عند بعضهم هى بمعنى شده مراقبة الله تعالى بحيث يعبده كأنه يراه .

ومن هنا ظن هذا البعض أن وحدة الشهود لا غبار على من يقول بها ومنهم من يؤكد على أن وحدة الشهود هى الدرجة الأولى إلى وحدة الوجود والواقع أن التفريق بين وحدة الشهود ووحدة الوجود ليس له أساس ثابت بل هو قائم على غير دليل إلا دليلا واحدا هو الذوق الصوفي وذلك أن خير البشر لم يستعمل هذه الحالة ولا نطق باسمها في عبادته لربه ولا كان أصحابه أيضا يقولون بها فكان شأنهم أنهم يعبدون الله وهم على أشد ما يكونون من الوجل والخوف أن ترد عليهم أعمالهم مع وجود أشد الطمع في نفوسهم لعفو ربهم وتجاوزه عنهم يعبدونه بالخوف والرجاء ووحدة الشهود ووحدة الوجود لم تعرف إلا بين الفئات الذين أمتلأت نفوسهم إعجابا وتيها بأعمالهم وقلت هيبة الله تعالى في نفوسهم .

يقول الشيخ عبد الرحمن الوكيل في أثناء رده على الغزالى وبيان خطر أفكاره على الإسلام والمسلمين ومدى تعلق الغزالى بوحدة الوجود أو الشهود:

---

(١) جواهر المعاني جـ ١ ص ١٣٥ .

« أرأيت إلى من صنمته [1]، الصوفيه باللقب الفخم الضخم [2]، لتفتن به المسلمين عن هدى الله تعالى ؟ أرأيت إلى الغزالى يدين بوحدة الوجود أو الشهود سمها بما شئت فعند الكفر تلتقي الأسطورتان لا تقل إن وحدة الوجود أنشودة من البداية وحدة الشهود أغرودة عند النهاية فكلتاهما بدعة صوفية بيد أنها غايرت بين الاسمين وخالفت بين اللونين ولكن البصر البصير لا يخدعه اسم الشهد سمي به السم الناقع كلتاهما زعاف الرقطاء غيرأن واحدة منهما فى كأس من زجاج والأخرى فى كأس من ذهب» [3].

فينبغى أن نبتعد عن هذه الكلمة - وحدة - أشد البعد فإن الله تعالى هو الواحد القهار لم يشرك أحدا في خلقه ﴿ **لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفواً أحد** ﴾ ولنا فى العبارات الطيبة التى تربطنا بربنا مجالا واسعا كالإسلام والإيمان والإحسان كما جاء فى حديث جبريل حيث سأله عن تلك الأمور ولم يسأله عن وحدة الشهود ولا وحدة الوجود ولا الحلول ولا الكشف ولا غير هذا مما هو من اختراع الصوفيه تبعا لأفكار ضالة ليس بينها وبين الإسلام أى صلة أو تقارب .

إن وحدة الشهود تؤدى في النهاية إلى القول بالحلول رغم مازخرفوه من الكلام والتدليس .

وقد وضح على حرازم الأمر وجلاه فى بيانه لأقسام مراتب المحبة التى هى محبة الإيمان ، ومحبة الآلاء والنعماء ، ومحبة الصفات، ومحبة الذات ثم بين هذه المراتب إلى أن قال عن القسم الرابع من المحبة :

« ومتى وصل إلى محبة الذات أعني أنه يشم رائحة منها فقط انتقل إلى الفناء مرتبة بعد مرتبة فيكون أمره أولا ذهولا عن الأكوان ثم سكرا ثم عَينية وفناءاً مع شعوره بالفناء ثم إلى فناء الفناء وهو أنه لم يحس بشيء شعورا وتهمما

(١) أي جعلته صنما .   (٢) أى لقبه حجة الإسلام .

(٣) هذه هى الصوفية ص ٥٠ .

وحسا واعتبارا وغاب عقله ووهمه وانسحق عدده وكمه فلم يبق إلا الحق بالحق للحق في الحق وهو مقام الفتح والبداية يعني بداية المعرفة وصاحبه إذا أفاق من سكرته يأخذ في الترقي والصعود في المقامات إلى أبد الأبد بلا نهاية »[1].

وقوله أنه لانهاية لترقية لا يتفق مع ما قدمه مما يدل على نهاية الترقي وهو الوصول إلى وحدة الوجود كما في قوله :

« إلى أن ينتقل إلى المشاهدة وهى الاستهلاك في التوحيد وغاية المشاهدة ينمحق الغير والغيرية ، فليس إلا الحق بالحق للحق عن الحق فلا علم ولا رسم ولاعقل ولاوهم ولاخيال ولا كيفية ولا كمية ولانسبة انتفت الغيرية كلها»[2].

إلى أن قال عن دخول الحضرة الإلهية :

« فإن من دخلها غاب عن الوجود كله فلم يبق إلا الإلوهية المحضة حتى نفسه تغيب عنه ففي هذا الحال لا نطق للعبد ولا عقل ولا هم ولا حركة ولا سكون ولا رسم ولا كيف ولا أين ولا حدود ولا علم فلو نطق العبد في هذا الحال لقال لا إله إلا أنا سبحاني ما أعظم شأني لأنه مترجم عن الله عز وجل»[3].
هذا هو الحلول والاتحاد ومع ذلك سماه على حرازم « غاية الصفاء » ونسى أو تناسى أو جهل ـ وهو الصحيح ـ أن الرسول ﷺ ولا أحد من صحابته قد قال سبحانى ما أعظم شأني أو قال لا إله الا أنا ، لأن قائل هذه الألفاظ لا دين له إلا دين المجوسية ومن هنا استشهد على حرازم بعد الكلام السابق على صحة هذا الصحو فى الله بقول الحلاج سبحاني ما أعظم شأني . ومن حسن الحظ أنه لم يستدل بقول أحد من المسلمين .

وتتضح صورة القول بوحدة الوجود عند التيجانيه كما هى عند سائر أقطاب التصوف الغلاة في قول على حرازم في صراحة تامة وفي مواضع كثيرة

---

(١) جواهر المعاني جـ ١ ص ١٦٥ . (٢) جواهر المعاني ص ١٣ .
(٣) جواهر المعاني ص ١٧ .

من كتابه جواهر المعاني نأخذ منها قوله في أثناء بيانه لمنزلة الخلق من الحق تبارك وتعالى وأنهم صور تنبئ عن الله تماما فقال في ذلك : « ولايكون هذا إلا لمن عرف وحدة الوجود فيشاهد فيها الوصل والفصل فإن الوجود عين واحدة ولاتجزؤ فيها على كثرة أجناسها وأنواعها ووحدتها لاتخرجها عن إفتراق أشخاصها بالأحكام والخواص وهى المعبر عنها عند العارفين آن الكثرة عين الوحدة والوحدة عين الكثرة »(١).

ومن العجيب أنهم يستدلون على هذا المسلك بقول الرسول ﷺ :« إن الله قال من عادى لي وليا فقد آذنته بالحرب الي آخر الحديث»(٢)، والحديث حسب مفهومهم معناه أن العبد إذا لازم العبادة الظاهرة والباطنة حتى يصفي من الكدورات أنه يصير في معنى الحق تعالى الله عن ذلك وأنه يفنى عن نفسه جملة حتى يشهدأن الله هو الذاكر لنفسه الموحد لنفسه المحب لنفسه وأن هذه الأسباب والرسوم تصير عدما صرفا في شهوده وإن لم تعدم في الخارج(٣) ، وينسى العبد نفسه في الله وأن الله يحل بجوارحهم فهو في سمعهم وأبصارهم وأيديهم وأرجلهم قد إتحدت ذاته بذواتهم .

فهل كان الرسول ﷺ يقصد ماذهب إليه زعماء الصوفية؟ والجواب سيكون بالنفى قطعا. وقد أجاب العلماء عن معنى هذا الحديث بعدة أجوبه ذكرها كلها ابن حجر رحمه الله ومنها أن معناه أن العبد يحب طاعة الله ويؤثر خدمته ومحبته وأنه لا يستعمل هذه الجوارح إلا وفق ما شرعه الله له فلا يستعملها إلا في ما أحبه الله ويبعدها عن كل ما يغضب الله تعالى(٤)، لا أن الله يحل في تلك الجوارح والرسول ﷺ أعظم وأجل من أن يتصور ربه على هذه الصفات.

وتلك المعانى الباطلة لمعنى الحديث موضحة في جمهرة الأولياء للمنوفي في

---

(١) جواهر المعاني : ج٢ ص٧٣ .

(٢) صحيح البخارى ج ١١ص٣٤١.

(٣) فتح البارى ج ١١ ص٣٤٤ .

(٤) المصدر السابق ج١١ ص٣٤٤ .

مقال تحت عنوان « دور الكمال » ذكر فيه أن الصوفية قد تطورت فشاركت في أبحاث كثيرة فقهية وفلسفية إلى أن قال : « وقد خطا الجنيد في هذا السبيل الخطوات الأولى الفاصلة فانتقل من حال الفناء التي قال بها البسطامي إلى فكرة الاتحاد ، وذهب إلى أن المتصوف قد يصل إلى درجة يتحد فيها الروح اتحادا تاما بخالقه عن طريق الشهود [1].

ثم ذكر بعد ذلك أنه ليس المراد من هذا الاتحاد ماهو معروف في البوذية والمسيحية وإنما هو بمعنى أنه مجرد ملاحظة روحية ولكن يبقى عليه أن الملاحظة الروحية لا يقال فيها بالاتحاد وإنما هي زيادة تعلق القلب بخالقه فقط ومن قال أن ملاحظاته جعلته متحدا مع الله فلا شك في خروجه عن الحق مهما حاول بعد ذلك تغطية معتقده بزخرف القول .

لقد أصبحت وحدة الشهود عند المتصوفة : هي أخص مظهر من مظاهر الحياة الصوفية وهى الحال التى يسمونها بالفناء وعين التوحيد وحال الجمع وهى الاتصال بين العبد وبين ربه عن طريق الشهود الصريح فيما يزعمون ، ويصل الإنسان إليها بزعمهم بكثرة الذكر حتى يقع الشهود القلبي ثم يستغنى عن الذكر بمشاهدة المذكور حسب تخيلاتهم السقيمة الإلحادية فاتضح مما سبق أن الفوارق لا تكاد تعرف بين تلك التسميات فهى داخلة في النهاية كلها في دائرة واحدة هى القول بالحلول مهما تعددت صوره . [2]

٥- وأما اعتقادهم في الرسول ﷺ فهو ضرب من الخيال والإلحاد فهم يزعمون :

١ - أن الله كان في عماء دون تعيين فأراد أن يتعين في صورة فتعين في صورة محمد ﷺ أى أنهم يعتقدون أن محمدا ﷺ هو الله سبحانه وتعالى ذاتا وصفة

---

(١) انظر ص ٢٧٥ ج١ .

(٢) انظر ماكتبه د. صابر طعيمة في كتابه الصوفية معتقدا ومسلكا ص٢٥٧ .

حيث تعينت فيه الذات الإلهية في صورة مادية كما قرر الكشخانلي ومحمد الدمرداش - والجيلي والبيطار والقاشاني والفوتي وعلى حرازم والشعراني[1].

٢ - وأن الذى هاجر من مكة إلى المدينة هو الذات الإلهية متجلية في صورة هى محمد ﷺ كما قرر بن عربي ذلك في قوله : « اللهم أفض صلة صلواتك وسلامة تسليماتك على أول التعينات المفاضة من العماء الرباني وآخر التنزلات المضافة إلى النوع الإنساني المهاجر من مكة كان الله ولم يكن معه شيء ثان إلى المدينة...الجامع بين العبودية والربوبية الشامل للامكانية والوجودية»[2] .

٣ - أن الرسول محمد ﷺ يحضر كل مجلس أو مكان أراد بجسده وروحه وأنه يتصرف ويسير حيث يشاء في أقطار الأرض إلى اليوم لم يتبدل بعد وفاته[3].

٤ - كل هذه الموجودات إنما وجدت من نور محمد ﷺ ثم تفرقت في الكون[4]، وهكذا فقد أصبح من الأمور المسلمة عند الصوفية أن هذا الكون وكل ما يحصل فيه من خير وفيض إنما يتم عن طريق الرسول محمد ﷺ وفيما قدمنا من النقل عن جواهر المعاني ورماح الفوتي ما يغني عن إعادته هنا وهذا المعتقد مقرر في كتب الصوفيه كلهم من التيجاينه أو من غيرهم ولهذا يقول المنوفي في بيان تلك القضية :

(١) انظر النصوص عن هؤلاء في كتاب « هذه هى الصوفية » من ص ٧٣ - ٩٢ .

(٢) هذه هى الصوفية ص ٧٧ .

(٣) انظر ما كتبه الفوتي في رماحه ج١ص٢١٩هامش جواهر المعني وانظر جمهرة الأولياء ج٢ص١٢.

(٤) هنا مربط الفرس في العقيدة الصوفية فقلما يخلوا كتاب من كتبهم عن تقرير هذه العقيدة .

لله در القائل :

ما أرسل الرحمن أو يرسل — من رحـمة تصعـد أو تنزل

في ملكوت الله أو ملكـه — من كل ما يختص أو يشمـل

إلا وطه المصطفى عبـده — نبيـه مخـتاره المرسـل

واسـطة فيها واصـل لهـا — يعلم هـذا كل من يعقل [1]

أى أن كل من يعقل ـ ولو قال كل من يجهل لكان أصوب ـ يعرف تمام المعرفه أن هذا الكون وما فيه إنما هو مستمد لبقائه ووجوده من محمد ﷺ الذى هو الرب تعالى في تعينه الثاني .

ويقرر ابن عطاء الله السكندرى ذلك بقوله: «جميع الأنبياء خلقوا من الرحمة ونبينا ﷺ عين الرحمة». [2]

ومما لايجهله أى مسلم أن الرسول ﷺ عبد بشر مثل سائر البشر كرمه الله تفضلا ومنة عليه بالرسالة مثل سائر الأنبياء والرسل .

وهو عليه الصلاة والسلام غني عن مبالغات الصوفية وأكاذيبهم الحمقاء فكل ما قرره أقطاب الصوفية من أولهم إلى آخرهم حول الحقيقة المحمدية ونشوء الخلق عنها فإنه كلام خارج عن عقيدة المسلمين من دان به فلا حظ له في الإسلام بل هو مجوسى وثني .

٥ ـ يعتقدون كما قرره ابن عربي أن الرسول ﷺ كان يعرف القرآن قبل نزوله بل أنه على حسب زعمهم هو الذى يعلم جبريل الذى بدوره يوحيه إلى محمد ﷺ ثانية[3]، ومن الصوفية مثل أبي يزيد البسطامي من يزعم أن الرسول كان جاهلا لا يصل إلى مرتبتهم حيث قال : « خضنا بحرا وقف الأنبياء

---

(١) جمهرة الأولياء ج٢ ص١٠ — (٢) لطائف المنن ص٥٥ .

(٣) هذه هى الصوفية ص٨٩ ، ينقله عن كتاب الكبريت الأحمر للشعراني ص ٦ .

بساحله»[1]، وهذه الإفتراءات كلها إلحاد وزندقة وشبهات مظلمة وابطالها مما لا يشق على مسلم عرف شيئا عن تعاليم الإسلام ، فإنّ القرآن منزل من عند الله تعالى على نبيه محمد ﷺ بواسطة جبريل عليه السلام وهذه هى عقيدة كل مسلم من لم يؤمن بها أوشك فيها فلا حظ له من الإسلام ولاصلة بينه وبين المسلمين.

٦ ـ الولاية وبيان بعض المصطلحات الصوفية :

تطلق كلمة ولاية في اللغه العربية[2] ، على عدة معان منها التابع المحب والصديق والناصر .

أما معناها في مفهوم الصوفية فهى تنتهى أخيرا في مصب وحدة الوجود فقد عرفها المنوفي[3] تحت عنوان « أولياء الله » بقوله : « اعلم أن الولاية عبارة عن تولي الحق سبحانه وتعالى عبده بظهور أسمائه وصفاته عليه علما وعينا وحالا وأثره لذة وتصرفا » ثم زاد الأمر وضوحا حينما بين التجليات الإلهية والفيوضات التي تقع على السالك وأفعاله وأفعال كل المخلوقات ثم « لا يرى في نظره غير فعل الفاعل الحقيقي وهو الله » .

وعرفها الجرجاني بقوله :

الولي : هو العارف بالله وصفاته بحسب ما يمكن المواظب على الطاعات المجتنب عن المعاصي المعرض عن الانهماك في اللذات والشهوات وقال أيضا الولاية : هي قيام العبد بالحق عند الفناء عن نفسه. [4]

وقد ذكر السهوردي الولاية وقسمها إلى أقسام باعتبارات مختلفة ثم ذكر

---

(١) انظر شطحات الصوفية ص ٣١ .

(٢) انظر مادة ولي تهذيب اللغة للأزهرى جـ ١٥ ص ٤٤٧ ونزهة الأعين النواظر ص ٦١٤ والمختار من الصحاح ص ٥٨٣ وغير ذلك من كتب اللغة .

(٣) جمهزة الأولياء للمنوفي جـ ١ ص ٩٨ / ٩٩ .

(٤) كتاب التعريفات ص ٢٥٤ .

بعض الكرامات للأولياء التي لا يخلو من ذكرها كتاب صوفي . وأكثر تلك الكرامات التي يروونها محض خرافات وقصص باطلة . ثم خلص السهروري إلى أن الصالحين الذين يتولاهم الله ويتولونه ليس المراد بهم : « الذى يقصده أهل الطريق عند تفصيل المراتب ويقولون فلان صالح وشهيد وولي بل الصلاح هنا المراد به : الذين صلحوا لحضرته بتحقيق الفناء عن خليقتة » [1] .

وأما القطب الكبير عند الصوفية وهو القشيري فقد ذكر تعريفات كثيرة للولاية ونقل عن أكابر مشائخهم أراءهم في الولاية وأهميتها وعلاماتها وكيفية الحصول عليها ومسائل أخرى [2]، وهكذا فإن نظرة الصوفية إلى الولي والولاية ليست هى تلك المنزلة الطيبة في مفهوم الإسلام . لأن الولي الصوفي لاحد لصلاحياته في هذا الكون .

وقد جاءت الولاية في القرآن الكريم مرادا بها المدح وأحيانا مرادا بها الذم فهى تستعمل في الخير وفي الشر حسب إطلاقها ، لأن صاحبها أما أن يكون وليا لله تعالى أو وليا للشيطان وبين الولايتين من البعد والانفصال ما يعرفه كل مسلم سليم الفطرة صافي العقيدة .

وجاءت في السنة النبوية مرادا بها وصف من ساروا على سنة رسول الله ﷺ والتزموا طريق الخير ونصروا الدين ووالوه .

ثم توسع الصوفيه والشيعة فى إطلاقها وخرجوا بها عن حقيقتها ومدلولها الصحيح فأطلقت على الرجل المتصوف أو من ينتسب إلى آل البيت ثم اسبغوا على ائمتهم وكبار دعاتهم هذه الكلمة وأنواعا أخرى من التهويلات لمطامع إجتماعيةوسياسية.

ثم أخذها الصوفيون بعد ذلك وأخرجوها في مذاهب الحلول والاتحاد ووحدة الوجود . وهناك صفة ثانية أضيفت إلى مفهوم الولاية عند الشيعة

---

(١) عوارف المعارف ص ٨٤ .　　(٢) الرسالة القشيرية ص ٥٢٠ جـ ٢ .

والصوفية وهى صفة العلم اللدني الذى أخذه على بن أبى طالب عن الرسول ﷺ كما زعموا ثم ورثه إياهم ببركة تلك الولاية وبلغ الغلو بالصوفية في أوليائهم إلى أن أتخذوا بين الله وبين خلقه وسطاء على طريقة النصارى واليهود والمشركين تماما .

فكما اتخذ هؤلاء المسيح وعزيز والملائكة أربابا لهم من دون الله اتخذ الصوفية وسطاء إلى الله عز وجل أسموهم القطب والغوث والولي ونسبوا إليهم النفع والضر لأن الله بزعمهم جذبهم إليه واختصم ثم ساووهم مع الله تعالى في كل صفاته بل أصبح من شرط الولي أن يكون متصفا بصفات الله ـ كما يزعمون ـ ومن هنا نشأ تنطعهم وتنقصهم للأنبياء على حد ما ورد عن أبى يزيد البسطامي في قوله :

« خضنا بحرا وقف الأنبياء بساحله » ثم اخترعوا مفهوما كاذبا للولاية فهى عندهم مجرد هبة من الله عز وجل لبعض خلقه دون أن يكون لها سبب بل وبغض النظر عن صلاح الشخص أو فجوره، واستدلوا بقول الله عز وجل: ﴿**يختص برحمته من يشاء**﴾ أى دون سبب حسب مفهومهم ومعنى هذا أنهم يجعلون مفهوم الولايه كمفهوم النبوة الكل بلا سبب ظاهر وهذا خلاف ما قرره الإسلام بالنسبة للولاية التى تنتج عن طاعة الله تعالى والمتابعة لنبيه ﷺ . وقد قسموا الولاية والأولياء إلى أقسام يطول شرحها بدون فائدة فيها.[1] الامانستثنيه مما ذكره المنوفي حين قسمهم إلى :

١ ـ الملامتية :

وهم الذين لايظهرون للخلق أعمالا وأسرارا بل يخفون أسرارهم لكمال ذوقهم وقوة شهودهم لربهم .

---

(١) انظر ما كتبه الشيخ عبد الرحمن عبد الخالق في كتابه الفكر الصوفي ص ٢١٩ ، وانظر الصوفية معتقدا ومسلكا ص ٩٢ وص ١٠١ .

٢ ـ الغوث الأكبر :

وهو أكبر الأولياء والأقطاب وهو ذات الحق باعتبار تجريدها من الاسم والصفة » .

٣ ـ والأوتاد الأربعة :

وهم حفظة العالم كل واحد منهم في ركن من أركان العالم وهم على قدم بدل من الأبدال ؛ أى أقل رتبة من الأبدال لأن الأبدال يكونون على قدم قطب من الأقطاب .

٤ ـ والأقطاب السبعة :

لحفظ القارات السبع ، والقطب هو الواحد الذى هو موضع نظر الله من العالم فى كل زمان . والقطبانية الكبرى : هى مرتبة قطب الأقطاب وهو باطن النبوة للرسول ﷺ والأبدال زعموا أنهم أربعون وهم مكلفون بحفظ العالم والكون وقد عرفهم المنوفي بأنهم :« أبدال الأقطاب من الأولياء فإن مات قطب أحل الله محله بدلا منه ومنهم الخلفاء الأربعة .

٥ ـ النجباء وهم الأربعون القائمون بإصلاح شئون السالكين :

٦ ـ والأفراد :

وهم المفردون والغرباء لتفردهم عن الخلق بشهود الحق وغربتهم فى أهل زمانهم وهم غير منحصرين فى رتبة أو منزلة ولهم كشف خاص وعلوم الهية غريبة على الناس .. وهم على قدم النبي ﷺ (١) .

٧ ـ وأخيرا وصلوا بالولاية إلى أنها مثل النبوة تماما فلها ختم كما للنبوة

---

(١) انظر جمهرة الأولياء جـ ١ ص ١٢١ و ٣٠٦ ، ٣١١ .

ختم. فخاتم الأنبياء محمد ﷺ وخاتم الأولياء عند الصوفيه مجموعة من الكذابين مختلفون فيما بينهم على ادعائها .

وأول من ادعى ختم الولاية به هو محمد بن على بن الحسين « ويسمونه الحكيم الترمذى » وقد ظهر فى القرن الثالث الهجرى فى آخره وهو غير الترمذى صاحب السنن.

وحين صنف الحكيم الترمذى كتابه « ختم الولاية مضاهيا بذلك القول بختم النبوة شهدوا عليه بالكفرثم نفى من ترمذ .

ثم جاء ابن عربي المتوفي سنة ٦٣٨ هـ فادعى أنه هو خاتم الأولياء .

ثم جاء محمد بن عثمان الميرغني السودانى المتوفي سنة ١٢٦٨ هـ فادعى أنه هو خاتم الأولياء ثم جاء أحمد التيجاني من فاس بالمغرب المتوفي سنة ١٢٣٠ هـ فادعى أنه هو خاتم الأولياء وأن من سبقه أو يلحقه ممن يدعى ختم الولاية فإنه كاذب مفتر .

وكل واحد ممن يدعيها له مزاعم وادعاءات وكرامات ومزايا لا يصدقها شخص له أدنى معرفة بالدين الإسلامى .

وكلما جاء رجل منهم ادعى أنه هو خاتم الأولياء وأن غيره كذاب ـ والكل والله يشهد ـ إنهم كاذبون ثم بلغ بهم الغلو أن فضلوا خاتم الأولياء المزعوم على خاتم النبيين لأمور لا فائدة من التطويل بذكرها . فإنهم مهما تفننوا في الاستدلال على ذلك ومهما زخرفوا القول فيه فهو مردود جملة وتفصيلا .

الفصل الثالث عشر

الكشف الصوفي

من أصول الدين الإسلامى وقواعد الإيمان فى الشريعة الإسلامية أن الله تعالى وحده هو علام الغيوب . وأن الخلق مهما كانت منزلة أحدهم لا يصل إلى معرفة الغيب إلا من شاء الله أن يطلعه منهم على ما أراد من ذلك سواء كان ملكا مقربا أو نبيا مرسلا .

ولقد تعدى المتصوفه على هذه الصفة لله عز وجل فأقاموا أمرا سموه « الكشف الصوفي » ويعني عندهم رفع الحجب من أمام قلب الصوفي وبصره ليعلم بعد ذلك كل ما يجرى في هذا الكون وبالغوا في هذا الادعاء بما لا يجرؤ على القول به إلا عتاة الزنادقة كما هو مسطر في كتبهم بأقلامهم وكما تبين ذلك من خلال ماقدمنا من الإشارات الكثيرة إلى حقيقة الكشف من خلال نظرتهم إلى أقطابهم في حالة رفع الحجب عنهم واتحادهم بالله ورفع الأنيّة بينهم وبين الله ويبدوا أنهم ترقوا في هذه الدعوى على النحو التالى :

١ ـ ادعوا أن الصوفى يكشف له عن معان جديدة في القرآن والسنه والآثار والرسوم لا يعلمها علماء الشريعة الذين سموهم علماء الظاهر والقراطيس لأنهم أى علماء الشريعة إنما يعتمدون فى نقل تلك المعانى من القرآن والسنة على موتى وأما هم فإنهم يأخذونها عن الله تعالى مباشرة ومن هنا تجد أقطاب التصوف حين يشرحون بعض الآيات والأحاديث يأتون فيها بمعان من نسج أخيلتهم ويزعمون فيها مزاعم هى عين الأكاذيب التي لا يسندها أيّ دليل لا من الشرع بل ولا من العقل في أكثر ما جاءوا به في شروحاتهم .

٢ ـ ثم ترقوا فقالوا إن لهم علوما لا توجد في الكتاب ولا في السنة يأخذونها جديدة عن الخضر الذى هو على شريعة الباطن حسب زعمهم .

وهذه الفرية هى التي استباحوا بموجبها كثيرا من الفواحش والمحرمات إذ إن

النصوص التي يفيد ظاهرها التحريم قد يفيد باطنها الإباحة والخضر يؤكد لهم ذلك فإذا بتلك النصوص ظاهرها في واد وباطنها في واد آخر لا صلة بينهما إلا تلك الروايات التي صدرت عن الخضر أو بعض المنامات التي حدثت لأقطابهم الكبار الذين استباحوا كل محرم من الفواحش .

٣ - وهناك فرية أيضا اقترفوها وهى قولهم أنهم يتلقون علومهم عن ملك الإلهام كما تلقى الرسول محمد ﷺ علومه من ملك الوحي مباشرة .

٤ - وآخرون منهم يزعمون أنهم يتلقون علومهم عن الله رأسا وبلا واسطة حيث تنطبع هذه العلوم فى نفوسهم وبموجبها يأتون ما يأتون من أمور .

٥ - وآخرون منهم يدعون أن الرسول ﷺ هو الذى يخبرهم بأذكارهم وعبادتهم يقظة لا مناما .

٦ - ثم زعموا أنهم يعلمون أسرار الحروف المقطعة من القرآن وقصص الأنبياء على حقيقتها وأنهم يجتمعون بالأنبياء ويسألونهم عن تفاصيل قصصهم وخرافات كثيرة ذكرها الجيلي في كتابه « الإنسان الكامل » يمجها السمع وينفر عنها الذوق . وكذا الغزالى حين دخل التصوف ولم يستطع الخروج منه رغم أنه كان من علماء الشريعة فقد ذكر أشياء كثيرة عن الكشف الصوفي وخرافاتهم فيه مؤيدا له .

وعتاة هذه الدعوى ابن عربى وعبد العزيز الدباغ والبسطامي والتيجاني والمرسي وغيرهم [1]، لقد كانت دعوى الكشف هى المقدمة الأولى في نظرى إلى الادعاء بوحدة الوجود والحلول أن دعوى الكشف مبالغة فاحشة ولكنها تعتبر من باب التمهيد لما هو أفحش منها وهو ادعاء الاتصاف بالله والأخذ عنه مباشرة ولذلك ترى كثيرا من المؤلفين من علماء التصوف زعموا أنهم لم يأتوا بما

(١) انظر الفكر الصوفي ص ١٤٣ الفصل التاسع .

ذكروه في كتبهم إلا عن طريق الكشف الصريح يتلقونه عن الله مباشرة رغم ما يحمل من كفر وفجور وزندقة إباحية .

كما زعم ابن عربي في فصوصه والجيلي في كتابه الإنسان الكامل الذى يقصد به الرسول ﷺ الذى اتصف حسب تقرير الجيلى بصفات الله تعالى وبصفات أقطاب التصوف أحيانا حيث يظهر في صورة أي شيخ منهم كالشبلى والجبرتي وغيرهما في زمنهم وفي غير زمنهم .

وكتاب الجيلى « الإنسان الكامل » مملوء بالعبارات التى تؤدى إلى إحياء الخرافات والزندقة فقراءة عابرة له تجعلك لا تتوقف في هذا الحكم عليه ولا فيما كتبه عتاة التصوف كالدباغ وتلميذه أحمد بن مبارك والشعراني وعلى حرازم وغير هؤلاء ممن لم يلتزم بالعقيدة الإسلامية الصحيحة ثم دخلوا على عوام المسلمين عن طريق الكشف الإلهي والوصول إلى الحقيقة وصفاء القلب والولاية وغير ذلك من أنواع الشبكات الصوفيه التي يصطادون بها الناس عن طريق دعوى الكشف والتظاهر بالزهد وإكرام الله لهم بمعرفة ما لم يعرفه غيرهم وفي كل ذلك تساعدهم الشياطين وأكثر هؤلاء الذين يخبرون بالمغيبات عن طريق الكشف إنما يستعينون بالسحر والطلاسم .

الفصل الرابع عشر

الشطحات الصوفية

لقد وصل الصوفية في شطحاتهم إلى حد لا يقدم عليه إلا من تزندق وألحد وخرج عن الدين ، ولقد فاضت كتبهم بذلك وتواتر النقل عنهم وهو أمر لا يدع مجالا للشك في الحاد من يعمل ذلك منهم وفي إعراضه عن الخلق الفاضل والعقل السليم فضلا عن الدين.

ومما يلحظه القارئ لكلامهم أنهم بعد أن أوردوا أنفسهم تلك الموارد الوخيمة أرادوا أن يخرجوا منها فلم يجدوا لهم مخرجا فادعوا أنهم إنما قالوا تلك الكلمات الكفرية في حال سكرهم بالله تعالى وغيبوبة عقولهم عن الإحساس بأى شيء غير الله وما أقبح هذا العذر وأسمجه فهل هم أحب لله من الأنبياء ومن كثير من أتباعهم الذين لا يقاس بهم غيرهم ولم يعثر عن أحد منهم أن تلفظ بما تلفظ به هؤلاء الذين امتلأت نفوسهم زندقة وحقدا على الإسلام والمسلمين .

ومما يدركه طالب العلم أن الشطحات الصوفية كثيرة جدا لا يمكن حصرها إلا بدراسة وافية[1]، غير أننا سنعرض هنا يعض الأمثلة لتكون نموذجا لبقية شطحهم وغلوهم ومقدار جرأتهم على اقتحام الأمور العظيمة في الإلحاد .

ونبدأ ببعض ما ذكر عن أبي يزيد البسطامي : طيفور بن عيسى .

١ ـ قال أبو يزيد عن الله تعالى : « رفعني مرة فأقامني بين يديه وقال لي يا أبا يزيد إن خلقي يحبون أن يروك فقلت زيني بوحدانيتك وألبسني أنانيتك وأرفعني إلى أحديتك حتى إذا رآني خلقك قالوا رأيناك فتكون أنت ذاك ولا أكون أنا هناك.

---

(١) انظر ما كتبه الدكتور عبد الرحمن بدوى فى كتابه « شطحات الصوفيهة» الجزء الأول « أبو يزيد البسطامي » حيث نقل أقوالا كثيرة في شطحات الصوفية .

ومعناه أنه يطلب أن يصوره الله على صورته عز وجل تماما فإذا شاهده الناس قالوا شاهدنا الله والرواية عنه هى كما تقدم إلا أني أرى أن هذه العبارة « إن خلقي يحبون أن يروك»ليست هكذا ـ ولم أرى أحدا بين هذا ـ ولكن لعل الصواب فيها « أن خلقي يحبون أن يروني » ولهذا بين أبو يزيد كيفية الطريقة التي يمكن أن يرى الخلق فيها ربهم وذلك بأن يرقى البسطامي إلى حد النيابة التامة عن الله تعالى صفة وشكلا تعالى الله .

٢ ـ وقال مرة « سبحاني سبحاني » .

٣ ـ ضربت خيمتي بإزاء العرش أو عند العرش .

٤ ـ اجتاز بمقبرة لليهود فقال معذورون ومر بمقبرة للمسلمين فقال «مغرورون».

٥ ـ قال يخاطب الله كنت لي مرآة فصرت أنا المرآة .

٦ ـ لأن تراني مرة خير لك من أن ترى ربك ألف مرة .

٧ ـ إلهي إن كان في سابق علمك أنك تعذب أحدا من خلقك بالنار فعظم خلقي فيه ـ أي في النار ـ حتى لا يسع معي غيرى .

٨ ـ ما النار ؟ لأستندن إليها غداً وأقول إجعلني لأهلها فداء أو لأبلعنها . ما الجنة ؟ لعبة صبيان .

تلك بعض شطحات البسطامي وهناك الكثير يوردها علماء الصوفية عنه بين مستحسن لها وبين مراوغ في معانيها [1].

أما الشبلي فهو الآخر له من الشطحات مانذكر بعضه فيما يلي :

١ ـ أخذ من يد إنسان كسرة خبز فأكلها ثم قال : « إن نفسي هذه تطلب مني كسرة خبز ولو التفت سرى إلى العرش والكرسي لاحترق » .

---

(١) انظر لتلك الشطحات وغيرها كتاب شطحات الصوفية ص ٣٢/٢٨ نقلا عن اللمع«السراج ص ٣٩٤/٣٨٠ وعن ماسنيون في مجموع نصوص ابتداء من ص٢٧/ وحلية الأولياء جـ١ ص٤١.

٢ ـ وقال لو خطر ببالي إن الجحيم نيرانها وسعيرها تحرق مني شعرة لكنت مشركا.

٣ ـ أيش أعمل بلظى وسقر؟ عندى أن لظي وسقر فيها تسكن ـ يعني في القطيعة والإعراض ـ لأن من عذبه الله بالقطيعة فهو أشد عذابا ممن عذبه بلظى وسقر.

٤ ـ وسمع قارئا يقرأ هذه الآية ﴿ **اخسأوا فيها ولا تكلمون** ﴾ فقال الشبلى ليتني كنت واحداً منهم.

٥ ـ وقال إن لله عبادا لو بزقوا على جهنم لأطفأوها. فصعب ذلك على جماعة ممن كان يسمع ذلك.

٦ ـ قيل له لم تقول « الله » ولا تقول لا إله إلا الله ؟ فقال أستحى أن أوجه إثباتا بعد نفي.. أخشى أن أؤخذ في كلمة الجحود ولا أصل إلى كلمة الإقرار[١].

وقال أبو الحسن النورى وقد سمع المؤذن طعنه وشم الموت وسمع نباح كلب فقال لبيك وسعديك.

وسمع أبو حمزة الصوفي شاة مرغيا فقال: « لبيك يا سيدى ».

وقيل للتلمساني وقد أشاروا له إلى كلب أجرب ميت هو ذات الله أيضا ؟ فقال: «وهل ثم شيء خارج عنها » [٢].

وهذه العبارات إنما هى أمثلة قليلة وهناك آلاف الشطحات في حال سكرهم بالله كما يزعمون والحقيقة أنها صادرة عن أناس يدعون الحلول والاتحاد وهم في كامل وعيهم وشيطنتهم وعندهم تمام الجرأة على الكذب على الله لجهلهم به عز وجل وهوانهم عليه.

وإذا رجع القارئ إلى كتاب الطبقات الكبرى للشعراني فسيرى العجائب

(١) انظر المصادر السابقة.

(٢) إلى التصوف ياعباد الله ص ٣٥.

والغرائب مما ينقله الشعراني عن أسياده الذين ترجم لهم مبتدئا بقوله: « قال سيدى .. ـ رضى الله عنه ـ ثم ملاء كتابه بأخبار هؤلاء في شطحاتهم وفي تصرفاتهم بما يستحي الإنسان أن يقرأه أو ينظر فيه ، شطحات تصل إلى عمق الكفر ، وتصرفات من أولئك الأقطاب تصرخ بالعار والفجور » وقد ترجم لعدد كثر فارجع إليه إن أحببت أن ترى مهازل الصوفية وسقطاتهم التي لا تقال .

وقد ترجم الشعراني لعدد كثير منهم وزعم أنهم كلهم أقطاب التصوف ولكن ينبغي الانتباه إلى أنه حشر خيرة الصحابة رضوان الله عليهم بل جعل الخليفة الأول للمسلمين أبا بكر رضي الله عنه هو أول هؤلاء الأقطاب ثم عمر إلى أن ذكر أيضا كثيرا من خيار التابعين وعلماء الأمة الذين لا صلة لهم بخرافات الصوفيه وخزعبلاتها بل إن حشره لهؤلاء مع الحلاج والبسطامي والشاذلي والمرسي وغيرهم من عتاة التصوف يعتبر إهانة لهم .

وقد سار على نفس المنهج كثير من مؤلفي الصوفية كما فعل نفس المسلك الذى سلكه الشعراني المنوفي في جمهرة الأولياء وقبلهم القشيري وكل من جاء بعد هؤلاء سلك نفس ذلك المسلك الخاطيء .

الفصل الخامس عشر

التكاليف في نظر الصوفية

يعتقد غلاة الصوفيـة أن الصلاة والصوم والحج والزكاة هى عبادات العوام. وأما هم فيسمون أنفسهم الخاصة أو خاصة الخاصة ولذلك فإن لهم عبادات خاصة ومناهج وطرائق خاصة ومفاهيم تختلف تماما عن مفاهيم العامة خصوصا بعد وصول أحدهم درجة اليقين - كما يزعمون - وقد شرع كل قوم منهم شرائع خاصة بهم . في الذكر والخلوة والأطعمة والملابس المخصوصة والحلقات الخاصة وقد يتفقون في بعضها وقد يختلفون إلا أن كل صاحب طريقة يجعل على أتباعه أغلالا وحواجز شديده بحيث لا يستطيع أحدهم أن يغير طريقته بطريقة أخرى وحتى مجرد الذكر إلا بإذن الشيخ وكل ذلك إنما يفعلونه كما يزعمون من أجل ربط القلب بالله للتلقي عنه مباشرة ولاستمداد العلوم والمعارف عن الله رأسا على يد شيخ خوله الله ومنحه القدرة على ذلك .

وأما بالنسبه للتحريم والتحليل فأهل وحدة الوجود منهم لاشيء يحرم عندهم لأن الكل عين واحدة وفعل الخير وفعل الشر والقبيح والحسن إنما هى أفعال لا فروق بينها لاحتواء الذات لها كلها ولذلك فقد حصل من بعض كبارهم وأئمتهم ما يستقبح الشخص مجرد ذكره إذ كان منهم الزناة واللوطية والملاحدة ثم لا يحق لأي شخص أن يعترض لأن الشيخ لا يفعل شيئًا إلا لحكمة ، وأيضا لا يفعل هذه الأمور التي يعتبرها الناس فواحش بجسمه وروحه بل بجسمه فقط وأما روحه فهى أجل من أن تتدنى إلى فعل هذه الأمور الجسمية وقد وجدوا من الناس الذين هم أضل من البهائم من يصدقهم في كل مايصدر عنهم فصدقوهم في التفرقة بين ما يفعلونه بأجسامهم لحكمة وبين مافي أرواحهم من السمو والتعالى عن ما يفعله سائر الناس ، والعقل من أجل نعم الله على الإنسان .

ثم اخترعوا مفهوما ضالا وهو أنه قد يصل الأمر أحيانا إلى حد أن للولي

شريعته الخاصه وللنبي محمد ﷺ شريعته الخاصة فلا يمنع أن يحصل الخلاف بينهما ويكون الجميع على الصواب فالولى يتلقى شريعته عن الله مباشرة وهى شريعة للخاصة ومحمد ﷺ تلقى شريعته عن الله مباشرة وهى شريعة للعوام ولذلك تجد في حلقات هؤلاء الصوفية الغلاة من الفواحش والخروج عن تعاليم الإسلام مالا يمت إلى الإسلام بصلة لأن هذه الأفعال من الاختلاط والحشيش وأنواع الفساد قد تكون مباحة في شريعة الولي مع حرمتها في شريعة النبي ولكل شريعته وما دام الشيخ الصوفي قد وصل إلى حد التلقي عن الله مباشرة واطلع على كثير من أسرار هذا الكون وعرف الكثير من المغيبات فإنه والحال هذه ليس عنده طمع في جنة ولا خوف من النار ومن هنا تنشأ الاستهانة التامة بجميع التكاليف الشرعية . وقد تبجح الكثير منهم بأنه لا يعبد الله طمعا في لجنة ولا خوفا من النار لأن هذه العبادة معاوضة والصوفي قد اتحد بالله وفني فيه لأجله لا لغرض آخر والخوف من النار أيضا طبع العبيد لا طبع الأحرار كما تبجح البسطامي بقوله السابق :

« ما النار ؟ لأستندن إليها غدا وأقول اجعلني لأهلها فداء أو لأبلعنها ما الجنة؟ لعبة صبيان « وقول الشبلي إن لله ،عباداً لو بزقوا على جهنم لأطفأوها »فهم يزعمون أنهم يعبدون الله حبا فى الله لا كما يعبده الخائفون من النار الطامعون في الجنة فإن عبادتهم إنما هى على سبيل العوض لاحبا في الله ـ وعلى هذا فإن من سبقهم من صالحي المؤمنين والأولياء من الصحابة وغيرهم بل والأنبياء كانت همتهم قاصرة عن إدراك هذا المعنى الذى اهتدى إليه هؤلاء !! .

ومما يدل على ما تقدم ما نذكره فيما يلى من كلام الصوفية حيث قسم المنوفي الناس بالنسبة لمراتبهم وقربهم وبعدهم عن الله تعالى ثلاثة أقسام تحت عنوان « حقيقة الطريق » فقال :

« إن في هذا الطريق وهو السيرة المختصة بالسالكين إلى الله تعالى عند قطع

المنازل والترقي في المقامات ينقسم الناس بحسب اختلاف أحوالهم إلى ثلاثة أقسام لكل قسم منها طريقة :

١ ـ فالقسم الأول ذووا الأمزجة الكثيفة والأفهام الضعيفة الذين يعسر عليهم محاولة التعلم من طريق التعليم فطريقهم يستقيم بالعبادة والتنسك والزهادة والصلاة والصوم وتلاوة القرآن والحج والجهاد وغيرها من الأعمال الظاهرة لأن هذه الطائفة لصلابة أبدانها وقوة أركانها تتحمل مشاق العبادة ... والسالكون بهذا الطريق لا يزالون على هذه المناهج حتى يرقوا لأرفع المعارج ويقربون من مواطن تنزلات المعارف ـ وإذا وصلوا إلى هذا الحد ـ » فحينئذ يكشف لهم عن سبحات المحبوب ويرون عجائب الغيوب ويتلقون عرائس الأسرار وهذه الطرق صعبة جدا والواصل بها على خطر عظيم .

٢ ـ أما الثانية وهى طريقة أهل الخصوص وهم من ذوى الأفهام اللوذعية و الأخلاق الرحبة والهياكل النورانية والنفوس الأبية أولئك الذين قد لا يملكون نفوسهم في حال النزوات فطريقهم المجاهدات .. والسالكون بها لايزالون يرتاضون في قلع ماانطبع في نفوسهم من الأخلاق الذميمة إلى أن تذهب تلك الطباع المكتسبة وترجع إلى فطرتها السليمة .

٣ ـ والقسم الثالث هم ذوو النفوس الرضية والعقول الزكية والفطرة الصديقية التي أبدان أصحابها في نهاية الاعتدال واللطافة وطريقهم طريق المطلوبين إلى الله والطائرين إليه وهى طريق المحبوبين المخطوبين من رب العالمين وملاك السير بها صفاء القلب وصدق الحب والتحقق ظاهرا وباطنا جهرا وسرا بشعائر التصديق فيخرج عن حوله وقوته وعقله وفطنته إلى حول الله وقوته»[1].

وقال أيضا :

« وبما أن التصوف هو زبدة الديانات ولبها وليس مجرد تقاليد وطقوس

---

(١) انظر جمهرة الأولياء جـ ١ ص ١٥٧ / ١٥٨ .

وقواعد ظاهرية كان لكل ديانة تصوفها » [١].

وهذا الكلام فيه التصريح بأن التصوف لم يكن نبعه الإسلام فقط وإنما هو زبدة الديانات أى أنه ملفق من ديانات شتى وفيه أيضا التصريح بأنه ليس مجرد تقاليد وطقوس وقواعد ظاهرية .

والإسلام كماهو معلوم فيه بيان شامل لكل مايحتاجه المسلم وهو نظام كامل ولا يجوز تسميته مجرد تقاليد وطقوس علي أن القواعد الظاهرية نسبة إلى الظاهر يقصد بها المنوفي قواعد الشريعة الذين يسميهم الصوفيون أهل الظاهر.

وقد فرق أيضا بين الزاهد والصوفي :

بأن الزاهد هو الذي ينصرف عن الملاذ الدنيوية وينكر على نفسه جميع شهواته وإن أحلها الشرع ويتحمل مرارة الجوع والعطش بصفة مستمرة وصوم دائب .. لا يفعل كل ذلك إلا طمعا في ربح الآخرة والمكافأة بجنات النعيم .

وأما الصوفي فلا يرجو من ذلك شيئا وإنما همه الوقت الحاضر وهدفه أن زهد وأن عبد معرفة الله والاتصال برضوانه » [٢].

ومعنى هذا أن الجنه والنار لا قيمة لها في نظر الصوفي .

وقال أبو سليمان الدراني في درجة الأبدال ومنزلتهم في العمل :

« لم يبلغ الأبدال ما بلغوا بصوم ولا صلاة ولكن بالسخاء والشجاعة وذمهم أنفسهم عند أنفسهم » [٣]، وهذا الكلام فيه الاستهانة بشرائع الإسلام حيث فضل السخاء والشجاعة وذم النفس على الصوم والصلاة .

وقال أيضا: «إن الله يفتح للعارف وهو على فراشه ما لا يفتح لغيره وهو قائم يصلى»[٤]، وهذه دعوى صريحة إلى التكاسل في الطاعات وتعريض بفضل الصلاة.

---

(١) ص ١٥٥ .

(٢) ص ١٥٦ .

(٣) جمهوة الأولياء جـ ٢ ص ١٧٥ .

(٤) الرسالة االقشيرية ص ٦٠٦ جـ ٢ .

وتتضح منزلة التكاليف عند بعض أولياء الصوفيـة عند الشعراني في تراجمه لكثير من أعلامهم بما لا يدع مجالا للشك في إلحاد وزندقة هؤلاء الذين يسميهم أولياء ويترضى عنهم أيضا .

وكمثال على ذلك ما أورده في ترجمته للشريف المجذوب حيث قال :

« وكان أصله جمالا عند بعض الأمراء ثم حصل له الجذب ... وكان له كشف ومثاقلات للناس الذين ينكرون عليه وكان رضي الله عنه يأكل في نهار رمضان ويقول أنا معتوق أعتقني ربي وكان كل من أنكر عليه يعطبه في الحال وكان رضي الله عنه يتظاهر ببلع الحشيش فوجدوها حلاوة وكان قد أعطاه الله تعالى التمييز بين الأشقياء والسعداء في هذه الدار » (١).

ومن أولئك الأولياء أيضا بركات الخياط قال عنه الشعراني :

« ومنهم سيدى بركات الخياط رضي الله عنه كان رضي الله عنه من الملامتية ... وأخبرني الشيخ عبد الواحد رضي الله عنه أحد جماعة سيدى أبى السعود الجارحي رضي الله عنه قال مدحته للشيخ جمال الدين الصائغ مفتي الجامع الأزهر وجماعة فقالوا أمضوا بنا نزوره وكان يوم جمعة فسلم المؤذن على المنارة فقالوا له نصلي الجمعة فقال مالي عادة بذلك فأنكروا عليه فقال نصلى اليوم لأجلكم فخرج إلى جامع المارداني فوجد في الطريق مسقاة كلاب فتطهر منها ثم وقع في مشخة حمير ففارقوه وصاروا يوبخون الشيخ الذى جاء بهم إلى هذا الرجل وصار الشيخ بركات يوبخ عبد الواحد ويقول أيش هؤلاء الحجارة الذين أتيت بهم لايعود لك بالعادة أبدا ... وله وقائع مشهورة رضي الله عنه»(٢).

وأمثلة أخرى كثيرة يوردها الشعراني تدل على مدى استهتار هؤلاء الأولياء

---

(١) الطبقات الكبرى بتقديم بعض العبارات انظر جـ ٢ ص ١٥٠ .

(٢) الطبقات الكبري جـ ٢ ص ١٤٤ .

ـ حسب زعمه ـ بالأخلاق والدين والتكاليف فقد ذكر عن على وحيش ما يخجل القلم من كتابته وتتلعثم اللسان من النطق به [1].

من الأعمال الفاحشة والزنا وفعله بالبهائم وصاحبها قائم أمامه وإن لم يرض تسمر في مكانه كما يذكر الشعراني ويبدو أن للكشف الصوفي علاقة قوية بترك التكاليف على حد ما أورده عنهم الشيخ سعيد حوى في قوله :

« يربط بعض الصوفية بين الكشف وترك التكاليف فيرون أن الإنسان متى كشف له شيء من أمر الغيب وما أكثر ما يتوهون في هذا الشأن سقط عنه التكليف فلا صلاة ولا صيام ولا غير ذلك ويستشهدون على ذلك بقوله تعالى : ﴿ **واعبد ربك حتى يأتيك اليقين** ﴾ [2].

(١) المصدر السابق جـ ٢ ص ١٤٩ .

(٢) تربيتنا الروحية ص ٢٠٠ .

الفصل السادس عشر

الأذكار الصوفية

أما الأذكار الصوفية فحدث ولاحرج عن خرافاتهم فيها وقد قدمنا من الأمثلة ما يوضح حال هؤلاء ومدى ما وصلوا إليه من الجهل بربهم والبعد عن هدى خير الأنام هذا وهم يحسبون أنهم يحسنون صنعا لقد اخترعوا أذكاراً وشرعوا أورادا ما أنزل الله بها من سلطان بل اشتملت على الكفر والزندقة في كثير منها والكذب على الله وعلى رسوله ﷺ كما اشتملت على كلمات سريانية غير معروفة المعنى وعلى رموز وحروف مقطعة لا يعرف المراد منها وكل صاحب طريقة له أذكار هي أفضل من كل ذكر وأجرها أعظم من كل أجر وماعداه باطل حسب تخرصاتهم في كل ذلك ينطبق عليهم قول الله تعالى: ﴿**وقالت اليهود ليست النصارى على شيء وقالت النصارى ليست اليهود على شيء**﴾ فهم متفرقون قد لايجمعهم إلا الاتفاق على الرقص وادعاء الوصول إلى الله ومكالمته ورفع الغير والغيرية بينة وبينهم .

مع أن كل صاحب طريقة يدعي أنه يأخذ تلك الأذكار مباشرة عن الله عز وجل أو عن نبيه ﷺ وأحيانا يقظة لا مناما كما يزعمون وفضلوها تفضيلاعاليا ليرفعوا شأنها في نفوس أتباعهم ومريديهم على القرآن والسنة والأدعية المأثورة ويطول البحث لو أردنا ذكر نماذج من تلك الطرق المختلفة والأذكار المتبانية فيما بينها فمنها الأذكار التيجانية التي سبق ذكرها ومنها أذكار البسطامي والرفاعي والجيلاني والشبلي وأبو العباس المرسي وآخرون كثيرون ومنها أذكار الطريقة الشاذلية التي زعم أصحابها أن الرسول محمد ﷺ والخضر هما اللذان علما الشيخ أحمد الإدريسي حيث ذكر تلميذه صالح محمد الجعفري ذلك في كتابه مفاتيح كنوز السموات والأرض المخزونة التي أعطاها الرسول ﷺ لشيخ الطريقة الإدريسية المصونة[1]،

---

(١) انظر الفكر الصوفي ص ٢٨٤ .

وهي أذكار في غاية الركاكة والكذب على الله ورسوله وعلى رسوله والاعتداء في الدعـاء على حق الله ورسـوله ولم يكتف هؤلاء بـادعـائهم أنهم يأخـذون أذكارهم عـن الله ورسوله فقـط بل هناك كما يـذكرون بعض الأولياء الـذين قد ماتوا هـم أيضا يلتـقون ببـعض المشائخ الأحـياء ويعلمـونهم أدعيـة وأورادا لاحد لأجر من يقولها. ولو كان الذكر كلامـا لامعنى له في أي لغة من اللغات المعروفة من مثل ما ذكروه عن الدسوقي أنه علمهم هذا الدعاء : « بسم الله الخالق يلجمه بلجام قدرته أحـمي حميثا أطمي طميثا وكان الله قويا عزيزا حم عـسق حمايتنا كهيعص كفايتنا»[1]، إلخ الذكـر الذى يدل على مـدى ضحـالة مـعرفـتـهم بالله ورسوله وعدم التفـاتهم إلى ما شرع الله ورسوله ﷺ من الدعاء الواضح المثـمر في قلب العبد إذا دعا ربه بإخلاص وتوجه .

وقد ذكروا من الأجـر لقائل أذكارهم الجـوفاء مالا يحد ولا يعـد ولا يتصور في الذهن وقد يبـد وعلى تلك الأدعيـة حرارة الإيمان وصدق الالتـجاء إلى الله تعـالى ولكنه في الحقـيـقة ليس مـوجه إلى الله فـقط بل إلى أوليـائهم الأحيـاء أو الأموات أيضا ومـدار أذكارهم على الاثبات كمـا يزعمون فهم يقـتصرون على لفظة « الله » بدلا عـن لا إله إلا الله ويعللون لهـذا المسلك بمالا مـقنع فـيـه حـتى للجهال العامة فضلا عن أهل العلم حيث يقولون إن اقتصارهمْ على لفظة « الله» وتكرارها خوفـا أن يموت الشخص عند ذكر الـنفي في قوله « لا إله » ولا ندرى كيف يقـرؤنها في القـرآن فاعلم أنه لا إله إلا الله ومـاذا يفعل المؤذن ومـاذا يفعل الداخل في الإسـلام عندما ينطق بالشـهادتين وأمـور أخرى لا يستطيـع العقل أن يتصور مدى التخبط الذى حلّ بهؤلاء .

ومن غـريب أمـر بعض الصـوفـيـة في أذكـارهم أنهـم رتبـوها على طريقـة شيطانيـة من وحي شيـاطنهم حيث جعلوا لكل اسم مـن أسماء الله تعـالى ذكرا

---

(١) المصدر السابق ص ٢٩٠ نقلا عن الابريز للدباغ .

خاصا به ولطبقة خاصة به فمن ذلك زعمهم أن اسم الله العفو يليق بأذكار العوام لأنه يصلحهم وليس من شأن السالكين إلى الله ذكره .

وأما اسمه تعالى الباعث فإنه يذكره أهل الغفله ولايذكره أهل طلب الفناء وأما اسمه الغافر يلقن لعوام التلاميذ وهم الخائفون من عقوبة الذنب وأما من يصلح للحضرة الإلهية فذكره مغفرة الذنب عندهم يورث الوحشة وأما اسمه تعالى المتين فإن ذكره يضر أرباب الخلوة وينفع أهل الاستهزاء بالدين .

وهكذا استمر السكندرى في وصف أسماء الله وخواصها وكأنما هو طبيب يصف العلاج ومنافعه وقد تقدم ذكر الطريقه التيجانية ونضيف هنا ما استخلصه الشيخ عبد الرحمن الوكيل في بيانه لكيفيات الذكر الصوفي ومراحله فنوجز ذلك فيما يلي :

(بتصرف)

١ ـ إذا جاء وقت المولد ـ الأعياد الوثنية ـ يجتمع الرجال والنساء أو الدراويش والدرويشات كما يحبون تسميتهم بذلك .

٢ ـ بعد أن يتخموا بطونهم بأنواع المأكولات التي تقدم في هذه المناسبة .

٣ ـ يقوم الشيخ الكبير ويصفق بيديه اللامعتين من«دسم الحرام إيذاناً ببدأ الذكر» .

٤ ـ يخرج من شفتيه ومنخريه اسم الله ملحدا في حروفه وفي النطق به .

٥ ـ يقوم المتغزلون بانشاد قصائد غزلية تلهب المشاعر ويصاحبهم المطبلون وأصحاب الآلات المطربة .

٦ ـ ثم يهب الشيخ ويهب معه المريدون يتمايلون يمنة ويسرة في حركات مثيرة صاخبة كل ينوح على ليلاه والأهات والزفرات والقبل كما رأيتهم بعينى[1]، هى الشعار العام لهم وكل واحد من الحاضرين يبذل أقصى جهده في إظهار أقوى الحركات والحماس ليلفت الأنظار إليه .

---

(١) حينما ذهبت في رحلة علمية إلى دولة عربية سنة ١٣٩٧ هـ .

٧ ـ على الحاضرين أن يستحضر كل واحـد منهم صورة شيخه أمامه إن لم يكن موجود أويستمد منه العون في بدء قيامه بهذا الذكر قائلا مددك يا أستاذى ثم يستأذن أصحاب الطريق والقدم فيقول دستور يا أصحاب الطريق والقدم .

٨ ـ ينبغي على كل واحد أن يلتزم بطريقة الذكر وهى كما يلي :

١ ـ أن يهتز من فوق رأسه إلى أصل قدميه .

٢ ـ أن يبدأ بـ « لا » يمينا ويرجع بـ « إله » فيتوسط ثم يختم « إلا الله » يسارا قبلة القلب .

٣ ـ إذا ذكر اسما مفردا مثل الله أو هو « أوحى » لابد أن يضرب بذقنه على صدره .

٤ ـ في كل ذلك يجب أن ينتع الكلمة من سرته إلى قلبه ثم يستمر هكذا في هذه الصور البهلوانية التي هى أقرب إلى الجنون والعربدة منها إلى أقل التفات إلى الله تعالى أو ثوابه وعقابه .

٧ ـ يجب ملاحظة أن المريد لا يدعو بأى اسم لله إلا إذا سمح له به الشيخ وإلا حصل عليه ضرر شديد .

٨ ـ ثبت أن تلك الطريقة الصوفية في الدعاء أخذت بتمامها عن اليهود وحيث جاء ذلك في المزمور التاسع والأربعين بعد المائة في العهد القديم وهو:

« ليبتهج بنو صهيون بملكهم ليسبحوا اسمه برقص ، بدف وعود ليرنموا ، هللوا يا ، سبحو الله في قدسه ، سبحوه برباب وعود سبحوه بدف ورقص ، سبحوه بأوتار ومزمار ، سبحوه بصنوع الهتاف » [1].

ولقد ذكر ابن عطاء الله السكندرى أدعية عن مشائخه وأسياده في الطريقة

---

(١) انظر ماكتبه الشيخ عبد الرحمن الوكيل عفا الله عنه ص ١٤١ / ١٤٥ .
وانظر العهد القديم المزامير ص ٦٤١ .

طويلة مملة ممجوجة مملوءة بالتنطع والتعدى في الدعاء والإشعار بكبريائهم وعتوهم وطلبهم الحلول والاتحاد به منه دعاء الشيخ أبو الحسن الشاذلى وفيه :

« يا عزيز يارحيم ... وأسقط البين بيني وبينك حتى لا يكون شيء أقرب إلى منك ... اللهم هب لي من النور الذى رأى به رسولك ﷺ ما كان ويكون، اللهم ارزقني من كنز لا حول ولا قوة إلا بالله فإنها كنز من كنوز الجنة واضربنى بها ضربا تمحق بها من قلبى كل قوة .

باسم المهيمن العزيز القادر أجل كل شيء وهو ناصرى ق . ج ن ص انصرني »[1].

ونفس الدعاء السابق أيضا كان يدعو به القطب الكبير أبو العباس أحمد المرسى بل وزاد عليه أشياء أخرى ومنه :

« اللهم اهدني لنورك ... وهب لى علما يوافق علمك ... وارفع الحجاب فيما بيني وبينك وأسقط البين عنى حتى لا يكون شيء بيني وبينك واكشف لي عن حقيقة الأمر ..» إلى أن قال : « كيف يكون ذنبى عظيما مع عظمتك أم كيف تجيب من لم يسألك وتترك من سألك ؟

إلهي جذبك لي أطمعني فيك ... قاف جيم سران مع سرك هب لي من نورك ما أتحقق به حقائق ذاتك» [2] إلخ .

ثم أورد السكندرى دعاء حزب شيخه الشاذلي وفيه :

« لا إله إلا الله نور عرش الله ، لا إله إلا الله نور لوح الله . لا إله إلا الله نور قلم الله، لا إله إلا الله نور رسول الله » ثم كرر الدعاء على هذه الصفة إلى أن قال :

« وتا الله لئن لم ترعني بعينك وتحفظني بقدرتك لا هلكن نفسي ولأهلكن

---

(١) لطائف المنن ص ٣٤٢ . (٢) لطائف المنن ص ٣٤٣ / ٣٥٤ .

أمة من خلقلك .. يا من به ومنه وإليه يعود كل شيء أسألك بحرمة الأستاذ بل بحرمة النبي الهادى بل بحرمة السبعين والثمانية .. اللهم صلنى باسمك العظيم الذى لا يضر معه شيء فى الأرض ولا في السماء وهب لي منه سرا لا تضر معه الذنوب شيئا .. واجعلنى خزانة الأربعين »[1]. إلى آخر ما ورد من أذكار لا تسمن ولاتغني من جوع بل هي سراب يحسبه الظمآن ماءً ومنهم من يدعو بهذا الدعاء بدلا عن سبحان الله وبحمده لا إله إلا الله بدلا عن ذلك يدعو بهذا الدعاء الذى تقشعر منه الجلود وتشمئز منه النفوس وهو من أدعية الطريقة الشاذلية .

« سقفاطيس ، سقاطيم آمون قاف آدم حم هأ آمين كد كد كردد ده بها بهيا بهيا بهيهات لمقفنجل يا أرض خذيهم »[2]، نعم يا أرض خذيهم إنها مأساة حقيقية حين توجد تلك الأذكار الجوفاء ثم يتبعها الوجد والرقص والطبول والزغاريد كما نبينه فيما يلي :

---

(١) المصدر السابق ص ٣٥٥ / ٣٦٥ .

(٢) انظر الفكر الصوفي ص ٢٩٢ ، نقلا عن أبي الحسن الشاذلي لعبد الحليم محمود ص ٢١٠ .

الفصل السابع عشر

الوجد والرقص عند الصوفية

لقد كان للغرام العارم والرقص والتمايل عند الصوفية مكانة ثابتة بل هذا النوع صار من أقوى الشبكات التي يصطادون بها من قلت معرفته بالدين الإسلامي الحنيف وحقا إنه نوع من الخلل في السلوك والاضطراب الذهني حين يعبدون الله بالرقص والحركات التي لاتمت إلى عبادة الله بأية صلة إلا كما تمت إليها عبادة اليهود من قبل حين حثتهم التوراة ـ المحرفة ـ العهد القديم ـ المزامير على وجوب التسبيح لله بالدف والمزمار والعود والربابة .

وعند الصوفية في أوقاتهم الخاصة مجالس يجتمعون فيها على الرقص والغناء والتصفيق والصياح بأصوات منكرة يمزقون فيها ثيابهم ويتمايلون حين يأخذ منهم الطرب مأخذه في حركات بهلوانية لا يفهم منها أى إشارة إلى الخوف من النار أو الرغبة في الجنة. وقد أصبح الرقص الصوفي الحديث عند معظم الطرق الصوفية في مناسبات الإحتفال بمولد بعض كبارهم أو في أية مناسبة من مناسباتهم الكثيرة يحضر عازفون وموسيقيون ويختلط بعضهم ببعض رجالا ونساءاً كباراً وصغاراً ويجلس في هذه المناسبة كبار الأتباع يتناولون ألوانا من شرب الدخان وكبار أئمتهم يقرأون عليهم بعض الخرافات المنسوبة لمقبوريهم[١].

والغناء الذى يترنمون به يشتعل حبا وعشقا وغراما وقصائد وجد وحزن فإذا سئلوا عن ذلك زعموا أنها من الطرق التي توصلهم إلى ربهم أو هو الحب الإلهي كما يسمونه لترغيب الناس فيه .

وهذه الصور البهلوانية الرعناء هى صورة الذكر . فهل كان الرسول ﷺ أو أحد من الصحابة يفعلون مثل هذا التنطع المذموم وهل مثل تلك الحركات

---

(١) انظر الصوفية معتقدا ومسلكا ص ٢٣٠ .

تشير إلى الخشوع لله تعالى والسكينة في العبادة من قريب أو من بعيد وهل ذلك الاختلاط والتمايل يمكن أن يكون بعيدا عن الشيطان إنها مهازل وسخرية بدينهم . ومع ذلك فهم يتلمسون لهم الأدلة التي يجادلون بها مهما كان سقوطها .

أدلتهم على جواز ذلك والرد عليها :

وهكذا لم يكتف هؤلاء بتلك المسالك التي غلوا فيها إلى أن أخرجوا بعض عباداتهم في صور غنائيه ورقص بل حاولوا كذلك أن يوجود والتلك الأفعال أدلة لمشروعيتها ومن ذلك :

- زعمهم أن سلمان رضي الله عنه حين نزل قوله تعالى : ﴿ **وإن جهنم لموعدهم أجمعين** ﴾ صاح سلمان الفارسي صيحة ووقع على رأسه ثم خرج هاربا ثلاثة أيام .

- ومن ذلك أيضا احتجاهم بقول الله تعالى لأيوب عليه السلام: ﴿ **اركض برجلك** ﴾.

- ومنها قول الرسول ﷺ لعلي: « أنت مني وأنا منك فحجل وقال لجعفر اشبهت خلقي وخلقي فحجل . وقال : لزيد أنت أخونا ومولانا فحجل » .

- ومنها احتجاجهم لسماع الرسول ﷺ جاريتين تغنيان بحضرة النبي ﷺ وهو مسجى بثوبه فجاء أبو بكر فأنتهرهما فنهاه الرسول ﷺ وقال دعهما فإنها أيام عيد» .

- ومنها أن الحبشة زفنت والنبى ﷺ ينظر إليهم .

- واحتج أبو عبد الرحمن السلمى على جواز الرقص بما روي عن الشافعي أن سعيد بن المسيب مر في بعض أزقة مكة فسمع الأخضر الحداء يتغنى فى دار العاص بن وائل بهذين البيتين .

تضوع مسكا بطن نعمان أن مشت   به زينب في نسوة عطرات

فلما رأت ركب النميرى أعرضت وهن من أن يلقينه حذرات

قال فضرب برجله الأرض زمانا وقال هذا مما يلذ سماعه .

- ومنها أن عمر رضي الله عنه كان ربما مر بآية في ورده فتخنقة العبرة ويسقط ويلزم البيت اليوم واليومين حتى يعاد ويحسب مريضا » .

- ومنها أن الرسول ﷺ قال في حق أبى موسى: « **لقد أوتى مزماراً من مزامير آل داود**» .

- ومنها استحسان الرسول شعر النابغة حتى قال له لا يفضض الله فاك ووضعه أيضا المنبر لحسان يقول عليه الشعر في هجاء المخالفين للرسول ﷺ .

- ومنها أن بعض الصالحين رأي الخضر وسأله عن السماع الصوفي فقال له ذلك هو الصفاء الزلال .

- ورأى أحدهم الرسول ﷺ في المنام فسأله عن سماع الصوفيه فقال له الرسول: ما أنكره ولكن قل لهم يفتتحون قبله بقراءة القرآن ويختتمون بعده بالقرآن .

- ومنها أن الخضر تواجد حتى سقط على جبهته وصار الدم يقطر منها ولا يقع على الأرض حين سمع أبياتا من الشعر قالها شخص بحضرته ذكرها السهروردي .

- ومن أدلتهم أن بعض الصالحين رأى النبي ﷺ وأبا بكر يقول له كلاما والنبي ﷺ قد وضع يده على صدره كالمتواجد بذلك .

ثم أورد السهروردى أدلة كثيرة عن بعض الصوفيين في حال تواجدهم بعضهم مشى على الماء وبعضهم لم يحترق بالنار وبعضهم يرتفع أذرعا عن الأرض إلى أن ختم السهروردى أدلته وهى كثيرة بزعمه : بهذه القصة :

وهي أن أعرابيا أنشد رسول الله ﷺ :

قد لسعت حية الهوى كبدى فلا طبيب لها ولا راقى

إلا الحبيب الذى شغفت بـه   فـعنـده رقيتي وتـرياقي

فتواجـد رسول الله (ﷺ) وتواجد الأصـحاب معه حـتى سقط رداؤه عن منكبيه ثم قسم رداءه بينهم حيث مزقه إلى أربعمائة قطعة (١) .

تلك أهم الحجج التي يتمسك بها الصوفيون في مشروعية لهوهم وتواجدهم فـما مدى صـحة استدلاهم وهل ماذكروه من تـلك الروايات كلها صحيحة أو هل كان فهمهم لها فهما صحيحا .

والجواب عن هذه الاحتـجاجات : يحتاج إلى دراسـة ووقت ولكن أكتفي هنا بإيجاز الرد عليهم في دفع حجحهم وأدلتهم بأنـها أحتجاجات واهيه وتلفيق غير مقبول ومزاعم لاصحة لها :

ـ فـأما مـا رووه عن سلمان فـإنه كذب ومـحال كـذلك . فقـد رويت هذه القصـة بلا سند . ثم إن الآية نزلت بمكة بالاتفاق كـما قال القـرطبي وسلمان إنما أسلم بالمدينة كمـا هو معلوم . ثم إن الرسول ﷺ كان ينهي أشـد النهي عن مثل هذه الأمـور المنافيه للوقـار والخشـوع فإنه كـان ﷺ يـبغض الصـياح أو إظهـار التخشع عند سماع القـرآن أو المواعظ إلا في الحدود المشروعة ومن ذلك مارواه أنس قـال :« وعظ رسـول الله ﷺ يوما فـإذا برجـل قد صعق فـقال النبي ﷺ: «**من ذا الملبس علينا ديننا إن كان صادقا فقد شهر نفسه وان كان كاذبا فمحقه الله**»(٢).

وقـد عرف عن الـصحـابة رضـوان الله عليـهم أنهم كـانوا يخـشعـون تمام الخشـوع . فتذرف عـيونهم وتخـاف قلوبهم ولم يصعق أحـد منهم وهـم أعرف

(١) انظر عـوارف المعارف ص ١٢٤ ـ ١٤٧ وانظر كـتـاب حزب الرحيم جـ ١ ص ١٧٩ (هامش جواهر المعاني) .وانظر الصوفية معتقدا ومسلكا ص ٢٣٠ .
وانظر الرسالة القشيرية جـ ١ ص ٢٤٦ إلى ص ٢٥٣ .

(٢) تلبيس إبليس . ص ٢٥٢ .

بالله من غيرهم وأتقى له وأكثر انقيادا وقبولا للحق وأشد تمسكا به ولو كان ذلك الوجد والهيام والصعق خيراً لما سبقهم أحد إليه .

ـ وأما احتجاجهم بقول الله تعالى لأيوب ﴿ **اركض برجلك** ﴾ فهذا احتجاج يدل على جهل صاحبه بحقيقة حال أيوب المبتلى بما لا يصبر عليه أحد إلا من أعانه الله وقوى يقينه فإنه يقال لهذا المحتج إن الله لم يأمر أيوبا بضرب رجله فرحا وطربا وإنما أمر بضرب رجله من باب فعل الأسباب إكراما من الله تعالى له ثم أنه لم يركض برجله أبتداء وإنما تنفيذاً للأمر وكذلك لإشعاره بتغير الحال ولحكم أخرى لا يعلمها إلا الله تعالى ليس منها جواز الرقص ولم يك حاله يستدعي أن يضرب برجله الأرض تواجدا وطربا إلا عند الجفاة

وأما احتجاجتهم بحجل علي وجعفر وزيد فإن الحجل هو نوع من المشي يفعل عند الفرح وارتياح النفس أحيانا ليعبر الشخص به عن فرحه دون قصد الرقص والتمايل والصحابة « هؤلاء لم يكن منهم رقص ولا تمايل ولا إنشاد قصائد الغزل المهيجة فليس فيه دلالة على ما يريد المتصوفة وما فعله هؤلاء الصحابة إنما كانت حالة عارضة لاقصد لهم فيها لإظهار الطرب والتواجد .

ـ وأما احتجاجهم بزفن الحبشة فإن الزفن أيضا نوع من المشي مع الرقص ويشير كذلك إلى الاعتداد بالنفس .

وأكثر ما يفعل عند اللقاء في الحرب إظهاراً للشجاعة وعدم المبالاة بالعدو وليس المقصود منه الرقص والطرب كما يرى الصوفية .

وأما ما ذكروه عن سعيد بن المسيب ـ رحمه الله ـ فإنه مكذوب عليه وليس هذا شعره وهو أوقر من أن يصل إلى هذا الحد .

وهذه الأبيات فيما يذكره الأدباء قالها محمد بن عبد الله بن نمير الشاعر الثقفي يتغزل فيها بزينب بنت يوسف الثقفي أخت الحجاج . وقد هرب بعد ذلك إلى عبد الملك خوفا من الحجاج فسأله عبد الملك بن مروان عن الركب

ماذا كان؟فقال له كانت أحمرة عجافا حملت عليها قطرانا من الطائف فضحك عبد الملك وأمر الحجاج أن لا يؤذيه .

ثم لو قدرنا أن ابن المسيب ضرب برجله الأرض فليس في ذلك حجة على جواز الرقص ولا أنه ضرب بها وهو يريد الرقص فإن الإنسان قد يضرب برجله الأرض أو يدقها لشيء يسمعه ولا يسمى ذلك رقصا منه بل إن الإنسان قد يضرب برجله الأرض إما فرحا وإما غضبا وغيظا (١).

وأما احتجاجهم بسماع الرسول للجاريتين فهو استدلال غريب منهم على جواز الرقص والتمايل والتواجد ذلك أن الرسول ﷺ كان مسجي بثوبه وهم حينما يتواجدون لا يتدثرون بثيابهم بل تعلو همهمتهم ويشتد عراكهم ويمزقون ثيابهم فأين فعلهم من فعل الرسول ﷺ ؟ .

كذلك فإن الجاريتين كانتا تنشدان كلاما ليس فيه غزل أو تشبيب أو خروج عن حد الوقار والأدب .

وكان الحال يستدعي الترويح عن النفس خصوصا وأنه يوم عيد وعائشة رضي الله عنها كانت جارية شابة .

وأما استدلالهم بما ينسبونه إلى عمر رضى الله عنه من أنه كان يلزم البيت اليوم واليومين حينما يسمع بعض الآيات فى ورده .

فإنه لم يعرف أن الصحابة كانت لهم أوارد يرددونها على طريقة الصوفية بل ولم يعرف عنه أنه يمرض اليوم واليومين بسبب ما يسمعه من بعض الآيات لا هو ولا غيره من الصحابة .

وأما استدلالهم بحسن صوت أبى موسى فليس فيه دليل على الوجد الصوفي وإنما ههو إخبار من الرسول ﷺ بتلك النعمة التي أعطيها أبو موسى

---

(١) انظر الصوفية معتقدا ومسلكا ص ٢٣١ .

فهل كان الصحابة يرقصون على سماع قراءته أو يصعقون أو يمزقون ثيابهم ؟ كلا .

وكذلك استحسان الرسول ﷺ لبعض الكلام أو الشعر ليس فيه دلالة للصوفية فإن الرسول ﷺ كان يستحسن أشياء ويستقبح أشياء وهذا أمر طبيعي في النفوس .

وأما ما يحشده أقطاب التصوف من الأدلة بالرؤى المنامية أو بمقابلتهم للخضر فإنها أدلة باطلة حتى ولو كان الرائي ثقة فإنه لا يتعبد برؤياه فما بالك وتلك الرؤى الصوفية عن مجهولين إضافة إلى التكلف الظاهر في رواياتهم .

وزعمهم أن الرسول ﷺ كان يطرب ويتواجد ويضرب بيده على صدره ويمزق ثيابه ويعطيها لأصحابه كله كلام يدل على عدم احترامهم للرسول ﷺ وعدم معرفة قدره العظيم . فهل كان يصل به التواجد إلى حد أن يسقط رداءه عن منكبيه من سماع تلك الأبيات الفارغة . قد لسعت حيّة الهوى كبدى ؟.

وما ذكره السهروري من أن بعض أقطاب التصوف يكاد أن يطير أو يرتفع من الأرض أذرعا أو يدخل الشمعة في عينه أويطأ النار ولا يحس بها أو يمشي على الماء أو غير ذلك من الحركات البهلوانية العشوائية التي يفعلها هؤلاء فلا ريب أنها من أقوى الدلائل على تلاعب الشياطين بهم وإخراجهم عن حد الأعتدال الذى أقل ما يوصف به أنه ينافي الخوف من الله تعالى والرغبة في المغفرة .

الفصل الثامن عشر

الكرامات وخوارق العادات عند الصوفية

للأولياء الحقيقين كرامات لا تنكر وقد كان للصحابة رضي الله عنهم من الكرامات ما هو جدير بهم وكان لغيرهم من الأولياء والعلماء كرامات كثيرة، وهدفنا هنا من ذكر الكرامات وخوارق العادات هو بيان تلك الكرامات والخوارق التي تتم على أيدى أناس ليسوا من أولياء الله وليس لهم صلاح يؤهلهم لذلك . وبيان أن ذلك من مكائد الشيطان وتلبيسه على الناس بأن يظهر لبعضهم أموراً غيبية تبدو كأنها كرمات من الله للشخص فيتخيل أنه بلغ منزلة عالية فاق فيها غيره من الناس وأنه أصبح يماثل الأنبياء في كراماتهم وقربه من الله. وهذه الحال كثيرة الوقوع لمن يدعون أنهم أولياء لله وأكثرهم في الحقيقة أعداء له وموالين لشياطينهم . ومن تلاعب الشياطين بهؤلاء :

أن يسمع أحدهم صوتا من حجر أو شجر أو صنم يأمره وينهاه بأمور في أولها أحيانا الشرك بالله فيظن المغرور أن الله خاطبه أو الملائكة على سبيل الكرامة ومعلوم أن الله لا يأمر بالفحشاء والملائكة لا تأمر بالشرك بالله وإنما أولئك هم الشياطين يلبسون عليهم أمورهم كما كانوا يفعلون ذلك قبل الإسلام أيضا . وقد يظن هؤلاء أن ذلك وحي من الله عليهم كما حصل لكثير من الذين قلت معرفتهم بالله كالمختار بن أبي عبيد الذى أخبر عنه الرسول ﷺ أنه كذاب ثقيف وغيره ممن استهوتهم الشياطين .

ومنها : أن الشياطين قد تتمثل بصورة المستغاث به من الناس فيظن المشرك بالله أن هذه الصورة هى الشيخ الفلاني أو الولي الفلاني أو أن ملكا جاء على صورته . وإنما هو في الحقيقة شيطان تمثل له ليضله ومنها : أن تخاطب الشياطين بعض العباد الجهال ويوهمونه أنه المهدى المنتظر وصاحب الزمان الذى بشّر به الرسول ﷺ ويغرونه بزخرف القول وشتى الوساوس حتى يصدق نفسه فيدعي

المهدية وغير ذلك. بل يبلغ الحال ببعضهم أن يرى الكعبة تطوف به ويرى عرشا عظيما وعليه صورة عظيمة وأنواراً وأشخاصا تصعد وتنزل فيظنها الملائكة بين يدى الله تعالى وأن الله كشف له النظر إليه .

وهذا يتطلب من المؤمن العاقل التنبه لمثل هذه المكائد الشيطانية بلجوئه إلى الله والاهتداء بهديه وسوء الظن بنفسه الأمارة بالسوء وأن ينظر إلى نفسه من باب الذل والاحتقار والحاجة إلى ربه ويزن أعماله بامتثاله أوامر الله واجتنابه نواهيه فيحكم على نفسه عند ذلك بالتقصير أو القرب من الله تعالى .

ويكبح جماح نفسه الأمارة بالسوء وأن لا يصدق ما يترأى له من كرامات تنافي الإسلام مثل أنواع الكرامات التي تبجح بها بعض غلاة الصوفية لأنفسهم كما ذكرها المناوى وهى :

١ ـ إحياء الموتى . وقد مثل بأبي عبيد اليسرى الذى أحيا دابته بعد ما ماتت ومفرج الدماميني الذى أحيا الفراخ المشوية والكيلاني وأبو يوسف الدهماني الذى أحيا لتلميذه ولده بعد ما مات .

٢ ـ ومن الكرامات التي يزعمونها أن الأولياء من الصوفيه لهم القدره على المشي على الماء وكلام البهائم وطي الأرض . وظهور الشيء في غير موضعه والمشي على السحاب وتحويل التراب إلى خبز وإبراء الأكمه والأبرص .

٣ ـ ويذكر على حرازم منهم أن الولي يملك كلمة التكوين فإذا أراد شيئا فإنه يقول له كن فيكون . وقد ذكر أمثلة كثيرة في كتابه جواهر المعانى لمثل هذا الخلط والكذب على الله وعلى الناس .

٤ ـ ومن المعجزات والكرامات التي يملكها الأولياء من الصوفية حسب زعمهم سماع نطق الجمادات كما يزعم ابن عربي الذي ملأ كتبه بأنواع الأكاذيب حول تلك المعجزات والكرامات الصوفية .

٥ ـ ضمانه الجنة لمن أطعم صوفيا أو قضى له حاجة كما ضمن ذلك التيجاني لكل من أحبه أو أطعمه أو أحسن إليه بأى شيء كما يذكر التجانيون في كتبهم افتخاراً بكرامات سيدهم التي منها هذه الكرامة التي أكدها على حرازم والفوتى نقلا عن التيجاني .

وكل تلك الكرامات أشبه ما تكون بأحلام الصبيان أو صرعات المجانين وتكذيبها والسخرية بها لا تحتاج إلى ضياع الوقت في الاشتغال بالردود عليها وبيان سخافتها ودجل من يدعيها ممن جرؤ على الكذب على الله وعلى الناس وضللوا أتباعهم وأخرجوهم عن الإسلام من حيث لا يشعر أولئك الأتباع لأنهم أصبحوا كما قال الله تعالى: ﴿ **إن هم إلا كالأنعام بل هم أضل أولئك هم الغافلون** ﴾ .

وفيما يلي نذكر بعض الأمثلة من كلام أقطاب التصوف في الكرامات التي يزعمونها لأنفسهم أولأوليائهم لترى مدى العقول البعيدة عن الحق والأفكار الرديئة التي انطوت عليها الزعامات الصوفية .

يقول عبد الكريم القشيرى عن كرامات أبي الحسين النورى أنه قال : « كان في نفسى شيء من هذه الكرامات فأخذت قصبة من الصبيان وقمت بين زورقين ثم قلت وعزتك إن لم تخرج لي سمكة فيها ثلاثة أرطال لأغرقن نفسي قال فخرج لي سمكة فيها ثلاثة أرطال » (١).

فهذا جاهل بحق ربه وأراد أن يقتل نفسه وقد صادف أو كان بفعل الشيطان ليغويه أن خرجت له تلك السمكة ولم يكن مسلك الأولياء على هذا النحو وقال عنه :

« وحكي عن النورى أنه خرج ليلة إلى شط دجلة فوجدها وقد التزق الشطان فانصرف وقال وعزتك لا أجوزها إلا في زورق » .

(١) الرسالة القشيرية ص ٦٧٦ جـ ٢ .

وقد فسر ذلك العروسى فقال : « أى التقيا له الشطان بحيث لو مد رجله كان على الشط الآخر فانصرف وقال تأدبا واعترافا بتوالى نعم الله عليه في كل خارق وعزتك لاأجوزها إلا في زورق كسائر الناس » [1].

فكيف يكون الأدب مع الله أن ترد مكرمته إلا عند القشيرى والنورى وقال أبو الحارث » الأولاشي مكثت ثلاثين سنة ما يسمع - أى ينطق - لسانى إلا من سرى ثم تغيرت الحال فمكثت ثلاثين سنة لا يسمع سرى إلا من ربي » [2].

« وكان يحيى بن سعيد يتعبد في غرفة ليس إليها سلم ولا درج فكان إذا أراد أن يتطهر يجيء إلى باب الغرفة ويقول لا حول ولا قوة إلا بالله ويمر في الهواء كأنه طير ثم يتطهر فإذا فرغ يقول لا حول ولا قوة إلا بالله ويعود إلى غرفته» [3].

وقال أبو يعقوب السوسي : « جاءني مريد بمكة فقال يا أستاذ أنا غدا أموت وقت الظهر فخذ هذا الدينار فاحفر لي بنصفه وكفني بنصفه الآخر ثم لما كان الغد جاء وطاف بالبيت ثم تباعد ومات فغسلته وكفنته ووضعته في اللحد ففتح عينيه فقلت أحياة بعد موت؟ فقال أنا حي وكل محب لله حيى » [4].

وأما بالنسبة للخضر فحدث ولا حرج لقد ملأ الصوفيون كتبهم بحكايات عن الخضر لا حد لها ولا حصر إذ لا يخلو كتاب من كتبهم من نسج القصص والأساطير عليه ومفادها أن الخضر يجيب كل من يستغيث به في أي بلد كان .

ويذكر القشيرى أنه حدث ابن أبي عبيد اليسرى عن أبيه أنه غزا سنة من السنين فخرج فى السرية فمات المهر الذى كان تحته وهو فى السرية فقال يارب أعرناه حتى نرجع إلى بسرى يعني قريته فإذا المهر قائم إلخ القصة .

ومثل هذه القصة قصة أخرى وقعت لأحد الأولياء ذكرها أبو سبرة

---

(١) ص ٦٧٨ .
(٢) ص ٦٨٢ .
(٣) ص ٦٨٥ .
(٤) ص ٧٠٠ .

النخعي [1] ، وذكر السكندرى أنواعا من الكرامات التي تحصل للولي فقال :

«ثم إن هذه الكرامات قد تكون طيا للأرض ومشيا على الماء وطيرانا فى الهواء واطلاعا على كوائن كانت وكوائن بعد لم تكن من غير طريق العادة وتكثير الطعام أو الشراب أو إتيانا بثمرة في غير إبّانها وانباع ماء من غير حفر أو تسخير حيوانات عادية أو إجابة دعوة بإتيان مطر في غير وقته أو صبر عن الغذاء مدة تخرج عن طور العادة أو إثمار لشجرة يابسة ماليس عادتها أن تكون مثمرة له»[2].

ونقل عن المرسي قوله: «وقال الشيخ أبو العباس رضي الله عنه جلت في ملكوت الله فرأيت أبا مدين متعلقا بساق العرش وهو رجل أشقر أزرق العينين إلخ». [3]

وذكر السكندرى عن الصوفي القرشي أنه جاءه الخضر بزيتونه من نجد وكان به مرض الجذام فقال له كل هذه الزيتونة ففيها شفاؤك فقال له إذهب أنت وزيتونتك لا حاجة لي بها » [4].

ثم شرع السكندرى كغيره من علماء الصوفية في ذكر فضائل الخضر وأفعاله مع الأولياء الصوفية وأورد قصصا في ذلك كثيرة وردعلى الذين ينكرون وجوده بدليل أن إبليس موجودالآن فلا ينبغي جحد وجود الخضر وهذا الدليل من أبعد مايكون عن الصواب لأن وجود إبليس بنص القرآن والسنة ووجود الخضر إلى الآن لادليل عليه لا عقلا ولا نقلا .

وكرامات كثيرة يذكرها السكندرى لمشائخه لا يصدقها عاقل نترك ذكرها هنا ومن أراد الاطلاع عليها فليرجع إلى كتاب السكندري « لطائف المنن » حيث ملأه بكرامات وبشطحات أولئك المشائخ بما لا يجرؤ أى مسلم يخاف الله أن يتطاول على الله وعلى رسله ولو بأقل من تلك الشطحات الخرقاء من دعوى

(١) انظر الرسالة القشيرية ص ٧١٢ .
(٢) لطائف المنن ص ١٢٣ .
(٣) ص ١٤٦ .
(٤) ص ١٥٣ .

علم الغيب بكل شيء في هذا الكون مهما كان حقيرا في ليل أو نهار ومن دعوى الاتحاد بالله ومجالسته ومن دعوى مصاحبة النبي محمد ﷺ في كل وقت ومن دعوى مشاهدة الجنة دائما وأشياء أخرى حين يقرأها المسلم يقول ربنا لا تز غ قلوبنا بعد إذ هديتنا .

ومثل ما خاض فيه السكندرى خاض فيه أيضا الشعرانى ولا أرى أن المقام يسمح بذكر نمادج من تلك الكرامات الخيالية التى زعمها الشعرانى لأقطاب التصوف الذين ترجم لكل واحد منهم وجاء في تراجمهم بما لا يقوله إنسان سليم الفطرة سليم العقل عنده أدنى معرفة بالدين الإسلامي . إنها جرائم حشدها الشعراني في طبقاته على أنها كرامات لأولئك الذين زعم كذبا أنهم أولياء أقل ما فيها الاستهانة بجرائم اللواط والزنا والشذوذ الجنسي ـ كما يسمى في عصرنا ـ ومن غريب أمره أنه يذكر الشخص منهم ثم يأتي في ترجمته وكراماته بما ينكس الرأس حياء ثم يختمها بقوله عنه ـ رضي الله عنه ـ .

ولو أن هؤلاء الصوفيه من أمثال ابن عربي والمنوفي والسهرورى والشعراني والسكندري وعلى حرازم والفوتي ذكروا كرامات قليلة وفيها نوع من التعقل لكنت نقلتها هنا ولكن لا حيلة في ذلك وكتبهم كلها مملوءة بكرامات كل واحدة تلعن أختها[1] ، ومن هنا أعرضت عن ذكر ذلك وكنت مثل خراش الذى قال فيه الشاعر :

تكاثرت الضباء على خراش   فما يدرى خراش ما يصيد

على أن بعض تلك الكرامات لا تستحق أن تذكر لأحد إذ فيها الاستهانة بالأخلاق والآداب العامة وفيها التشجيع على اللهو والفسق .

---

(١) انظر الفتوحات المكية ٤أجزاء، جمهرة الأولياء جزئين عوارف المعارف مجلد، طبقات الشعراني٢ جزئين ولطائف المنن ١ مجلد جواهر المعاني ٢ جزئين رماح حزب الرحيم جزئين، هامش جواهر المعاني وغيرها من كتب الصوفية الذين غلوا في دينهم .

الفصل التاسع عشر

زعماء الصوفية

للصوفية زعماء كثيرون ليس من السهل حصرهم وذكر تراجمهم غير أننا نحيل من أراد التوسع في تراجمهم إلى كتب الصوفية أنفسهم .

وقبل إيراد بعض تلك الكتب أحب التنبيه إلى أن بعض علماء الصوفيه حينما كتبوا تراجم لمشاهيرهم وأسلافهم ارتكبوا جرما في حق الصحابة رضوان الله عليهم وفي حق غيرهم من خيار المسلمين وعلمائهم حيث حشروهم في سلسلة واحدة مع كبار غلاة وفساق الصوفية الذين وصل بهم الاستهتار بالأخلاق وبأمور الدين الشرعية وبالآداب الإسلامية بل والعرفية إلى حد يستحي الإنسان من ذكرها وأعمال لا يتصور وقوعها من جهال المسلمين فما الظن بطلاب العلم بل وما الظن بأولياء الله ؟

وكنت قد جمعت عدة أوراق في تراجم أقطاب التصوف ولكني رأيتها أليق بكتب التاريخ وتطول بها هذه الدراسة فاكتفيت بذكر بعض المراجع التي اهتمت بدراسة شخصيات علماء التصوف ونقل أخبارهم وشطحاتهم وكشوفاتهم ومنزلتهم عند الله وعند الناس وما آل إليه أمر كل واحد منهم ومن أهم تلك الكتب :

١ ـ الرسالة القشيرية : لأبي القاسم عبد الكريم ابن هوازن بن عبد الملك بن طلحة القشيرى النيسابورى الشافعى ٤٧١ ـ٤٦٥ هـ و هى مجلدين خصص المجلد الأول من ص ٦١ إلى آخره لتراجم مشائخ التصوف أبتدأه بهذا العنوان، (فصل في ذكر مشائخ هذه الطريقة وما يدل من سيرهم وأقوالهم على تعظيم الشريعة)[١] ثم ذكر ترجمة لثلاثة وثمانين شخصا ٨٣ من كبار زعماء التصوف .

---

(١) الرساله القشيرية جـ ١ ص ٦١ .

٢ ـ الطبقات الكبرى المسماة بلواقح الأنوار في طبقات الأخيار تأليف عبدالوهاب بن أحمد بن على الأنصارى الشافعى المصرى المعروف بالشعراني. ظهر في القرن العاشر الهجرى .

والطبقات مجلدين خصصها لتراجم كبار علماء الصوفية من رجال ونساء.

وقد ترجم لأربع مائة وأربعة وعشرين شخصا ٤٢٤ بإضافة مشائخه وعددهم ٨٧ شخصا وقد بدأ تراجم هؤلاء بأبي بكر الصديق رضي الله عنه وختمهم بعلي بن شهاب جده الأدنى ثم ابتدأ بمحمد المغربي الشاذلي وختمهم بالشيخ على العياشي .

٣ ـ جمهرة الأولياء اعلام أهل التصوف ، تأليف محمود أبو الفيض المنوفي الحسيني. مجلدين خصص الجزء الثاني لترجمة كثير من الأعلام أعلام الصحابة وأهل الصفة ثم ترجم لعدد من أعلام التصوف تحت عنوان « طبقة التابعين وتابعيهم ذكر التابعين من الأولياء » [1].

ثم ترجم لسبعة وثمانين شخصا حشر بعض الفضلاء من أعلام الإسلام مع كبار الغلاة من الصوفية دون تمييز .

٤ ـ كتاب عوارف المعارف لأبي حفص عمر بن محمد بن عبد الله بن محمد بن عموية الصديقى القرشي التميمي البكرى الشافعي الملقب بشهاب الدين السهرودى ٥٣٩ ـ ٦٣٢ هـ ، لم يبرز التراجم لرجال الصوفيه في هذا الكتاب إلا أنه ذكر كثيرا من أعلام التصوف في ثنايا أبواب الكتاب .

٥ ـ لطائف المنن لابن عطاء الله السكندرى وطريقته مثل طريقة السهروردى.

٦ ـ جواهر المعاني وبلوغ الأماني في فيض سيدى أبي العباس التجاني تأليف/ علي حرازم ابن العربي برادة المغربي .

---

(١) ص ٨٠ جـ ١ .

٧ ـ كتاب رماح حزب الرحيم على نحور حزب الرجيم تأليف/عمر بن سعيد الفوتي الطوري الكدوى .

وجواهر المعاني مجلدين. وكذا « الرماح » مجلدين بهامش كتاب جواهر المعاني.

اهتم المؤلفان ببيان الطريقة التيجانية وذكر التيجاني وكبار أتباعه بتوسع تام .

٧ ـ وقد ألف بعض العلماء مؤلفات خاصة عن بعض شخصيات الصوفية مثل ابن عربي والبسطامي . والتيجاني ، والنقشبندى وابن سبعين والغزالي وابن الفارض والحلاج والجيلاني .

بعض المراجع عن الصوفية

كتب الصوفية

١ ـ الرسالة القشيرية . للقشيرى .

٢ ـ عوارف المعارف . للسهروردى .

٣ ـ لطائف المنن . للسكندرى .

٤ ـ جمهرة الأولياء . للمنوفي .

٥ ـ جواهر المعاني . على حرازم .

٦ ـ رماح حزب الرحيم . الفوتي .

٧ ـ الطبقات الكبرى . الشعراني .

٨ ـ الفتوحات الربانية . ابن عربي .

٩ ـ فصوص الحكم . ابن عربي .

١٠ ـ تائية ابن الفارض . ابن الفارض

١١ ـ تخريج الأربعين السلمية في التصوف . للسخاوى تحقيق على حسن .

١٢ ـ الهداية الربابية في فقه الطريقة التجانية. محمد السيد التجاني .

١٣ ـ الغنية لطالبي طريق الحق . عبد القادر الجيلاني .

١٤ ـ رفع الشبهات عما في القادرية والتجانية من الشطحات: لجنة جماعة الصوفية في ألورن .

*****

ومن الكتب التى ألفها علماء الإسلام من غير الصوفيين

١ ـ الصوفيه والفقراء . شيخ الإسلام ابن تيمية

٢ ـ الجزء ١١ من مجموع فتاوى شيخ الإسلام .

٣ ـ هذه هى الصوفية . عبد الرحمن الوكيل .

٤ ـ الفكر الصوفي . عبد الرحمن عبد الخالق .

٥ ـ التصوف معتقدا ومسلكا . صابر طعيمة .

٦ ـ التصوف المنشأ والمصدر . إحسان إلهى ظهير .

٧ ـ التصوف والاتجاه السلفي في العصر الحديث مصطفى حلمي .

٨ ـ إلى التصوف ياعباد الله . الجزائرى

٩ ـ التجانية . على بن محمد الدخيل الله .

١٠ ـ رسائل وفتاوى فى ذم ابن عربي الصوفي. جمع وتحقيق موسى الدويش

١١ ـ النقشبندية عرض وتحليل . عبد الرحمن دمشقية

١٢ ـ كتاب ابن عربي الصوفي في ميزان البحث والتحقيق

/ عبد القادر حبيب‌الله السندى .

١٣ ـ الهداية الهادية إلى الطائفة التجانية . محمد تقي الدين الهلالى

١٤ ـ الصوفية نشأتها وتطورها . محمد العبدة طارق عبد الحليم

١٥ ـ نظرات في معتقد ابن عربي . كمال محمد عيسىٰ .

١٦ ـ الرفاعية . عبد الرحمن دمشقية .

١٧ ـ نظرية الاتصال عند الصوفية في ضوء الإسلام . ساره عبد المحسن السعود

تـتمة المنهج

لقد استـحسن بعض أعضاء قسم العـقيدة إضافة بعض الجـوانب عن المرجئة وبعض المسائل عن فرق إسـلامية كان لها دور بارز فى قيام مـفاهيم جديدة على العقيدة الإسلامية التى عليها أهل السنة والجماعة .

ومما أحب التنبيـه عليه أن تلك الفرق التى سنأخذ بعـض الفقرات عنها تعـتبر من الفرق الأساسيـة فى تقسيم الأمة الإسلامية وتفـرقهم وقد حظيت تلك الفرق بالدراسة الواسعة من قـبل علماء الفرق ومؤلفي العقائد الإسلاميـة وقد ألفت فيها مؤلفات لا تكاد تحـصر كما أنها قد مـرت دراستها بصفـة عامة على طلاب هذه المرحلة من الدراسة ، ولا يزالون أيضا يدرسونها فى مادة التوحيد .

ومن هنا فإننى سأكتـفى بذكر الفقرات المستحسن إضافـتها إلى المنهج تاركا ماعدا ذلك من أخبار تلك الفرق سواء التاريخـية منها أو العقدية ، فهى كما تقدم تحتاج إلى مؤلفات لدراستها وبيان مـا قاله علماء الإسلام عنهـم ولعل ما أكتبه هنا يصح أن يوصف بأنه من باب التـذكيـر بالمعلومـات السابقـة أسأل الله أن ينفـعنى وإخوانى طلاب العلم بما نقـرأ ونسمع وأن يرزقنا حسن الـنية والرغبة فى خـدمة الإسلام والمسلمين فهو القادر على ذلك وهو حسبنا ونعم الوكيل .

*****

الباب العاشر
المرجـــئة

أولا : تمهيد :

المرجئة من أوائل الفرق التى تنتسب إلى الإسلام فى الظهور وقد احتلت مكانا واسعا في أذهان الناس وفي أهتمام العلماء بأخبارهم وبيان معتقداتهم بين مدافع عنهم ومحاج لهم وبين معجب بأدلتهم وبين داحض لها . ومن هنا نجد أن المقصود بالإرجاء بالذات لم يتفق علماء الفرق والمقالات على تعيينه دون اختلاف كما أن قضية الإرجاء قد جرت كثيرا من علماء الأمة الإسلامية المشهورين إلى « الركون إليها على تفاوت في المواقف والمفاهيم حيالها ووجد بعض علماء السلف طريقا إلى انتقاد مسالك آخرين ووجد لهؤلاء مدافعين عنهم ومؤيدين لفكرتهم دفاعا قد يصل إلى درجة التعصب وليّ أعناق النصوص لتوافق ما يذهبون إليه كما وجد قسم من المدافعين حاولوا جهدهم لتقريب وجهات النظر بين القائلين بالإرجاء وبين مخالفيهم فيه .

ولقد أخذت تلك الخصومات أشكالا من العنف واللين كما التهمت كثيرا من الأوقات والجهود التى لو كانت قد بذلت في خدمة ودراسة العقيدة الصحيحة الثابتة بالكتاب والسنة ومعتقد السلف لكان لها من النفع والخير ما لا يعلمه إلا الله تعالى .

ولكنها ذهبت حول تقرير حقيقة الإرجاء والرد عليه وجمع أدلته والوقوف عندها واستنتاج مفاهيمها ومقارنة بعضها بالبعض الآخر وكان بكفى للانتهاء عن الخوض في هذه القضية وقفة واحدة متأنية ومواجهة الحقيقة التى طالما أغفلها

هؤلاء وألئك ألا وهى أن الإرجاء الذى هو بمعنى ترك الأعمال وعدم الاهتمام بها لا مكان له في الواقع إلا عند المتأخرين الذين يريدون التحايل والانفلات بأى وسيلة ذلك أن الذين قرروا الإرجاء في بدأ أمرهم كانوا عند التحقيق من أكثر الناس عبادة وعملا بدليل أنك تجد الشخص منهم يحث على الإرجاء بكلام قد ألفه وحفظه ولكن إذا جاء إلى ميدان العمل تجده من المحرضين على اغتنام الفرص والتقرب إلى الله بالأعمال الصالحة فلم يبق للإرجاء عنده إلا ذلك الجزء من الكلام المردد في إيقاظ الخصومة (١) .

ومن هنا نجد أن شيخ الإسلام رحمه الله وقد قدم دراسة وافية للمرجئة يذكر أن السلف كانوا يصلون خلفهم ويترحمون عليهم وإنما يشنعون عليهم مسلكهم الخاطىء فى تأخير العمل عن حقيقة الإيمان وهؤلاء هم مرجئة الفقهاء بخلاف مرجئة الجهمية الغلاة(٢).

وقبل البدء بتفاصيل الفكر المرجئى وبيان نشأته وما آل إليه ، قبل هذا نذكر على سبيل الإيجاز التعريف بالمرجئة لغة واصطلاحا .

---

(١) انظر ظاهرة الإرجاء في الفكر الإسلامى و انظر كلام عمر بن ذر الهمدانى - حلية الأولياء جـ ٥ صـ ١٠٨ .

الفصل الأول

التعريف بالمرجئة لغة وا صطلاحا

وبيان أقوال العلماء فى ذلك

١ ـ الإرجاء في اللغة : يطلق على عدة معاني منها : الأمل والخوف والتأخير وإعطاء الرجاء وقد يهمز وقد لا يهمز . قال تعالى : ﴿ **وترجون من الله مالا يرجون** ﴾[١] أى لكم أمل في الله لا يوجد عندهم وقال تعالى : ﴿**مالكم لا ترجون لله وقارا** ﴾ [٢] أى مالكم لاتخافون من عذاب الله تعالى .

أما الإرجاء بمعنى التأخير فمثل قول الله تعالى : ﴿ **قالوا أرجه وأخاه**﴾[٣] قرئ أرجه وأرجئه أى أخره ، وقال تعالى: ﴿ **وأخرون مرجون لأمر الله**﴾[٤].

ويذكر الأزهرى حال استعمال الرجاء بمعنى الخوف بقوله :« إنما يستعمل الرجاء فى موضع الخوف إذا كان معه حرف نفي ومنه قوله تعالى : ﴿ **مالكم لا ترجون لله وقارا** ﴾ المعنى مالكم لا تخافون لله عظمة ـ قال الفراء وقد قال بعض المفسرين فى قول الله : ﴿**وترجون من الله مالا يرجون** ﴾ أن معناه تخافون [٥].... والإرجاء يهمز ولا يهمز قال ابن السكيت : يقال أرجأت الأمر وأرجيته إذا أخرته قال الله جل وعز : ﴿ **وآخرون مرجون لأمر الله** ﴾ وقرئ مرجئون وقرئ أرجه وأخاه وقرئ أرجئه وأخاه . قال : ويقال هذا رجل مرجئ وهم المرجئة وإن شئت قلت مرج وهم المرجية ... وقال غيره إنما قيل لهذه العصابة مرجئة لأنهم قدموا القول وأرجؤا العمل ـ أى أخروه » [١].

---

(١) سورة النساء آية (١٠٤) وانظر تفسير ابن كثير ١/ ٥٥٠ (٢) سورة نوح آية (١٣) .

(٣) سورة الأعراف آية (١١١) والشعراء آية (٣٦) . (٤) سورة التوبة آية (١٠٦) .

(٥) قال ابن كثير في معنى الآية « أى أنتم وإياهم سواء فيما يصيبكم وأياهم من الجراح والآلام ولكن أنتم ترجون من الله المثوبة والنصر والتأييد كما وعدكم إياه في كتابه وعلى لسان رسوله ﷺ وهو وعد حق وخبر صدق وهم لا يرجون شيئا من ذلك فأنتم أولى بالجهاد منهم وأشد رغبة فيه وفى إقامة كلمة الله وإعلائها ١٠ / ٥٥٠ .

تعريف الإرجاء في الإصطلاح :

اختلفت كلمة العلماء في المفهوم الحقيقي للأرجاء مفاد ذلك نوجزه فيما يلى :

١ ـ أن الإرجاء في الاصطلاح مأخوذ من معناه اللغوى ـ أى بمعنى التأخير والإمهال ـ وهو إرجاء العمل عن درجة الإيمان وجعله في منزلة ثانية بالنسبة للإيمان لا أنه جزء منه وأن الإيمان يتناول الأعمال على سبيل المجاز بينما هو حقيقة فى مجرد التصديق كما أنه قد يطلق على أولئك الذين كانوا يقولون لاتضر مع الإيمان معصية كما لا تنفع مع الكفر طاعة.

كما أنه يشمل أيضا جميع من أخر العمل عن النية والتصديق .

٢ ـ وذهب آخرون إلى أن الإرجاء يراد به تأخيرحكم صاحب الكبيرة إلى يوم القيامة فلا يقضي عليه في الدنيا بحكم ما [٢].

٣ ـ وبعضهم ربط الإرجاء بما جرى في شأن على رضى الله عنه من تأخيره فى المفاضلة بين الصحابة إلى الدرجة الرابعة [٣] أو إرجاء أمره هو وعثمان إلى الله ولايشهدون عليهما بإيمان ولا كفر وخلص بعضهم من هذا المفهوم إلى وصف الصحابة الذين اعتزلوا الخوض في الفتن التي وقعت بين الصحابة وخصوصاً ماجريين على ومعاوية من فتن ومعارك طاحنة خلصوا إلى زعم أن هؤلاء هم نواة الإرجاء حيث توقفوا عن الخوض فيها واعتصموا بالسكوت وهذا خطأ من قائليه فإن توقف بعض الصحابة إنما كان بغرض ريثما تتجلى الأمور واستندوا إلى مفهوم قول الرسول ﷺ إنها ستكون فتن ألا ثم تكون فتنة القاعد

---

(١) انظر تهذيب اللغة ١١/١٨١ ، ١٨٣ ، وانظر معاجم اللغة مادة « رجا » :

(٢) انظر مقالات الأشعرى تعليق جـ ١ صـ ٢١٣ .

(٣) هذا هو الصواب فإن ترتيب الخلفاء في الفضل مثل ترتيبهم في الخلافة ويبدو الأثر الشيعي في هذا القول واضحا .

فيهـا خير من الماشي فيـها والماشي فيهـا خير من الساعى إليـها ألا فإذا نزلت ـ أو وقـعت ـ فمن كـان له إبل فليلحـق بإبله ومن كانـت له غنم فليلحق بغنمـه ومن كانت له أرض فليلحق بأرضـه قال : فقـال رجل يارسول الله أرأيت من لم يكن له إبل ولاغنم ولا أرض ؟ قال يعمد إلى سيفـه فيدق على حده بحجر ثم لينج إن استطاع النجاة»[1].

ومن هؤلاء الصحابـة الذين امتنعوا عن الخوض في تلك الأحـداث المؤسفة: سـعـد بن أبي وقـاص ، وأبو بكرة راوى الحـديث السـابق وعبـد الله بن عـمـر وعمران ابن الحـصين حيث توقفوا ثم أرجأوا الحكم في تلك الفتن وفـوضوا أمر المختلفين فيـها إلى الله سبحانه وتعـالى . فلم يحكموا بتخطئة أحـد أو تصويبه مع اعترافهم بفضل الجميع فكيف يعتبر هؤلاء هم أساس الإرجاء فإن موقفهم لا يعد التوقف عن الدخول عن نصرة أحد بالسيف وهم في توقفهم كانوا يستندون إلى النصـوص الكثيـرة في الكتـاب والسنة الـتى تحـذر من الدخـول في الفتن وهم أعرف بالنصوص لأنهم من كـبار فضلاء الصحابة فـقد كان هؤلاء يودون لو أن الأمور تمت مـعالجتـها بالصبـر والصلح بين المتقاتـلين بدلا عن التسرع في القـتال ابتداء قبل بذل أسباب الوفاق .

وهذا الموقف منهم هو عين الصـواب فإن السـلامة من قـتل المسلم خيـر من التعيير بالتريث لعدم قتاله .

وليس إرجـاء حكم هؤلاء الصحـابة في عليّ ، ومعـاوية هو أسـاس الإرجاء البدعى فالواقع أن أطلاق اسم الإرجـاء على كل من يقول عن الإيمان أنه قول أو تصـديق بلا عمل أو القـول بأنه لا يضـر مع الإيمان ذنب كـما لا تنفع مع الكفـر طاعة هو الأغلب فى عرف العلماء حينما يطلقون حكم الإجاء على أحد بل هو المقصود بالإرجاء .

---

(١) أخرجه البخارى ١٣/ ٣٠ ، ومسلم ١/ ٢٢١٣ واللفظ له .

وفي كل ماتقدم يقول الشهرستاني : « الإرجاء على معنيين : أحدهما بمعنى التأخير كما في قوله تعالى : ﴿ **قالوا أرجه وأخاه** ﴾ أى أمهله وأخره .

والثاني : أعطاء الرجاء .

أما إطلاق اسم المرجئة على الجماعة بالمعنى الأول فصحيح لأنهم كانوا يؤخرون العمل عن النية والعقد . وأما بالمعنى الثاني فظاهر فإنهم كانوا يقولون لا تضر مع الإيمان معصية كما لا تنفع مع الكفر طاعة وقيل الإرجاء تأخير حكم صاحب الكبيرة إلى يوم القيامة فلا يقضى عليه بحكم ما فى الدنيا من كونه من أهل الجنة أو من أهل النار [1]، إلى أن قال : « وقيل الإرجاء تأخير عليّ رضى الله عنه عن الدرجة الأولى إلى الرابعة » [2].

******

(١) مذهب السلف أنه لايجوز الحكم على معين بالجنة أو بالنار إلا ما جاء التنصيص عليه عن الشارع .

(٢) الملل والنحل جـ ١ صـ ١٣٩ .

الفصل الثانى

الأساس الذى قام عليه مذهب المرجئة

الأساس الذى قام عليه مذهب الإرجاء هو الخلاف في حقيقة الإيمان ومم يتألف.

وتحديد معناه ، وما يتبع ذلك من أبحاث .

وهل الإيمان فعل القلب فقط ... أو فعل اللسان ، أو هو فعل القلب واللسان معا أى والعمل غير داخل في حقيقته .. وبالتالي لا يزيد الإيمان ولا ينقص إذ التصديق واحد لا يختلف أهله فيه ، هذه أهم ميزات بحوث هذه الطوائف المرجئة وإلى كل قسم من تلك الأقسام ذهب فريق من المرجئة.

إلا أن أكثر فرق المرجئة على أن الإيمان هو مجرد ما فى القلب ولا يضر مع ذلك أن يظهر من عمله ماظهر حتى وإن كان كفراً وزندقة وهذا مذهب الجهم ابن صفوان ولاعبرة عنده بالإقرار باللسان ولا الأعمال أيضا لأنها ليست جزء من حقيقة الإيمان ....

وذهبت الكرامية إلى أن الإيمان هو القول باللسان ولا يضر مع ذلك أن يبطن أى معتقد حتى وإن كان الكفر وذهب أبو حنيفة رحمه الله إلى أن الإيمان هو التصديق بالقلب والإقرار باللسان لا يغنى أحدهما عن الآخر أى فمن صدق بقلبه وأعلن التكذيب بلسانه لا يسمى مؤمنا . وعلى هذا قام مذهب الحنفية وهو أقرب مذاهب المرجئة إلى أهل السنة لموافقتهم أهل السنة فى أن العاصي تحت المشيئة وأنه لا يخرج عن الإيمان وخالفوهم في عدم إدخال العمل في الإيمان وفي أن الإيمان يزيد ينقص فلم يقولوا بذلك هذا هو المشهور عن أهل الفقه والعبادة من المرجئة وهو ماذهب إليه أبو حنيفة ومن قال بقوله من فقهاء الكوفة الذين أخروا العمل عن حقيقة الإيمان وماهيته .

على أن في نسبة الإرجاء إلى أبى حنيفة من الخلاف الكثير بين العلماء مالا يخفى هل كان أبو حنيفة من المرجئة كما وصفه كتاب المقالات والفرق أم كان ضد الإرجاء كما يصفه المدافعون عنه لأن الإرجاء يتميز بالتساهل في الأعمال وتأخيرها عن منزلة الإيمان . وأبو حنيفة ـ رحمه الله تعالى ـ بلغ حدا كبيرا فى الاهتمام بالفروع مما يدل على أنه يهتم بالعمل وهذا عكس الإرجاء فكيف يوصف بالإرجاء حسب هذا الدفاع عنه.

وأما ما جاء في الكتاب المنسوب إليه الفقه الأكبر ، من عبارات تدل دلالة واضحة على إرجائه فقد شكك هؤلاء المدافعون عنه في صحة نسبة هذا الكتاب إليه بل كذبوا نسبته إليه .

ودافع عنه الشهرستانى وذهب إلى أن نسبة الإرجاء إلى أبى حنيفة إنما كان سببه في رأيه ـ المعتزلة ـ والقدرية ـ عن سوء فهم منهم لرأى أبى حنيفة الذى يرى بأن الإيمان هو التصديق بالقلب وأنه لا يزيد ولا ينقص فظنوا أنه يؤخر العمل عن الإيمان إضافة إلى أن المعتزلة كما يرى الشهرستانى كانوا يسمون كل من خالفهم مرجئا[1]، والواقع أن النقول بإرجاء أبي حنيفة كثيرة وعلماء الفرق أغلبهم يقر نسبة الإرجاء إليه بالمعنى الذى قدمنا ذكره . وهذا هو الثابت ولا يقال إن أبا حنيفة كان من غلاة المرجئة كالجهمية مثلا وذلك لموافقته أهل السنة والاعتقاد السليم في جوانب كثيرة في باب الإيمان وإن خالفهم فيما ذكر ولقد بذل كثير من علماء الأحناف جهدهم ليجعلوا الخلاف بينهم وبين أهل السنة في حقيقة الإيمان لفظيا فلم يتم لهم ذلك مع أنهم يستندون إلى جعل الخلاف لفظيا على الاتفاق الحاصل ـ فعلا ـ بينهم وبين أهل السنة في مرتكب الكبيرة عند الله إذ لا يسمى كافرا ولا يحكم له بالخلود في النار يوم القيامة بل هو تحت المشيئة إن شاء الله عفى عنه بفضله وإن شاء عاقبه بعدله وكذلك إتفاقهم على أن

---

(١) الملل والنحل ١ / ١٤١ .

الأعمال لابد منها وأن العبد لوصدق بقلبه وأقر بلسانه ولكن امتنع عن العمل فلم يقم به أنه يستحق اللوم والعقوبة وأنه من العصاة إلا أن كل هذه الحجج لا تجعل الخلاف لفظيا وذلك أن أهل السنة لا يخرجون الأعمال عن مسمى الإيمان فالتفرقة بين الأعمال والإيمان لا يقول بها السلف .

كما أن السلف لا يرون أن الناس على درجة واحدة في الإيمان والتوحيد كذلك حكم الأحناف للعصاة بالإيمان الكامل لم يوافقهم فيه السلف كما أن السلف لا يوافقونهم في القول بعدم زيادة الإيمان ونقصانه والحاصل : أن المرجئة أقسام كثيرة وأنهم يختلفون في بعض أسس الإرجاء كما سيتضح ذلك إن شاء الله.

*****

الفصل الثالث

كيف نشأ الإرجاء وكيف تطور إلى مذهب

عرفنا مما سبق في التعريف بالمرجئة أن الإرجاء فى بدء الأمر كان يراد به في بعض إطلاقاته أولئك الذين أحبوا السلامة والبعد عن الخلافات وترك المنازعات في الأمور السياسية والدينية وخصوصا ما يتعلق بالأحكام الأخروية من إيمان وكفر وجنة أو نار وما يتعلق كذلك بأمر على وعثمان وطلحة والزبير وأم المؤمنين عائشة وغيرهم .

وما جرى بين علي ومعاوية من أحداث - كما مثله الحسن بن محمد بن الحنفية ومن جاء على طريقته - إلا أنه من الملاحظ أنه بعد قتل عثمان رضى الله عنه وبعد ظهور الخوارج والشيعة أخذ الإرجاء يتطور تدرجيا .

فظهر الخلاف في حكم مرتكب الكبيرة ومنزلة العمل من الإيمان ثم ظهر جماعة دفعوا بالإرجاء إلى الحد المذموم والغلو فبدأ الأرجاء يتكون على صفة مذهب ، فقرر هؤلاء أن مرتكب الكبيرة كامل الإيمان وأنه لا تضر مع الإيمان معصية ولا تنفع مع الكفر طاعة وأن الإيمان في القلب فلا يضر الشخص أى شيء بعد ذلك ولو تلفظ بالكفر والإلحاد فإنه يبقى إيمانه كاملا لا يتزعزع وهذا بلا شك غلو وتطرف مذموم .

وأهل هذه المرحلة ممقوتون ومذهبهم يفضي إلى الإباحية والتكاسل والتعويل على عفو الله وحده دون العمل لذلك .

وهو أمر تأباه الشريعة الإسلامية .

ولقد احتدم النزاع بين أهل السنة والخوارج والمعتزلة من جانب وبين المرجئة من جانب آخر في دخول الأعمال في مسمى الإيمان ويظهر أثر ذلك في مرتكب الكبيرة هل هو مؤمن بإيمانه فاسق بكبيرته وأمره في الآخرة إلى الله

وإلى مشيئته كما يقـول السلف أم هو كافر في الدنيا ومخلد في الآخرة في النار كما تقول الخوارج لأنه أخل بالعمل فكفر .

أم هو في منزلة بين المنزلتين في الدنيـا لا مؤمن ولا كافر وفي الآخـرة هو مخلد في النار كما تقول المعتزلة .

أم هو مؤمن كـامل الإيمان لم يتأثر إيمانه بالكبـيرة مطلقا كـما تقول المرجـئة لأنه مصدق بقلبه فلا مـجال لأن يتأثر إيمانه لأن الإيمان عندهم ـ على هذا المفهوم ـ لايزيد ولا ينقص بل يبقـى إيمانه كاملا إذا كان التـصديق موجـوداً في قلبه وفي الحقيقـة أن مذهب المرجئة تطور على هذا المفهـوم حتى صار من أوسع المذاهب وأكثرهـا تساهلا فبينمـا الخوارج يرون أن مرتكب الذنب كافـر مخلد في النار والمعتـزلة تراه في منزلة بين المنزلتين في الدنيا وفـي الآخرة مصـيره النار ثم تزعم هاتين الطائفتين أن الناس كلهم كفار إلا من كان خارجيا وتزعم المعتزلة أن الناس كلهم كفار إلا من كـان معتزليا فـضاقت نظرتهم إلى غيرهم فـإذا بالمرجئة توسع المجـال فزعـمت أن كل طائفـة تنسب نفـسهـا إلى الإسلام وتصـدق به تعـد من المؤمنين الخلص بغض النظر عن عـملها بعد ذلـك ، فالخوارج والشـيعة والمعـتزلة وسائر الطوائف في نظر المرجئة هم من أهل الإيمان الكامل .

*****

الفصل الرابع

بيان أول من قال بالإرجاء

وبيان أهم زعماء المرجئة

تطورت فكرة الإرجاء حتى وصلت في دورها المتأخر إلى الحد الذى يصدق عليها أنها ظاهرة بدعية خطيرة بعد أن تضاربت الأفكار وتعصب كل فريق لفكره ولرأيه من خوارج وشيعة ومعتزلة وجمهمية وأشعرية وغيرهم كما تقدم ولكن من الذى بدأ بهذه الفكرة التي تطورت بعد ذلك إلى أن وصلت على ماهى عليه اليوم .

يذكر العلماء أن الحسن بن محمد بن الحنفية هو أول من ذكر الإرجاء في المدينة بخصوص عليّ وعثمان وطلحة والزبير حينما خاض الناس فيهم وهو ساكت ثم قال قد سمعت مقالتكم ولم أر شيئا أمثل من أن يرجأ على وعثمان وطلحة والزبير فلا يتولوا ولا يتبرأ منهم[1].ولكنه ندم بعد ذلك على هذا الكلام وتمنى أنه مات قبل أن يقوله فصار كلامه بعد ذلك طريقا لنشأة القول بالإرجاء وقد بلغ أباه محمد بن الحنفية كلام الحسن فضربه بعصا فشجه وقال لا تتولى أباك علياّ ؟ ولم يلتفت الذين تبنوا القول بالإرجاء إلى ندم الحسن بعد ذلك فإن كتابه عن الإرجاء انتشر بين الناس وصادف هوى فى نفوس كثيرة فاعتنقوه [2].

ولكن ينبغي معرفة أن إرجاء الحسن إنما هو في الحكم بالصواب أو الخطأ على من ذكرهم ولم يتعلق إرجاؤه بالإيمان أو عدمه كما هو حال مذهب المرجئة أخيرا .

فأصبح هذا الموقف يناقض ماعليه الخوارج من تكفيرهما والبراءة منهما وما عليه الشيعة من الغلو في عليّ والحط من شأن عثمان وتكفيره ويخالف أيضا

---

(١) انظر ظاهرة الإرجاء في الفكر الإسلامى ص ٢٤٤ .

(٢) لم يكن ماكتبه الحسن بن محمد كتابا حسب ما يتبادر إلى الذهن وإنما كان بمنزلة منشور.

موقف أهل السنة والجماعة منهما من وجوب موالاتهما والترضي عنهما والشهادة لهما بالجنة كما هو مذهب السلف فيهما إلا أنه يعتبر كالخطوة الأولى إلى مذهب الخوارج والتمهيد له .

وقيل أن أول من قال بالإرجاء على طريقة الغلو فيه هو رجل يسمى ذر بن عبد الله الهمداني وهو تابعي وقد ذمه علماء عصره من أهل السنة بل كان بعضهم - إبراهيم النخعي - لايرد عليه إذا سلم وكذلك سعيد بن جبير .

والجمع بين هذا القول والذى قبله يتضح باختلاف حقيقة الإرجاء عند الحسن وعند ذر بن عبد الله إذ الإرجاء عند الحسن ترك الحكم على أولئك الأشخاص وأما الإرجاء عند ذر فهو إخراج العمل عن مسمى الإيمان .

وهناك أقوال أخرى في أول من دعا إلى الإرجاء فقيل أن أول من أحدثه رجل بالعراق اسمه قيس بن عمرو الماضرى .

وقيل أن أول من أحدثه حماد بن أبي سليمان وهو شيخ أبي حنيفة وتلميذ إبراهيم النخعي ثم انتشر في أهل الكوفة وقد عاصر حماد ذر بن عبد الله ويذكر شيخ الإسلام عن نشأة الإرجاء بالكوفة أن أول من قاله فيهم حماد بن أبي سليمان [1].

وقيل أن أول من قال به رجل أسمه سالم الأفطس ويطلق على إرجاء هؤلاء أنه إرجاء الفقهاء ويظهر أن تلك الأقوال لا تباعد بينها لأن هؤلاء كانوا فى عصر واحد وكانوا أيضا على اتفاق في ارجائهم ولقد نسب الإرجاء إلى علماء مشاهير وقد عد الشهرستاني جماعة من هؤلاء ومنهم : الحسن بن محمد بن على بن أبي طالب وذكر أنه أول من قال بالإرجاء ولكنه لم يجزم بذلك فيما يبد من تعبيره حيث ذكر ذلك بصيغة التمريض «قيل» ثم ذكر أنه كان يكتب فيه

---

(١) انظر مجموع الفتاوي جـ ٧ صـ ٢٩٧ ، ٣١١ .

الكتب إلى الأمصار ثم قال : « إلا إنه ما أخر العمل عن الإيمان كما قالت المرجئة اليونسية والعبيدية لكنه حكم بأن صاحب الكبيرة لا يكفر إذ الطاعات وترك المعاصي ليست من أصل الإيمان حتى يزول الإيمان بزوالها .

كما عد منهم سعيد بن جبير[1] وطلق بن حبيب وعمرو بن مرة ومحارب ابن زياد ومقاتل بن سليمان وذر ، وعمرو بن ذر ، وحماد بن أبى سليمان وأبو حنيفة وأبو يوسف ومحمد بن الحسن وقديد بن جعفر ثم قال : « وهؤلاء كلهم أئمة الحديث لم يكفروا أصحاب الكبائر بالكبيره ولم يحكموا بتخليدهم في النار خلافا للخوارج والقدرية » .

إلا أنه ذكر عن مقاتل قوله :« ويحكى عن مقاتل بن سليمان : أن المعصيه لا تضر صاحب التوحيد والإيمان وأنه لايدخل النار مؤمن » ثم قال : « والصحيح من النقل عنه : أن المؤمن العاصي ربه يعذب يوم القيامة على الصراط وهو على متن جهنم يصيبه لفح النار وحرها ولهيبها فيتألم بذلك على قدر معصيته ثم يدخل الجنة ومثل ذلك بالحبة على المقلاة المؤججة بالنار »[2].

ومن كبار المرجئه ومشاهيرهم الجهم بن صفوان وأبو الحسين الصالحي ، ويونس السمرى وأبو ثوبان ، والحسين بن محمد النجار ، وغيلان ، ومحمد بن شبيب وأبو معاذ التومنى وبشر المريسى ومحمد بن كرام ومقاتل بن سليمان المشبه لله عز وجل بخلقه ومثله الجواربي وهما من غلاة المشبهة[3].

*****

---

(١) هكذا ذكر عن سعيد بن جبير أنه من رجال المرجئة وسيأتى أن سعيد بن جبير ممن كان يذم الإرجاء ويمقته .

(٢) انظر الملل والنحل جـ ١ صـ ١٣٩ ، ١٤٦ .

(٣) انظر مقالات الإسلاميين ٢١٣/١ .

الفصل الخامس

أصول المرجئة

تكاد فرق المرجئة تتفق في أصولها على مسائل هامة هي :

تعريف الإيمان بأنه التصديق أو المعرفة بالقلب أو الإقرار .

وأن العمل ليس داخلا في حقيقة الإيمان ولا هو جزء منه مع أنهم لا يغفلون منزلة العمل من الإيمان تماماً إلا عند الجهم ومن تبعه فى غلوه .

وأن الإيمان لا يزيد ولا ينقص لأن التصديق بالشيء والجزم به لا يدخله زيادة ولانقصان .

وأن أصحاب المعاصى مؤمنون كاملوا الإيمان بكمال تصديقهم وأنهم حتما لا يخلدون فى النار في الآخرة .

ولهم اعتقادات أخرى كالقول بأن الإنسان يخلق فعله وأن الله لا يرى في الآخرة وقد تأثروا في هذه الآراء بالمعتزلة وكذا رأيهم في أن الإمامة ليست واجبة فإن كان ولابد فمن أى جنس كان ولو كان غير قرشي وقد تأثروا بهذا الرأي من الخوارج الذين كانوا ينادون به ولم يطبقوه .

ومن عقائد المرجئة الجهمية أن الكفر بالله هو الجهل به - وهو قول جهم - وأن الإيمان هو المعرفة بالله فقط وأنه لا يتبعض ومنها أن الجنة والنار تفنيان وتبيدان ويفنى أهلهما ولاخلود لأحد فيهما وبعضهم ذهب إلى أن كل معصية فهي كبيرة وبعضهم يذهب إلى أن غفران الله الذنوب بالتوبة تفضل من الله وبعضهم إلى أنه باستحقاق وبعضهم جوز على الأنبياء فعل الكبائر وبعضهم ذهب في إثبات التوحيد إلى قول المعتزلة وبعضهم إلى قول المشبهة ومنهم من أثبت رؤية الله تعالى في الآخرة ومنهم من نفاها كالمعتزلة ، واختلفوا في القول بخلق القرآن فمنهم من قال أنه مخلوق ومنهم من قال غير مخلوق

ومنهم من توقف واختلفوا في القول بالقدر فبعضهم نفى القدر وقال بأقوال المعتزلة وبعضهم أثبته واختلفوا في أسماء الله وصفاته فبعضهم قال بأقوال عبد الله بن كلاب ومنهم من قال بأقوال المعتزلة [1].

وفيما يلي تفصيل واضح لأقسام اتجاهات الناس في حقيقة الإيمان كما رتبها الدكتور/ سفر الحوالي :

١ ـ أن الإيمان يكون بالقلب واللسان والجوارح :

١ ـ أهل السنة　　　٢ ـ الخوارج　　　٣ ـ المعتزلة

٢ ـ أنه بالقلب واللسان فقط :

١ ـ مرجئة الفقهاء الحنفية

٢ ـ ابن كلاب وكان على عقيدة المرجئة الفقهاء وقد انقرض مذهبه .

٣ ـ أنه باللسان والجوارح فقط :

١ ـ الغسانية

٢ ـ فرقة مجهولة لم يصرح العلماء بتسميتها ولعلها الغسانية .

٤ ـ أنه بالقلب فقط :

١ ـ الجهمية　　　٢ ـ المريسية

٣ ـ الصالحية　　　٤ ـ الأشعرية　　　٥ ـ الماتريدية

٥ ـ أنه باللسان فقط :

١ ـ الكرامية : وقد انقرضوا ، وقد ذكر عنهم شيخ الإسلام أنهم يقولون المنافق مؤمن وهو مخلد في النار لأنه آمن ظاهراً لا باطنًا وإنما يدخل الجنة من آمن ظاهرا وباطنًا .

(١) انظر : مقالات الإسلاميين ١/٢١٣ ، ٢٣٤ .

أ ـ الذين قالوا أنه بالقلب واللسان والجوارح :

١ ـ الذين قالوا الإيمان فعل كل واجب وترك كل محرم ويذهب الإيمان كله بترك الواجب أو فعل الكبيرة :

١ ـ الخوارج مرتكب الكبيرة عندهم كافر .

٢ ـ المعتزلة مرتكب الكبيرة عندهم في منزلة بين المنزلتين .

يعنى في الدنيا وأما فى الآخرة فقد وافقوا الخوارج في الحكم .

٣ـ الذين قالوا الإيمان قول وعمل ـ أى عمل القلب والجوارح ـ وكل طاعة هى شعبه من الإيمان أو جزء منه .

والإيمان يكمل باستكمال شعبه وينقص بنقصانها لكن منها ما يذهب الإيمان كله بذهابه ومنها ماينقص بذهابه .

فمن شعب الإيمان أصول لا يتحقق إلا بها ولا يستحق مدّعيه مطلق الاسم بدونها ومنها واجبات لا يستحق الاسم المطلق بدونها .

ومنها كمالات يرتقي صاحبها إلى أعلى درجاته .

« وتفصيل هذا كله بحسب النصوص » .

كما هو مذهب أهل السنة والجماعة .

ب ـ الذين قالوا أنه يكون بالقلب واللسان فقط :

١ ـ الذين منهم يدخلون أعمال القلب ـ يعنى في حقيقة الإيمان ـ وهم بعض قدماء المرجئة الفقهاء . وبعض محدثي الحنفيةالمتأخرين .

٢ ـ الذين لا يدخلون أعمال القلب وقد تطور بهم الأمر إلى اخراج قول اللسان أيضا من الإيمان وجعلوه علامة فقط . وهم عامة الحنفية « الماتريدية » .

ج ـ الذين قالوا أنه يكون بالقلب فقط :

١ ـ الذين يدخلون فيه أعمال القلب جميعا وهم سائر فرق المرجئة كاليونسيه والشمرية والتومنية .

٢ ـ الذين يقولون هو عمل قلبى واحد ـ المعرفة ـ الجهم بن صفوان .

٣ ـ الذين يقولون هو عمل قلبى واحد ـ التصديق ـ الأشعريةوالماتريدية»[1].

****

(١) انظر مجموع الفتاوى جـ٧ في عدة أمكنه من هذا الجزه المشتمل على كتاب الإيمان الكبير وكتاب الإيمان الأوسط . وانظر « ظاهرة الإرجاء في الفكر الإسلامى صـ ٢٨٤ ـ ٢٨٦ ..

الفصل السادس

أقسام المرجئة

إنقسمت المرجئة في اعتقاداتها إلى أقسام كثيرة وفرق يطول ذكرها ويمكن الإشارة هنا إلى رؤوس تلك الفرق وهي كما يذكرها علماء الفرق : ـ

مرجئة السنة : وهم الأحناف أبو حنيفة وشيخه حماد بن أبى سليمان ومن اتبعهما من مرجئة الكوفة وغيرهم وهؤلاء أخروا العمل عن حقيقة الإيمان .

مرجئة الجبرية : وهم الجهمية أتباع جهم بن صفوان وهم الذين اكتفوا بالمعرفة القلبية وأن المعاصى لا أثر لها في الإيمان وأن الإقرار والعمل ليسا من الإيمان .

مرجئة القدرية : الذين تزعمهم غيلان الدمشقي وهم الغيلانية .

مرجئة خالصة : وهم فرق أختلف العلماء فى عدهم لها) .

مرجئة الكرامية : أصحاب محمد بن كرام وهم الذين يزعمون أن الإيمان هو الإقرار والتصديق باللسان دون القلب .

مرجئة الخوارج : الشبيبية وبعض فرق الصفرية الذين توقفوا في حكم مرتكب الكبيرة وعد الأشعرى في مقالاته المرجئة وأوصلهم إلى أثنتى عشرة فرقة [1].

ولهم فروع كثيرة ، وبين العلماء اختلافات كثيرة أيضا في عدهم لأقسام

---

(١) في كتابه مقالات الإسلاميين واختلاف المصلين من ص ٢١٣ إلى ص : ٢٣٤ ، أول فرقهم الجهمية وآخرهم الكرامية ـ الفرقة الثانية عشرة منهم كما ذكر الأشعري ، وذكر البغدادي ؛ أنهم ثلاثة أصناف قائلون بالجبر والقدر ومن خرج عن القول بهما صاروا خمس فرق انظر الفرق بين الفرق صـ ٣٠٢ رالشهرستاني في الملل والنحل جـ١ صـ ١٣٩ ذكر أنهم أربعة أصناف ثم ذكر مقالات المرجئة الخالصة وعدهم ست فرق .

وطوائف المرجئة وفي أي الفرق أصلية وأيها فرعية وأيها يصدق عليه الإرجاء وأيها لا يصدق عليه .

ولا ضرورة تدعو إلى تفصيل الكلام هنا في كل طائفة من هذه الفرق الفرعية وذلك لاتحادهم العام في مذهبهم وقيامه على الإرجاء .

ولما حصل أيضا من رجوع بعض فرقهم إلى الفرق الأخرى واندماجهم بعد ذلك في فرقة واحدة ولدقة الخلاف في بعض المسائل الفرعية ، وموضع استقصاء ذلك كله الكتب المطولة في التاريخ والفرق .

*****

الفصل السابع

أدلة المرجئة لمذهبهم والرد عليها

تلمس المرجئة في الاستدال لمذهبهم نصوصا وشبهات أو لوا النصوص ونصروا الشبهات بتكلفات غير صحيحة وخرجوا بنتيجة هى أن العمل ليس من حقيقة الإيمان ، وأخروا جميع أعمال الجوارح عن الإيمان وقالوا يكفي في دخول الإيمان والفوز برضى الله أن يحتوي القلب على المعرفة والتصديق كما سبق وفتحوا بذلك بابا واسعًا لأهل البطالة والكسل والمغرمين بالأمانى دون عمل، والذين يحبون التفلت عن ما تقتضيه النصوص الشرعية ، ولهذا تجد المرجئة الغلاة منهم أكسل الناس فى العبادة وأضعفهم في الالتزام ، وقد تلمسوا لما يذهبون إليه بعض الأدلة من القرآن الكريم ومن السنة النبوية وزعموا أنها تدل على مذهبهم .

فمن القرآن الكريم : استدلوا بقول الله تعالى :

١ - ﴿ **إن الله لا يغفر أن يشرك به ويغفر مادون ذلك لمن يشاء** ﴾[١].

٢ - ﴿ **قل ياعبادى الذين أسرفوا على أنفسهم لا تقنطوا من رحمة الله إن الله يغفر الذنوب جميعا إنه هو الغفور الرحيم** ﴾ [٢].

٣ - كما اهتمت الجهمية بجمع النصوص التى تجعل الإيمان أو الكفر محله القلب . كما في قول الله تعالى : ﴿ **أولئك كتب في قلوبهم الإيمان** ﴾ [٣].

٢ - ﴿ **إلا من أكره وقلبه مطمئن بالإيمان** ﴾ [٤].

٣ - ﴿ **ختم الله على قلوبهم** ﴾ [٥].

---

(١) سورة النساء آية (٤٨) .

(٢) سورة الزمر آية : ٥٣ .

(٣) سورة المجادلة آية (٢٢) .

(٤) سورة النحل آية (١٠٦) .

(٥) سورة البقرة آية (٧) .

إلى غير ذلك من الآيات التى يوحى ظاهرها بهذا المفهوم المتكلف للمرجئة .

أما من السنة النبوية فقد استدلوا :

ببعض الأحاديث والآثار التى يدل ظاهرها على الاكتفاء بالبعد عن الشرك ووجود الإيمان في القلب للفوز برضى الله مثل :

١ - قول الرسول ﷺ : « **من مات يشرك بالله شيئا دخل النار** » قال ابن مسعود « **وقلت أنا من مات لا يشرك بالله شيئا دخل الجنة** » [١].

٢ - وقوله ﷺ فيما يرويه عن ربه أنه قال : « **يا ابن آدم إنك لو أتيتني بقراب الأرض خطايا ثم لقيتني لاتشرك بي شيئا لأتيتك بقرابها مغفرة** » [٢].

٣ - وقوله ﷺ « **اللهم ثبت قلبى على دينك** » [٣].

٤ - وكذا حديث الجارية التى سألها الرسول عليه الصلاة والسلام بقوله أين الله ؟ قالت : في السماء . فقال لمولاها : اعتقها فإنها مؤمنة » [٤].

٥ - وقوله ﷺ « **التقوى ها هنا ، ويشير إلى صدره ثلاث مرات** » [٥].

٦ - ومن أدلتهم كذلك ماجاء فى أحاديث شفاعة المصطفى ﷺ في أقوام فيخرجهم الله من النار حتى لا يبقى من فى قلبه ذرة أو برة أو شعيرة من إيمان ، وفيه : « فيقول الله عز وجل شفعت الملائكة وشفع النبيون وشفع المؤمنون ولم يبق إلا أرحم الراحمين فيقبض قبضة من النار فيخرج منها قوما لم يعملوا خيرا قط ، قد عادوا حمما ، فيلقيهم في نهر في أفواه الجنة يقال له

---

(١) أخرجه البخارى ٣/ ١١٠ ، ومسلم ١/٩٤ في الإيمان .

(٢) أخرجه مسلم جـ ٤ صـ ٢٠٦٨ بلفظ « ومن لقيني بقراب الأرض خطيئة لا يشرك بي شيئا لقيته بمثلها مغفرة » واللفظ السابق للترمذي وحسنه .

(٣) أخرجه أحمد ٢/٤٥٤ .

(٤) أخرجه مسلم ١/٣٨٢ رقم ٥٣٧ وأحمد في المسند ٥/٤٤٧ .

(٥) أخرجه مسلم ٤/١٩٨٦ رقم ٢٥٦٤ .

نهر الحياة فيخرجون كما تخرج الحبة في حميل السيل إلى أن قال : فيخرجون كاللؤلؤ في رقابهم الخواتم يعرفهم أهل الجنة هؤلاء عتقاء الله الذين أدخلهم الله الجنة بغير عمل عملوه ولا خير قدموه »[1].

وقد استدل المرجئة بهذا الحديث لإرجائهم من العبارات السابقة فيه من في الحديث:

١ ـ لم يعملوا خيرا قط .

٢ ـ هؤلاء عتقاء الله الذين أدخلهم الله الجنة بغير عمل عملوه .

فقالوا إذا لم يكن لهم عمل خير قط فما الذى بقى معهم ؟ والجواب ـ كما يزعمون ـ أنه بقي معهم التصديق فقط ونفعهم دون النظر إلى العمل لأن حقيقة الإيمان كما يزعمون لم تتوقف على العمل .

٧ ـ ومن الشبهات التى تعلق بها المرجئة أيضا على أن العمل ليس من الإيمان قولهم :

١ ـ إن الكفر ضد الإيمان فحيثما ثبت الكفر انتفى الإيمان والعكس .

٢ ـ ومنها ما جاء في نصوص كثيرة فيها عطف العمل على الإيمان .

٨ ـ ومن أدلة الأحناف على أن الإيمان قول واعتقاد فقط وأن الأعمال ليست داخلة فيه وإنما هي شرائع الإسلام فإذا عمل معصية نقص من شرائع الإسلام وليس من التصديق بالإسلام من أدلتهم على ذلك قولهم :

١ ـ أن الإيمان في اللغة المقصود به التصديق فقط ، والعمل بالجوارح لا يسمى تصديقا فليس من الإيمان .

٢ ـ لو كانت الأعمال من الإيمان والتوحيد لوجب الحكم بعدم الإيمان لمن ضيع شيئا من الأعمال وفي ذلك يقول أبو حنيفة في كتابه(الوصية): ثم

(١) أخرجه مسلم ١/١٧٠ .

العمل غير الإيمان ، والإيمان غير العمل بدليل أن كثيرا من الأوقات يرتفع العمل من المؤمن ولا يجوز أن يقال يرتفع عنه (الإيمان) فإن الحائض ترتفع عنها الصلاة ولا يجوز أن يقال ارتفع عنها الإيمان إلى غير ذلك من النصوص التى استدل بها المرجئة عموما والأحناف بخصوصهم والتى فهموا منها ما يدل على صحة مذهبهم ، ثم نتج عن صنيعهم هذا تضارب الأدلة فى مدلولاتها - أمامهم - لعدم وقوفهم على ما تقتضيه من الفهم السليم الذى هدى الله إليه أهل السنة ، بل ذهبت كل طائفة من طوائف المرجئة الكثيرة إلى الاستدلال لما تزعمه بنصوص قد لاتستدل بها الطوائف الأخرى .

قال ابن أبي العز الحنفي : « فمن أدلة الأصحاب لأبى حنيفة رحمه الله : أن الإيمان فى اللغة عبارة عن التصديق قال تعالى مخبراً عن أخوة يوسف : ﴿**وما أنت بمؤمن لنا**﴾[1] أى بمصدق لنا ، ومنهم من ادعى إجماع أهل اللغة على ذلك ، ثم هذا المعنى اللغوى وهو التصديق بالقلب هو الواجب على العبد حقا لله وهو أن يصدق الرسول ﷺ فيما جاء به من عند الله ، فمن صدق الرسول فيما جاء به من عند الله فهو مؤمن فيما بينه وبين الله تعالى . والإقرار شرط إجراء أحكام الإسلام في الدنيا ، هذا على أحد القولين كما تقدم . ولأنه ضد الكفر وهو التكذيب والجحود ، وهما يكونان بالقلب فكذا ما يضادهما وقوله : ﴿ **إلا من أكره وقلبه مطمئن بالإيمان** ﴾[2] يدل على أن القلب هو موضع الإيمان لا اللسان ولأنه لو كان مركب من قول وعمل لزال كله بزوال جزئه، ولأن العمل قد عطف على الإيمان والعطف يقتضى المغايرة قال الله تعالى: ﴿**آمنوا وعملوا الصالحات**﴾[3]وغيرها في مواضع من القرآن »[4].

---

(١) يوسف ١٧ .
(٢) النحل ١٠٦ .
(٣) البقرة : ٢٥ .
(٤) شرح الطحاوية صـ ٣١٩ .

والواقع أن تلك النصوص التى تقدمت في أستدلال المرجئة على إخراج العمل عن حقيقة الإيمان لا يسلم لهم فهمهم لها من أنها تدل على إخراج الأعمال الظاهرة عن أعمال القلب ، فإن إيمان القلب وإن كان هو الأساس وعليه الاعتماد الأول ولكن لاينفى هذا أن أثر إيمان القلب يظهر على الجوارح بل هو الحق والنصوص كما هو الواضح منها لا تدل فقط على تصديق القلب وحده وإنما تدل على أن الإيمان له دلالات لا تتضح إلا بالأعمال الظاهرة والذين أحجموا عن ادخال الأعمال الظاهرة في حقيقة الإيمان نتج عن ذلك تساهل عندهم في الحكم حتى على الفجار الذين لاشك في ظهور فجورهم .

فتجد منهم من لا يكفر بالأعمال الظاهرة حتى وإن كانت توحي بكفر صاحبها علانية فهم لا يجرءون على تكفيره حتى يتأكدوا من مصداقية قلبه بالإيمان لأنه لو صدق بشعائر الإسلام فلا يكفر مهما عمل إلا إذا ارتفع التصديق عن قلبه فهنا يجرءون على تكفيره .

وهذه النتيجة طبيعية بالنسبة لهم بعد أن أغفلوا ارتباط الأعمال بإيمان القلب.

مع أن الحق أن الفعل المكفر يكفر به صاحبه إذا كان الفعل نفسه يوحى بكفر فاعله إذ لو لم يكفر قلبه أولا لما كفرت جوارحه فمن سبّ الله أو رسوله أو فضل القوانين الوضعية على الشريعة الإسلامية وقدمها عليها .

أو غير ذلك من الأمور المعلومة من دين الإسلام بالضرورة فإنه لا يحتاج لتكفيره إلى مساءلته هل هو مصدق بالإيمان أم لا ؛ لأن فعله شاهد عليه بعدم التصديق أو أن تصديقه مثل تصديق إبليس بربه وباليوم الآخر فهل نفعه ذلك فكذلك هؤلاء إلا أن يأتي أحدهم بمخرج له فى ذلك معتقدا صحته .

قال شيخ الإسلام ـ رحمه الله ـ عنهم : « فهؤلاء القائلون بقول جهم

والصالحي قد صرحوا بأن سب الله ورسوله والتكلم بالتثليث وكل كلمة من كلام الكفر ليس هو كفر في الباطن ولكنه دليل في الظاهر على الكفر ويجوز مع هذا أن يكون هذا الساب الشاتم في الباطن عارفا بالله موحدا له مؤمنا به فإذا أقيمت عليهم الحجة بنص أو إجماع أن هذا كافر باطنا وظاهرا قالوا هذا يقتضي أن ذلك مستلزم للتكذيب الباطني وأن الإيمان يستلزم عدم ذلك » [1].

ومن استند منهم إلى إخراج الأعمال عن حقيقة الإيمان بما استنبطه مما جاء في القرآن الكريم من إسناد الإيمان إلى القلب فقط . كقوله الله تعالى : ﴿ **ذلك ومن يعظم شعائر الله فإنها من تقوى القولب** ﴾ [2].

وقوله تعالى : ﴿ **من خشي الرحمن بالغيب وجاء بقلب منيب** ﴾ [3].

وقوله تعالى : ﴿ **ألم يأن للذين آمنوا أن تخشع قلوبهم لذكر الله** ﴾[4].

وقوله تعالى : ﴿ **في قلوبهم مرض فزادهم الله مرضا** ﴾ [5].

إلى غير ذلك من الآيات الكثيرة التي تبين منزلة الإيمان وضده من القلب من استند منهم إلى ذلك فقد أخطأ الفهم فليس المراد منها إخراج العمل وإغفاله عن إيمان القلب فإن من أنكر تلازم الأعمال الظاهرة بأعمال القلوب وقال إن الإيمان هو المعرفة فقط فهو جهمي ، وكذا من قال إنه التصديق فقط مثل الأشاعرة فقد تجهم ، إذ لا فرق بين دعوى المعرفة فقط ودعوى التصديق فقط - وكلاهما من دون عمل وماذكره بعض الأشاعرة من التفريق بينهما فإنه نصرة لمذهبهم فإن كلتا الطائفتين تلتقي على إخراج الأعمال عن حقيقة الإيمان فيبقى النزاع في التفرقة بين المعرفة والتصديق المجرد عن العمل غير واضح ، فإن المعرفة والتصديق موضعهما القلب والعمل الظاهر دليل ذلك ولازم له .

---

(١) انظر مجموع الفتاوى : ٥٥٧/٧ .

(٢) سورة الحج : آية (٣٢) .

(٣) سورة ق الآية (٣٣) .

(٤) سورة الحديد آية (١٦) .

(٥) سورة البقرة : آية (١٠) .

وقد كفر أئمة العلم من قال بقول جهم إن الإيمان هو التصديق فقط .

فظهر أن تلك الآيات لا تدل على نفي دخول الأعمال فى حقيقة الإيمان بل غاية ما فيها التركيز على أهمية الإيمان القلبي الذى بدوره يثمر الإيمان بالقيام بأعمال الشرع الظاهرة أو أنها أسندت إلى القلوب باعتبار أنها هى المضغة التى إذا صلحت صلح الجسد كله وإذا فسدت فسد الجسد كله .

وأما ما استدل به المرجئة من النصوص التى تدل على أن من اجتنب الشرك دخل الجنة ـ سواء كانت تلك النصوص من القرآن الكريم أو من السنة النبوية فإن الجواب على ذلك :

« إن هذه النصوص تفيد أن من لم يقع فى الشرك مع التوبة والقيام بأمر الله والأنتهاء عن نهيه أن الله يغفر له الذنوب التى هي دون الشرك فإذا مات على بعض الذنوب يرجى له المغفرة ابتداءا أو يعاقبه الله بذنبه ثم يدخله الجنة كما هو مذهب السلف فى أهل الذنوب حسب ما تفيده النصوص من الكتاب والسنة .

كما أنه لا يقع من شخص عرف التوحيد وأخلص لربه أنه لا يأتى بالأعمال الأخرى التى أوجبها الإسلام بحيث يكتفي بابتعاده عن الشرك ثم يركن إلى ذلك لدخوله الجنة ، فأتضح أن هذه الآيات لا تدل على إغفال العمل والاقتصار على المعرفة أو التصديق بالقلب كما يرى المرجئة بل هى واردة فى حكم من مات تائبا أو لم تكن عليه معاص أو كانت عليه معاص ومات على التوحيد بحيث كان آخر كلامه في الدنيا لا إله إلا الله » .

وما فهموه من قول الرسول ﷺ ـ التقوى ههنا ـ بأن الإيمان والكفر محلهما القلب ولا عبرة بعمل الجوارح فهو فهم غير سديد من جهة نفى دخول الأعمال الظاهرة في إيمان القلب مع أنه لا نزاع في أن التقوى محلها القلب ولكن تلك التقوى إذا لم تثمر القيام بأعمال الإيمان الظاهرة فهى ليست تقوى صحيحة . وهل كان الرسول ﷺ يريد أن الإيمان هو مجرد التصديق والإقرار بالقلب فقط

دون أن يرى أثر ذلك في الأعمال كلها .

وقد جرهم إلى هذا الفهم أمر لم يتقبلوه وهو أن الرسول ﷺ مرة يعبر عن الإيمان بأعمال القلب ومرة بأعمال الجوارح ومرة بكليهما ، فمن وقف على جانب دون آخر من هذه المراتب فقد قصر ولم يلتزم الحق واختلط الأمر عليه وأما حديث الجارية الذى استدل به المرجئة على مذهبهم أن ترك العمل لا ينافي الإيمان فإن المراد من شهادة الرسول ﷺ لها بالإيمان - أى الإيمان الظاهر - الذى تجري بموجبه الأحكام الدنيوية لا الإيمان الحقيقى الكامل فإن الرسول ﷺ كان يعلم أن إيمان هذه الجارية ليس مثل إيمان كبار الصحابة كأبي بكر وعمر وغيرهما من الصحابة السابقين وإنما أراد الإيمان الظاهر الذى يميز المسلم عن الكافر ابتداءاً في المعاملات الدنيوية ، ولو أن الرسول ﷺ اكتفى بسؤالها عن الإيمان فقط بأن قال لها : هل أنت مؤمنة وسكت لكان فيه نظر للمرجئة لكن الرسول ﷺ سألها عن أشياء أخرى فقد قال لها : أتشهدين أن لا إله إلا الله . قالت : نعم قال : أتشهدين أن محمدا رسول الله ؟ قالت نعم . قال أتوقنين بالبعث بعد الموت ؟ قالت نعم . فقال رسول الله ﷺ أعتقها [1] .

وهذه كلها من أعمال الإيمان الباطنة والظاهرة أيضا قال شيخ الإسلام عن تمسك المرجئة بهذا الحديث « وهذا لا حجة فيه لأن الإيمان الظاهر الذى تجري عليه الأحكام في الدنيا لا يستلزم الإيمان فى الباطن الذى يكون صاحبه من أهل السعادة في الآخرة »[2] فظهر أن هذه الأسئلة يريد الرسول ﷺ من ورائها معرفة منزلة هذه الجارية من أحكام الإسلام وهل تستحق أن يطلق عليها إسم الإيمان أم لا. وليس المقصود أنها بلغت فى إيمانها إلى حد إيمانه أو إيمان كبار أصحابه .

وعلى فرض أن الجارية قالت للرسول ﷺ أنا مؤمنة بكل شرائع الإسلام

---

(١) الموطأ صـ ٦٦٦ .

(٢)انظر مجموع الفتاوى ٢٠٩/٧ . وصـ ٤١٦ .

بمعنى مصدقة بـها ولكنى لا أرى فرضية الصلاة والزكاة والـصوم وغير ذلك من شرائع الإسـلام . أى لا أرى لزوم عملـها بالجوارح عـلى أنها حـقيقـة الإيمان بل تطلق عليه مجازا فهل كان صدر الرسول ﷺ سينشرح منها ويأمر مولاها بعتقها ويشهد لها بالإيمان » (١).

وأما حديث شفاعة المصطفى ﷺ فى أولئك فـالجـواب عنه : « أنه لابد من النظر إلى الأحـاديث الكثيـرة التى صرحـت بأنهم من أهل الإيمان وعليـهم أثر السحود الذى هو عبارة عن عمل الصلاة وأن الجهنميين يعرفون بذلك .

وفى بعض الروايات أن المؤمنين يشـفعـون فيـمن عرفـوه بأنه من أهل الإيمان والعمل في الدنيا وهذا لا يمنع أن فيه جمـاعة من الناس لهم أعمال لا يعلم بها إلا الله أخرجهم الله بسببها من النار حيث ظهرت عليهم علامات إيمانهم وأعمالهم التى قدموها .

وقوله: « لم يعملوا خـيرا قط » لا ينافى العمل مطلقا بل قـد يكون لهم عمل وإن كان قليلا إلى جـانب إيمانهم وحسناتهم الأخرى فينفـعهم ذلك ، وهذا مثل أن تقول لشخص أنت ما عملت شيئا بعد إتمامه للعمل الذى هو فيه فإنك لا تنفي وجود عمل ما ولكن حيث كان العمل غـير كامل ولا دقيق ولا يعتبر به ـ ولو من وجـهة نظرك ـ اعـتبـرته في عـداد من لم يعمل شـيـئا وهو أسلوب من أسـاليب العرب فى كلامهم .

ثم إن هؤلاء معهم إيمان وعمل ولولا ذلك لكانوا كـسائر الكفار والمشركين يخلدون فى النار فـلا مـزية لخروجهم منـها إلا ذلك وربما أن اللـه أخرجـهم أو أدخلهم الجنة لعزمهم عـلى العمل ومباشرتهم الدخـول فيه كما حصل لبـعضهم حين أسلم صادقا مخلصا ثم دخل المعركـة فقتل فشهد الرسول ﷺ له بـالجنة مع أنه لم يظهـر منه إلا حسن قبـوله للإسلام ودخـوله المعركـة ولكن الله اطلع على

(١) انظر لمزيد التفصيل ، ظاهرة الإرجاء في الفكر الإسلامي ص ٥١٩ ، ٥٢٦ .

إيمانه القوي وأوله بذله نفسه للقتل مع المسلمين في سبيل نصرة الإسلام ولقصر وقته عن أداء الواجبات الأخرى فغفر الله له .

وكقصة الرجل الذى قتل مائة نفس ثم تداركته رحمة الله فدخل الجنة ومثله ما وقع للرجل الذى أوصى أن يحرق بعد موته فغفر الله له فمثل هؤلاء في عزمهم وقوة إيمانهم كمثل الذى عمل وفرق بين من له رغبة وعزم على العمل وبين من تركه أتكالا وتكاسلا.

وأما احتجاجهم بقولهم : إن الكفر ضد الإيمان فحيثما ثبت الكفر انتفى الإيمان والعكس .

فإنه يقال لهم : اطلاق القول بأن كلّ كفر هو ضد الإيمان ويخرج من المله مطلقا ليس صحيحا على أطلاقه هكذا إلا عند الخوارج فى حكمهم على أصحاب المعاصي بالكفر المخرج من الملة فإن الإيمان درجات وهو اسم مشترك يقع على معان كثيرة منها ما يكون الكفر ضدا له كأن يعتقد الكفر ويعمل به ويدعوإليه إليه فكفره اعتقادى وهو ضد الإيمان ولا نزاع في هذا ومنها ما يكون الفسق ضدا له لا الكفر - كترك بعض الأعمال المفروضة مع الاعتراف بوجوبها.. ومنها ما يكون الترك ضدا له لا الكفر ولا الفسق ؛ كترك بعض الأعمال التى هى تطوع إذ لا يصح تسمية التارك لها كافرا ولا فاسقا وإنما يسمى تاركا ومفرطا في حق نفسه لعدم قيامه بتلك الأعمال التى تزيد فى إيمانه (١).

وقد يطلق السلف التسمية بالكفر على بعض من يعمل أعمالا جاء الشرع بإطلاق الكفر عليها ولكنهم يسمونه كفرا عمليا لا اعتقاديا حتى تقام الحجة على صاحبه كالذنوب التى وردت النصوص بإطلاق الكفر على أهلها كالزنا والسرقة وشرب الخمر في حق من لم يجحد النصوص الواردة في تحريمها قبل إقامة الحجة عليه ببيانها فإن السلف يطلقون عليه الكفر تمشيا مع النصوص ثم

---

(١) انظر الفصل لابن حزم جـ ٣ صـ ٢١٢ .

يفصلون بعد ذلك فإذا استحلها ولم يعترف بوجوبها ورد النصوص فهو كافر كفرا اعتقاديا ظاهرا وباطنا .

وأما ما استدلوا به من ورود نصوص كثيرة فيها عطف العمل على الإيمان وأن المعطوف والمعطوف عليه بينهما مغايرة وفرق وإلا لما عطف عليه ، فالواقع أن النصوص كما يتضح منها ، أحيانا يرد فيها ذكر الإيمان في حالة العطف بمعنى الدين وذلك في حال إطلاق الإيمان وحده فإنه يدخل فيه الأعمال فإذا أطلق لفظ الإيمان فقط تبادر إلى الذهن أن المقصود بذلك الإيمان القلبى وعمل الجوارح والنطق باللسان ولا يفهم منه التصديق فقط أو الإقرار فقط إلا عند المرجئة حيث تكلفوا دعوى وقوع ذلك .

وأما في حال ذكر الإيمان والعمل معافلا مغايرة بينهما فى الحكم الذى ذكر لهما بل يكون ذلك من جنس عطف الخاص على العام مثل قوله تعالى: ﴿**حافظوا على الصلوات والصلاة الوسطى**﴾ [1]. فإن الصلاة الوسطى من ضمن بقية الصلوات وإنما أفردت بالذكر بعد الذكر العام لمزيد العناية والاهتمام بها وأحيانا إذا ذكر العمل الصالح والإيمان معا يكون المقصود بذلك اظهار وتوكيد حقيقة الإيمان بالعمل الصالح إذ لا يكون العمل صالحا مقبولا إلا بعد إيمان صاحبه فذكر الإيمان والعمل معا من باب التوكيد أو عطف الخاص على العام والحاصل أن الإيمان المطلق يستلزم الأعمال كما جاء فى القرآن الكريم والسنة النبوية [2].

وأما ما استدل به الأحناف من أن الإيمان فى اللغة المقصود به التصديق والعمل لا يسمى تصديقا فيقال لهم أنه لم يسم التصديق بالقلب دون التصديق باللسان والعمل إيمانا فى اللغة ولم يعرف عن العرب أنهم يحكمون للشخص

---

(١) سورة البقرة : آية (٢٣٨) .

(٢) انظر مجموع الفتاوى جـ ٧ صـ ١٦٠ - ١٦١ .

بالتصديق والإيمان بشيء صدقه بقلبه ثم أعلن التكذيب به بلسانه كذلك لم يعرف في اللغة أن التصديق باللسان فقط دون التصديق بالقلب يعتبر إيمانا .

إذا فلا يسمى مؤمنا بالشيء إلا إذا توافق التصديق بالقلب واللسان معا ونتج عنهما حصول أثر ذلك وهو العمل .

ويرد على من ذهب مذهب الإمام أبى حنيفة في إخراج العمل عن الإيمان واستدل باللغة على أن الإيمان هو التصديق يرد عليهم بما ذهبوا إليه هم أيضا من عدم جواز إطلاق الإيمان على الشخص إلا إذا صدق بالله عز وجل وبرسوله وبكل ما جاء به القرآن والبعث والجنة والنار والصلاة والزكاة وغير ذلك .

ومعلوم أن هذا الإيمان قد اشتمل على أعمال فكيف يحق لهم بعد ذلك عدم اعتبار الأعمال من الإيمان وهم يشترطون لثبوت إيمان الشخص ماذكر .

حجا من أن الإيمان هو التصديق فقط
بشيء ثم كذب بلوازمه ، فقد
ـرون ببعض الرسل ومع ذلك
. ـ ـ تعالى : ﴿ **إن الذين يكفرون بالله ورسله ويريدون ان يفرقوا بين الله ورسله ويقولون نؤمن ببعض ونكفر ببعض ويريدون أن يتخذوا بين ذلك سبيلا أولئك هم الكافرون حقا واعتدنا للكافرين عذابا مهينا** ﴾ [1].

فهؤلاء مصدقون بالله وبرسله لولا أنهم يريدون أن يأخذوا من كل ديانة ما يوافق هواهم .

نعم إن أصل الإيمان في اللغة هو التصديق بالقلب واللسان معا بأى شيء كان .

---

(١) النساء : ١٥٠ / ١٥١ .

إلا أن الله عـز وجل وعلى لسان رسـوله ﷺ أوقع لفظة الإيمان على العـقد بالقلب لأشياء محدودة مخصوصة معروفة لا على العقد لكل شيء .

وأوقعها أيضا سبحانه على الإقرار باللسان بتلك الأشياء خاصة لابما سواها.

وأوقعها أيضا على أعمال الجوارح لكل ما هو طاعة له تعالى فقط . والله عز وجل هو خالـق اللغة وأهلهـا فلا يجوز لأحـد مخـالفة الله عـز وجل فيمـا أنزله وحكم به والتعلل باللغة في دفع الحق .

وقد أنزل في القـرآن أن الأعمال من الإيمان قـال تعالى : ﴿ **هو الذى أنزل السكينة فى قلوب المؤمنين ليزدادوا إيمانا مع إيمانهم** ﴾[1].

ومـعلوم أن التصـديق بالشيء حقـيـقة لا يقع إلا إذا وجـد التصـديق الكامل بذلك الشيء وازداد فيه رغبة وعملا .

فالمصـدق بالله تعالى وبأنبيـائه وبما جاء عن الله تعـالى هو الذى صدق بذلك ظاهرا وباطنا فصح وصفه بالتصديق .

والآية : فيـها الإخـبار بزيادة الإيمان لا بالتـصديق فـإنه قد حـصل في قلوب المؤمنين والزيادة هنا هى مـا يحـصل من الزيادة بالأعمـال والتـقرب بهـا إلى الله تعالى .

فإن أساس التـصديق لا يتبعض في الشيء الواحد وإن كـان الناس يتفاضلون فيه لأنه لو تبعض لكان صاحبه شاكا .

فلو أن شخصا صدق بالقرآن كله إلا آية واحدة لما كان مؤمنا بالقرآن ولكان تصديقه مشابها لتصديق بعض أهل الكتاب بالنبي ﷺ فى كتبهم وكفرهم بذلك كالموشكانيـة والعيسوية من يـهود أصفان الذين صـدقوا بأن الرسـول ﷺ هــو نبى الله حقـا ولكنه إلى العرب خاصة لا إليـهم ، ولكان أيضا مشابهـا لتصــديق

---

(١) الفتح : ٤ .

إبليس بربه وهو مع ذلك كافر بلا خلاف مخلد في النار لم ينفعه تصديقه ومعرفته بربه بدون الإذعان الكامل لما أمر الله واجتناب ما نهى عنه قولا وعملا واعتقادا .

ولشيخ الإسلام ردود مطولة في إبطال تعلق المرجئة بقوله تعالى : ﴿ **ما أنت بمؤمن لنا** ﴾ أى بمصدق على أن الإيمان هو التصديق والعمل خارج عن التصديق وفي أن الإيمان هو التصديق في اللغة وفي الشرع أيضا [1] ثم إن إطلاق الإيمان على الأعمال أو الأعمال على الإيمان أمر مقرر عند السلف وثابت لايمارون في صحته لورود ذلك فى نصوص كثيرة فالجهاد والصوم والصلاة وغيرها من الإيمان كما أنهم يسمون الإيمان عملا لما جاء في الحديث : « أن النبى ﷺ سئل أى العمل أفضل فقال :«**إيمان بالله ورسوله قيل ثم ماذا قال الجهاد في سبيل الله قيل ثم ماذا قال حج مبرور** » [2].

وقال الأوزاعى « لا يستقيم الإيمان إلا بالقول ، ولا يستقيم الإيمان والقول إلا بالعمل ولا يستقيم الإيمان والقول والعمل إلا بنية موافقة للسنة . وكان من مضى من سلفنا لا يفرقون بين الإيمان والعمل ، العمل من الإيمان والإيمان من العمل»[3].

فالصلاة مثلا من أعمال الجوارح وقد قال تعالى :﴿ **وما كان الله ليضيع إيمانكم**﴾[4] أي صلاتكم إلى بيت المقدس لا كما ذهب إليه المرجئة من أن المعنى أى تصديقكم بالنبى ﷺ والدين .

قال شيخ الإسلام : وحقيقة الأمر أن اسم الإيمان يستعمل تارة هكذا وتارة هكذا ... فإذا قرن اسم الإيمان بالإسلام أو العمل كان دالا على الباطن فقط .

وإن أفرد اسم الإيمان فقد يتناول الباطن والظاهر وبهذا تأتلف النصوص .

---

(١) انظر ٢٨٩/٧ - ٢٩٧ ، من مجموع الفتاوي .
(٢) أخرجه البخارى ٧٧/١ .
(٣) انظر مجموع الفتاوى ٢٩٦/٧ .
(٤) سورة البقرة : آية (١٤٣) .

وأما إذا قرن الإسلام بالإيمان كما فى قوله تعالى :﴿ **قالت الأعراب آمنا قل لم تؤمنوا ولكن قولوا أسلمنا** ﴾[1].

وقوله تـعالى : ﴿ **فأخرجنا من كان فيها من المؤمنين فما وجدنا فيها غير بيت من المسلمين** ﴾[2] فقد يراد بالإسلام الأعمال الظاهرة[3]، أى والإيمان الأعمال الباطنة وهذا هو مذهب السلف أن الإيمان أخص من الإسلام .

وأما استدلالهم ، بقولهم لو كان العمل يسمى إيمانا لكان من ضيع منه شيئا فقد فقد الإيمان كله فلا يكون مؤمنا أولا يقال له مؤمن .

يقال لهم : إن هذا الاستدلال تحكم وخروج عن ما يقتضيه الحق فلا يجوز أن نسمى الشخص مؤمنا ولا كافرا إلا بنص واضح عن الله أو عن رسوله ، فمن سماه الله مؤمنا نسميه مؤمنا ومن سماه كافرا نسميه كافرا ، بل نقول أن من ضيع شيئا من ما أمر بالإيمان به فقد ضيع بعض الإيمان ولم يضيع الكل ، فلا يخرج عن الإيمان إلا بجحود ما أدخله فيه بالكلية[4].

وأما بالنسبة لارتفاع العمل عن الحائض وعدم ارتفاع الإيمان عنها فإن هذا الاستدلال غير صواب ذلك أنها في حالة ارتفاع العمل عنها لم يكن من قبلها وإنما ذلك من قبل خالقها وهى في تلك الحال في حكم العامل ولهذا لا يتوجه إليها الذم بترك الصلاة والصوم في تلك الحال وهى لازالت على الإيمان والعمل لم تخرج بتركهما في تلك الحال عن الإيمان ولا عن مواصلة العمل فإن تلك الفترة الطارئة لا تجعلها في عداد من خرج عن الإيمان وضيع العمل لكي يصدق عليها ترك الإيمان بسبب ترك العمل كما استدل هؤلاء .

وأما ما ذهب إليه المرجئة من أن الإيمان لايزيد ولا ينقص كما أن التصديق لا

---

(١) سورة الحجرات آية (١٤) . (٢) سورة الذاريات : ٣٥ - ٣٦ .

(٣) أنظر مجموع الفتاوى ٥٧٥/٧ ، ٥٧٦ بتصرف .

(٤) انظر الفصل لابن حزم جـ٣ صـ ١٩١ .

يزيد ولا ينقص ، فهو قول من أبطل الأقوال وهو قياس على أمر غير مسلم ، فالتصديق لا يصح لهم مازعموه فيه من أنه لا يتفاضل الناس فيه بل يتفاضلون تفاضلا ظاهرا في التصديق بقضايا تمر بالناس يوميا في حياتهم ، فضلا عن التصديق بقضايا المغيبات من أخبار اليوم الآخر والجنة والنار وأسماء الله وصفاته فمن زعم أن تصديق أقل الناس إيمانا بالله مثل تصديق أكمل الناس إيمانا به بتلك الأمور المغيبة فلا شك في بطلان قوله بمالا يحتاج إلى سرد الأدلة عليه .

وأما زيادة الإيمان ونقصانه فيكفي في ثبوته إخبار الله عز وجل بذلك في كتابه الكريم وإخبار نبيه محمد ﷺ في سنته الشريفة بما لا يخفى على طلاب العلم معرفته ، فإن أدلته واضحة تمام الوضوح ومعتقد السلف فيه من أوضح الأمور وهو الاعتقاد الجازم أن الإيمان يزيد وينقص في قلب كل شخص .

وكل إنسان يلمس هذا من نفسه ولا ينكره إلامكابر على أنه بعد ثبوت ذلك في كتاب الله وفي سنة نبيه وفي إجماع علماء السلف بعد ثبوت هذا كله لا يحق لمسلم أن يتشكك في ذلك بل يجب الإيمان والجزم به .

وينبغي التنبيه إلى أمر هام وهو وجود عدة أحاديث كلها موضوعة يذكر فيها أن الإيمان في القلب فقط وأنه لايزيد ولا ينقص ونضيف هنا ما ذكره العلماء من أنه كلما عثرت على حديث من هذا النوع فهو مكذوب على النبي ﷺ وفي هذا يقول ابن القيم رحمه الله :

« وكل حديث فيه أن الإيمان لايزيد ولا ينقص فكذب مختلق»[1] ومن تلك الأحاديث : ـ

١ ـ حديث « **من قال الإيمان يزيد وينقص فقد خرج من أمر الله ، ومن قال أنا مؤمن إن شاء الله فليس له في الإسلام نصيب**» قال الشوكاني رواه محمد بن تميم وهو واضعه[2].

---

(١) المنار المنيف صـ ١١٩ . (٢) الفوائد المجموعة في الأحاديث الموضوعة ص ٤٥٣ .

ومنها الحديث المروي عن أبى سعيد الخدري مرفوعا « **من زعم أن الإيمان يزيد وينقص فزيادته نفاق ونقصانه كفر فإن تابوا وإلا فاضربوا أعناقهم بالسيف أولئك أعداء الرحمن فارقوا دين الله تعالى واستحلوا الكفر وخاصموا الله، طهر الله الأرض منهم ألا فلا صلاة ألا فلا زكاة لهم ألا فلا صوم لهم ألا فلا حج لهم ألا فلا دين لهم هم براء من رسول الله ﷺ ورسول الله ﷺ برئ منهم**» قال السيوطى موضوع آفته الطالقاني كذاب خبيث من المرجئة كان يضع الحديث لمذهبه »[1].

ومثله أيضا الحديث المروى عن أبي هريرة رضى الله عنه أن وفد ثقيف جاءوا إلى النبي ﷺ فسألوه عن الإيمان هل يزيد وينقص فقال « **لا، زيادته كفر ونقصانه شرك**» وهو حديث موضوع وضعه أبو مطيع الحكم بن عبد الله البلخى وهو من رؤساء المرجئة .

قال السيوطي نقلا عن الحاكم « إسناده فيه مظلمات والحديث باطل والذى تولى كبره أبو مطيع » [2].

وكأن الذين وضعوا أمثال هذه الأحاديث كانوا يجهلون أو يتجاهلون أن الرسول ﷺ كان يقرأ قول الله تعالى : ﴿ **فأما الذين آمنوا فزادهم إيمانا وهم يستبشرون**﴾[3] وآيات أخرى كثيرة تثبت زيادة الإيمان فكيف ينفى الرسول ﷺ ما أثبته الله فى القرآن . لأن ما قبل الزيادة - كما هو معروف - قبل النقصان وقول المرجئة بعدم زيادته ونقصانه إنما حملهم على ذلك زعمهم أن التصديق شىء واحد وبالتالى فهو لا يختلف حسب مفهومهم ولا يتفاضل الناس فيه .

*****

(١) اللآلىء المصنوعة ١/ ٤٠ .

(٢) المصدر السابق١/٣٨. وانظر كلام ابن أبى العز على هذا الحديث في شرح الطحاوية ص٣٢٥.

(٣) سورة التوبة : آية ١٢٤ .

الفصل الثامن

مذهب أهل السنة فى تعريف الإيمان

مذهب أهل السنة المتمسكون بكتاب الله عز وجل وسنة نبيه ﷺ السائرون على وفق ما كان عليه المصطفى ﷺ وأصحابه رضوان الله عليهم في أسماء الله وصفاته وفي مجانبة البدع وأهلها مذهبهم فى الإيمان أنه قول باللسان واعتقاد بالقلب وعمل بالجوارح يزيد بالطاعات وينقص بالمعاصي » .

هذا هو منهجهم واعتقادهم فى الإيمان ، أن العمل داخل فى حقيقة الإيمان وأنه لا إيمان بدون عمل وأن الإيمان يزيد بالطاعة وينقص بالمعصية حسب ماحل بالقلب من ذلك.

وهذا هو الواضح من النصوص الكثيرة في القرآن الكريم وفي السنة النبوية إلا أنه قد تختلف تعبيرات أهل السنة عن حقيقة الإيمان فيعرفونه بصيغ مختلفه [1]ولكن القصد واحد وهو إدخال العمل في حقيقة الإيمان كما يدل عليه كلام الله تعالى وكلام رسول الله ﷺ .

ومنه قوله تعالى فى بيان جملة من صفات المتقين أهل الإيمان : ﴿ **ليس البر أن تولوا وجوهكم قبل المشرق والمغرب ولكن البر من آمن بالله واليوم الآخر والملائكة والكتاب والنبيين وآتى المال على حبه ذوى القربى واليتامى والمساكين وابن السبيل والسائلين وفى الرقاب وأقام الصلاة وآتى الزكاة والموفون بعدهم إذا عاهدوا والصابرين فى البأساء والضراء وحين البأس أولئك الذين صدقوا وأولئك هم المتقون** ﴾[2].

---

(١) مثل قولهم : هو عمل وقول ونية ، أو هو قول وعمل واتباع السنة أو هو قول باللسان واعتقاد بالقلب وعمل بالجوارح أو هو إقرار وعمل أو تصديق وعمل .
انظر مجموع الفتاوي ٧/١٧٠ .

(٢) سورة البقرة : ١٧٧ .

وقال تعالى مبينا الخصال التى يكون بها الشخص مؤمنا إذا طبقها على نفسه وعمل بما دلت عليه ﴿ **قد أفلح المؤمنون الذين هم في صلاتهم خاشعون والذين هم عن اللغو معرضون والذين هم للزكاة فاعلون والذين هم لفروجهم حافظون إلا على أزواجهم أو ما ملكت أيمانهم فإنهم غير ملومين فمن ابتغى وراء ذلك فأولئك هم العادون والذين هم لأماناتهم وعهدهم راعون والذين هم على صلواتهم يحافظون أولئك هم الوارثون الذين يرثون الفردوس هم فيها خالدون** ﴾(١) وقال تعالى : ﴿ **إنما المؤمنون الذين آمنوا بالله ورسوله ثم لم يرتابوا وجاهدوا بأموالهم وأنفسهم في سبيل الله أولئك هم الصادقون** ﴾(٢).

وهذه الآيات واضحة الدلالة على مذهب أهل السنة في حقيقة الإيمان المكون من القول والعمل والاعتقاد . وهى حجة على من فرق في الإيمان بين الاعتقاد والعمل أو غالط في بعض تعريفات السلف للإيمان .

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية ـ رحمه الله ـ فى بيان أقوال السلف حقيقة الإيمان «ومن هذا الباب أقوال السلف وأئمة السنة فى نفسير الإيمان ، فتارة يقولون هو قول وعمل» وتارة يقولون هو قول وعمل ونية ، وتارة يقولون قول وعمل ونية واتباع السنة وتارة يقولون . قول باللسان واعتقاد بالقلب وعمل بالجوارح » وكل هذا صحيح فإذا قالوا قول وعمل فإنه يدخل في القول قول القلب واللسان جميعا وهذا هو المفهوم من لفظ القول والكلام (٣) وقال أيضا : «والمقصود هنا أن من قال من السلف « الإيمان قول وعمل أراد قول القلب واللسان وعمل الجوارح والقلب ومن آراد الاعتقاد رأى أن لفظ القول لا يفهم منه إلا القول الظاهر أو خاف ذلك فزاد الاعتقاد بالقلب ، ومن قال قول وعمل ونية قال القول يتناول الاعتقاد وقول اللسان ، وأما العمل فقد لايفهم منه النية

---

(١) سورة المؤمنون : ١ ـ ١١ .　　(٢) سورة الحجرات : ١٥ .

(٣) مجموع الفتاوي ٧/ ١٧٠ .

فزاد ذلك ، ومن زاد أتباع السنة فلأن ذلك كله لا يكون محبوبا لله إلا باتباع السنة وأولئك لم يريدوا كل قول وعمل وإنما أرادوا ما كان مشروعا من الأقوال والأعمال ولكن كان مقصودهم الرد على المرجئة الذين جعلوه قولا فقط. فقالوا بل هو قول وعمل والذين جعلوه أربعة أقسام فسروا مرادهم كما سئل سهل بن عبد الله التستري عن الإيمان ما هو فقال قول وعمل ونية وسنة ، لأن الإيمان إذا كان قولا بلا عمل فهو كفر وإذا كان قولا وعملا بلا نية فهو نفاق وإذا كان قولا وعملا ونية بلا سنة فهو بدعة » [1].

واستدل أهل السنة على ما يذهبون إليه من دخول العمل في مسمى الإيمان بأحاديث كثيرة منها :

قوله ﷺ : « **الإيمان بضع وسبعون أوبضع وستون شعبة فأفضلها قول لا إله إلا الله وأدناها إماطة الأذى عن الطريق والحياء شعبة من الإيمان** » [2].

وقوله ﷺ لوفد عبد القيس « **آمركم بأربع وأنهاكم عن أربع آمركم بالإيمان أتدرون ما الإيمان ؟ شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله وإقام الصلاة وإيتاء الزكاة وأن تعطوا الخمس من المغنم** » [3].

وقوله ﷺ « **أكمل المؤمنين إيمانا أحسنهم خلقا وخيارهم خيارهم لنسائهم** » [4]. وأحاديث أخرى كثيرة جعل فيها العمل من الإيمان .

وعلى هذا مضى السلف الصالح من الصحابة فمن بعدهم .

وعليه أيضا مضى علماءالإسلام ومنهم الأئمة مالك والشافعي وأحمد حيث فسروا الإيمان بأنه التصديق والقول والعمل وأنه يقبل الزيادة ويقبل النقص وأن

---

(١) انظر المصدر السابق ص ١٧١ .

(٢) أخرجه البخاري ١/٥١ ومسلم واللفظ له ١/٢١٠ .

(٣) أخرجه البخاري ١/١٢٩ ، في مواضع من صحيحه ومسلم ١/١٥٤ .

(٤) الإمام أحمد في المسند ٢/٢٥٠ .

أهله يتفاوتون فيه.

ومما ينبغي فهمه أن السلف حينما يعرفون الإيمان بأنه قول وعمل لايقصدون أن الإيمان قول باللسان وعمل بالجوارح دون النظر إلى إيمان القلب وتصديقه وعمله فإن السلف ما كانوا يريدون ألفاظ اللسان وحركات الجوارح مجردة عن عمل القلب وتصديقه الجازم بالله وملائكته وكتبه ورسله وجميع شرائع الإسلام .

فإن السلف يعتبرون إيمان القلب أمراً أساسيا في الإيمان وصلاح العمل وإنما لم يصرحوا به لظهوره إذ إنهم لم يتصوروا أن تلك الثلاثة الأمور في التعريف بالإيمان منفصلة عن بعضها . وحينما يعرف السلف الإيمان بأنه الإقرار والتصديق أو تصديق وعمل لايريدون من التصديق مجرد التصديق بالخبر فقط دون الالتفات إلى ثمرة التصديق وهو الإذعان والامتثال للأمر الذى يتبعه العمل حتما بل يريدون التصديق الذى يتبعه العمل كأثر للتصديق وإلا فلا فائدة من التصديق إن لم يثمر العمل . وهذا التفسير هو مادل عليه الكتاب والسنة واللغة قال تعالى: ﴿ **وناديناه أن يا إبراهيم قد صدقت الرؤيا** ﴾[1] أى قد أمتثلت الأمر وحققته فعلا لولا أن الله فدى ولدك بذبح غيره وليس المقصود إنك صدقت الرؤيا كما تصدق سائر الأخبار أو تكذب بل صدقتها وجزمت بالعمل القلبى الذى يتبعه العمل الظاهر وهو إرادتك ذبح إبنك ولو كان المقصود بذلك مجرد المدح على تصديق الرؤيا لما كان له فضيلة فيها .

ومن السنة قول الرسول ﷺ « **إن الله كتب على ابن آدم حظه من الزنا أدرك ذلك لا محالة ، فزنا العين النظر وزنا اللسان المنطق والنفس تتمنى وتشتهى والفرج يصدق ذلك كله ويكذبه** »[2].

---

(١) سورة الصافات : ١٠٥ .

(٢) أخرجه البخارى ٢٦/١١ .

وتصديق الفرج وتكذيبه كناية عن الفعل نفسه أو عدمه ، وعلى هذا فالتصديق الذى يريده السلف هو ما يتبعه العمل ، وبهذا يتبين خطأ من ذهب إلى أن مراد السلف هو التصديق المجرد بالقلب دون الألتفات إلى عمل القلب وإذعانه .

كما أن السلف يفسرون الإقرار هنا بمعنى حصول الإلتزام والإذعان لا مجرد الإقرار بمعنى الأعتراف أو التصديق بالشيء قال تعالى : ﴿ **وإذ أخذ الله ميثاق النبيين لما آتيتكم من كتاب وحكمة ثم جاءكم رسول مصدق لما معكم لتؤمنن به ولتنصرنه قال أقررتم وأخذتم على ذلكم إصرى قالوا أقررنا قال فاشهدوا وأنا معكم من الشاهدين** ﴾ (١).

والإقرار هنا ليس مجرد الاعتراف بل لابد من الإقرار المستلزم للعمل إذ الإقرار وحده لا يكفى .

أما مذهب المرجئة فإن مجرد التصديق بالشيء يعتبر إيمانا به ظاهرا وباطنا بغض النظر عن العمل على حسب منهجهم فإذا تلفظ الشخص عندهم بكلمة الإخلاص ـ لا إله إلا الله ـ أصبح بمجرد تلفظه إضافة إلى تصديقه مؤمنا كامل الإيمان ظاهرا وباطنا .

فإذا امتنع عن قولها فحكمه عندهم أنه كافر في الظاهر وقد يكون مؤمنا في باطنه كما يزعمون والسلف يحكمون بكفره ظاهر وباطنا إذا امتنع عن قولها مع القدرة ، مع أن مجرد التصديق قد لا يكون به الشخص مؤمنا فإن بعض اليهود كان مصدقا برسالة محمد ﷺ وأن ما جاء به من عند الله ولكنهم لم يدخلوا الإسلام إما حسدا وإما خوفا وإما استكبارا وبعضهم يزعم أنه رسول الله حقا ولكن إلى العرب بخصوصهم(٢) فلم ينفعهم هذا التصديق في الحكم لهم بالإيمان مع جمعهم بين الإقرار والتصديق كالموشكانية والعيسوية من يهود

(١) سورة آل عمران آية ٨١ .

(٢) انظر الملل والنحل للشهرستاني ١/٢١٧ .

أصفهان ـ كما قدمنا .

وإن الإنسان ليعجب حقا ممن تجاهل منزلة العمل من الإيمان وهو يقرأ كتاب الله وسنة نبيه ويسمع الأحاديث التى تجعل الإيمان والعمل قرينان لا يغنى أحدهما عن الآخر.

فقد قرن الله تعالى العمل بالإيمان في مواضع عديدة من كتابه الكريم وفي سنة الرسول ﷺ كذلك أحاديث كثيرة .

قال تعالى : ﴿ **وبشر الذين آمنوا وعملوا الصالحات أن لهم جنات تجرى تحتها الأنهار** ﴾[1].

وقال تعالى : ﴿ **والعصر إن الإنسان لفى خسر إلا الذين آمنوا وعملوا الصالحات وتواصوا بالحق وتواصوا بالصبر** ﴾[2]ومرة يذكر القرآن الكريم العمل ثم يذكر بعده الإيمان . ومما يدل على أنه لا فرق بين العمل والإيمان أو الإيمان والعمل فى إطلاق كل منها على الآخر أيضا قوله تعالى : ﴿ **ومن يعمل من الصالحات وهو مؤمن فلا يخاف ظلما ولا هضما**﴾[3] فمن فرق بين الإيمان والعمل بالجوارح فلا شك في مخالفته الصريحة للقرآن والسنة وأنه ينبغى عليه التوبة والرجوع إلى هدى القرآن الكريم ، وأن يترك تلك الفلسفات التى أنتجت هذه الخلافات العقيمة فى قضية الإيمان التي كانت في تمام الوضوح عند الصحابة ومن بعدهم حتى نبغت هذه الفئام من الناس ليشرحوا الإيمان بأغمض مما يتصور العقل كما هى عادة أولئك فإنهم يشرحون المسألة الواضحة حتى يجعلوها الغازا وطلاسم لا يعرف منها أحيانا إلا الحروف التى كتبت بها فتجد شروحات وكلاما كثيرا لا فائدة من ورائه وصدق ابن أبي العز في قوله عن كثرة كلام المتأخرين وقلة كلام المتقدمين قال : « كلما ابتدع شخص بدعة اتسعوا في

---

(١) سورة البقرة : ٢٥ .   (٢) سورة العصر : ١ - ٣ .

(٣) سورة طه : ١١٢ .

جوابها فلذلك صار كلام المتأخرين كثيرا قليل البركة بخلاف كلام المتقدمين فإنه قليل كثير البركة»[1] فهل يوجد أوضح من قول الرسول ﷺ في حقيقة الإيمان حين قال لجبريل في سؤاله عن الإيمان « أن تؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر وتؤمن بالقدر خيره وشره » .

وقوله ﷺ « **الإيمان بضع وسبعون شعبه أعلاها قول لا إله إلا الله وأدناها إماطة الأذى عن الطريق** » .

والأحاديث كثيرة في هذا المعنى الذى يوضح حقيقة الإيمان في أنه مركب من أعمال القلوب وأعمال الجوارح فمن زعم أنه مؤمن ومصدق بقلبه ولكن لا يؤمن بعمل تلك الأمور الظاهرة للإيمان فقد رد الحديث مهما ادعى من تعليلات كما أن مجرد الإقرار لا يكفى للدخول في الإسلام عند السلف فإذا أقر الشخص لكنه رفض العمل متعمدا فهو دليل على كذبه في إقراره فمن أقر بالإسلام ثم امتنع عن الصلاة والزكاة والحج والصيام وغير ذلك من شعائر الإسلام وأصر على الامتناع ، فإن المرجئة لا يتجاسرون على الحكم عليه بالكفر لجواز أن يكون قلبه مطمئن بالإيمان وفاتهم أن الذى يطمئن قلبه بالإيمان تكون شعائر الإسلام أحب إليه من كل فعل وإن قرة عينه تكون دائما فى القيام بتلك الأعمال والاستزادة منها متقربا بعملها إلى ربه . وهذا يدل على بعد فكر المرجئة عن الحق فلو أن شخصا صدق بما جاء به الرسول ﷺ لكنه أبى أن يعمل بجوارحه ما أمر به كالصلاة مثلا ، وأصر على إبائه حتى قدم لضرب عنقه وهو مصر على إبائه فإنهم يزعمون بأنه قد يكون مؤمنا في الباطن ونحن لاندرى حتى وإن كان ظاهره الكفر الصريح وهذا افتراض كاذب لا وجود له إلا في الذهن إذ لو كان مصدقا بقلبه لما فضل أن تضرب عنقه على الامتثال لأمر ربه وهو يعلم أن الأحكام في الدنيا إنما تجرى على حسب ما يظهر من أفعال الإنسان ثم رضى

---

(١) شرح العقيدة الطحاويه صـ ١٣ .

أن يموت كافرا في نظر المسلمين وراضيا بالأحكام التى سيعامله بها المسلمون بعد موته من عدم الصلاة عليه وعدم دفنه في مقابر المسلمين وأنه لا يورث إلى غير ذلك [1].

يقول شيخ الإسلام رحمه الله : « ومن هنا يظهر خطأ قول جهم بن صفوان ومن اتبعه حيث ظنوا أن الإيمان مجرد تصديق القلب وعلمه ولم يجعلوا أعمال القلب من الإيمان وظنوا أنه قد يكون الإنسان مؤمنا كامل الإيمان بقلبه وهو مع هذا يسب الله ورسوله ويعادى الله ورسوله ويعادى أولياء الله ويوالى أعداء الله ويقتل الأنبياء ويهدم المساجد ويهين المصاحف ويكرم الكفار غاية الكرامه ويهين المؤمنين غاية إلاهانة قالوا وهذه كلها معاصى لا تنافي الإيمان الذى في قلبه بل يفعل هذا وهو في الباطن عند الله مؤمن قالوا وإنما يثبت له في الدنيا أحكام الكفار لأن هذه الأقوال أمارة على الكفر ليحكم بالظاهر كما يحكم بالإقرار والشهود وإن كان في الباطن قد يكون بخلاف ما أقر به وبخلاف ما شهد به الشهود » [2].

*****

(١) انظر كتاب : الإيمان لشيخ الإسلام ابن تيمية ص ٢١٨ - ٢١٩ .

(٢) أنظر مجموع الفتاوى ١٨٨/٧ .

الفصل التاسع

منزلة مذهب المرجئة عند السلف

مذهب المرجئة المتأخرين منهم مذهب ردئ وخطير يهون المعصية ويدعو إلى الكسل والخمول، ولذا تجد السلف يحذرون منه كثيرا ويذمونه لما اشتمل عليه من فساد وإخماد لشعلة الإيمان في القلوب وتمييع لمنزلة العمل فى النفوس. وهذا المذهب ومذهب القدرية من المذاهب الرديئة التى حذر منها الرسول ﷺ.

حسب ماورد من رويات مرفوعة فى ذمهم والتنفير من معتقداتهم ومن تلك الروايات.

١ ـ صنفان من أمتى ليس لهما فى الإسلام نصيب المرجئة والقدرية [١].

٢ ـ صنفان من هذه الأمه لا تنالهما شفاعتى المرجئة والقدرية [٢].

٣ ـ ألا وإن الله لعن القدرية والمرجئة على لسان سبعين نبيا » [٣].

٤ ـ صنفان من أمتى لا يردان على الحوض ولا يدخلان الجنة القدرية والمرجئة[٤].

٥ ـ لكل أمة مجوس ولكل أمة نصارى ولكل أمة يهود وإن مجوس أمتى القدرية ونصاراهم الحشوية ويهودهم المرجئة [٥].

---

(١) رواه الطبراني في الأوسط وفيه قرير بن سهل وهو كذاب . أاظر مجمع الزوائد ٢٠٦/٧ .

(٢) رواه الطبراني في الأوسط وفيه محمد بن محصن وهو متروك انظر مجمع الزوائد ٢٠٦/٧ ..

(٣) رواه الطبراني في الأوسط وفيه بقية بن الوليد وهو لين قال الهيثمى مجمع الزوائد ٢٠٤/٧ ، قال ويزيد بن حصين لم أعرفه .

(٤) قال الهيثمي ، مجمع الزوائد ٢٠٧/٧ ، رواه الطبرانى في الأوسط ورجاله رجال الصحيح غير هارون بن موسى الغروى وهو ثقة .

(٥) رواه الطبراني في الأوسط وفيه يحيى بن سابق وهو ضعيف .

٦ - وفى رواية عن أنس بن مالك مرفوعة « القدرية والمرجئة مجوس هذه الأمة فإن مرضوا فلا تعودوهم وإن ماتوا فلا تشهدوهم » [١].

وهذه الأحاديث ظاهرة فى ذم المرجئة والقدرية ، وإن كان في صحـ ـه ـا خلاف ونزاع بين العلماء بالرغم من تعدد طرقها وبالرغم من كثرة احتجاج العلماء بها على القدرية والمرجئة .

وهناك من ضعفها لضعف أسانيدها وإن ذكرها فمن باب تنوع الردود على ذم القدرية والمرجئة ويتلخص من كلام العلماء أنها دائرة بين الصحة والضعف والحسن وفيها أن القول بالقدر والإرجاء لم تختص به هذه الأمة بل إنها نزعة شريرة في الأمم السابقه فالشيطان هو الذى يمليها لأ تباعه في كل أمة وفى كل عصر ومع دعوة كل نبي .

ومهما كان فإن علماء السلف قد أدوا ما عليهم من النصح بوقوفهم في وجه هذه الطائفة وتبيين ضلالها والخطر الذى يكمن فى دعوتهم ونصحوا للمسلمين بالابتعاد عن أقوالهم ومن ذلك :

قال الإمام أحمد رحمه الله حين قيل له من المرجىء ؟ قال المرجىء الذى يقول : الإيمان قول . وقيل له المرجئة من هم ؟ قال من زعم أن الإيمان قول «وسئل عن من يقول إنما الإيمان قول فأجاب هذا قول أهل الإرجاء قول محدث لم يكن عليه سلفنا ومن يقتدى به ، وقال أيضا لا يصلى خلف مرجىء .

وذكر سعيد بن جبير المرجئة فقال إنهم يهود أهل القبلة أو صابئة هذه الأمة ولعله لمشابهتهم اليهود حينما قالوا لن تمسنا النار إلا أياما معدوات أو قد يكون قال هذا عنهم لاتكالهم على غفران ذنوبهم دون النظر إلى أهمية العمل . وقال فضيل بن عياض « يقول أهل الإرجاء الإيمان قول بلا عمل ويقول الجهمية الإيمان

---

(٦) رواه الطبراني في الأوسط ورجاله رجال الصحيح غير هارون بن موسى الغروى وهو ثقة . مجمع الزوائد ٧/٢٠٥ .

المعرفة بلا قول ولا عمل . ويقول أهل السنة الإيمان المعرفة والقول والعمل .

فمن قال الإيمان قول وعمل فقد أخذ بالتوثقة ومن قال الإيمان قول بلا عمل فقد خاطر لأنه لايدرى أيقبل إقراره أو يرد عليه بذنوبه .

وقال منصور بن المعتمر في شيء لا أقول كما قالت المرجئة الضالة وقال شريك وذكر المرجئة فقال هم أخبث قوم وحسبك بالرافضة خبثا ولكن المرجئة يكذبون على الله .

وقال سفيان الثورى : تركت المرجئة الإسلام أرق من ثوب سابرى .

وقال إبراهيم النخعى - الإرجاء بدعة - وقال أيضا : لفتنتهم عندى أخوف على هذه الأمة من فتنة الازارقة » .

وقال الزهرى : ما ابتدعت في الإسلام بدعة هى أضر على أهله من الإرجاء وقال الأوزاعي : كان يحى بن أبى كثير وقتادة يقولان ليس شيء من الأهواء أخوف عندهم على الأمة من الإرجاء .

وسئل ميمون بن مهران عن كلام المرجئة فقال : أنا أكبر من ذلك .

وقال سعيد بن جبير لذر الهمدانى : ألا تستحى من رأى أنت أكبر منه .

وقال أيوب السختياني أنا أكبر من دين المرجئة [١].

ونكتفى بما تقدم ذكره عن هذه الطائفة التى ازداد شرها وانتشارها في عصرنا الحاضر لموافقة هذه الأفكار لما فى نفوس كثير من الناس الذين يريدون التفلت عن القيام بما شرع الله لعباده وألزمهم القيام به فوجدوا فى مذاهب المرجئة سندا قويا وعذرا واضحا في ذلك وهم يغالطون أنفسهم على معرفة تامة بأن منهجهم هذا لم يتحروا فيه النهج الذى بينه الله لعباده والسيرة التي كان عليها الرسول ﷺ وأصحابه .

---

(١) انظر لتلك النصوص مجموع الفتاوى ٣٩٤/٧ ، ٣٩٥ .

وما من ناصح لهم عن تفريطهم إلا وأجابوه بأن الإيمان في القلب لا في المظاهر التى هى أقرب إلى الرياء بزعمهم . وهى حجة شيطانية كاذبة إذ لو صحت لقلنا لكل من يعمل عملا صالحا أنت مرائي ، وبذلك أفسدوا قلوب كثير من عامة المسلمين الذين يتأثرون بمثل هذه الأفكار الخبيثة التى ينفرون بها الناس عن مجالس العلم وسماع طريق الخير من أهل الصلاح والتقوى ولذلك تجرأ هؤلاء وأكثرهم ممن لا يحسن فاتحة القرآن على ذم العلماء والمصلحين الذين يدعونهم إلى العمل الصالح وإلى الالتزام بمنهج الله وتطبيقه قولا وفعلا واعتقادا زاعمين أن إيمانهم يعدل إيمان هؤلاء الذين ايمانهم في هذه المظاهر كما يسمونها بل ويجزم بعضهم أنهم أقرب إلى الله من هؤلاء الكادحين في رضى ربهم وطلب مغفرته وعفوه .نكتفى بهذا الموجز عن الإرجاء ومن أراد التوسع فعليه بكتب الفرق والمقالات إذ لا يخلو كتاب من ذكر هذه الطائفة ويرجع كذلك إلى ما كتبه الأخ سفر الحوالى في كتابه ظاهرة الإرجاء في الفكر الإسلامى وما كتبه الأخ هادى طالبى في كتابه طوائف المرجئة وموقف أهل السنة منهم ، وقبل ذلك كله ما كتبه شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله عنهم كما تجد ذلك في الجزء السابع من مجموع الفتاوى وماكتبه أيضا في « كتابه « الإيمان »۔ وغير ذلك من كتب العلماء التي عنيت بدراسة هذه الطائفة.

*****

أهم المراجع لهذه الفرقة

١ ـ **مقالات الإسلاميين واختلاف المصلين** / لأبي الحسن الأشعرى .

٢ ـ **الملل والنحل** / للشهرستانى .

٣ ـ **الفرق بين الفرق** / للبغدادى .

٤ ـ **الفصل فى الملل والأهواء والنحل**/ لابن حزم .

٥ ـ **مواضيع متفرقة من كلام شيخ الإسلام في مجموع الفتاوى** فى الجزء (٧) منها . وفى كتابه « الإيمان » .

٦ ـ **ظاهرة الإرجاء فى الفكر الإسلامى** / د / سفر الحوالي .

٧ ـ **طوائف المرجئة وموقف أهل السنة منهم** / د / هادى طالبي

٨ ـ **شرح العقيدة الطحاوية** / لابن أبي العز .

*****

الباب الحادي عشر

الجهمية

هل توجد آراء الجهمية في وقتنا الحاضر ؟

تمهيد :

لقد كان لهذه الطائفة التى قامت على مبدأ التعطيل والجبر صولة وجولة فى تاريخ الأمة الإسلامية . ولقد تمكنوا وعلا شأنهم وقتا من الزمن .

واهتم علماء الفرق وأصحاب التاريخ والعقائد بأخبارهم وبيان عقائدهم وذكر أشهر رجالاتهم .

وآراء هذه الطائفة لا تزال فى بعض المجتمعات ولايزال الخصام بينهم وبين أهل الحق قائما على أشده كما كان سابقا فى الزمن القديم حتى وإن إختلفت في بعض الأحيان المسميات خصوصا بعد ظهور العصريين الجدد بمفاهيمهم الباطلة، الذين لم يقفوا عند حد في إثارة كل مايمتٌ إلى هواهم ولو بأدنى صلة، فهم جادون في إحياء تلك المفاهيم الجهمية الباطلة باسم التجديد حينا والتطوير أحيانا أخرى .

وإذا كان المثال للانفلات من الالتزام بالعقيدة الصحيحة والسير لهدمها تحت شعارات براقة في دعوى التجديد والتطوير وأحيانا فى صورة تمجيد للعقل والعلم أو التراث مما أهتم به كثير من الكتاب والكاتبات قديما وحديثا فإنه يتوجب على كل طالب علم أن يحذر هؤلاء ويحذر منهم وأن لا يركن إلى كتاباتهم بل ولا ينبغى الاهتمام بقراءة كتبهم قبل أن يطلع على ماعندهم من الباطل فإن تلك الكتب مملوءة بالدس والانحراف تحت زخرف من القول.

الفصل الأول

التعريف بالجهمية وبمؤسسها

الجهمية احدى الفرق الكلامية التى تنتسب إلى الإسلام وهى ذات مفاهيم وآراء عقدية كانت لها آراء خاطئة في مفهوم الإيمان وفى صفات الله تعالى وأسمائه .

وترجع فى نسبتها إلى مؤسسها الجهم بن صفوان الترمذى الذى كان له ولأتباعه فى فترة من الفترات شأن وقوة فى الدولة الإسلامية حينا من الدهر وقد عتوا واستكبروا واضطهدوا المخالفين لهم حينما تمكنوا منهم ثم أدال الله عليهم فلقوا نفس المصير الذى حل بغيرهم على أيديهم سنة الله في خلقه ولن تجد لسنته تبديلا .

لقد كان هؤلاء الجهمية العقبة الكؤد في طريق العقيدة السلفية النقية وانتشارها حيث صرفوا علماء السلف عن نشرها بما وضعوا أمامهم من عراقيل شغلتهم وأخذت الحيز الأكبر من أوقاتهم فى رد شبهات الجهمية ومجادلاتهم لهم وخصامهم معهم وكانت العاقبة الحسنة ـ ولا تزال لأهل السنة والجماعة ولله الحمد .

من هو الجهم بن صفوان :

هذا الرجل هو حامل لواء الجهمية واسمه الجهم بن صفوان وهو من أهل خراسان ظهر فى المائة الثانية من الهجرة سنة ٢ هـ ويكنى بأبى محرز وهو من الجبرية الخالصة وأول من ابتدع القول بخلق القرآن وتعطيل الله عن صفاته .

وكان مولى لبنى راسب إحدى قبائل الأزد .

وكان من أخلص أصدقاء الحارث بن سريج إلى أن قتلا سنة ١٢٨ هـ وقيل أن الجهم قتل سنة ١٣٠ وقيل سنة ١٣٢ هـ .

وتاريخه طويل وكتبت فيه مؤلفات عديدة ورسائل جامعية .

كان الجهم كثير الجدال والخصومات والمناظرات إلا أنه لم يكن له بصر بعلم الحديث ولم يكن من المهتمين به إذ شغله علم الكلام عن ذلك وقد نبذ علماء السلف أفكار جهم وشنعوا عليه ومقتوه أشد مقت مع ما كان يتظاهر به من إقامة الحق قال عنه الأشعرى بعد أن ذكر جملة من أرائه الاعتقادية التى تفرد بها قال : « وكان جهم ينتحل الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر »[1] .

إلاّ أن الشيخ جمال الدين القاسمى ذهب إلى أن جهما كان من أحرص الناس على أقامة كتاب الله وسنة نبيه ﷺ والأمر بالمعروف والنهى عن المنكر . وأن قتله إنما كان لأمر سياسي وذلك لخروجه فى وجه بني أمية ولم يكن قتله لأمر دينى يوجب ذلك فيما يرى القاسمي [2].

وأما الإمام أحمد بن حنبل فقد قال عنه :

« وكذلك الجهم وشيعته دعوا الناس إلى المتشابه من القرآن والحديث فضلوا وأضلوا بكلامهم بشرا كثيرا ، فكان مما بلغنا من أمر الجهم عدو الله أنه كان من أهل خراسان من أهل ترمذ وكان صاحب خصومات وكلام » [3].

*****

---

(١) مقالات الإسلاميين : ص ٢٣٨ جـ ١ .

(٢) اقرأ كتابه تاريخ الجهمية والمعتزلة : ص ١٤ ـ ١٨ .

(٣) الرد على الزنادقة والجهمية : ص ٢٣ .

الفصل الثانى

نشأة الجهمية

نشأة الجهمية :

قامت أفكار الجهم بن صفوان على البدع الكلامية والآراء المخالفة لحقيقة العقيدة السلمية متأثرا بشتى الاتجاهات الفكرية الباطلة .

وكانت نقطة الانتشار لهذه الطائفة بلدة ترمذ التى ينتسب إليها الجهم ومنها انتشرت فى بقية خراسان ثم تطورت فيما بعد وانتشرت بين العامة والخاصة ووجد لها رجال يدافعون عنها وظهرت لها مؤلفات وتغلغلت إلى عقول كثير من الناس على مختلف الطبقات . وقد ذكر شيخ الإسلام درجات الجهمية ومدى تأثر الناس بهم وقسمهم إلى ثلاث درجات :

١ ـ **الدرجة الأولى** : وهم الجهمية الغالية النافون لأسماء الله وصفاته .

وأن سموه بشيء من الأسماء الحسنى قالوا هو مجاز .

٢ ـ **الدرجة الثانية:** من الجهمية وهم المعتزلة ونحوهم الذين يقرون بأسماء الله الحسنى في الجملة لكن ينفون صفاته .

٣ ـ **الدرجة الثالثة** : وهم قسم من الصفاتية المثبتون المخالفون للجهمية ولكن فيهم نوع من التجهم وهم الذين يقرون بأسماء الله وصفاته فى الجملة ولكنهم يردون طائفة من الأسماء والصفات الخبرية وغير الخبرية ويؤولونها.

ومنهم من يقر بصفاته الخبرية الواردة في القرآن دون الحديث كما عليه كثير من أهل الكلام والفقه وطائفة من أهل الحديث منهم من يقر بالصفات الواردة فى الأخبار أيضا فى الجملة، لكن مع نفى وتعطيل لبعض ماثبت بالنصوص وبالمعقول وذلك كأبى محمد بن كلاب ومن اتبعه .

وفى هذا القسم يدخل أبو الحسن الأشعرى وطوائف من أهل الفقة و الكلام والحديث والتصوف وهؤلاء إلى السنة المحظة أقرب منهم إلى الجهمية والرافضة والخوارج والقدرية لكن انتسب إليهم طائفة هم إلى الجهمية أقرب منهم إلى أهل السنة المحظة » [1].

*****

(١) انظر التسعينية لشيخ الإسلام ابن تيمية .

الفصل الثالث

بيان مصدر مقالة الجهمية

يذكر شيخ الإسلام أصل مقالة التعطيل وأنها ترجع في نهايتها إلى اليهود والصابئين والمشركين والفلاسفة الضالين يذكر ذلك في قوله : « ثم أصل هذه المقالة - التعطيل للصفات - إنما هو مأخوذ من تلامذة اليهود والمشركين وضلال الصابئين ، فإن أول من حفظ عنه أنه قال هذه المقالة فى الإسلام - أعنى أن الله سبحانه وتعالى ليس على العرش حقيقة وإنما استوى بمعنى استولى ونحو ذلك - أول ما ظهرت هذه المقالة من جعد بن درهم ، وأخذها عنه الجهم بن صفوان وأظهرها فنسبت مقالة الجهمية إليه وقد قيل أن الجعد أخذ مقالته عن أبان بن سمعان وأخذها أبان من طالوت بن أخت لبيد بن الأعصم وأخذها طالوت من لبيد بن الأعصم اليهودى الساحر الذى سحر النبى ﷺ »[1].

ولهذا كان التجسيم والتشبيه هو أظهر سمات الديانة اليهودية المحرفة التى ملئت بها التوراة من وصف الله تعالى بصفات البشر من الندم والحزن وعدم العلم بالمغيبات وغير ذلك من المعتقدات الباطلة .

*****

(١) الفتوى الحموية الكبرى : ص ٢٤ .

الفصل الرابع

ذكر أهم عقائد الجهمية إجمالا

للجهمية آراء وعقائد كثيرة تحتاج في دراستها إلى غير هذه العجالة .

ومن أهم تلك الآراء للجهم مانوجزه فيما يلى :

١ ـ مذهبهم في التوحيد هو إنكار جميع الأسماء والصفات لله عز وجل ويجعلون أسماء الله من باب المجاز .

٢ ـ القول بالجبر والإرجاء .

٣ ـ إنكار كثير من أمور اليوم الآخر مثل :

١ ـ الصراط .

٢ ـ الميزان .

٣ ـ رؤية الله تعالى .

٤ ـ عذاب القبر .

٥ ـ القول بفناء الجنة والنار .

٤ ـ ومنها نفي أن يكون الله متكلما بكلام يليق بجلاله وإثبات أن القرآن مخلوق .

٥ ـ وأن الإيمان هو المعرفة بالله .

٦ ـ ونفي أن يكون الله تعالى في جهة العلو .

٧ ـ وأثبت أن الله قريب بذاته وأن الله مع كل وأحد بذاته عز وجل وهذا هو المذهب الذي بنى عليه أهل الاتحاد والحلول أفكارهم .

وقد ذكر أبو الحسن الأشعرى آراء جهم التى تفردبها فقال :

«الذى تفرد بـه جهم القول بأن الجنة والـنار تبيدان وتفنـيان ، وأن الإيمان هو المعرفة بالله فقط والكفر هو الجهل بالله فـقط وأنه لا فعل لأحد في الحقيقة إلا لله وحده وإنه هو الفـاعل وأن الناس إنما تنسب إليـهم أفعالهم على المجـاز كمـا يقال تحركت الشـجرة ودار الفلك وزالت الشمس وإنما فعل ذلك بالشـجرة والفلك والشمس الله سبحانه ، إلا أنه خلق للإنسـان قوة كان بهـا الفعل وخلق له إرادة للفـعل واختـيارا له منفـردا بذلك كمـا خلق له طولا كان به طويلا ولونا كـان به مـتلونا ... ويحكى عنه أنه كـان يقول لا أقـول أن الله سـبحـانه شيء لأن ذلك تشبيـه له بالأشياء [1] وكان يقـول أن علم الله سبحانـه محدث فيـما يحكى عنه ويقول بخلق القرآن وأنه لا يقال : إن الله لم يزل عالما بالأشياء قبل أن تكون»[2]. إلى غير ذلك من آراء الجهمية الكثيرة .

وقد استفاض النقل عن العلماء في ردودهم على آراء جهم وأتباعه وفندوها وبينوا مـصادرها وعلى حـسب ماقيل قديما « مـالايدرك كله لا يترك كله » فـإنه تمكن الأقتصار على . إيضاح أهم الجوانب الاعتقادية لهذه الطائفة وأبرز سماتها فيما يلي : -

١ - إنكار جميع الأسماء والصفات .

٢ - القول بالجبر والإرجاء .

٣ - إنكار الصراط .

٤ - إنكار الميزان .

٥ - القول بفناء الجنة والنار .

---

(١) وقد رد عليـهم الإمام أحـمد في الرد على الزنادقـة : ص ٢٥ وقلنا هو شيء فقـالوا هو شيء لا كالأشياء فقلنا أن الشيء الذى لا كالأشـياء قد عرف أهل العقل أنه لاشيء فعند ذلك تبين للناس أنهم لا يؤمنون بشيء ولكن يدفعون عن أنفسهم الشنعة بما يقرون فى العلانية .

(٢) المقالات : حـ ١ ص ٢٣٨ .

١ - إنكار الجهمية لجميع الأسماء والصفات

تنكر الجهمية جميع الأسماء التى سمى الله بها نفسه وجميع الصفات التى وصف بها نفسه بحجج واهية وتأويلات باطلة وقد عرفنا فيما سبق مصدر هذه الأفكار التى يعتنقها الجهمية القدماء والجدد .

وهذه المسألة كتب عنها العلماء كتابات مستفيضة ومؤلفات عديدة دحضوا فيها كل ماتعلق به الجهمية في نفي الأسماء والصفات وقلما يخلو كتاب من كتب شيخ الإسلام وتلميذه ابن القيم وسائر علماء الفرق من رد وخصام وجدال مع هؤلاء.

شبهات الجهمية فى نفى الصفات

لقد أقدم الجهمية على نفي الأسماء والصفات بمزاعم من أهمها :

١ - أن إثبات الصفات يقتضي أن يكون الله جسما لأن الصفات لا تقوم إلا بالأجسام لأنها أعراض والأعراض لا تقوم بنفسها .

٢ - إرادة تنزيه الله تعالى .

٣ - أن وصف الله تعالى بتلك الصفات التى ذكرت في كتابه الكريم أو فى سنة نبيه العظيم يقتضى مشابهة الله بخلقه فينبغى نفي كل صفة نسبت إلى الله تعالى وتوجد كذلك فى المخلوقات لئلا يؤدي إلى تشبيه الله بزعمهم بمخلوقاته التي تحمل اسم تلك الصفات .

الرد عليهم

مما يدركه طلاب العلم أن الله عز وجل وصف نفسه فى كتابه الكريم ووصفه به نبيه ﷺ بصفات تعرف معانيها ولا تدرك كيفياتها وهى معروفة فى القرآن والحديث .

وقد وقف السلف من الصحابة الكرام إلى وقتنا الحاضر إزاء هذه الصفات موقفا واضحا جليا لا لبس فيه يتلخص في كلمات يسيرة ومعانى واضحة ألا وهوالإيمان التام بكل ما وصف الله به نفسه ووصفه به نبيه ﷺ كما جاءت به النصوص من غير تحريف ولا تعطيل ولا تمثيل ولا تكييف يقولون عن كل صفة الصفة معلومة والكيف مجهول والسؤال عنها بدعة ولم يتنطعوا تنطع المشبهه ولم يسلكوا مسالك المعطلة . لأنهم على معرفة تامة أن الكلام فى الصفات فرع عن الكلام فى الذات فلا يصفون ذاتا غير مدركة الماهية بصفات تكيفها لأن هذا هو القول على الله بغير علم إذ كيف تكيف ذاتا لم تدركها ولم توصف لك أكثر من صفات مجملة قابلة للاشتراك فى الأسماء متباينة الحقائق ومن هنا نجد أنه لم يعرف عن أي شخص من الصحابة أنه سأل النبى ﷺ عن كيفية أى صفة من الصفات التى أخبر الله بها فى القرآن الكريم أو أخبرهم بها نبيهم ﷺ وهذه دلالة على قوة ذكائهم وصفاء عقولهم لأنهم يعرفون بداهة أن الاشتراك فى التسمية لا يوجب الاشتراك والمماثلة في الذات إذ يقال رأس الرجل ورأس الجمل ورأس الذرة ورأس الجبل وبين ذوات هذه الأشياء من الفروق مالا يخفى على عاقل .

وكذلك بقية الصفات ولهذا فإن عقلاء الناس حينما آمنوا بصفات الله عز وجل لم يتصوروا فيها أى تشبيه بل كانوا يعتبرون مجرد التفكير فى المشابهة من وساوس الشيطان فيذكرون الله تعالى .

كما أن إيمانهم بالصفات كان يجرى كله على هذا المفهوم فما كانوا يفرقون بين أن تكون الصفة ذاتية أو فعلية ولم يحصل بينهم أى نزاع أو جدال فى مسائل الأسماء والصفات كما حصل عند من اتبع هواه ممن عطل أولا ثم شبه ثانيا ثم زعم أنه ينزه الله تعالى .

ومن العجائب أن يثبت الله لنفسه الصفة وهم ينفونها عنه ومثلهم فى هذا

كمثل شخص سأل آخر عن اسمه وهو لا يعرفه فأخبره فقال له لا إن اسمك ليس هذا ذلك أن الله تعالى قال : ﴿ **الرحمن على العرش استوى** ﴾ وهم يقولون لا يجوز إثبات هذه الصفة بل يجب نفيها مطلقا أو تأويلها بمعنى استولى أو قصد أو غير ذلك من تأويلاتهم الباطلة وحينما قال تعالى عن نفسه ﴿**وهو السميع البصير**﴾ قالوا يجب نفى مدلول هذا نفيا تاما أو تأويله إما أن يكون بمعنى سميع بلا سمع بصير بلا بصر أو أنه سميع بذاته بصير بذاته إلى آخر مواقفهم الخاطئة تجاه كل الصفات والأسماء .

لقد عارض الجهمية ومن سار على طريقتهم كتاب الله وسنة نبيه وقدموا آراءهم وماتراه عقولهم على نصوص الكتاب والسنة فلم يقفوا عند حدود فهم العقل ومدى قدرته بل تجاوزوا ذلك وظنوا أنهم على شيء وزخرفوا القول في ذلك وتحذلقوا وتنطعوا فخرجوا من نور العلم إلى ظلمات الجهل ومن اليقين إلى الشكوك عقابا من الله لهم لعدم تلقى النصوص ومدلولاتها بالطمأنينة والتسليم وترك التكلف فى البحث عن أمور هى من المغيبات ولم يخبرنا الله بتفاصيلها ولا رسوله ﷺ فقد أراد الله أن تكون كيفياتها سرا مكتوما عن العباد وهم يريدون الاطلاع عليها بغير علم ولا هدى ولا كتاب منير .

إن تنزيه الله عز وجل لا يمكن أن يكون بسلب صفاته وما تدل عليه من العظمة والكمال إنه من الإجرام أن ينزه الله عن ماتمدح به﴿ **قل أأنتم أعلم أم الله**﴾[1].

إن التنزيه الصحيح إنما يكون فى إثبات الصفة فى أعلى كمالها لأن الكمال المطلق لا يوصف به أحد غير الله تعالى .

وأي تنزيه فى أن تقول أن الله ليس فوق ولا تحت ولا عن يمين ولا عن يسار ولا يحِسّ ولا يشم ولا يرى أبدا ولا يكلم أحدا وأنه في كل مكان بذاته وأنه لا

---

(١) سورة البقرة : ١٤٠ .

سمع ولا بصر له ولا يوصف بالرحمة ولا بالغضب ولا بالمجئ إلى آخر تلك الأوصاف التى لاتقال إلا للمعدوم .

إنها صفات سلبية نتيجتها أن لا معبود إلا العدم فليس هناك رب بائن من خلقه مستو على عرشه له كل صفات الكمال والجلال .

ومن هنا وجد الملاحدة ضالتهم المنشودة فى تقوية إلحادهم واحتجاجهم على ذلك بما زعموا أنه من كلام المسلمين السابق وهم يعلمون تمام العلم أن كلام الجهمية السابق ليس له بالإسلام أية صلة وأنه ليس من كلام المسلمين وإنما هو من أفكار ملاحدة الفلاسفة.

إن الجسمية التى يزعمونها حينما يثبتون الصفات لله تعالى إنما هو من باب تغطية الحادهم ومروقهم عن الدين وهم أقل وأذل من أن يجدوا كلاما ما لعلماء المسلمين فضلا عن الصحابة فضلا عن الكتاب والسنة يشير إلى هذا المفهوم الذى تنبهوا له بزعمهم ونفوا بموجبه صفات الله وأسمائه .

إن كلمة الجسمية لله تعالى نفيا أو إثباتا هى من الألفاظ المخترعة التي لم ترد فى الشرع لا فى الكتاب ولا فى السنة وهى تخفي وراءها هدفا ما ولو وقف هؤلاء الذين يطلقون لفظ الجسم عند الحدود الشرعية لرؤوا أنه يجب عليهم لزاما أن لا يطلقوا على الله إلا ماثبت له من الأسماء والصفات وترك ذلك التنطع المذموم .

لأن لفظ الجسم لفظ عام يحتاج إلى بيان وتوضيح ممن يقول به لأنه لم يرد فى الشرع لا بالنفى ولا بالإثبات ولهذا كان في إطلاقه حق وباطل ويجب على القائل به تفصيل ما يريد فهناك من ينفى لفظ الجسم من الجهمية والمعتزلة ليخفى ما يهدف إليه من نفى ما أثبته الله لنفسه من الأسماء والصفات وهناك من يثبت الجسم من المشبهة ليخفى ما يهدف إليه من إثبات مانفاه الله عن نفسه وقد أجاب العلامة بن القيم رحمه الله عن هذه المسألة وفصلها تفصيلا شافيا كافيا فقال :

« واعلم أن لفظ الجسم لم ينطق به الوحي إثباتا فيكون له الإثبات ولا نفيا فيكون له النفي . فمن أطلقه نفيا أو أثباتا سئل عما أراد به فإن قال أردت بالجسم معناه في لغة العرب وهو البدن الكثيف الذي لا يسمى في اللغة جسم سواه فلا يقال للهوى جسم لغة ولا للنار ولا للماء .

فهذه اللغة وكتبها بين أظهرنا ، فهذا المعنى منفي عن الله عقلا وسمعا .

وإن أردتم به المركب من المادة والصورة والمركب من الجواهر الفردة فهذا منفي عن الله قطعا . والصواب نفيه عن الممكنات أيضا ، فليس الجسم المخلوق مركبا من هذا ولا من هذا وإن أردتم بالجسم ما يوصف بالصفات ويرى بالأبصار ويتكلم ويكلم ويسمع ويبصر ويرضى ويغضب فهذه المعاني ثابتة لله تعالى وهو موصوف بها فلا ننفيها عنه بتسميتكم للموصوف بها جسما كما أنا لا نسب الصحابة لأجل تسمية الروافض لمن يحبهم ويواليهم نواصبا ولا ننفي قدر الرب ونكذب به لأجل تسمية القدرية لمن أثبته جبريا ولا نرد ما أخبر به الصادق عن الله وأسمائه وصفاته وأفعاله لتسمية أعداء الحديث لنا حشوية ولا نجحد صفات خالقنا وعلوه على خلقه واستوائه على عرشه لتسمية الفرعونية المعطلة لمن أثبت ذلك مجسما مشبها » إلى أن قال : « وأن أردتم بالجسم ما يشار إليه إشارة حسية فقد أشار أعرف الخلق به بإصبعه رافعا بها إلى السماء بمشهد الجمع الأعظم مشهدا له لا للقبلة ، وإن أردتم بالجسم ما يقال أين هو ؟ فقد سأل أعلم الخلق به بأين منبها على علوه على عرشه وسمع السؤال بأين وأجاب عنه ولم يقل هذا السؤال إنما يكون عن الجسم . وإن أردتم بالجسم ما يلحقه (من وإلى) [1]. فقد نزل جبريل من عنده وعرج برسوله إليه وإليه يصعد الكلم الطيب وعبده المسيح رفع إليه وإن أردتم بالجسم ما يتميز منه أمر غير أمر فهو سبحانه موصوف بصفات الكمال جميعها من السمع والبصر والعلم والقدرة والحياة وهذه صفات متميزة

---

(١) هكذا النص في الأصل .

متغايرة ... إلى أن قال وإن أردتم بالجسم ما له وجه ويدان وسمع وبصر فنحن نؤمن بوجه ربنا الأعلى وبيديه وبسمعه وبصره وغير ذلك من صفاته التى أطلقها على نفسه .

وإن أردتم بالجسم مايكون فوق غيره ومستويا على غيره فهو سبحانه فوق عباده مستو على عرشه » [1].

فينبغي للعاقل أن يتفطن لكلام أهل الزيغ ونبزهم لعلماء السنة تنفيرا للعامة عنهم كما أنه يجب على المؤمن أن لا ينساق وراء مغالطات أصحاب البدع فهم من دأبهم قلب الحقائق والتلبيس على الناس لتقوية ما اقتنعوا به من أفكار الملاحدة وفلاسفة اليونان .

٢ ـ قول الجهمية بالإرجاء والجبر

لقد كان الجهم بن صفوان مؤسسا حقيقيا لكثير من الشبهات في الدين ومؤججا لكثير من الفتن بين المسلمين بفعل من جاء بعده ممن راقت في نظره آراء جهم ، ويظهر الإرجاء عند الجهمية في تلك الآراء التى نادى بها الجهم ومن أهمها عدم اعتبار العمل من الإيمان فإن الإيمان وحقيقته فى نظرهم إنما هو مجرد الإقرار بالقلب ولا قيمة للعمل فى الإيمان ولهذا سارع أصحاب الفسق والاستهتار بالقيم إلى التمسك بهذا المذهب لأنه يساير رغباتهم ويثبت لهم الإيمان بغض النظرعن جميع المعاصى التى يرتكبونها فهم مؤمنون كاملوا الإيمان بالمفهوم الجبرى والإرجائى فهم لا يمكن أن يطلقوا الكفر على أحد بسبب ترك الأعمال التى أمر الله بها بل لا يتجاسرون على إطلاق الكفر إلا إذا لم يقر بقلبه حسب زعمهم .

قال ابن أبى العز رحمه الله :

---

(١) انظر مختصر الصواعق المرسلة ـ على الجهمية والمعطلة ص ١٧٥ / ١٧٧ اختصار الموصلي .

« والجبرية أصل قولهـم من جهم بن صفوان كما تقدم وأن فعل العبد بمنزلة طوله ولونه وهم عكس القـدرية نفـاة القدر ، فـإن القدرية إنما نسبوا إلى القـدر لنفيـهم إياه كما سـميت المرجئة لـنفيهم الإرجاء وأنه لا أحـد مرجأ لأمـر الله إما يعـذبهم وإما يتـوب عليهـم ، وقـد تسمـى الجبـرية قدرية « لأنهم غلوا في إثبـات القـدر وكمـا يسمى الذيـن لا يجزمـون بشئ من الوعـد والوعيـد بل يغلون فى إرجاء كل أمر حتى الأنواع فلا يجزمون بثواب من تاب كما لا يجزمون بعقوبة من لم يتب وكما لا يجزم لمعين » [1].

وقد قام أسـاس إرجاء الجهمية على مـوقفهم من حقيقـة الإيمان وفى مبحث المرجئة دراسة حول المرجئة وموقفهم من الإيمان وأنه المعرفة فقط وأنه كذلك لا يزيد ولا ينقص .

ومن العـمل وأنه لا صلة لـه بالإيمان ومن مـرتكب الكبـيـرة وأن الذنوب لا تعلق لها بالاعقاد وإنما هى تابعة للأعمال وبالتالى فلا أثر لها على الإيمان الذى فى القلب فـهـونوا المعـاصى وشـجـعوا علـى الركـون إلى الكسل والخـمـول في العبادات.

ومع ذلك فـهم يـزعـمـون أن إيمان أى واحـد منهم هو مـثـل إيمان جـبـريل ومحـمد عليهمـا الصلاة والسلام لاتفـاقهم فى المعرفـة بالله التى بنى الجهـميون عقـيدتهم فى الإيمان عليـها وهم أجـهل الناس بمعرفـته عـز وجل إذ نفوا أسـماءه الحسنى وصفاته العلا إضافة إلى ما أحدثوه من الآراء والبدع الفاسدة .

وأما الجبر ـ بفتح الجيم وسكون الباء ـ فمـعناه إسناد ما يفـعله الشخص من أعمـال إلى الله عز وجل وأن العبـد لا قدرة له البتـة على الفعل وإنما هو مجـبور على فعلـه وحركتـه فى الفعل بمثابـة حركة النبـاتات والجمادات ومـن هنا فإنه لا يضر مع الإيمان ذنب كمـا لا تنفع مع الكفر طاعة لأن العبد مجـبور على فعله لا

(١) شرح الطحاوية : ص ٥٩٢ .

حول له ولا قوة .

قال الإمام ابن القيم عنهم :

والعبد عندهم فليس بفاعل	بل فعله كتحرك الرجفان
وهبوب ريح أو تحرك نائم	وتحرك الأشجار للميلان
والله يصليه على ماليس من	أفعاله حر الحميم الآن
لكن يعاقبه على أفعاله	فيه تعالى الله ذو الإحسان
والظلم عندهم المحال لذاته	أنى ينزه عنه ذو السلطان
ويكون مدحا ذلك التنزيه ما	هذا بمقبول لدى الأذهان

والمقصود بهذا بيان مذهب الجهم الذى قرر فيه أن العبد مسلوب الإرادة والاختيار لأفعاله مثله مثل حركة المرتعد وهبوب الرياح وحركة النائم وحركة الأشجار وتمايلها بفعل الرياح ثم زعموا مالا يعقله أحد إلا هم ومن قال بقولهم وهو أن الله عز وجل مع أنه هو الذى جبر الإنسان على فعله ورغما عنه ومع ذلك فإن الله يعذبه بنار جهنم مع أن الفعل هو نفسه فعل الله فيه .

وقالوا بأن هذا ليس بظلم لأن الإنسان ملك لله لأن الظلم في مفهومهم هو المحال لذاته الغير متصور وقوعه وهذا تكذيب لقول الله: ﴿ **ثم توفى كل نفس ما كسبت وهم لا يظلمون**﴾ [1] وقوله تعالى : ﴿ **ومن جاء بالسيئة فلا يجزى إلا مثلها وهم لا يظلمون**﴾[2] إلى غير ذلك من الآيات الكثيرة في هذا المعنى الذى يفيد أن الله تعالى حرم الظلم على نفسه وقد تمدح بذلك لبيان كمال عدله فأين هذا المفهوم من مفهوم الجهمية حينما يقررون أن الإنسان مجبور على فعله لا لوم عليه فيما يأتيه من الأفعال القبيحة والمنكرات لأن

---

(١) البقرة : ٢٨١ .
(٢) الأنعام : ١٦٠ .

موجدها إنما هو الله تعالى ثم كلفه بامتثال أمره ونهيه فكيف يتصور هذا ؟ يكلفه الله بالامتثال ثم يوجد فيه قوة العصيان هذا تناقض وتكليف بما لا يطاق وقد أخبر الله تعالى بأن الحق هو عكس هذا المفهوم فقال عز وجل : ﴿ **لا يكلف الله نفسا إلا وسعها** ﴾ وخلق الفعل من العبد ابتداءاً وانتهاءً لا يتفق مع مضمون هذه الآية وغيرها من الآيات والأحاديث ، ويصح على مفهوم هؤلاء الجهمية أن لا يقال للزانى أنه زان ولا للسارق أنه سارق ولا للمصلي أنه مصل إلخ .

لأن هذه الأفعال هى أفعال الله فيهم وإنما هم منفذين لها لقد أعظموا على الله الفرية وقفوا ماليس لهم بحق .

٣ ـ إنكار الجهمية الصراط

الصراط من الأمور الغيبية التى أعدها الله فى يوم القيامة وقد ثبت فى الشرع بأحاديث صحيحة إضافة إلى قول الله عز وجل : ﴿ **وإن منكم إلا واردها كان على ربك حتما مقضيا** ﴾ (١).

وفى الصراط تفاصيل طويلة وأخبار كثيرة وقد حاولت حصر أكثر ماتيسر من أخباره فى « الحياة الآخرة ما بين البعث إلى دخول الجنة أو النار » (٢).

ونكتفى بإيجاز ما يهمنا ذكره هنا من إخبار هذا الأمر .

الصراط المراد به : ماثبت فى السنة النبوية أنه جسر ممدود على متن جهنم أدق من الشعرة وأحد من السيف يعبره الخلائق بقدر أعمالهم إلى الجنة فمنهم من يجتازه ومنهم من يقع فيه .

وقد ورد فى القرآن الكريم لفظة الصراط في تسعة وأربعين موضعا على معان مختلفة لكنها متقاربة فى المعنى مرادا بها الطريق أو طريق الهداية والرشاد

---

(١) مريم : /٧ .

(٢) قدمتها لمرحلة الدكتوراه . انظر الباب العاشر منها من ص ١٠٦٩ إلى ص ١١٨١ .

هذا فى اللغة ولكن السلف ماكانوا يغفلون حقيقته الشرعية من أنه جسر ممدود على متن جهنم ولم يأت التصريح بذكره فى القرآن الكريم .

غير أن هناك آيات بعض العلماء جعلها صريحة فى ذكر الصراط وبعضهم يجعلها إشارة إليه ومن ذلك :

قول الله تعالى : ﴿ **فاهدوهم إلى صراط الجحيم** ﴾ (١)، وهذه الآية ليس فيها التصريح التام يذكر الصراط فى اصطلاح الشرع إلا إن يقال إن طريق الجحيم هو أخذهم إلى الصراط ومنه إلى النار .

ومنه قوله تعالى :﴿ **فلا اقتحم العقبة** ﴾ (٢)، ورد في تفسير العقبة أقوال كثيرة منها أن العقبة هنا هى الصرا ط .

وكذا قوله تعالى : ﴿ **وإن منكم إلا واردها** ﴾ الآية أى بالمرور على الصراط.

أما فى السنة النبوية فقد ورد ذكره ووصفه وكيفية المرور عليه في عدة أحاديث فى الصحاح والسنن والمسانيد منها قوله ﷺ ويضرب جسر جهنم قال رسول الله ﷺ فأكون أول من يجيز ، ودعاء الرسل يومئذ اللهم سلم سلم وبه كلا ليب مثل شوك السعدان أما رأيتم السعدان قالوا بلى يارسول الله قال فإنها مثل شوك السعدان غير أنه لا يعلم قدر عظمها إلا الله فتخطف الناس بأعمالهم منهم الموبق ومنهم المخردل ثم ينجو » (٣) إلى آخر الحديث.

وللصراط أوصاف كثيرة فهوأحد من السيف وأدق من الشعرة عليه كلاليب تخطف الناس بأعمالهم ولا ينجو عليه إلا من كتبت له السعادة ولا صحة لأ قوال المتأولين له فإنها فى مقابلة النصوص وفى مرورهم عليه يعطون أنوارا كل شخص نوره على قدر عمله .

---

(١) الصافات : ٣٣ .　　(٢) البلد : ١١ .

(٣) أخرجه البخارى جـ ١١ صـ ٤٤٥ « الفتح وقد بوب البخارى بقوله » باب الصراط

ثم يقال لهم امضوا على قدر نوركم فمنهم من يمر كانقضاض الكوكب ومنهم من يمر كالريح ومنهم من يمر كالطرف ومنهم من يمر كشد الرجل يرمل رملا وقد نصبه الله لحكمة فلو شاء لاجتاز الخلق بغير نصبه وقد تلمس بعض العلماء حكما كثيرة لذلك إلا أنه ينبغى الإيمان التام بأن الله حكمة قد تظهر وقد لا تظهر حقيقتها لأحد ولسنا مكلفين باستخراج الحكمة وقد كلفنا بالإيمان بكل ما صح ثبوته.

كما أنه قد ورد فى تحديد مسافة الصراط أقوال كثيرة تفتقر إلى دليل من الشرع فهى من إجتهادات العلماء واستنباطاتهم وينبغى معرفة أن المسافة وطولها أو قصرها إنما تعود إلى العمل فالاجتياز عليه إنما هو بقدر العمل كما ثبت ذلك فى عدة نصوص .

وإنكار الجهمية وغيرهم للصراط ليس لهم ما يتمسكون به إلا شبهات باطلة واستبعاد له ظانين أن استبعاده في عقولهم يصح أن يكون دليلا على إنكاره وبغض النظر عن سرد تلك الشبهات فإن النتيجة واحدة وهى إنكار الصراط ويكفي في الرد عليهم أن يقال لهم إنكم تردون أقوال نبيكم ﷺ بمحض الهوى والشبهات وليس لكم أى دليل ومن رد أقوال النبى ﷺ بعد صحة ثبوتها فلا ريب فى خسرانه ومفارقته طريق المؤمنين .

وإذا أردت أيها القارئ الكريم تفاصيل الصراط كاملة فأرجع إلى ما سبق ذكره من المراجع التى ترشدك إلى أماكن أقوال العلماء وخلاصة أرائهم ..

٤ ـ إنكار الجهمية للميزان

الميزان من أمور الآخرة الغيبية التى يجب الإيمان بها وقد أنكرته الجهمية والمراد به فى الاصطلاح الشرعى الميزان الذى أخبر الله تعالى عنه في كثير من آيات القرآن الكريم وأخبر عنه رسول الله ﷺ فى الأحاديث الشريفة فى أكثر من مناسبة تنويها بعظم شأنه وخطورة أمره .

وهو ميزان حقيقي له لسان وكفتان توزن به أعمال العباد خيرها وشرها وقد أخبر الله عنه في القرآن الكريم إخبارا مجملا من غير تفصيل لحقيقته وجاءت السنة النبوية فبينته .

يظهره الله فى يوم القيامة لإ ظهار مقادير أعمال الخلق وقد أجمع المسلمون على القول به واعتقاده .

وجاء ذكره فى القرآن الكريم في أكثر من آية تنويها بعظمه وأهميته قال تعالى : ﴿**ونضع الموازين القسط ليوم القيامة فلا تظلم نفس شيئا وإن كان مثقال حبة من خردل أتينا بها وكفى بنا حاسبين**﴾ الأنبياء ٤٧ وآيات أخرى كثيرة لا تخفى طلاب العلم ودلالتها على اثبات الميزان أمر ظاهر وقد وصف الله فيها الموازين بالثقل والخفة وإنها موازين عدل وأن من ثقل ميزانه فقد أفلح وعاش عيشة راضية ومن خف ميزانه فقد خسر وهوى إلى جهنم .

كما وردت فى السنة النبوية أحاديث كثيرة فيها بيان ثبوت الميزان وصفاته وما الذى يوزن فيه هل هو العامل فقط أو العمل فقط أو العامل والعمل أوصحف الأعمال وما الذى يثقله وما الذي يخففه ومن تلك الأحاديث وهى كثيرة .

قوله ﷺ كما فى الحديث الذى رواه أبو هريرة رضى الله عنه قال قال النبى ﷺ «كلمتان حبيبتان إلى الرحمن خفيفتان على اللسان ثقيلتان فى الميزان سبحان الله وبحمده سبحان الله العظيم » (١) .

وعنه رضى الله عنه أن رسول الله ﷺ قال : « **إنه ليأتي الرجل العظيم السمين يوم القيامة لا يزن عند الله جناح بعوضة اقرؤا :﴿ فلا نقيم لهم يوم القيامة وزنا﴾** (٢)» .(٣).

وثبت أن العمل يوزن ويوزن أيضا العامل وتوزن صحائف الأعمال وروى

(١) صحيح البخارى : ١٣ ص ٥٣٧ ومسلم : جـ ٥ ص ٥٤٨ .

(٢) سورة الكهف ١٠٥ . (٣) أخرجه مسلم : جـ ٥ ص ٦٥٥ .

أن أشد ما يكون الناس خوفا فى يوم القيامة عندما يأتى دور الوزن .

وقد تلقى المسلمون أخباره بالقبول والتصديق لثبوته بالكتاب والسنة والإجماع [1] ولم يخالف فى ثبوته أى شخص من السلف .

وقد ذهبت الجهمية وغيرهم من أهل البدع إلى إنكاره بلا دليل لأنه فى زعمهم يستحيل وزن الأعراض كما أنكروا أن يكون هناك ميزان حقيقى له كفتان ولسانا معرضين عن النصوص الثابتة بذلك كما قدمنا بعضها .

وإذا أراد القارئ المزيد من أخبار الميزان والاطلاع على المناقشات الموسعة فيه فليقرأ - إن أحب - « الحياة الآخرة ما بين البعث إلى دخول الجنة أو النار » . فسوف يجد فيه إن شاء الله كل مايطلبه من تفصيل لأخبار الميزان ومواقف علماء السنة وعلماء البدع منه وما الذى يوزن وهل توزن أعمال الجن وهل هو ميزان واحد أو موازين متعدده إلى غير ذلك من الأمور التى تتعلق بهذا الأمر .

٥ - قول الجهمية بفناء الجنة والنار

اقتضت حكمة الله تعالى أن يوجد الجنة وأن تكون دار أوليائه إلى الأبد وأن يوجد النار وتكون دار أعدائه إلى الأبد خلقهما الله وكتب لهما البقاء الأبدي بإبقاء الله تعالى لهما وهذا هو الثابت في الشريعة الإسلامية .

وخالفت الجهمية وجاءوا بأفكار ومعتقدات ما أنزل الله بها من سلطان قال شمس الدين ابن القيم ..

« والجهم أفناها وأفنى أهلها   تبا لذاك الجاهل الفتان» [2]

ولم يكن لهم مايستدلون به على إنكارهم ذلك إلا مجرد الظن ، وأن الظن لا يغنى من الحق شيئا وصاروا يشنعون على السلف أهل الحق ما يعتقدونه فى وجود الجنة والنار الآن ودوامهما في المستقبل .

---

(١) انظر لوامع الأنوار : جـ ٢ ص ١٨٤ .   (٢) النونية : جـ ٢ ص ٣٩٣ .

قال ابن أبي العز رحمه الله:[1] « وقال بفناء الجنة والنار الجهم بن صفوان إمام المعطلة وليس له سلف قط لا من الصحابة ولا من التابعين لهم بإحسان ولا من ائمة المسلمين ولا من أهل السنه وأنكره عليه عامة أهل السنة وكفروه به وصاحوا به وبأتباعه من أقطار الأرض وهذا قاله لأصله الفاسد الذى اعتقده وهو امتناع وجود مالا يتناهى من الحوادث وهو عمدة أهل الكلام المذموم التى استدلوا بها على حدوث الأجسام وحدوث مالم يخل من الحوادث وجعلوا ذلك عمدتهم فى حدوث العالم فرأى جهم أن ما يمنع من حوادث لا أول لها فى الماضى يمنعه فى المستقبل فداوم الفعل عنده على الرب في المستقبل ممتنع كما هو ممتنع عنده عليه فى الماضى » .

لقد زعم الجهم وأتباعه أن الجنة والنار ستفنى بحجة أن ما لا نهاية له من الأمور الحادثة المتجدده بعد أن لم تكن يستحيل حسب زعمه أنها تبقى إلى مالا نهاية ولم يتصور أن بعض الأشياء التى شاء الله لها البقاء أنه يمتنع فناؤها .

ولا يوجد له من الأدلة إلا أهل الكلام حينما أرادوا الاستدلال حسب عقولهم على حدوث الأجسام حين قالوا كل جسم حادث وكل حادث لا بقاء له فالأجسام حادثة ـ وكل ما قبل الحدوث فهو حادث والعالم قبل الحدوث فهو حادث.

ثم زعم جهم أن الرب يمتنع عليه إيجاد حوادث لا أول لها ؛ مخافة تعدد الآلهه إذا قلنا بوجودها ثم قاس هذا على نهاية الحوادث فكما أته يستحيل عنده وجود حوادث لا أول لها فكذلك يمتع القول بوجود حوادث لا آخر لها لأن الله وحده هو الأول والآخر وقد ظن أن هذا من تنزيه الله تعالى . وهو فى الواقع إساءة ظن بقدرة الله تعالى ولم يعلم أن ما أراد الله له البقاء فإنه يمتنع عليه الانتهاء.

فإن الجنة أراد الله لها البقاء والنار كذلك فيستحيل أن تفنيان وإلا كان

---

(١) شرح الطحاوية :ص ٤٢٠ .

فناؤهما تكذيب لكتاب الله وسنة نبيه فإن القرآن الكريم مملوء بالأخبار عن بقائهما إلى الأبد .

قال تعالى ﴿ **وأما الذين سعدوا ففي الجنة خالدين فيها مادامت السماوات والأرض إلا ماشاء ربك عطاء غير مجذوذ** ﴾[1] أى غير منقطع إلا إذا شاء الله أن يقطعه فقوته فوق ذلك ولكن أخبر عز وجل أنه لم يشأ أن ينقطع أبدا فيجب تصديق ذلك ﴿ **ومن أصدق من الله قيلا** ﴾ .

وقال تعالى : ﴿ **وما هم منها بمخرجين** ﴾[2] ﴿ **لا يذوقون فيها الموت إلا الموتة الأولى** ﴾[3] إلى غير ذلك من الآيات الكثيرة فى إثبات هذا المفهوم .

وقد جاءت السنة بتأكيد ثبوت وجود الجنة والنار الآن ودوامهما فى المستقبل فى أحاديث كثيرة كقوله ﷺ « **من يدخل الجنة ينعم ولا ييأس** »[4] وقوله ﷺ « **يناد منادٍ يأهل الجنة إن لكم أن تصحوا فلا تسقموا أبدا وأن تشبوا فلا تهرموا أبدا وأن تحيوا فلا تموتوا أبدا** »[5]

وورد عن ذبح الموت بين الجنة والنار ثم يقال : « **ياأهل الجنة خلود فلا موت وياأهل النار خلود فلا موت** »[6] والمذبوح هنا ليس هو ملك الموت كما يظن البعض حاشاه من ذلك وإنما المذبوح هو الموت نفسه على صورة كبش أملح لأن الموت مخلوق والحياة مخلوقة كما أخبر الله تعالى .

وعن دوام النار يقول الله تعالى ﴿ **فأولئك أصحاب النار هم فيها خالدون** ﴾[7] وقال تعالى ﴿ **خالدين فيها أبدا** ﴾[8] ﴿ **وما هم بخارجين من النار** ﴾[9] ﴿ **لا يقضى عليهم فيموتوا ولا يخفف عنهم من عذابها** ﴾[10] .

---

(١) هود : ١٠٨ . (٢) الحجر : ٤٨ . (٣) الدخان : ٥٦ .
(٤) رواه مسلم .ج٤ ص ٢١٨١ . (٥) اخرجه مسلم . ج٤ ص ١٢٨٢
(٦) اخرجه البخارى ج٨ ص٤٢٨ ومسلم أيضا . (٧) البقرة : ٨١ .
(٨) البينة : ٨ . (٩) البقرة : ١٦٧ . (١٠) فاطر ٣٦ .

فهـذه النصوص تـثبت بجلاء دوام الجنـة والنار وأن المنكرين ذلك ليس لهم أى دليل إلا مجـرد الاستبعـاد وهو ليس بدليل وإلا ماقاسوه باخـيلتهم الضعيفة ولإن نازع هؤلاء فى دوامهما فقد نازعـوا فى وجودهما الآن حيث نفوا ذلك وأصروا على عـدم وجـودهما الآن بدلـيل أن الجنة لو كـانت موجـوده الآن لما ذكـر فى الأحاديث أن الأعـمال الصالحـة يغرس بها لـصاحبـها شجـر فى الجنة ونسوا أن البـيت الجميـل المتكامل البناء والحسن لا يمنع أن يزاد فـيه من أنواع الـتحسـينات والنقوش والزخرفة ما يزيده جمالا وحسنا .

وقد ذكـر الله عز وجل فى القـرآن الكريم أدلة وجودهمـا الآن بما لا يخفى إلا على أهل البدع فقد قال تعالى عن الجنة : ﴿ **أعدت للمتقين** ﴾ [(1)] .

وقال عن النار كذلك ﴿**أعدت للكافرين** ﴾[(2)] لقد أعدهمـا الله تعالى قبل نزول أهلهما فيهما وقد جاء فى السنة النبوية ما يؤكد وجودهما الآن كما جاء ما يؤكد بقاءهما أبدًا ـ كما تقدم .

ومن الأحاديث التى تؤكد وجودهما الآن ماجاء فى حديث الإسراء والمعراج قوله ﷺ : « **ثم انطلق بى جبريل حتى أتى سدرة المنتهى فغشيها ألوان لا أدرى مـا هـــى قـال ثم دخلت الجنة فـإذا هى جنابذ اللؤلـؤ وإذا ترابهـا المسك**»[(3)].

وقوله ﷺ : « **إن أحدكم إذا مات عـرض عليه مقعـده بالغداة والعشى إن كـان من أهل الجنة فمن أهـل الجنة وإن كان من أهل النـار فمن أهل النار يقـال هذا مقعدك حتى يبعثك الله يوم القيامة** » [(4)] .

وقد أخبر ﷺ « **بأنه رأى الجنة وتناول منهـا عنقودا وقال لـهم ولو أخذته لأكلتم منه ما بقيت الدنيا** »[(5)]

---

(1) آل عمران : ١٣٣ . (2) آل عمران : ١٣١ .
(3) صحيح البخارى : ج ٤ ص ١٠٧ . (4) المصدر السابق : ج٤ ص ٨٥ .
(5) صحيح مسلم : ج ٣ ص ٣٤ .

إلى غير ذلك من الأحاديث الصحيحة التى تؤكد وجودهما الآن إضافة إلى ماجاء فى القرآن الكريم ولكن أهل البدع لا ينظرون إلى الحق إلا من زاوية هواهم والله يقول الحق وهو يهدى السبيل .

*****

الفصل الخامس

الحكم على الجهمية

يتورع السلف كثيرا عن إكفار أى جماعة أو شخص ويرهبون إطلاق التفكير فلا يتسرعون فيه كما تفعل الفرق المبطلة فى تكفير الناس أو فى تكفير بعضهم بعضا أيضا ، إلا أن السلف لا يتورعون عن إطلاق كلمة الكفر على من جاءت النصوص بتكفيرهم أو بتسميتهم كفارا عملا بالنصوص ووقوفا عند مفهومها الصحيح . ومن هنا تجد أن السلف حينما يطلقون الكفر على فرد أوجماعة لهم ضوابط قوية ودرجات فى التكفير من لا يفطن لها وقع - ولا بد - فى الخطأ سواء أكان خطئا شرعيا أم خطئا فى مفهومه للتكفير عند السلف

ولهذا نجد أن كثيرا من العلماء يقعون فى الخطأ حينما يحكون مذاهب السلف وهم على غير دراية كافية بمفاهيمهم ومصطلحاتهم .

أما بالنسبة لتكفير الجهمية بخصوصهم فإنك ستجد أيها القارئ الكريم أن كلام الناس مختلف فى إطلاق الكفر على الجهمية . فهناك من يهاجمهم ويحكم بكفرهم ويسوق المبررات لذلك وهناك من يدافع عنهم ويأتى أيضا بمبررات.

ولقد ذهب كثيرمن علماء السلف إلى تكفير الجهمية وإخراجهم من أهل القبلة ومن هؤلاء الإمام الدارمى أبو سعيد عثمان بن سعيد الدارمى - فقد جعل فى كتابه « كتاب الرد على الجهمية »[1] - بابا سماه « باب الاحتجاج فى إكفار الجهمية » وبابا آخر سماه « باب قتل الزنادقة والجهمية وإستتابتهم من كفرهم » .

أورد تحت هذين البابين أدلة كثيرة من الكتاب الكريم ومن السنة النبوية ومن الآثار وأقوال العلماء مايطول ذكره إلا أن حاصله أن الجهمية كفار للأمور الآتية:

---

(١) انظر كتاب الرد على الجهمية : ص ١٠٦ / ١١٧ .

١ ـ بدلالة القرآن الكريم حيث أخبر عن قريش أنهم قالوا عن القرآن : ﴿ **إن هذا إلا قول البشر** ﴾ أى مخلوق وهو نفسه قول الجهم بخلقه ثم أورد كثيرا من الآيات فى هذا.

٢ ـ ومن الآثر ما ورد عن على وابن عباس فى قتلهم الزنادقة لقول الرسول ﷺ « **من بدل دينه فاقتلوه** » والجهمية أفحش زندقه وأظهر كفرا منهم .

٣ ـ قال الدارمي : « ونكفرهم أيضا بكفر مشهور » ثم ذكر من ذلك قولهم بخلق القرآن.

وتكذيبهم لما أخبر الله تعالى أنه يتكلم متى شاء وكلم موسى تكليما وهؤلاء ينفون عنه صفة الكلام فيجعلونه بمنزلة الأصنام التى لا تتكلم .

ثم بكفرهم فى عدم إثباتهم لله تعالى ما أثبته لنفسه من الصفات كالوجه والسمع والبصر والعلم والكلام .

وبكفرهم فى أنهم لا يدرون أين الله تعالى ولا يصفونه بأين ولا يثبتون له مطلق الفوقية الثابتة بالنصوص الصريحة فى كتاب الله تعالى وسنة نبيه ﷺ .

كما أورد الدارمى جملة من أسماء الذين حكموا بكفر الجهمية صراحة ومنهم سلام بن أبى مطيع وحماد بن زيد ويزيد بن هارون وابن المبارك ووكيع وحماد بن أبي سليمان ويحيى بن يحيى وأبو توبة الربيع بن نافع ومالك بن أنس.

*****

الباب الثانى عشر

المعتزلة

الفصل الأول

نشأتهم

المعتزلة اسم يطلق على فرقة ظهرت فى الإسلام فى القرن الثانى الهجري ما بين سنة ١٠٥ وسنة ١١٠ هـ بزعامة رجل يسمى واصل بن عطاء الغزال نشأت هذه الطائفة متأثرة بشتى الاتجاهات الموجودة فى ذلك العصر وقد أصبحت المعنزلة فرقة كبيرة. تفرعت عن الجهمية فى معظم الآراء ثم انتشرت فى أكثر بلدان المسلمين انتشارا واسعا ، وعن كثرتهم وانتشارهم يقول الشيخ جمال الدين القاسمى :

« هذه الفرقة من أعظم الفرق رجالا وأكثرها تابعا فإن شيعة العراق على الإطلاق معتزلة ، وكذلك شيعة الأقطار الهندية والشامية والبلاد الفارسية ومثلهم الزيدية فى اليمن فإنهم على مذهب المعتزلة فى الأصول كما قاله العلامة المقبلي فى « العلم الشامخ » وهؤلاء يعدون فى المسلمين بالملايين بهذا يعلم أن الجهمية المعتزلة ليسوا فى قلة فضلا عن أن يظن أنهم انقرضوا وأن لا فائدة فى المناظرة معهم ، وقائل ذلك جاهل بعلم تقويم البلدان ومذاهب أهلها [1] .

وهناك روايات يذكرها الباحثون فى كيفية نشأت المعتزلة :

١ - إذ يرى بعض العلماء أن أصل بدأ الاعتزال كان فى زمن الخليفة الراشد على رضى الله عنه حينما اعتزل جماعة من الصحابة كانوا معه السياسة وتركوا

(١) تاريخ الجهمية : ص ٥٦ .

الخوض فى تلك الخلافات التى نجمت بين على ومعاوية رضى الله عنهما وهذا القول باطل لا صحة له وقد أيده الشيخ محمد الطاهر النيفر [1] .

٢ ـ ويرى أكثر العلماء أن أصل بدأ الاعتزال هو ما وقع بين الحسن البصرى وواصل بن عطاء من خلاف فى حكم أهل الذنوب .

وقد ظهر قرن الاعتزال بمبادئه المعروفة من البصرة التى كانت مسكنا للحسن البصرى ثم إنتشر فى الكوفة وبغداد ومنها إلى شتى الأقطار والآفاق .

ومما يذكر للمعتزلة أنهم كانوا شوكة قوية فى صد مبادئ الزندقة وقاموا بجهود كثيفة لنشر الإسلام إلا أنهم لم يحسنوا التصرف إزاء القول بخلق القرآن وغيره من المبادئ التى عجلت باضطهادهم بعد قوتهم وشدة جانبهم .

وقد تفرقت المعتزلة فرقا كثيرة واختلفوا فى المبادئ والتعاليم ووصلوا إلى إثنتين وعشرين فرقة نترك ذكر تفاصيلها هنا ونحيل من أراد التوسع فى ذلك إلى كتب الفرق [2].

إلا أنه يجمعهم إطار عام وهو الاعتقاد بالأصول الخمسة التوحيد على طريقة الجهمية والعدل على طريقة القدرية والوعد والوعيد والمنزلة بين المنزلتين ، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر « على طريقة الخوارج » .

*****

---

(١) انظر كتابه أهم الفرق الإسلامية : ص ٣٣ .

(٢) انظر مقالات الأشعرى ، الملل والنحل للشهرستاني ، الفرق بين الفرق للبغدادى التنبيه والرد للملطي ، التبصير فى أمور الدين للأسفراييني ، الفصل لابن حزم .

الفصل الثانى

أسماء المعتزلة وسبب تلك التسميات

يجد الباحث عن أسماء المعتزلة أن العلماء لم يتفقوا على تسمية واحدة للمعتزلة ولم يقتصر كذلك المعتزلة على تسمية واحدة لهم .

ومن أقوال العلماء فى تسميتهم :

١ ـ المعتزلة : ويرجع سبب التسمية إلى اعتزال أول زعيم لهم وهو واصل ابن عطاء الغزال حلقة الحسن البصرى حينما ألقى رجل سؤالا عن مرتكبى الذنوب فبادر واصل إلى الجواب قبل أن يجيب الحسن[1] ومن هنا تطور الأمر إلى اعتزال واصل ومن معه حلقة الحسن البصري فسموا معتزلة على سبيل الذم من قبل المخالفين لهم على أن هذا التعليل لتسميتهم ليس أمرا متفقا عليه بل هناك عدة تعليلات واعتراضات وأجوبة أخرى[2].

وقد أخذت المعتزلة مبادئ كثيرة عن الجهمية فقد أخذت القول بنفي رؤية الله تعالى ونفي الصفات والقول بخلق القرآن .

٢ ـ تسمية المعتزلة جهمية : ولهذا الاتفاق بين المعتزلة والجهمية فى تلك المسائل العقدية ولسبق الجهمية في الظهور أطلق العلماء اسم الجهمية على المعتزلة وذلك لأن المعتزلة هم الذين أحيوا أراء الجهمية فى مبدأ ظهورهم حيث جاء المعتزلة ونفخوا فى رمادها وصيروها جمرا من جديد ومن هنا استحق المعتزلة أن يطلق عليهم جهمية .

---

(١)حيث أجاب بأنهم فى منزلة بين المنزلتين لا مؤمنون ولا كافرون وفى الآخرة هم مخلدون فى النارمخالفا بذلك مذهب السلف القائم على الحق الموافق للكتاب والسنة فى أنهم تحت المشيئة.

(٢) انظر المعتزلة وأصولهم الخمسة وموقف أهل السنة منهم ص ١٤ / ٢١ .

فالجهمية أعم من المعتزلة فكل معتزلى جهمى وليس كل جهمى معتزليا [1].

٣ ـ تسميتهم بالقدرية: بسبب موافقتهم القدرية فى إنكار القدر واسنادهم أفعال العباد إلى قدرتهم وهم لا يرضون بهذا الاسم ويرون أنه ينبغى أن يطلق على الذين يقولون بالقدر خيره وشره من الله تعالى لاعليهم لأنهم لايقولون بذلك بل يقولون بأن الناس هم الذين يقدرون أعمالهم ولكن ابن قتيبة يرد عليهم ويرى أن نفى المعتزلة للقدر من الله تعالى وإضافته إلى أنفسهم يوجب أن يسموا قدرية لأن مدعي الشىء لنفسه أحق أن ينسب إليه [2] ، وكان أول المتكلمين فى القدر والمقررين له معبد الجهني وغيلان الدمشقي .

٤ ـ ومن أسمائهم الثنوية والمجوسية: وهم ينفرون من هذا الاسم والذى حمل المخالفين لهم على تسميتهم به هو مذهب المعتزلة نفسه الذى يقرر أن الخير من الله والشر من العبد وهو يشبه مذهب الثنوية والمجوس الذى يقرر وجود إلهين أحدهما للخير والآخر للشر .

٥ ـ الوعيدية : وهو ما اشتهروا به من قولهم بإنفاذ الوعد والوعيد لا محالة وأن الله تعالى لا خلف فى وعده ووعيده فلابد من عقاب المذنب إلا أن يتوب قبل الموت .

٦ ـ المعطلة : وهو اسم للجهمية أيضا ثم أطلق على المعتزلة لموافقتهم الجهمية فى نفى الصفات وتعطيلها وتأويل مالا يتوافق مع مذهبهم من نصوص الكتاب والسنة .

وإذا كانت تلك الأسماء لم يرتاحوا إليها ولا يحبون التسمية بها فإن هناك أسماء أخر اختاروها لأنفسهم وأخذوا يدللون على فضلها وتلك الأسماء هى :

١ ـ المعتزلة : وقد سبق أنه اسم ذم وهو كذلك إلا أن المعتزلة حينما رأوا ولع

---

(١) انظر منهاج السنة جـ ١ صـ ٣٤٤ . (٢) انظر تأويل مختلف الحديث : ص ٩٨ .

الناس بتسميتهم به أخـذوا يدللون على أنه اسم مدح بمعنى الاعتزال عن الشرور والمحدثات واعتـزال الفتن والمبتدعين على حد قـوله تعالى : ﴿ **واهجرهم هجرا جميلا** ﴾ .

٢ ـ **أهل العدل والتـوحيد أو « العـدلية »** . والعدل عندهم يعـنى نفى القدر عن الله تعالى أو أن تضاف إلـيه أفعال العباد القـبيحة والتوحـيد عندهـم يعنى نفى الصفات عن الله تعالى وتسميتهـم بالعدليه اسم مدح اخترعوه لأنفسهـم .

٣ ـ **أهل الحق**: لأنهم يعتبرون أنفسهم على الحق ومن عداهم على الباطل.

٤ ـ **الفرقة الناجية** : لينطبق عليهم ماورد فى فضائل هذه الفرقة .

٥ ـ **المنزهون الله** : لزعمـهـم حين نفوا الصـفات أنهم ينزهون اللـه وأطلقوا على من عداهم وخصوصا أهل السنة أسمـاء جائرة كاذبة مثل القدرية ـ المجبرة ـ المشبهه ـ الحشوية ـ النابتة .

سلطان المعتزلة

ومهـما كان فلقد عظم أمـر المعتزلة ـ الجـهمية ـ واشـتدت شوكتـهم وقوى ساعدهم حينما استطاعوا اختطاف الخليفـة العباسي المأمون إلى جانبهم وحجبوا عنه كل فكر يخـالف فكرهم ووقع رغم حبـه للعلم والاطلاع فى يد أحـمد بن أبي دؤاد ومن ثم ناصـر المعتزلـة بكل مالديه من قـوة بل وأراد حمل كافـة الناس على اعتناق المذهب المعتزلى ورغب الناس فيه ورهبهم من تركه ولقي المسلمون عنتا شـديدا منه وفتن كثـيراً من الناس وأوذي الكثـير من العلمـاء الأجلاء وعلى رأسهم الإمام أحـمد رحـمه الله . « وتسمى هذه الفتـرة بمحنة خلق القرآن وقد بلغوا الذروة ثم أخـذوا ينحدرون عنها فلمـا جاء المتوكل وجد ناراً تتـقد فى كل مكان وامـتحـانات وضـربا وتشـريدا ونفيـا كل ذلك جلب السـخط العـام على رجال الدولة فأبطل المتوكل القول بخلق القرآن وأبطل المحاكمات ليكتسب تأييد

الرأى العام وبذلك نصر المحدثين نصرا مؤزرا فأصبح القول بالاعتزال يتحدث به سرا بعد أن كان جهرا » [1].

الاتفاق بين المعتزلة والقدرية

ومن الجدير بالذكر أنه قد اتفقت مفاهيم المعتزلة مع القدرية فى مسألة من أهم مسائل العقيدة الاوهى القدر وموقف الإنسان حياله فذهبت المعتزلة والقدرية إلى القول بأن الله تعالى غير خالق لأفعال الناس بل الناس هم الذين يخلقون أفعالهم بأنفسهم وليس لله تعالى أى صنع فى ذلك ولا قدرة ولا مشيئة ولا قضاء.

وقد حملهم على ذلك قلة علمهم وعدم تصورهم أن يكون الله تعالى يأمر أو ينهى عن شىء وهو يعلم عاقبة ما سيئول إليه ذلك الشىء فإن إثبات علم الله السابق ينافي أمره بالامتثال وعلمه بالعصاة ينافي خلقه لهم وأمرهم بالطاعة كما يرى هؤلاء.

*****

(١) انظر أهم الفرق الإسلامية للنيفر : ص ٣٤ .

الفصل الثالث

مشاهير المعتزلة القدرية الجهمية

ظهر فى المعتزلة الجهمية رجال كان لهم أثر بارز في انتشار أفكارهم وذيوعها بين الخاصة والعامة فكان منهم المناظرون الخصمون والمؤلفون بل ووصلوا إلى أخذ السلطه وأستجلاب الخلفاء إلى مبادئهم . كما سبق .ومن رجالهم المشاهير :

١ ـ بشر بن السري .
٢ ـ ثور بن زيد المدني .
٣ ـ ثور بن يزيد الحمصي .
٤ ـ حسان بن عطية المحاربي .
٥ ـ الحسن بن ذكوان .
٦ ـ داود ابن الحصين .
٧ ـ زكريا بن اسحاق .
٨ ـ سالم بن عجلان .
٩ ـ سلام بن عجلان .
١٠ ـ سلام بن مسكين .
١١ ـ سيف بن سليمان المكى .
١٢ ـ شبل بن عاد .
١٣ ـ شريك بن أبي نمير .
١٤ ـ صالح بن كيسان .
١٥ ـ عبد الله بن عمرو .
١٦ ـ عبد الله بن أبي لبيد .
١٧ ـ عبد الله بن أبى نجيح .
١٨ ـ عبد الأعلى بن عبد الأعلى .
١٩ ـ عبد الرحمن بن إسحاق المدني .
٢٠ ـ عبد الوارث بن سعيد الثوري .
٢١ ـ عطاء بن أبي ميمونه .
٢٢ ـ العلاء بن الحارث .
٢٣ ـ عمرو بن أبي زائدة .
٢٤ ـ عمران بن مسلم القصير .
٢٥ ـ عمير بن هانئ .
٢٦ ـ عوف الأعرابي .
٢٧ ـ كهمس بن المنهال .
٢٨ ـ محمد بن سواء البصري .

٢٩ ـ هرون بن موسى الأعور النحوي .   ٣٠ ـ هشام الدستوائى .

٣١ ـ وهب بن منبه .   ٣٢ ـ يحيى بن حمزة الحضرمى .

قال السيوطي « هؤلاء رموا بالقدر وكلهم ممن روى له الشيخان أو أحدهما» [(١)] .

وإضافة إلى ماذكره السيوطى رحمه الله هنا فإنه لم يقتصر خطأ المعتزلة الفاحش فى مسألة القدر وإنما كان لهم خبط واضطراب فى أهم قضية على الإطلاق ألا وهى توحيد الله عز وجل حيث تقرر فى مذهبهم أن التوحيد هو نفى جميع الصفات التى وصف الله بها نفسه المقدسة واستبدلوها بصفات يتنزه الله عن الاتصاف بها وزعموا أنها هى الحق .

وقد أورد الأشعري جملة اعتقاد المعتزلة فى التوحيد وسرد عنهم عدة جمل يصفون بها الله عز وجل زعموا أن ذلك هو توحيد الله تعالى وهو فى الحقيقة إلحاد يؤدي إلى إنكار وجود الله تعالى فقد وصفوه بصفات مبنية كلها على النفي المجرد مملوءة بالتناقض والمستحيلات التي لا يمكن أن يوجد لها محل خارج

---

(١) انظر تاريخ الجهمية والمعتزلة : ص ٧٦ / ٧٧ .
من الواضح أن البخارى ومسلما رحمهما الله وغيرهما من علماء الحديث كانوا يروون عن أناس عرفوا بميلهم عن مذهب السلف وذلك لأمور كثيرة من أهمها :
١ ـ ثقة أولئك وصدقهم فى روايتهم .
٢ ـ يروون عنهم مالم يقوي بدعتهم .
٣ ـ يروون عنهم حرصا على حفظ العلم وتدوينه .
٤ ـ يروون عنهم بسبب أن المسائل التي خالفوا فيها مما يتسامح فى الخلاف فيه إلى حد ما لغموضها ولقوة الشبهة التي دفعتهم إلى ذلك إلى غير ذلك من الأمور كذلك فإن الأشخاص الذين روى لهم البخارى ومسلم لم يكونوا ممن يتهمون بمحاربة الإسلام والكيد له وإنما كانت لهمأخطاء ظنا منهم أنهم فيها على صواب فقد اجتهدوا كغيرهم من طالبي الحق ولكن ليس كل من اجتهد فى طلب شيء أصاب الحق فيه وأخذ العلماء عن هؤلاء إنما هو دليل قوي على ذم التعصب والتسرع في تكفير المخالفين واخراجهم من الملة ودليل آخرعلى وجوب الإنصاف وإن الحق ضالة المؤمن أينما وجده أخذه بغض النظر عن حامله .

الذهن لاتمت إلى توحيد الله بأى صلة بل هى خيالات محضة وكذب على الله بغير دليل ولا أثارة من علم ويمكن للقارئ أن يقف عليها فى كلام الأشعري الآتى :

« أجمعت المعتزلة على أن الله واحد ليس كمثله شيء وهو السميع البصير وليس بجسم ولا شبح ولا جثة ولا صورة ولا لحم ولا دم ولا شخص ولا جوهر ولا عرض ولا بذى لون ولا طعم ولا رائحة ولا مجسة ولا بذى حرارة ولا رطوبة ولا يبوسة ولا طول ولا عرض ولا عمق ولا اجتماع ولا افتراق ولا يتحرك ولايسكن ولايتبعض وليس بذى ابعاض وأجزاء وجوارح وأعضاء وليس بذى جهات ولابذى يمين وشمال وأمام وخلف وفوق وتحت ولا يحيط به مكان ولا يجرى عليه زمان ولا تجوز عليه المماسسة ولا العزلة ولا الحلول فى الأماكن»[1] إلى آخر تلك الأوصاف التى ملأوا بها كتبهم وحشوا بها أذهان الناس والتى لايخرج القارئ منها بثمرة ولايستفيد السامع فائدة تنفعه فى دينه أو فى دنياه لأنها جهل وخبط واضطراب فكرى أدى إليه علم الكلام الذى جر على المسلمين الفتن وأنواع الشرور .

*****

---

(١) المقالات : جـ ١ ص ٢٣٥ .

الفصل الرابع

ذكر اهم عقائد المعتزلة إجمالا

وللمعتزلة ـ كغيرهم من الفرق الكلامية ـ أراء وأفكار ومعتقدات كثيرة تحتاج دراستها إلى مجلدات غير أنه يمكن عرض أهم أرائهم بإيجاز في المسائل الآتية :

١ ـ اختلفوا فى المكان لله تعالى :

١ ـ فذهب بعضهم وهم جمهورهم إلى أن الله تعالى فى كل مكان بتدبيره وهذا قول أبي الهذيل والجعفران ، والإسكافى ، ومحمد بن عبد الوهاب الجبائي.

٢ ـ وذهب آخرون إلى أن الله تعالى لافى مكان بل هو على مالم يزل عليه ، وهذا قول هشام الفوطى وعباد بن سليمان وأبي زفر .

٢ ـ ذهبوا إلى أن الاستواء هو بمعنى الاستيلاء فى قوله الله تعالى : ﴿الرحمن على العرش أستوى﴾ (١).

٣ ـ أجمعوا على أن الله لا يرى بالأبصار .

٤ ـ اختلفوا في صفة الكلام لله تعالى .

١ ـ فذهب بعضهم إلى إثبات الكلام لله تعالى .

٢ ـ وذهب بعضهم إلى إنكار ذلك .

ولهم اختلافات كثيرة في مسائل دقيقة من مسائل الصفات والعقائد (٢).

لا يستدعى المقام الدخول فى تفاصيلها وأهم ما أود التنبيه عليه هو أن أبرز

---

(١) سورة طه آية : ٥٠ .

(٢) انظر المقالات : جـ ١ والفرق بين الفرق للبغدادى والملل والنحل للشهرستانى .الجزء الأول .

سمات هذه الطائفة فى باب الأسماء والصفات تظهر فى :

١ ـ إنكارهم الصفات وتعطيلها .

٢ ـ أنهم بنوا أراءهم ومعتقداتهم فى أصول خمسة لا يسمى الشخص معتزليا إلا إذا حققها واعتقد صحتها وسوف نبين هذه الأصول مع الرد عليها حسب مايقتضيه المقام من الإيجاز المفيد إن شاء الله تعالى .

وقبل بيان تلك الأصول أجدنى على يقين من أن إنكار الصفات وتعطيلها فى مفهوم الفكر المعتزلى أمر لا يجهله طلاب العلم فقد استفاضت كتب الفرق والمقالات وكتب التاريخ والعقائد فى بيان هذا الموقف الخاطئ للمعتزلة وسموه مع ذلك توحيد الله تعالى وتنزيها له لقد لبس الشيطان عليهم « حتى رأوا حسنا ماليس بالحسن » لانسياقهم فى فلك أهل الكلام المذموم والفلسفة الدخيلة الممقوتة فسموا ذمهم لله تعالى بإنكارهم لصفاته تعالى باسم ظاهره فيه الرحمة وباطنه من قبله العذاب أى أن ظاهره التنزيه ولكن باطنه تمام التشبيه والتعطيل ولكن التسمية لا تغير الحقيقة عند عقلاء بنى آدم فى المسائل الاعتقادية التى يتوجب بسببها الطاعة والمعصية والحق والباطل .

وكل هذه المواقف إنما جرتها كتب اليونان الفلسفية التى وصفها أحد علماء اليونان بأنها مادخلت بلدا إلا وأفسدت أهله .

لقد أساء المأمون الخليفة العباسي إلى الإسلام والمسلمين حين شجع ترجمة تلك الكتب ونشرها فى ديار المسلمين وحينما تضلع منها المعتزلة بدأت أفكارهم فى الاضطراب ولا أدل على هذا من إقدامهم على إنكار صفات الله تعالى الذى نتج عن جمعهم بين التشبيه والتعطيل ثم نفى تلك الصفات

وسنذكر مزيدا من الرد عليهم إن شاء الله تعالى في دراسة أصول المعتزلة فى الأصل الأول .

الفصل الخامس

الأصول الخمسة للمعتزلة

بيانها ، والرد عليها

الأصول الخمسة هي إجمالا : ـ

١ ـ التوحيد .

٢ ـ العدل .

٣ ـ الوعد والوعيد .

٤ ـ القول بالمنزلة بين المنزلتين .

٥ ـ الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ويذكر العلماء أنه لا يسمى الشخص معتزليا حتى يقول بهذه الأصول الخمسة .

١ ـ أما الأصل الأول وهو التوحيد : فإنهم يقصدون به البحث حول صفات الله عز وجل وما يجب لله تعالى ومالا يجب فى حقه .

وقد حرص المعتزلة على إنكار صفات لله تعالى بحجة أن إثباتها يستلزم تعدد القدماء وهو شرك على حد زعمهم ؛ لأن إثبات الصفات يوحى بجعل كل صفة إلها والمخرج من ذلك هو نفي الصفات وإرجاعها إلى ذات الباري تعالى فيقال عالم بذاته قادر بذاته إلخ وبذلك يتحقق التوحيد فى نظرهم .

الرد عليهم :

إن الرد على المعتزلة فى نفي صفات الله عز وجل مما لا يجهله أى طالب علم كما أن مذهب السلف فى تقرير صفات الله عز وجل فى أتم وضوح وأجلي حقيقة فإن السلف رحمهم الله يثبتون صفات الله عز وجل كما جاءت فى الكتاب والسنة دون تحريف أو تأويل مع معرفتهم بمعانيها وتوقفهم فى بيان

كيـفياتها لأنهم يـؤمنون بأن الكلام فى صفة كل شىء فـرع عن تصور ذاته والله عز وجل له ذات لاتشبه الذوات ولا يعلم أحد كيفـيتها وصفاته كذلك ثابته على مايليق بذاته جل وعلا .

وهكذا ينبـغى أن يكون مـعـتـقد المسلم يصف الله بما وصف به نفسـه فى كتـابه الكريم وبما وصفه به رسـوله الأمين نفيا وإثباتا . ولا يـقف ماليس له به علم وقد علم أن طـريقة السلف تتلخص فى إثبـات أسمـاء الله وصفاتـه على وجه لا يوحى بأى نوع من المماثلة والمشـابهـة على ضوء قـول الله عـزوجل : ﴿ **ليس كمثله شىء وهو السميع البصير** ﴾ [1].

المتضـمن رد التشـبيـه والتمـثيل ورد الإلحاد والـتعطيل ويقـول الرسول ﷺ مخـاطبا أصـحابه حينـما كانوا يرفـعون أصـواتهم بالتكبيـر والتهليل فـقال لهـم : «**أربعوا على أنفـسكم فإنكم لا تدعون أصمـا ولا غائبا تدعون سـميعا بـصيرا قريبا** » [2].

وروى أبو هريرة رضى الله عنه أنه قال رأيت رسول الله ﷺ يقرأها ـ يعنى ـ قوله تعالى : ﴿ **سميعا بصير** ﴾ [3]ويضع أصبعيه قال أبو يونس وضع أبو هريرة إبهامه على أذنه والتى تليها على عينيه [4] وهذا زيادة تأكيد فى إثبات صفات الله تعالى قال البيهقى : « **وأراد بهذه الإشارة تحقيق إثبات السـمع والبصر لله ببيان محلهما من الإنسان** » [5].

وصفـاته عـز وجل قديمة قـائمة بذاته زائدة على الذات لا كـما ترى الـفرق

---

(١) الشورى : ١١ .

(٢) فتح البارى : حـ ١٣ ص ٣٧٢ « باب » «وكان الله سميعا بصيرا » .

(٣) النساء : ٥٨ .

(٤) أخرجـه أبو داود جـ ٢ صـ ٥٣٤ ، انظر فتح البـارى : جـ ١٣ ص ٣٧٣ قال ابن حـجر : عن سند الحديث أنه قوى على شرط مسلم من رواية أبي يونس عن أبي هريرة .

(٥) فتح البارى : حـ ١٣ ص ٣٧٣ .

المخالفة للحق بأنها ذاته وليست بزائدة على الذات .

٢ ـ الأصل الثانى للمعتزلة . العدل :

يقول القـاضي عبد الجبار فى بيانه لمعنى العدل ودلالاته وفى سبب تأخيره الكلام عليه بعد إيراد بحث التوحيد يقول :

« وأما الأصل الثانى من الأصول الخمسةوهو الكلام فى العدل . وهو كلام يرجع إلى أفعال القديم جل وعز وما يجوز عليه ومالا يجوز فلذلك أوجبنا تأخير الكلام فى العدل عن الكلام في التوحيد » (١).

والذى يهمنا هنا هو بيان المراد بالعدل عندهم حيث اتضح أنهم يريدون بالعدل ما يتعلق بأفعال الله عز وجل التى يصفونها كلها بالحسن ونفى القبح عنها ـ بما فيه نفى أعمال العباد القبيحة عن الله عز وجل لارضاءا ولا خلقا ـ لأن ذلك يوجب نسبة الفعل القبيح إلى الله تعالى وهو منزه عن ذلك لأن الله تعالى يقول : ﴿ **والله لا يحب الفساد** ﴾ (٢) ﴿**وما الله يريد ظلما للعباد** ﴾ (٣) ويقول تعالى : ﴿ **إن تكفروا فإن الله غنى عنكم ولا يرض لعباده الكفر وإن تشكروا يرضه لكم**﴾(٤) الآيه وفى هذا الفهم الخاطىء يقول القاضى عبد الجبار فى شرح الأصول الخمسة : « أفعال العباد غير مخلوقة فيهم ، وأنهم هم المحدثون لها»(٥).

وقال فى كتابه: « المغنى فى أبواب العدل والتوحيد » تحت عنوان « الكلام فى المخلوق » « إتفق كل أهل العدل على أن أفعال العباد من تصرفهم وقيامهم وقعودهم حادثة من جهتهم وأن الله عز وجل أقدرهم على ذلك ولا فاعل لها ولا محدث سواهم . وأن من قال إن الله سبحانه خالقها ومحدثها فقد عظم

---

(١) انظر شرح الأصول الخمسة : ص ٣٠١ .
(٢) سورة البقرة : ٢٠٥ .
(٣) سورة غافر : ٣١ .
(٤) سورة الزمر : ٧ .
(٥) شرح الأصول الخمسة : ص ٣٢٣ .

خطأه »[1].

فاتفق المعتزلة على أن الله تعالى غير خالق لأفعال العباد وأن العباد هم الخالقون لأفعالهم مع أنهم يؤمنون بأن الله تعالى عالم بكل ما يعمله العباد وأن الله تعالى هو الذى أعطاهم القدرة على الفعل أو الترك .

ولهم فى هذا الباب شبه كثيرة وجدال عقلي .

ومن تلك الشبه :

١ ـ أن إثبات خلق الله تعالى لأفعال العباد فيه نسبة الظلم والجور إليه تعالى والله منزه عن ذلك .

٢ ـ ومنها آيات كثيرة فى القرآن الكريم يستدلون بها منها قول الله تعالى : ﴿**ماترى فى خلق الرحمن من تفاوت**﴾[2] ومأخذهم من هذه الآية كلمة «تفاوت » وقد أخطأوا المراد منها حيث فسرها القاضي .

عبد الجبار بقوله : « نفى الله التفاوت عن خلقه فلا يخلو . إما أن المراد بالتفاوت من جهة الخلقة أو من جهة الحكمة ولا يجوز أن يكون المراد به التفاوت من جهة الخلقة لأن فى خلقه المخلوقات من التفاوت مالا يخفى فليس إلا أن المراد به التفاوت من جهة الحكمة على ما قلناه : إذا ثبت هذا لم يصح فى أفعال العباد أن تكون من جهة الله تعالى لاشتمالها على التفاوت وغيره»[3].

الرد عليهم :

مما لا شك فيه أن أفعال الله كلها حسنة لاقبيح فيها إلا أن المعتزلة ارتكبوا

---

(١) المغني فى أبواب التوحيد والعدل : حـ ٨ ص ٣ « الكلام فى المخلوق ـ ذكر اختلاف الناس فى أفعال العباد » .

(٢) الملك : ٣ .

(٣) شرح الأصول الخمسة : ص ٣٥٥ .

مغالطات واضحة في فهم النصوص .

ذلك أن الظلم الذى نفاه الله عن نفسه هو وضع الشىء فى غير موضعه أو وضع سيئات شخص على آخر أو أن ينقص من حسنات المحسن وهذا ظلم بلا شك والله منزه عنه .

والخلاف إنما هو فى حقيقته خلق كل الأشياء وكل الأفعال وأنها لا تخرج عن خلق الله وإرادته لها قال تعالى :

﴿ **الله خالق كل شىء** ﴾[1] وقال تعالى : ﴿ **والله خلقكم وما تعملون**﴾[2] وهؤلاء يقولون الإنسان هو الذى يخلق فعله فرارا بزعمهم من نسبة خلق الأفعال إلى الله تعالى وإرادتها بزعمهم .

ولم ينظروا إلى أن الله عز وجل هو الخالق للعباد وأعمالهم ولا يوجب ذلك أن يكون الله تعالى هو الفاعل لأعمالهم فخلق الظلم والكذب والطاعة والمعصية فمن فعل الظلم بأن غش الناس أو غصبهم أموالهم يقال له غاش ومغتصب ومنتهب وسارق وفاجر إلى آخر الصفات ولا تنسب إلى الله تعالى إلا باعتبار إقدار الله تعالى للعبد وشمول مشيئته لها لا أن الله هو الفاعل الحقيقى لتلك الجرائم ولذلك حين جيئ بسارق إلى عمر رضى الله عنه قال له لم سرقت؟ فقال السارق قدر الله على فقال عمر وأنا قدر الله على أن أقطع يدك «ذلك أننا لسنا مطالبين بالوقوف على ماعند الله من الأقدار وإنما نحن مطالبون بالقيام بالأعمال التى يريدها الله والاجتناب عن مالا يريده ورتب الله الحدود ومصالح الناس على هذا القدر» .

فالله تعالى خلق ظلما من اتصف به من الناس كان ظالما وخلق كذبا من اتصف به كان كاذبا وخلق طاعة من اتصف بها كان مطيعا وقد ورد فى الحديث أن الله تعالى لو عذب أهل سمواته وارضه لعذبهم وهو غير ظالم لهم » .

---

(١) الرعد : ١٦ . (٢) الصافات : ٩٦ .

وأما بالنسبة لاستدلا لهم بالآية الكريمة :﴿ **ما ترى في خلق الرحمن من تفاوت**﴾ .

فقد فسروا التفاوت هنا بالحكمة بينما الصحيح أن التفاوت المنفى هنا هو التفاوت فى الخلقة . أى لا يوجد فى خلق السموات والأرض من تفاوت أى من عيب أو خلل لقلة استوائهما بل هما فى أدق تناسب واتقان فالمقصود بنفى التفاوت فى الخلقه وليس فى الحكمه كما فسروه .

وهناك آيات أخرى استدلوا بها ذكرها القاضي عبد الجبار في كتابه شرح الأصول الخمسة [1].

ويلتحق بمسألة العدل مسائل من أهمها :

الصلاح والأصلح واللطف من الله تعالى وإرسال الرسل عليهم الصلاة والسلام .

والصلاح . كلمة محببة إلى النفوس لأنها ضد الفساد .

والأصلح . كلمة توحى بأعمق من الصلاح وقوة القرب من الخير والنفع .

والمعتزلة تؤكد أن الله تعالى لا يفعل بعباده إلا الصلاح ومافيه نفعهم وجوبا عليه جل وعلا لأنه إذا لم يفعل ذلك كان ظلما لهم ونقصا من مافيه صلاحهم . بل وخلاف الحكمة فى إيجاده لهم إذا لم يعنهم على ماكلفهم به حسب مايرى المعتزلة من الواجبات التى افترضوها على الله تعالى .

الرد عليهم :

أمر الله وأرشد عباده إلى أن يفعلوا كل مافيه صلاحهم وأن مرد ذلك يعود إليهم هم وأن الله تعالى لا تضره معصية العاصي ولاتنفعه طاعة المطيع وقد كتب

---

(١) انظر شرح الأصول الخمسة : ص ٣٥٤ / ٣٦٢ تحت عنوان جانبى «آيات من القرآن تدل على أن الله لا يخلق أفعال العباد» .

الله على نفسه الرحمة تفضلا منه وحرم الظلم عدلا منه .

والله تعالى يفعل بعباده الأصلح لهم ولكن لا يجوز القول بالوجوب عليه جل وعلا على سبيل المعاوضة كما هو الحال بين المخلوقين .

فإن العباد لا يوجبون عليه شيئا وإنما هو الذى أوجب على نفسه .

تفضلاً منه وكرما لا أنه يجب .

عليه فعل الصلاح والأصلح بمفهوم المعتزلة الذى فيه إقامة الحجة عليه إن لم يفعل بهم ذلك فإنه حسب معتقد هؤلاء يحق للكافر أن يقول يارب أنت خلقتنى ورزقتنى ومكنتنى من الكفر حتى مت كافرا فلم أقدرتنى على ذلك ولم تعاملنى بالأصلح كغيرى من الناس الذين ماتوا على الإسلام .

ويحق كذلك لمن كانت درجته نازلة فى الجنة أن يقول لم لم تمكنى من الأعمال التى توصلنى إلى ما وصل إليه غيرى من الدرجات العلى .

ومذهب أهل السنة هو الحق فلا إيجاب على الله إلا ما أوجبه على نفسه تفضلا منه وكرما لا أن العباد يستحقون عليه شيئا بإيجاب أحد من خلقه عليه.

وكذلك مسألة اللطف من الله تعالى هى من الأمور الثابتة لكن ليس على سبيل الإيجاب على الله تعالى كما ترى المعتزلة .

بل اللطف من الله لعبده بمحض تفضله جل وعلا وكرمه ومنه عليه بالتوفيق إلى فعل الخيرات وترك المحذورات ولا يجوز القول بوجوب فعل اللطف على الله تعالى .

قال تعالى :﴿ **ولولا فضل الله عليكم ورحمته لاتبعتم الشيطان إلا قليلا** ﴾[1].

فقد لطف الله بعباده إذ لم يتبعوا الشيطان جملة حيث بصرهم بعواقب

---

(١) النساء : ٨٣ .

طاعة الشياطين وبين لهم أضرار ذلك ثم لطف بهم وقوى عزيمتهم على عصيان الشيطان تفضلا منه تعالى وليس بإيجاب أحد عليه .

وأما إرسال الرسل فإنه من جملة ماتوجبه المعتزلة على الله تعالى لأنه إذا لم يفعل ذلك كان مخلا بما هو واجب عليه لأن صلاح العباد يتعلق بإرسال الرسل لتعريف الناس ومادام صلاح العباد يتوقف على إرسالهم فإن إرسالهم يكون واجبا عليه لأن إرسالهم هو مقتضى العدل الذى يتم به صلاح الخلق .

الرد عليهم :

وقد عرفنا فيما سبق أنه لا يجوز لأحد أن يوجب على الله تعالى شيئا فهو رب العباد وخالقهم ومالكهم يتصرف فيهم كما يشاء فلا موجب عليه إلا ما أوجبه هو على نفسه تفضلا وكرما .

وقد اقتضت حكمته تعالى أن يرسل الرسل وأن يعذر إلى الخلق فلا يعذب أحدا إلا على مخالفته لرسله قال تعالى : ﴿ **وما كنا معذبين حتى نبعث رسولا** ﴾[1] وقال تعالى : ﴿ **ذلك أن لم يكن ربك مهلك القرى بظلم وأهلها غافلون** ﴾[2]، وهذا من تفضله وكرمه على عباده ولطفه بهم لا أن أحدا أوجبه عليه كما ترى المعتزلة .

٣ـ الأصل الثالث : الوعد والوعيد :

الوعد في مفهوم المعتزلة عرفه القاضي عبد الجبار بقوله :

« أما الوعد فهو كل خبر يتضمن إيصال نفع إلى الغير أو دفع ضرر عنه فى المستقبل ولا فرق بين أن يكون حسنا مستحقا وبين أن لا يكون كذلك ألا ترى أنه كما يقال أنه تعالى وعد المطيعين بالثواب فقد يقال وعدهم بالتفضل مع أنه غير مستحق وكذلك يقال فلان وعد فلانا بضيافة فى وقت يتضيق عليه الصلاة

(١) الإسراء : ١٥ . (٢) الأنعام : ١٣١ .

مع أنه يكون قبيحا » [1] قال « ولابد من استقبال الحال فى الحدين [2] جميعا لأنه إن نفعه فى الحال أو ضره مع القول لم يكن واعدا ولا متوعدا » [3] إلى أن قال فى بيان علوم الوعد والوعيد فى مفهومهم : « وأما علوم الوعد والوعيد فهو أنه يعلم أن الله وعد المطيعين بالثواب وتوعد العصاة بالعقاب وأنه يفعل ماوعد به وتوعد عليه لا محالة ولا يجوز عليه الخلف والكذب » [4].

هذا هو مذهب المعتزلة يوجبون على ربهم أن ينفذ وعده وأن يعطى العبد أجر ماكلفه به من طاعات استحقاقا منه على الله مقابل وعد الله له إذا التزم العبد بجميع التكاليف التى اختارها الله وكلف بها عباده .

وقد أورد المعتزلة لتأييد مذهبهم هذا بعض النصوص فهموا منها وجوب إنفاذ الله وعده وهى آيات من القرآن الكريم وبعض الشبه العقلية .

منها قول الله عز وجل : ﴿ **ومن يخرج من بيته مهاجرا إلى الله ورسوله ثم يدركه الموت فقد وقع أجره على الله وكان الله غفورا رحيما** ﴾ [5].

وموضع الشاهد من الآية هو قوله تعالى : ﴿ **فقد وقع أجره على الله** ﴾ حيث فسروا هذا الوقوع بمعنى الوجوب أى فقد وجب ثوابه على الله استحقاقا لأن العمل فى رأيهم من موجبات الثواب .

واستدلوا أيضا على ذلك من العقل بأن الله مادام قد كلف عباده بالأعمال الشاقة فلابد أن يكون لها مقابل من الأجر وإلا لكان ذلك ظلما والله منزه عن الظلم فلا يجوز على الله تعالى - فى نظرهم - أن يوجب العمل ولا يوجب له جزاءاً .

والواقع أن ما استدلوا به من الآية والشبهة العقلية إنما بنوه على مسألة وجوب

---

(١) شرح الأصول الخمسة : ص ١٣٤ .
(٢) الحدين يقصد بهما الوعد والوعيد .
(٣) المصدر السابق : ص ١٣٥ .
(٤) المصدر السابق : ص ١٣٥ / ١٣٦ .
(٥) سورة النساء : ١٠٠ .

دخول الجنة بالعمل وهى من المسائل الهامة وقد أورد الحافظ ابن حجر فيها عدة معاني للعلماء حول مفهوم الحديث الذى روته عائشة رضى الله عنها عن النبى ﷺ أنه قال: «**سددوا وقاربوا وأبشروا فإنه لا يدخل أحدا الجنة عمله قالوا ولا أنت يارسول الله قال: ولا أنا إلا أن يتغمدنى الله بمغفرة ورحمة**»(1).

وحول مفهوم الآيات التى تفيد أن دخول الجنة لا يكون إلا بالعمل لقوله تعالى : ﴿**يقولون سلام عليكم أدخلوا الجنة بما كنتم تعملون**﴾ (2).

وبين الآيات التى تفيد أن دخولها إنما هو تفضل من الله تعالى لقوله عز وجل في إخباره عن كلام أهل الجنة وغبطتهم بما هم فيه ﴿ **الذى أحلنا دار المقامه من فضله**﴾ (3).

فهل يكون دخول الجنة استحقاقا بالعمل كما ترى المعتزلة أم أن دخولها إنما هو بفضل الله مضافا إليه العمل .

والحق أن دخول الجنة إنما هو بفضل الله أولا وأخيرا وليس للعبد على ربه أى استحقاق غير أن الله تعالى أوجب على نفسه أنه لا يظلم عمل عامل من ذكر أو أنثى فجعل العمل من أسباب دخول الجنة والأسباب نفسها إنما هى تفضل من الله تعالى .

فاتضح أن استدلال المعتزلة بالآية السابقة وغيرها فى وجوب الثواب بمعنى أن الله تعالى يجب عليه شيء لم يوجبه هو على نفسه استدلال خاطئ فإن الله تعالى لا يستطيع أحد من خلقه أن يوجب عليه شيئا لم يوجبه هو على نفسه .

فالخلق عبيده وله عليهم من النعم مالا يقومون بشكر أقلها ومع ذلك فإن الله تعالى لا يخلف وعده فإنه يعطى العبد ما وعده به من الخير بحكم وعده وكرمه وفرق بين وقوع ذلك على هذه الصفة وبين وقوعه استحقاقا وهذا الجواب يدفع

---

(1) أخرجه البخارى ، انظر فتح البارى : حـ ١١ ص ٢٩٤ / ٣٠٠ .

(2) سورة النحل : ٣٢ .

(3) سورة فاطر : ٣٥ .

كذلك شبهتهم العقلية التى بنوها على المعاوضة بينهم وبين الله عز وجل وقد علمت خطأ هذا التصور [1].

٢ ـ الوعيد :

والوعيد في مفهوم المعتزلة سبق بيانه في كلام القاضى عبد الجبار من أن الله « يفعل ما وعد به وتوعد عليه لا محالة ولا يجوز عليه الخلف والكذب » .

والمقصود بالوعيد هنا هو ما يتعلق بأحكام المذنبين من عصاة المؤمنين إذا ماتوا من غير توبة وقد أوضح المعتزلة رأيهم فى هذا وهو أن أصحاب الكبائر إذا ماتوا من غير توبة فإنهم يستحقون بمقتضى الوعيد من الله النار خالدين فيها إلا أن عقابهم يكون أخف من عقاب الكفار [2].

شبههم :

للمعتزلة شبهات فى تأييدهم لمذهبهم بأنفاذ الوعيد لا محالة وقد استدلوا من القرآن الكريم بكل آية يذكر فيها عقاب العصاة بالنار والخلود فيها وهى آيات كثيرة مثل قوله عز وجل :﴿**إن الأبرار لفى نعيم وإن الفجار لفى جحيم يصلونها يوم الدين وماهم عنها بغائبين**﴾ [3].

وكذا قوله تعالى : ﴿ **إن المجرمين فى عذاب جهنم خالدون** ﴾ [4].

وقوله تعالى :﴿ **بلى من كسب سيئة وأحاطت به خطيئته فأولئك أصحاب النار هم فيها خالدون** ﴾ [5].

وآيات أخرى كثيرة يدل ظاهرها على هذا المفهوم .

---

(١) انظر لمزيد التفصيل المعتزلة وأصولهم الخمسة وموقف أهل السنة منها ص ٢١٣/٢١٧ .

(٢) أنظر الملل والنحل للشهرستانى : جـ ١ ص ٤٥ .

(٣) الانفطار الآيات ١٣ / ١٦ .

(٤) الزخرف .

(٥) البقرة : ٨١ .

والواقع : أن مسألة تخليد أصحاب الذنوب فى النار من المسائل التى بحثها المعتزلة وأهل السنة وأطالوا فيها الكلام وكثر فيها الخصام وأود إيجاز النتيجة فى ما يلى:

إن استدلال المعتزلة لما يذهبون إليه من إنفاذ الوعيد لا محالة وأن أصحاب الكبائر والذنوب من المؤمنين مخلدون فى النار حتما قول غير مسلم وهو خطأ فى فهم النصوص وحمل لها على غير معانيها الصحيحة فإن الآيات لا تدل على خلود أصحاب المعاصى من المؤمنين خلودا أبديا حتميا ذلك أن الله عز وجل قد يعفو عنهم ابتداءاً وقد يعذبهم بقدر ذنوبهم ثم يخرجهم الله بتوحيدهم وإيمانهم لأنه لا يخلد فى النار إلا من مات على الشرك الذى أخبر عز وجل أنه لا يغفر لصاحبه وأما ما عدا الشرك فإن الله تعالى يغفره .

ومن ناحية أخرى فإن خلف الوعيد من فعل الكرام وهى صفة مدح بخلاف خلف الوعد فإنها صفه ذم والله عز وجل يتنزه عنها بخلاف الوعيد فإنه يعتبر من باب التفضل والتكرم وإسقاط حق نفسه وهذا هو مذهب السلف أهل السنة والجماعة وما ذهب إليه المعتزلة من منع إخلاف الوعيد وزعمهم أنه من الكذب فهو إلى سوء الظن أقرب وهو تحكم على الله عز وجل والله تعالى يفعل ما يشاء .

وقد أجمل الطحاوي مذهب أهل السنة في كلامه الآتى : « وأهل الكبائر من أمة محمد ﷺ فى النار لا يخلدون إذا ماتوا وهم موحدون وإن لم يكونوا تائبين بعد أن لقوا الله عارفين [(١)] وهم في مشيئته وحكمه إن شاء غفر لهم وعفا عنهم بفضله كما ذكر عز وجل فى كتابه ﴿ **ويغفر مادون ذلك لمن يشاء**﴾ [(٢)] وإن شاء عذبهم فى النار بعدله ، ثم يخرجهم منها برحمته وشفاعة الشافعين من

---

(١) قال شارح الطحاوية ابن أبى العز ، الحنفى معقبا على قول الطحاوي « بعد أن لقوا الله عارفين» قال « لو قال مؤمنين بدل قوله عارفين كان أولى لأن من عرف الله ولم يؤمن به فهو كافر ، وإنما اكتفى بالمعرفه وحدها الجهم وقوله مردود باطل ص ٣٥٩ .

(٢)النساء ٤٨ ، ١١٦ .

أهل طاعتـه ثم يبعثهم إلى جنته وذلك بأن الله تعالى تولى أهل معرفته ولم يجعلهم فى الدارين كأهل نكرته الذين خابوا من هدايته ولم ينالوا من ولايته»[1].

وهذه الشفاعة التي أشار إليها الطحاوي رحمه الله للمعتزلة فيها موقف مخالف لموقف أهل الحق .

وذلك أن المعتزلة لا ترى الشفاعة لأحد فى الآخرة إلا للمؤمنين فقط دون الفساق من أهل القبلة فلا شفاعة لأهل الكبائر لأن إثبات ذلك يؤدى إلى خلف وعيد الله وخلف الوعيد عندهم يعتبر كذبا والله يتنزه عن الكذب .

ثم استدلوا بالآيات الواردة فى نفي الشفاعة عن غير المؤمنين الفائزين كقوله تعالى : ﴿**واتقوا يوما لا تجزى نفس عن نفس شيئا ولا يقبل منها شفاعة ولا يؤخذ منها عدل ولاهم ينصرون**﴾[2].

وكذا قوله تعالى : ﴿ **ولا يشفعون إلا لمن ارتضى** ﴾[3] أى والفساق غير راض عنهم فلا تصح الشفاعة فيهم .

وقوله تعالى : ﴿ **ما للظالمين من حميم ولا شفيع يطاع** ﴾[4]. إلى غير ذلك من الآيات الواردة بهذا المعنى .

ولا ريب أن المعتزلة جانبوا الصواب فى الحكم بنفى الشفاعة فى العصاة فإن القول بإثبات هذه الشفاعة مما هو ثابت متواتر عن السلف لثبوت الأحاديث المتواترة بذلك وإجماع علماء الإسلام عدا المعتزلة .

والذى جر المعتزلة لهذا الخطأ ، خطأ آخر وهو أن من عقائدهم أن السيئات يذهبن الحسنات ، فلو أتى الشخص بحسنات كالجبال ثم جاء بعدها بسيئة فإن تلك الحسنات تحبط بمجرد صدور المعصية .

(١) انظر شرح الطحاوية : ص ٣٥٦ / ٣٥٧ .
(٢) البقرة : ٤٨ .
(٣) سورة الأنبياء : ٢٨ .
(٤) سورة غافر : ١٨ .

ومذهب السلف أنه لاشيء يبطل جميع الحسنات إلا الردة عن الإسلام والرجوع إلى الكفر .

كما أن تكفير جميع السيئات عن المذنب لا يكون إلا بالتوبة وفى هذا يقول شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله :

« والتحقيق أن يقال : إن الكتاب والسنة مشتمل على نصوص الوعد والوعيد كما أن ذلك مشتمل على نصوص الأمر والنهى وكل من النصوص يفسر الآخر ويبينه فكما أن نصوص الوعد على الأعمال الصالحة مشروطة بعدم الكفر المحبط لأن القرآن قد دل على أن من ارتد فقد حبط عمله فكذلك نصوص الوعد للكفار والفساق مشروطة بعدم التوبة لأن القرآن قد دل على أن الله يغفر الذنوب جميعا لمن تاب وهذا متفق عليه بين المسلمين فإن الله قد بين بنصوص معروفة أن الحسنات يذهبن السيئات وأن من يعمل مثقال ذرة خيرا يره ومن يعمل مثقال ذرة شرا يره إلى أن قال : « فجعل للسيئات مايوجب رفع عقابها كما جعل للحسنات ماقد يبطل ثوابها لكن ليس شيء ، يبطل جميع السيئات إلا التوبة كما أنه ليس شيء يبطل جميع الحسنات إلا الردة » [1].

٤ـ الأصل الرابع : المنزلة بين المنزلتين

تدور هذه المسألة حول الحكم على مرتكب الكبيرة حينما طلب إلى الحسن البصري أن يبين الحكم في صاحب الكبيرة وما تلا ذلك من جواب واصل بن عطاء ثم أشتداد الخلاف بعد ذلك واعتزال واصل وجماعته حلقة الحسن البصري .

وقد قدمنا أن قضية مرتكبي الذنوب كانت هى الحصيلة الحتمية عند المعتزلة لمواقف الفرق الأخرى من خوارج ومرجئة وأهل السنة أيضا بسبب ما استجد

---

(١) مجموع الفتاوى جـ ١٢ صـ ٤٨٣ .

بين المسلمين من أحداث خطيرة سياسية أبتداء من قتل عثمان رضى الله عنه وانتهاءا بأصحاب المعاصي أيا كان عصيانهم .

وقد أجمعت المعتزلة على قضية المنزلة بين المنزلتين واعتبروها أصلا من الأصول الثابتة .

وتلقب هذه المسألة حسب ما يذكره القاضي عبد الجبار. « بمسألة الأسماء والأحكام»[1].

وقد بين اصطلاح المتكلمين فى معنى المنزلة بين المنزلتين بقوله :

« والأصل في ذلك أن هذه العبارة إنما تستعمل في شيء بين شيئين ينجذب إلى كل واحد منهما بشبه هذا فى أصل اللغة وأما فى اصطلاح المتكلمين .

فهو العلم بأن لصاحب الكبيرة اسم بين الاسمين وحكم بين الحكمين على مايجيء من بعد » [2].

وما أحال إليه هنا فى قوله على ما يجيء من بعد قد شرحه تحت عنوان « الأصل الرابع وهو الكلام فى المنزلة بين المنزلتين » قال فيه : « اعلم أن هذا الفصل كلام فى الأسماء والأحكام ويلقب بالمنزلة بين المنزلتين ومعنى قولنا أنه كلام في السماء الأحكام هو أنه كلام فى أن صاحب الكبيرة له اسم بين الإسمين وحكم بين الحكمين لا يكون اسمه إسم الكافر ولا أسمه اسم المؤمن وإنما يسمى فاسقا ، وكذلك فلا يكون حكمه حكم الكافر ولا حكم المؤمن بل يفرد له حكم ثالث وهذا الحكم الذى ذكرناه هو سبب تلقيب المسألة بالمنزلة بين المنزلتين فإن صاحب الكبيرة له منزلة تتجاذبها هاتان المنزلتان فليست منزلته منزلة الكافر ولا منزلة المؤمن بل له منزلة بينهما » [3].

---

(١) شرح الأصول الخمسة ص ١٣٧ .

(٢) شرح الأصول الخمسة : ص ٦٩٧ .

(٣) المصدر السابق .

والمقصودِ أن المعتزلة يريدون بالمنزلة بين المنزلتين المؤمن صاحب المعاصي فهو عندهم ليس بمؤمن ولا كافر بل يفرد له حكم ثالث وهو تسميته « فاسقا » فى الدنيا والحكم بخلوده فى النار في الآخرة فاختلف اسمه وحكمه فى الدنيا فاستحق أن يكون في منزلة بين المنزلتين .

والذى حيرهم فى أمر الفاسق هو أنه من جهة ليس بمؤمن لأن حكم المؤمن لا ينطبق عليه فى الواقع لمجيئه بأعمال غير المومنين فى بعض أموره وهو كذلك ليس بكافر تماما لمجيئه بأعمال المؤمنين في بعض أموره إذا فهو فاسق والفسق اسم ذم وماثبت له اسم الذم انتفى عنه اسم المدح وقد توعد الله الفساق بالنار فحكمه في الآخرة الخلود فيها .

ويرد عليهم : ببيان حكم مرتكب الكبيرة فى الشرع هل حكم بكفره وإخراجه من الملة أم حكم بإيمانه الإيمان الكامل أم هو مؤمن بإيمان فاسق بكبيرته.

الواقع : أن العاصي غير خارج من الملة بفسقه بل هومؤمن ناقص الإيمان أو مؤمن بإيمانه فاسق بكبيرته ولم تخرجه النصوص عن الإيمان لا فى كتاب الله ولا فى سنة نبيه ولا فى إجماع الأمة وفى هذا يقول الطحاوي « ولا نكفر أحدا من أهل القبلة بذنب مالم يستحله» [1].

وقد أجاب الشارح ابن أبي العز الحنفي حول ما ورد من تسمية الشارع لبعض الذنوب كفرا مثل قول الله تعالى : ﴿ **ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الكافرون**﴾[2] وقول النبى ﷺ « **سباب المسلم فسوق وقتاله كفر** »[3].

وأمثلة أخرى كثيرة يفيد ظاهرها إطلاق كلمة الكفر على من اقترف ذنبا من تلك الذنوب ثم أجاب عن ذلك كله فقال :

والجواب : أن أهل السنة متفقون كلهم على أن مرتكب الكبيرة لا يكفر

(١) شرح العقيدة الطحاوية : ص ٢٩٥ .   (٢) المائدة : ٤٤ .

(٣) متفق عليه البخاري جـ ١ صـ ١١٠ ومسلم .

كفـرا ينقل عن الملة بالكلية كما قـالت الخوارج إذ لو كـفر كفـرا ينقل عن الملة لكان مرتدا يقتل على كل حال ولا يقبل عفو ولا القصاص ولا تجري الحدود فى الزنا والسرقة وشرب الخمر وهذا القول معلوم بطلانه وفساده بالضرورة من دين الإسلام ومتفقون على أنه لا يخرج من الإيمان والإسلام ولا يدخل في الكفر ولا يستحق الخلود مع الكافرين كما قالت المعـتزلة فإن قولهم باطل أيضا إذ قد جعل الله مرتكب الكبيـرة من المؤمنين قال تعالى : ﴿ **يا أيها الذين آمنـوا كتب عليكم القصاص فى القتلى** ﴾[1] إلى أن قـال : ﴿ **فمن عـفي له من أخيه شيء فاتباع بالمعروف** ﴾ فلم يخرج القاتل من الذين آمنوا وجـعله أخا لولي القصاص والمراد أخوة الدين بلا ريب وقـال تعالى : ﴿ **وإن طائفتان من المؤمنين اقتتلوا فأصلحوا بينهما** ﴾ إلى أن قال ﴿ **إنما المؤمنون أخوة فأصلحوا بين أخويكم** ﴾ .[2]

ونصوص الكتاب والسنة والإجمـاع تدل على أن الزاني والسارق والقاذف لا يقـتل بل يقام عليـه الحد فـدل على أنه ليس بمرتد وقـد ثبت فى الصحـيح عن النبي ﷺ أنه قـال : «من كـانت عنده لأخـيه اليـوم مظلمـة من عـرض أو شىء فليتـحلله منه اليوم قبـل أن لا يكون درهم ولا دينار أن كان له عمل صـالح أخذ منه بقدر مظلمتـه ،أن لم يكن له حسنات أخذ من سيئات صاحـبه فطرحـت عليه ثم ألقى فـى النار » [3] فثبت أن الظالم بكون له حسنـات يستوفى المظلـوم منها حـقه « ثم أورد حـديث المفلس[4] وقـول الله تعـالى : ﴿ **إن الحسنات يذهبن السيئات** ﴾ [5] ثم قـال : « **فدل ذلك على أنه فى حـال اساءته يعـمل حسنات تمحو سيئاته** »[6].

وهذا جواب نفيس جـامع لفوائد عظيمة وفيـه بيان جلي لمذهب السلف في

(١) البقرة : ١٧٨ . (٢) الحجرات : ٩ . ١٠ .
(٣) رواه البخارى فى الرقاق حـ ١١ صـ ٣٩٥ ، وفى المظالم أيضا جـ٥ صـ ١٠١ .
(٤)هو حديث رواه مسلم . جـ٨ صـ ١٨ . (٥) هود : ١١٥ .
(٥) انظر شرح الطحاوية : ص ٣٠١ /٣٠٢ .

هذه القضية التى أخطأ فيها المعتزلة وجعلوا العصاة فى منزلة بين المنزلتين فى الدنيا وحكموا بخلودهم في النار فى الآخرة ولم يلتفتوا إلى مشيئة الله تعالى فى أولئك وهو الفعال لما يريد جل وعلا فقطعوا عنه المشيئة ، ثم زادوا الخطأ بآخر حينما حكموا بخلوده فى النار مع من مات على الشرك ولم يسجد لله سجدة ولا شك أن العقل يأبى هذا الحكم مع أنهم ممن يقدر العقل ويقدمه على النقل . ولكن الهوى يغطي على العقل والفهم إلا من وفقه الله تعالى .

٥ـ الأصل الخامس : الأمر بالمعروف ... والنهي عن المنكر

هذا هو الأصل الأخير من أصول المعتزلة الخمسة .

وقد بين القاضي عبد الجبار حقيقة الأمر ، والنهى ، والمعروف ، والمنكر فقال : « أما الأمر : فهو قول القائل لمن دونه فى الرتبة افعل ، والنهى هو قول القائل لمن دونه لاتفعل .

وأما المعروف فهو كل فعل عرف فاعله حسنه أودل عليه ، ولهذا لا يقال فى أفعال القديم تعالى معروف لما لم يعرف حسنها ولادل عليه .

وأما المنكر فهو كل فعل عرف فاعله قبحه أو دل عليه ولووقع من الله تعالى القبيح لايقال أنه منكر لما لم يعرف قبحه ولا دل عليه »[1].

ومعنى التعريف أن المعروف والمنكر لابد أن يتضح أمرهما عند الشخص بأن يرى حسن المعروف ويدلل عليه ويرى قبح المنكر ويستطيع أن يدلل عليه وهذا بخلاف مالووقع من الله ـ أفتراضا ـ فعل القبيح فإنه لا يستطيع أن يدلل عليه ولذا فلا يوصف بالمنكر.

والأمر بالمعروف والنهى عن المنكر يعتبران من فروض الكفايات عند المعتزلة إذا قام بهما من يكفى سقط عن الباقين وحكمها عموما الوجوب الكفائي .

---

(١) شرح الأصول الخمسة : ص ١٤١ .

وقد استدل المعتزلة على وجوب الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر بأدلة كثيرة من القرآن الكريم ومن السنة النبوية والإجماع .

فمن القرآن الكريم قوله تعالى : ﴿ **كنتم خير أمة أخرجت للناس تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر** ﴾[1] قال عبد الجبار : « فالله تعالى مدحنا على ذلك فلولا أنها من الحسنات الواجبات وإلا لم يفعل ذلك » [2].

قال عبد الجبار : « وأما من السنة فهو قول النبى ﷺ : « **ليس لعين ترى الله يعصى فتطرف حتى تغير أو تنتقل** » [3].

قال : « وأما الإجماع فلا إشكال فيه لأنهم أتفقوا على ذلك »[4] وقد توافق أهل السنة والمعتزلة فى حكم القيام بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر في كونه من الواجبات على الكفاية وهو ما قرره الله تعالى فى كتابه الكريم حيث قال:﴿**ولتكن منكم أمة يدعون إلى الخير ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر وأولئك هم المفلحون** ﴾ [5]. إلا أنه وقع خلاف بين أهل السنةوالمعتزلة فيما يلى:

١ ـ طريقة تغيير المنكر .

٢ ـ أوجبوا الخروج على السلطان الجائر .

٣ ـ حمل السلاح فى وجوه المخالفين لهم سواء كانوا من الكفار أو من أصحاب المعاصى من أهل القبلة .

فأما طريقة تغيير المنكر : فقد ساروا فيها عكس الحديث الذى بين فيه الرسول ﷺ موقف المسلم إزاء تغيير المنكرات .

---

(١) آل عمران : ١١٠ .

(٢) شرح الأصول الخمسة : ص ١٤٢ .

(٣)رواه ابن ماجه وأحمد فى المسند .

(٤) شرح الأصول الخمسة : ص ١٤٢ .

(٥) آل عمران الآية : ١٠٤ .

عن أبى سعيد الخدرى رضى الله عنه أن النبى ﷺ قال : « **من رأى منكم منكرًا فليغيره بيده فإن لم يستطع فبلسانه فإن لم يستطع فبقلبه وذلك أضعف الإيمان** »[1].

إذ إن تغيير المنكر عندهم يبدأ بالحسنى ثم باللسان ثم باليد ثم بالسيف بينما الحديث يرشد إلى العكس وهو ما يذهب إليه أهل الحق من أن تغيير المنكر يبدأ بالفعل باليد إذا لم يترتب عليه مفاسد والتغيير باليد هنا لا يكون بالسيف وإنما هو إزالة المنكر بدون قتال ولا فتح باب فتنة أكبر من المنكر المرادإزالته .

فإن لم يتمكن الشخص من التغير باليد انتقل إلى التغير باللسان فإن وصل الحال إلى عدم الاستطاعة من التغيير باللسان بأن كان الشر هو الغالب على الخير فليكتف بالتغيير بالقلب من كراهة المنكر وتمني زواله وبغضه وبغض أهله ومع هذا فلا مكان للسيف هنا لأن الرسول ﷺ لم يرشد إليه ولما فيه كذلك من جر الأمة إلى ما هو أكبر من تغيير ذلك المنكر بخلاف المعتزلة فإنهم لا يرون حرجا فى حمل السلاح لتغيير المنكر .

وأما الخروج على السلطان الجائر فقد أوجبه المعتزلة والواقع أن جور السلطان وارتكابه المعاصي لا يوجب الخروج عليه لما يترتب على ذلك من المفاسد ومن سفك الدماء وتفريق كلمة الأمة فإن الإسلام لا يبيح الخروج عليه إلا عندما يظهر الكفر منه صراحة .

وأما حمل السلاح فى وجوه المخالفين لهم من أهل القبلة فلا دليل لهم على ذلك ولا يجوز أن يستحل دم المسلم إلا بما حدده الشرع وصاحب الكبيرة ليس بكافر فلا يجوز قتاله واستحلال دمه ولم يأمر الشرع بذلك فيجب على المسلم الالتزام وترك تنطع الخوارج والمعتزلة .

---

(١) أخرجه مسلم : حـ ١ ص ٣٢ كتاب الإيمان .

الباب الثالث عشر
« الأشاعرة أو السبعية »[1]

وفيه المطالب الآتية:

١ ـ ظهور الأشاعرة :

ظهرت الأشعرية بعد أن تنفس الناس الصعداء من سيطرة المعتزلة فى القرن الثالث الهجرى .

وهى فى الأصل نسبة إلى أبى الحسن الأشعرى ظهر بالبصرة وكان أول أمره على مذهب المعتزلة ثم تركه واستقل عنهم ولقد أصبح الانتساب إلى الأشعرى هو ما عليه أكثر الناس فى البلدان الإسلامية .

بعضهم على معرفة بمذهبه الصحيح وآرائه التى استقر عليها أخيرا وبعضهم على جهل تام بذلك وبعضهم بتجاهل ويصر على مخالفته مع انتسابه إليه .

وانتساب الأشاعرة إليه إنما هو بعد تركه للاعتزال وانتسابه إلى ابن كلاب وهى المرحلة الثانية من المراحل التى مر بها الأشعرى ولم يدم فيها إذ رجع إلى مذهب السلف ولكن بعض الأشاعرة ينتسبون إليه ولكن فى مرحلته الثانية ومن انتسب إليه فى مرحلته الثالثة فقد وافق السلف ونذكر فيما يلى نبذة موجزة عنه.

٢ ـ أبو الحسن الأشعرى :

هو على بن إسماعيل الأشعرى ينتسب إلى أبى موسى الأشعرى وهو أحد علماء القرن الثالث تنتسب إليه الأشعرية ولد فى البصرة سنة ٢٥٠ هـ وقيل سنة

(١) بعض العلماء يطلق عليهم السبعية بسبب أنهم يثبتون لله تعالى سبع صفات فقط ويؤولون فيما عداها .

٢٧٠ هـ وتوفى سنة ٣٣٠ هـ على أحد الأقوال .

تعمق أولا فى مذهب المعتزلة وتتلمذ على أبى علي الجبائي محمد بن عبد الوهاب أحد مشاهير المعتزلة إلا أن الله أراد له الخروج عن مذهبهم والدخول فى مذهب أهل السنة والجماعة وتوج ذلك بما سجله فى كتابه « الإبانة عن أصول الديانة » .

ومما يذكر عن سيرته أنه كان دائما يتململ من اختلاف الفرق فى وقته وينظر فيها بعقل ثاقب فهداه الله إلى الحق واقتنع بما عليه السلف من اعتقاد مطابق لما جاء فى القرآن والسنة النبوية فكان له موقف حاسم فى ذلك .

ومما يدل على ذكائه وطلبه للحق وإفحامه لخصمه في المحاجة أنه سأل أستاذه[1] أبا على الجبائي عن ثلاثة أخوة كان أحدهم مؤمنا براً تقيا . والثانى كان كافرا فاسقا شقيا ، والثالث كان صغيرا ، فماتوا فكيف حالهم ؟ فقال الجبائي أما الزاهد ففي الدرجات ، وأما الكافر ففى الدركات وأما الصغير فمن أهل السلامة. فقال الأشعري أن إراد الصغير أن يذهب إلى درجات الزاهد هل يؤذن له؟ فقال الجبائي لا لأنه يقال له أخوك إنما وصل إلى هذه الدرجات بطاعاته الكثيرة وليس لك تلك الطاعات فقال الأشعري فإن قال ذلك التقصير ليس مني فإنك ما أبقيتنى ولا أقدرتنى على الطاعة فقال الجبائي يقول البارئ جل وعلا كنت أعلم لو بقيت لعصيت وصرت مستحقا للعذاب الأليم فراعيت مصلحتك فقال الأشعري فلو قال الأخ الأكبر يا إله العالمين كما علمت حاله فقد علمت حالي فلم راعيت مصلحته دونى ؟ فانقطع الجبائي .

لقد كان الأشعري إماما فذا كثير التأليف واسع الاطلاع محببا إلى الناس ولهذا تجد أن كل طائفة تدعي نسبته إليها « فالمالكي يدعي أنه مالكي والشافعي يزعم أنه شافعي والحنفي كذلك »[2] .

---

(١) على حسب مذهب المعتزلة .
(٢) انظر كتاب « أبو الحسن الأشعرى » : ص ٨ .

٣ ـ عقيدة الأشعري :

علمنا فيما مضى أن الأشعري كان على مذهب المعتزلة ومن العارفين به وأنه أقام عليه مدة أربعين سنة ومما يذكره العلماء عن سيرته ورجوعه عن الاعتزال إلى المذهب الحق أنه مكث فى بيته خمسة عشر يوما لا يخرج إلى الناس وفى نهايتها خرج فى يوم جمعة وبعد أن انتهى من الصلاة صعد المنبر وقال مخاطبا من أمامه من جموع الناس :

« أيها الناس من عرفني فقد عرفني ومن لم يعرفني فأنا أعرفه بنفسي أنا فلان بن فلان كنت أقول بخلق القرآن وأن الله تعالى لا يرى بالأبصار وأن أفعال الشر أنا أفعلها وأنا تائب مقلع متصد للرد على المعتزلة مخرج لفضائحهم .

معاشر الناس إنما تغيبت عنكم هذه المدة لأنى نظرت فتكافأت عندى الأدلة ولم يترجح عندى شىء على شىء فاستهديت الله تعالى فهدانى إلى الاعتقاد ما أودعته كتبي هذه وانخلعت من جميع ما كنت أعتقد كما أنخلعت من ثوبى هذا وأنخلع من ثوب كان عليه . ودفع للناس ما كتبه على طريقة الجماعة من الفقهاء والمحدثين » [١] .

ومن هنا انضم إلى أهل السنة والجماعة وفرحوا به فرحا شديدا واحترموه وعرفوا قدره وإخلاصه وتوجهه إلى الحق بيقين ثابت وصارت أقواله حجة وآرؤه متبعه بينما ثار عليه أهل الاعتزال وذموه بأنواع الذم غيظا عليه لوقوفه فى وجوههم وإبطال آرائهم المخالفة للحق وتركه لمذهبهم خصوصا وأنه كان من المتعمقين فى مذهبهم والعارفين بعواره .

ومما ينبغى ملاحظته . أن ينتبه طالب العلم إلى تمويه المغرضين ممن يزعم أن الأشعري لم يتب عن الاعتزال وأن الإبانة مدسوسة عليه وهو كذب ليس له ما يسنده بل الصحيح الذى عليه عامة علماء السلف أن الأشعري رجع إلى مذهب

(١) انظر تاريخ المذاهب الإسلامية : ص ١٨١ ــ جـ ١ .

أهل السنة والجماعة وتاب من كل ما يخالفه كما صرح بذلك فى كتبه كالإبانة وغيرها من مؤلفاته النافعة (١) .

وعلى هذا فإن الأشعري مرّ بثلاثة أحوال فى عقيدته :

١ ـ **الحال الأول** : حال الاعتزال .

٢ ـ **الحال الثاني** : إثبات الصفات العقلية السبعة : وهى الحياة ـ والعلم ـ والقدرة ـ والإرادة ـ والسمع ـ والبصره والكلام . وتأويل الصفات الخبرية كالوجه واليدين والقدم والساق ونحو ذلك .

٣ ـ **الحال الثالث** : إثبات ذلك كله من غير تكييف ولا تشبيه جريا على منوال السلف كما فى الإبانة واللمع التى نوه بها أحد معاصري الأشعري فقال يمدحه :

لو لم يصنف عمره ... غير الإبانة واللمع

لكفى فكيف وقد ... تفنن فى العلوم بما جمع

مجموعة تربى على المئتين ... مما قد صنع

لم يأل فى تصنيفها ... أخذا بأحسن ما استمع

فهدى بها المسترشدين ... ومن تصفحها انتفع

تتلى معاني كتبه ... فوق المنابر فى الجمع

ويخاف من إفحامه ... أهل الكنائس والبيع

فهو الشجا فى حلق من ... ترك المحجة وابتدع (٢)

---

(٢) فى رسالة للشيخ حماد الأنصارى تسمى « أبو الحسن الأشعرى » نقول كثير، عن علماء الإسلام فى إثباتهم الإبانة لأبى الحسن انظرها إن شئت .

(٢) تبيين كذب المفتري فيما نسب إلى أبي الحسن الأشعري : ص ١٥٢ انظر : « أبو الحسن الأشعرى : ص ٢١٤.

وفى كتابه الإبانه توضيح تام لعقيدته السلفية ومتابعته لإمام أهل السنة أحمد ابن حنبل فارجع أيها القارئ الكريم إلى هذا الكتاب واقرأه وخصوصا الباب الذى عنوانه « باب فى إبانة قول أهل الحق والسنة » تجد فيه العقيدة السلفية واضحة وضوح الشمس فى رابعة النهار .

وأرى أنه من باب تيسير الاطلاع على ما فى هذا الباب أن أنقله بطوله لعظيم نفعه وعموم فائدته فى كلام عذب وعبارات جميلة لا يمل القارئ من قرائته فإليك مضمون ما فيه بحروفه اسأل الله النفع للجميع .

قال رحمه الله تعالى :

عقيدته كما بينها فى كتابه « الإبانة » :

باب فى إبانة قول أهل الحق والسنة

فإن قال لنا قائل : قد أنكرتم قول المعتزلة والقدرية والجهمية والحرورية والرافضة والمرجئة فعرفونا قولكم الذى به تقولون وديانتكم التى بها تدينون . قيل له : قولنا الذى نقول به وديانتنا التى ندين بها التمسك بكتاب ربنا عز وجل وبسنة نبينا ﷺ وما روى عن الصحابة والتابعين وأئمة الحديث ونحن بذلك معتصمون . وبما كان يقول به أبو عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل نضر الله وجهه ورفع درجته وأجزل مثوبته قائلون ولمن خالف قوله مجانبون لأنه الإمام الفاضل والرئيس الكامل الذى أبان الله به الحق ورفع به الضلال وأوضح به المنهاج وقمع به بدع المبتدعين وزيع الزائغين وشك الشاكين فرحمة الله عليه من إمام مقدم وخليل معظم مفخم وعلى جميع أئمة المسلمين وجملة قولنا أنا نقر با لله وملائكته وكتبه ورسله وما جاء من عند الله وما رواه الثقات عن رسول الله ﷺ لا نرد من ذلك شيئا وأن الله عز وجل إله واحد لا إله إلا هو فرد صمد لم يتخذ صاحبة ولا ولدا وأن محمدا عبده ورسوله أرسله بالهدى ودين الحق . وأن الجنة حق والنار حق . وأن الساعة آتية لا ريب فيها وأن الله يبعث من فى القبور .

وأن الله استوى على عرشه كما قال : ﴿ **الرحمن على العرش استوى**﴾. وأن له وجها كما قال : ﴿ **ويبقى وجه ربك ذو الجلال والإكرام**﴾ وأن له يدين بلا كيف كما قال : ﴿ **خلقت بيدى** ﴾ وكما قال : ﴿ **بل يداه مبسوطتان** ﴾ وأن له عينا بلا كيف كما قال : ﴿ **تجرى بأعيننا** ﴾ وأن من زعم أن أسماء الله غيره كان ضالا وأن لله علما كما قال : ﴿ **أنزله بعلمه** ﴾ وكما قال : ﴿ **وما تحمل من أنثى ولا تضع إلا بعلمه** ﴾ ونثبت له السمع والبصر ولا ننفي ذلك كما نفته المعتزلة والجهمية والخوارج ونثبت أن لله قوة كما قال : ﴿**أو لم يروا أن الله الذي خلقهم هو أشد منهم قوة** ﴾ ونقول أن كلام الله غير مخلوق وأنه لم يخلق شيئا إلا وقد قال له كن فيكون كما قال : ﴿ **إنما قولنا لشيء إذا أردناه أن نقول له كن فيكون** ﴾ وأنه لايكون فى الأرض شىء من خير وشر إلا ما شاء الله وأن الأشياء تكون بمشئة الله عز وجل وأن أحدا لا يستطيع أن يفعل شيئا قبل أن يفعله الله ولا نستغنى عن الله ولا نقدر على الخروج من علم الله عز وجل وأنه لا خالق إلا الله وأن أعمال العبد مخلوقه لله مقدورة كما قال : ﴿ **خلقكم وما تعملون** ﴾ وأن العباد لا يقدرون أن يخلقوا شيئا وهم يخلقون كما قال : ﴿ **هل من خالق غير الله** ﴾ وكما قال : ﴿ **لا يخلقون شيئا وهم يخلقون** ﴾ وكما قال: ﴿ **أفمن يخلق كمن لا يخلق** ﴾ وكما قال : ﴿ **أم خلقوا من غير شىء أم هم الخالقون** ﴾ وهذا فى كتاب الله كثير .

وأن الله وفق المؤمنين لطاعته ولطف بهم ونظر إليهم وأصلحهم وهداهم وأضل الكافرين ولم يهدهم ولم يلطف بهم بالإيمان كما زعم أهل الزيغ والطغيان ولو لطف بهم وأصلحهم لكانوا صالحين ولو هداهم لكانوا مهتدين كما قال تبارك وتعالى ﴿ **من يهد الله فهو المهتدِ ومن يضلل فأولئك هم الخاسرون** ﴾ وأن الله يقدر أن يصلح الكافرين ويلطف بهم حتى يكونوا مؤمنين ولكنه أراد أن يكونوا كافرين كما علم وأنه خذلهم وطبع على قلوبهم وأن الخير والشر بقضاء الله وقدره وأنا نؤمن بقضاء الله وقدره خيره وشره حلوه ومره

ونعلم أن ما أخطأنا لم يكن ليصيبنا وأن ما أصابنا لم يكن ليخطئنا وأن العباد لا يملكون لأنفسهم ضرا ولا نفعا إلا ما شاء الله وأنا نلجىء أمورنا إلى الله ونبث الحاجة والفقر فى كل وقت إليه ، ونقول إن القرآن كلام الله غير مخلوق وأن من قال بخلق القرآن فهو كافر .

وندين بأن الله تعالى يرى فى الآخرة بالأبصار كما يرى القمر ليلة البدر يراه المؤمنون كما جاءت الروايات عن رسول الله ﷺ ونقول أن الكافرين محجوبون عنه إذا رآه المؤمنون فى الجنة كما قال الله عز وجل : ﴿ **كلا إنهم عن ربهم يومئذ لمحجوبون** ﴾ وأن موسى عليه السلام سأل الله عز وجل الرؤية فى الدنيا وأن الله سبحانه وتعالى تجلى للجبل فجعله دكا فأعلم بذلك موسى أنه لا يراه فى الدنيا ونرى بأن لا نكفر أحدا من أهل القبلة بذنب يرتكبه كالزنا والسرقة وشرب الخمور كما دانت بذلك الخوارج وزعمت أنهم كافرون .

ونقول أن من عمل كبيرة من هذه الكبائر مثل الزنا والسرقة وما أشبههما مستحلا لها غير معتقد لتحريمها كان كافرا .

ونقول إن الإسلام أوسع من الإيمان وليس كل إسلام إيمان وندين بأنه يقلب القلوب وأن القلوب بين أصبعين من أصابع الله عز وجل وأنه عز وجل يضع السموات على أصبع والأرضين على أصبع كنا جاءت الرواية عن رسول الله ﷺ .

وندين بأن لا ننزل أحدا من أهل التوحيد والمتمسكين بالإيمان جنة ولا نارا إلا من شهد له رسول الله ﷺ بالجنة ونرجوا الجنة للمذنبين ونخاف عليهم أن يكونوا بالنار معذبين .

ونقول إن الله عز وجل يخرج قوما من النار بعد أن امتحشوا بشفاعة محمد رسول الله ﷺ تصديقا لما جاءت به الروايات عن رسول الله ﷺ .

ونؤمن بعذاب القبر وبالحوض . وأن الميزان حق والصراط حق . والبعث

بعد الموت حق . وأن الله عز وجل يوقف العباد فى الموقف ويحاسب المؤمنين .

وأن الإيمان قول وعمل يزيد وينقص ونسلم الروايات الصحيحة فى ذلك عن رسول الله ﷺ التى رواها الثقات عدل عن عدل حتى تنتهى إلى الرسول ﷺ وندين بحب السلف الذين اختارهم الله عز وجل لصحبة نبيه ﷺ وآله وسلم ونثنى عليهم بما أثنى الله به عليهم ونتولاهم أجمعين .

ونقول أن الإمام الفاضل بعد رسول الله ﷺ أبو بكر الصديق رضوان الله عليه وأن الله أعز به الدين وأظهره على المرتدين وقدمه المسلمون للإمامة كما قدمه رسول الله ﷺ للصلاة وسموه بأجمعهم خليفة رسول الله ﷺ ثم عمر بن الخطاب رضى الله عنه ثم عثمان بن عفان رضى الله عنه وأن الذين قاتلوه قاتلوه ظلما وعدوانا ثم على بن أبى طالب رضى الله عنه فهؤلاء الأئمة بعد رسول الله ﷺ وخلافتهم خلافة النبوة : ونشهد بالجنة للعشرة الذين شهد لهم رسول الله ﷺ بها ونتولى سائر أصحاب النبى ﷺ ونكف عما شجر بينهم .

وندين الله بأن الأئمة الأربعة خلفاء راشدون مهديون فضلاء لا يوازيهم فى الفضل غيرهم . ونصدق بجميع الروايات التي يثبتها أهل النقل من النزول إلى السماء الدنيا وأن الرب عز جل يقول هل من سائل هل من مستغفر وسائر ما نقلوه وأثبتوه خلافا لما قاله أهل الزيغ والتضليل ونعول فيها اختلفنا فيه على كتب ربنا وسنة نبينا صلى الله عليه وآله وسلم وإجماع المسلمين وما كان فى معناه ولا نبتدع فى دين الله بدعة لم يأذن الله بها ولا نقول على الله مالا نعلم ونقول إن الله عز وجل يجىء يوم القيامة كما قال : ﴿ **وجاء ربك والملك صفا صفا**﴾ وأن الله عز وجل يقرب من عباده كيف شاء كما قال : ﴿ **ونحن أقرب إليه من حبل الوريد** ﴾ وكما قال :﴿ **ثم دنا فتدلى فكان قاب قوسين أو أدنى** ﴾ ومن ديننا أن نصلي الجمعة والأعياد وسائر الصلوات والجماعات خلف كل بر وغيره.

كمـا روى عن عبد الله بن عـمر أنه كان يصلى خلف الحـجاج وأن المسح على الخفين سنة فى الحضر والسفر خلافا لقول من أنكر ذلك ونرى الدعاء لأئمة المسلمين بالصـلاح والإقرار بإمـامتهم وتضـليل من رأى الخروج عليـهم إذا ظهر منهم ترك الاستقامة .

وندين بترك الخـروج عليهم بالسيف وترك القـتال فى الفتنة ، ونقـر بخروج الدجال كمـا جاءت به الرواية عن رسول الله ﷺ ، ونؤمن بعذاب القـبر ومنكر ونكير ومساءلتهـما المدفونين فى قبورهم [1] ونصدق بحديث المعراج ونصحح كثيرا من الرؤيا فى المنام ونقر أن لذلك تفـسيرا ونرى الصدقة عن موتى المسلمين والدعاء لهم ونؤمن بأن الله ينفـعهم بذلك ونصدق بأن فى الدنيا سحـرة وسحرا وأن السحر كائن موجود فى الدنيا ، وندين بالصلاة على من مات من أهل القبلة برهم وفاجرهم وتوارثهم ، ونقر أن الجنة والنار مـخلوقتان ، وأن من مات أو قتل فـبأجله مـات أو قتل ، وأن الأرزاق من قـبل الله عز وجل يرزقـها عـباده حـلالا وحراما، وأن الشيطان يوسـوس للإنسان ويشككه ويتخبطه خلافـا لقول المعتزلة والجهمية كما قال الله عز وجل: ﴿ **الذين يأكلون الربا لا يقومون إلا كما يقوم الذى يتـخبطه الشيـطان من المس**﴾، وكمـا قال: ﴿**من شـر الوسـواس الخناس الذى يوسوس فى صدور الناس من الجنة والناس**﴾، ونقول أن الصالحين يجوز أن يخصهم الله عـز وجل بآيات يظهرها عليهم، وقـولنا فى أطفال المشركين أن اللـه يؤجج لهم فى الآخرة نارا ثم يقول لهم اقتحموها كما جاءت بذلك الرواية، وندين الله عز وجل بأنه يعلم ما العـباد عاملون وإلى ما هم صائرون ومـا كان وما يكون ومـا لايكون أن لو كـان كـيف كـان يكون وبطاعـة الأئمـة ونصيحة المسلمون، ونرى مفارقة كل داعية إلى بدعـة ومجانبة أهل الأهواء، وسنحتج لما ذكرناه من قولنا وما بقي منه مما لم نذكره بابا بابا وشيئا شيئا إن شاء الله تعالى [2].

---

(١) المساءلة تتم حتى ولو لم يقبر الشخص على صورة يعلمها الله تعالى .

(٢) انظر الإبانة .

٥ ـ أشهر زعماء الأشعرية :

لقد كان لأفكار الأشعري رجال برزوا فى العلم وتحرير المذهب ودعم الحجج التي ذكرها الأشعري .

ومن كبار أولئك الرجال :

١ ـ أبو بكر الباقلانى المتوفي سنة ٤٠٣ هـ .

٢ ـ البيضاوى المتوفى سنة ٧٠١ هـ .

٣ ـ الشريف الجرجاني المتوفى سنة ٨١٦ هـ .

وأبرز من انتسب إلى الأشعري ومال إلى مذهب السلف وأثنى عليه أخيرا:

الإمام الجويني (الأب) وهو أبو محمد عبد الله بن يوسف الجويني والد إمام الحرمين المتوفى سنة ٤٣٨ هـ .

وكذا ابنه إمام الحرمين أبو المعالي عبد الملك بن عبد الله بن يوسف المتوفى سنة ٤٧٨ هـ ،الجويني نسبة إلى بلدة فى فارس تسمى « جوين » وقد سمى إمام الحرمين لأنه مكث بمكة أربع سنوات ثم عرج على المدينة المنورة وكان يدرس فيهما ويناظر .

ومن أولئك أيضا الغزالي ـ أبو حامد محمد بن محمد بن محمد بن أحمد الغزالي الطوسي الملقب حجة الإسلام توفى سنة ٥٠٥ هـ وهو ينسب إلى طوس ومنهم أبو الفتح محمد بن أبي القاسم عبد الكريم الشهرستاني ولد سنة ٤٦٧ هـ وتوفى سنة ٥٤٨ هـ .

ومنهم أبو عبد الله محمد بن عمر بن الحسين الطبرستاني الرازي المولد الملقب فخر الدين المعروف بابن الخطيب الفقيه الشافعي .

وقدماء الأشاعرة الذين كانوا على مذهب أبي الحسن الأشعري فى إثبات صفات الله تعالى هم الباقلاني ـ أبو بكر محمد بن الطيب ـ والطبري ـ أبوالحسن

الطبري والباهلي، أبو عبد الله بن مجاهد وهؤلاء مشوا على الطريقة السلفية في باب الصفات ولكن من جاء بعدهم ممن ينتسب إلى الأشعري تركوا طريقتهم وأولوا الصفات تأويلات باطلة ومنهم من رجع أخيرا إلى مذهب السلف وذموا ما كانوا عليه من الانحراف وهم بعض من قدمنا أسماءهم .

موقف الأشاعرة من صفات الله تعالى

وقف الأشاعرة بالنسبة للإيمان بصفات الله تعالى موقفا مضطربا مملوء بالتناقض ولم يتمكنوا من الدخول فى المذهب السلفى كاملا إذ وافقوا السلف فى جانب وخالفوهم فى جانب آخر ونفس المسلك هذا أيضا تم مع مذهب المعتزلة فقد وافقوهم فى جانب وخالفوهم فى آخر .

ومن هنا وقفوا بين خصمين فألزمهم السلف بإلزامات كثيرة تنقض ما ذهبوا إليه بالنسبة للإيمان بصفات الله تعالى ، كما ألزمهم المعتزلة أيضا وشنعوا عليهم ولو رضوا بمذهب الأشعري وساروا فى طريقه تماما لما وجد أحد طريقا إلى ذمهم فى باب صفات الله تعالى كما هو حالهم اليوم .

وموقف الأشاعرة فى باب الصفات حاصله ما يلى : ـ

ذهب الأشاعرة إلى تقسيم الصفات الإلهية إلى صفات نفسية راجعة إلى الذات أى إلى وجود الله تعالى ذاته وإلى صفات سلبية . واختاروا له خمسة أقسام :

وحدانية الله تعالى . والبقاء والقدم . ومخالفته عز وجل للحوادث وقيامه عز وجل بنفسه . وسموها سلبية لأن كل صفة منها تسلب فى إثباتها كل ما يضادها أو كل مالا يليق بالله تعالى .

كما يقسمون الصفات كذلك إلى سبعة أقسام يسمونها « صفات المعانى » وهى الحياة والعلم والقدرة والإرادة ، والكلام والسمع والبصر ، وهذه الصفات

يثبتونها لله تعالى صفات ذاتية لا تنفك عن الذات يؤمنون بها كما يليق بالله تعالى .

ويسمونها أحيانا الصفات الذاتية والوجودية .

وقد يجمع الأشاعرة تبعا للكلابيـة بين المتناقضات في صفات الله تعالى فهم يقررون أنه لا يقـال إن صفات الله تعـالى عين ذاته ولايقال إنها غير ذاته والذى حيـرهم فيـها هو أن الصـفة للشيء ليـست هى ذاته وليـست هى غيـره لأنها لا تنفك .

وأقسام الصفات الثابتة لله تعالى هى كما يلى : ـ

١ ـ صفات ذاتية وهى التى لا تنفك عن ذات الله تعـالى كالعلم والحياة والقدرة والسمع والبصر ... إلخ .

٢ ـ وصفـات فعلية : وهى التى تتـعلق بمشيئتـه وقدرته بمعنى إن شاء فـعلها وإن شاء لم يفعلها كالإستواء على العرش والنزول والمجيء إلى آخره .

وبعض الصفات تجمع الأمرين فتكون ذاتية باعتبار ، وفعليه بإعتبار آخر مثل صفـة الكلام فهى ذاتيه باعتبـار أن الله تعالى لم يزل ولا يزال يتكلم لا تنفك عن ذاته هذه الـصفـة . وهى فـعليـة بإعـبتـار أن الله يتكلـم حـسب مشيئته.

٣ ـ صـفـات عـقليـة : ثبـتت بالـنص وبالعـقل أيضـا كـالعلم والكلام والسـمع والبصر والإرادة والبقاء والحياة والقدرة والوجود والوحدانية .

٤ ـ صفـات خبرية : وهى التـى ثبتت بالخبـر ـ السمع ـ دون النظر إلى ثبـوتها بالعقل كالاستواء والنزول والوجه واليدين .

وهذه الصفات تشمل :

الصفات الـفعلية الإختيـارية ، المتعلقة بمشيـئة الله تعالى كالـنزول والاستواء والرضى والغضب والإتيان والمجيء والفرح والسخط .

وهذه الصفات يقال لها قديمة النوع باعتبار أن الله تعالى لم يزل متصفا بها حادثة الأحاد باعتبار تجدد وقوعها .

وقد ذهبت الكلابية وتبعهم الأشعرية إلى نفي الصفات الفعلية عن الله تعالى ويؤولون ما ورد منها بزعم أنها لا تليق بالله تعالى لإشعارها بالأعراض التى لا تقوم إلا بالجسم ومع هذا فهم يثبتون له تعالى الصفات الذاتية اللازمة له .

وأنكروا قيام الصفات الفعلية الاختيارية به وأوهموا الناس أن الحامل لهم على هذا هو تنزيه الله تعالى عن قيام الحوادث به .

ومما يذكر أن قدماء الأشاعرة كالباقلاني ـ أبو بكر محمد بن الطيب ـ والطبري ـ أبو الحسن الطبري ـ والباهلي ـ أبو عبد الله بن مجاهد .

كانوا يثبتون الصفات الخبرية على ظاهرها ولا يؤولونها تبعا لأبي الحسن الأشعري وعلى طريقة الإمام أحمد بن حنبل وغيره من أهل الحديث .

وفي ترجمة العلماء لأبي الحسن الأشعرى وبيان رجوعه إلى مذهب أهل السنة والجماعة من النصوص التي تثبت ذلك مالا يخفى على طلاب العلم .

ولكن المتأخرين من الأشاعرة كالغزالي والجوينى والرازي والتفتازاني والجرجاني كانوا يذهبون إلى تأويل الصفات الخبرية ونفى معانيها الحقيقية وأنها مجازات فالاستواء بمعنى الاستيلاء واليد ـ القدرة أو النعمة ـ والنزول ـ نزول الملائكة والوجه ـ الذات والعين ـ الحفظ وزعموا أن إثبات هذه الصفات على ظاهرها يؤدي إلى التشبيه والتجسيم وتركوا ما قرره الأشعري فى وجوب إثبات هذه الصفات كما يليق بجلال الله وعظمته . وهو أمر ينافى انتسابهم إليه وإلى أصحابه المتقدمين كالباقلاني وابن مجاهد والطبري الذين ساروا على طريقة شيخهم السلفي .

وينبغى الحذر مما درج عليه بعض الكتاب من زعم أن الأشعري قد ترك

المذهب السلفي ورجع عنه ، وكون مذهبا وسطا ليس هو على طريقة المعتزلة ولا هوعلى طريقة أهل السنة أصحاب الحديث وأن كتابه الإبانة كان على طريقة هؤلاء بينما كتابه اللمع هو آخر ما كتبه وقد استقر عليه كما يزعم هؤلاء تجد هذا القول عند الدكتور حموده غرابة فى كتابه « أبو الحسن الأشعري » وفى مقدمته لكتاب اللمع كما تجده أيضًا عند الدكتور عبد العزيز سيف نصر فى رسالته « العقيدة الإسلامية بين التأويل والتفويض » ولعلهما تأثرا بما قرره قبلهما زاهد الكوثرى .

وقد رد عليهما الشيخ عثمان بن عبد الله آدم [1] ودفع تصورهما وأنهما أخطأ الحقيقة ولم يطلعا على ما قرره علماء الإسلام والحقائق التى أوردوها على رجوع الأشعرى وعلى أن كتابه الإبانة هو آخر ما كتب وآخر ما استقر عليه .

وحينما يذهب الأشاعرة إلى إثبات السبع الصفات ، وهى الحياة والعلم والقدرة والسمع والبصر والكلام والإرادة حينما يثبتون هذه الصفات كما يليق بالله تعالى من أنه حي بحياة وعليم بعلم وقدير بقدرة .. إلخ ثم يردون بقية الصفات الأخرى ويؤولونها تأويلات بعيدة عن حقيقتها إنما يسلكون مسلكا متناقضا لا مبرر له إذ يقال لهم يلزمكم من إثبات الصفات السبع على ما يليق بالله أن تقولوا كذلك فى بقية الصفات الخبرية من الرحمة والغضب والفرح والضحك والمجيء والنزول .. إلخ ؛ إنها ثابتة لله تعالى كما جاء فى كتابه الكريم على ما يليق بالله تعالى دون أن يلحظ فيها المشابهة بخلقه لا فى علمه ولا فى رحمته فإن الذى يلحظ فى إثبات صفة الفرح أو الرحمة المماثلة بخلقه يلزمه أن يلحظ المماثلة بخلقه فى إثبات السمع والبصر والحياة أيضا وإلا كان تفريقا بلا دليل فيجب أن يثبتوا كل الصفات السمعية على حد سواء وأن ينزهوا بعد ذلك فى كل صفة وأما إجاباتهم لمن نازعهم وألزمهم بالإلزام السابق بأن تلك الصفات

(١) انظر « الصفات الخبرية بين الإثبات والتأويل : ص ٢٨١

السبع دل عليها العقل بخلاف ما عداها فهو قول غير صحيح وحجة غير مقبولة وهو قول في مقابلة النصوص وتقديم العقل على النقل ليس بتسليم للنصوص ورضى بها وإذعانا لله تعالى فيها .

وإثبات الأشعرية لسبع صفات ونفي ما عداها بالتأويلات جعلهم بين المعتزلة وأهل السنة « فلا للسلف اتبعوا ولا مع الجهمية بقوا » (١) وقال شيخ الإسلام عن طرق الأشعرية :

« ولهذا لا يوجد لنفاة بعض الصفات دون بعض الذين يوجبون فيما نفوه إما التفويض، وأما التأويل المخالف لمقتضى اللفظ قانون مستقيم فإذا قيل لهم لم تأولتم هذا وأقررتم هذا والسؤال فيهما واحد لم يكن لهم جواب صحيح » (٢) بل جوابهم إما أن يلجؤا إلى التأويل الباطل وإما أن يدعوا عدم العلم بمعانيها وتفويض ذلك وكلاهما جواب باطل فإن التأويل الباطل مرفوض والتفويض في المعاني ليس من مذهب السلف .

كما أنهم وقعوا في التناقض حينما ينفون بعض الصفات على أساس أن إثباتها يستلزم مشابهة الله بخلقه ؛ لأن المخلوق هو الذى يوصف بتلك الصفات ولكنهم لا يجعلون هذه قاعدة عامة إذ ينقضونها بإثبات السبع الصفات على ما يليق بالله حتى وإن وجد مفهوم الاشتراك فيها بين الله وبين خلقه فإن هذا الإشتراك لايوجب المماثلة وقولهم إن الاشتراك في تلك الصفات لا يوجب المماثلة كلام صحيح لكنهم لا يجرونه في كل الصفات فلزمهم التناقض والتفريق بين المتماثلات من هنا ألزمهم المعتزلة أن ينفوا الصفات كلها لأنها تدل على التشبيه فأجابهم الأشاعرة بأن إثبات تلك الصفات السبع إنما هو على وجه لا يستلزم المشابهة فألزمهم أهل السنة أن يقولوا هذا القول في كل الصفات وهو

---

(١) انظر التحفة المهدية شرح التدمرية : ص ٨٠ .

(٢) الرسالة التدمرية : ص ١٠٦ .

ما يدل عليه العقل والشرع .

وقد هدى الله السلف فآمنوا بكل ما جاء عن الله وعن رسوله ﷺ فنفوا عنه كل ما نفاه وأثبتوا له كل ما أثبته بلا تنطع ولا تأويلات باطلة وقد علموا أن كل ما أخبر الله به فليس فيه نقص بأى وجه من الوجوه فهو أعلم بنفسه وما جرى عليه السلف الصالح من الصحابة فمن بعدهم من أن كل صفة وردت فى القرآن لله تعالى فهى صفة كمال وقولهم في كل صفة الجواب المأثور عن السلف.

هذه الصفة معلومة وكيفيتها مجهولة والسؤال عنها بدعة توفيق ظاهر من الله تعالى لهم فمن لم يرض بما رضيه الله لنفسه فقد نازع الله تعالى وقال عليه بلا علم وسلك سبيل غير المؤمنين .

*****

الباب الرابع عشر
الماتريدية

وفيه المطالب الآتية : ـ

١ ـ التعريف بمؤسس الماتريدية .

تنتسب هذه الطائفة إلى أحد علماء القرن الثالث الهجري وهو محمد بن محمد بن محمود المعروف بأبي منصور الماتريدي ، ولد في ما تريد وهي من بلدان سمرقند فيما وراء النهر ولا يعرف على وجه اليقين سنة مولده وقد توفي سنة ٣٣٣ هـ تلقى علوم الفقه الحنفي والكلام على أحد كبار علماء ذلك العصر وهو نصر بن يحيى البلخى المتوفي سنة ٣٦٨ هـ وغيره من كبار علماء الأحناف كأبي نصر العياض وأبي بكر أحمد الجوزجاني وأبى سليمان الجوزجاني حتى أصبح من كبار علماء الأحناف لقد كان لأبى منصور مناظرات ومجادلات عديدة مع المعتزلة فى الأمور التى خالفهم فيها .

وقد اتحد في الهدف مع الأشعري في محاربة المعتزلة وكان معاصرا له ، وأما فى العقائد فكان على اتفاق مع ما قرره أبو حنيفة فى الجملة وله مؤلفات كثيرة فى مختلف الفنون منها بيان وهم المعتزلة ـ تأويلات أهل السنة ـ الدرر في أصول الدين ـ الرد على تهذيب الكعبى في الجدل ـ عقيدة الماتريدية ـ كتاب التوحيد وإثبات الصفات ـ كتاب الجدل ـ مأخذ الشرائع فى أصول الفقه ـ المقالات ـ وكان يلقب فيما وراء النهر بإمام السنة وبإمام الهدى [١] وقد وقف فى وجوه المعتزلة الذين كانوا فيما وراء النهر إلا أنه كان قريبا منهم فى النظر إلى العقل ولم يغل فيه غلوهم بل اعتبره مصدرا آخر إضافة إلى المصدر الأساسى

(١) انظر تاريخ المذاهب الإسلامية : جـ ١ ص ١٩٧ .

وهو النقل مع تقديم النقل على العقل عند الخلاف بينهما [1] .

وقد أوجز الشيخ أحمد عصام الكاتب عقيدة الماتريدي من خلال كتاب الماتريدى فى التوحيد المسمى « كتاب التوحيد » الذى حققه الدكتور فتح الله خلف عن نسخة مخطوطة يتيمة فى مكتبة جامعة كمبردج بانجلترا وقد عرضه الدكتور المذكور فى مجلة تراث الإنسانية المجلد ٩ العدد ٢ كما أن تحقيقه لكتاب التوحيد نشر فى بيروت سنة ١٩٧٠م .

ثم قال أحمد عصام عن كتاب التوحيد للماتريدي بتحقيق الدكتور فتح الله خلف«وسنعتمد عليه فى كلامنا على عقائد الماتريدية لأنه أفضل مصدر لهذه العقائد وأصدقها وأقربها ولا عبرة بما فعله المتأخرون منهم من خلط الحابل بالنابل».

وأنا بدورى سوف اختصر أيضا ما ذكره الشيخ أحمد عصام بقصد الاختصار والإشارة إلى عقيدة الماتريدي والماتريدية ومن أراد التوسع فى هذا فليرجع إلى كتاب التوحيد المذكور أو المجلة تراث الإنسانية .

٢ ـ أهم آراء الماتريدى إجمالا :

١ ـ لا يرى الماتريدي مسوغا للتلقيد بل ذمه وأورد الأدلة العقلية والشرعية على فساده.

٢ ـ يذهب فى نظرية المعرفة إلى لزوم النظر والاستدلال وأنه لا سبيل إلى العلم إلا بالنظر وهو قريب من آراء المعتزلة والفلاسفة فى هذا ثم يذكر أدلة كثيرة على وجود الله مستخدما أدلة المعتزلة والفلاسفة فى حدوث الأجسام وأنها دليل على وجود الله .

٣ ـ يوافق فى الاعتقاد في أسماء الله السلف ويرى أن أسماء الله توقيفية فلا نطلق على الله أى اسم إلا ما جاء به السمع .

---

(١) هذا من باب الأخبار عن مذهب الماتريدي وإلافإن العقل السليم لا يعارض النقل الصحيح .

٤ ـ يرى أن المؤمنين يرون ربهم والكفار لا يرونه ويخالف الأشعري هنا فى أن الماتريدي يرى أن الأدلة على إمكان رؤية الله تعالى عقلا غير ممكنة بينما يستدل عليها أبو الحسن الأشعري بالعقل .

٥ ـ هو أقرب ما يكون إلى السلف فى سائر الصفات فهو يثبت الاستواء على العرش وبقية الصفات دون تأويل لها ولا تشبيه .

٦ ـ في القضاء والقدر هو وسط بين الجبر والاختيار فالإنسان فاعل مختار على الحقيقة لما يفعله ومكتسب له وهو خلق لله ، حيث يخلق للإنسان عندما يريد الفعل قدرة يتم بها ومن هنا يستحق الإنسان المدح أو الذم على هذا القصد وهذه القدرة يقسمها إلى قسمين :

١ ـ قدرة ممكنة وهى ما يسميها لسلامة الآلات وصحة الأسباب .

٢ ـ وقدرة ميسرة زائدة على القدرة الممكنة وهى التى يقدر الإنسان بها على الفعل المكلف به مع يسر ، تفضلا من الله تعالى .

٧ـ يقول الماتريدي بخلق أفعال العباد،وهو يفرق بين تقدير المعاصي والشرور، والقضاء بها وبين فعل هذه المعاصي فالأول من الله والثانى من العبد بقدرته واختياره وقصده ويمنع أبو منصور من إضافة الشر إلى الله فلا يقال رب فى الأوراث والخبائث ولو أنه خالق كل شيء وهذا الشق الأخير معروف عن السلف أما تقسيمه القدرة وجعل العبد فاعلا باختياره وقصده وقدرته من وجه ، ولو كان الله هو الفاعل من وجه آخر فيه حيد عن مذهب السلف فى ذلك.

٨ ـ فى مسائل الإيمان . لا يقول بالمنزلة بين المنزلتين ولا يقول بخروج مرتكب الكبيرة عن الإسلام ويرى أن الإيمان هو التصديق بالقلب ، دون الإقرار باللسان ومن هنا يفترق الماتريدي عن السلف وعنده لا يجوز الاستثناء فى الإيمان لأن الاستثناء يستعمل فى موضع الشكوك والظنون .

وبين الماتريدي والأشعري مسائل كثيرة اتفقوا فيها وأخرى اختلفوا فيها فممّا اختلفوا فيه.

١ ـ مسألة القضاء والقدر . فقال الماتريدية : إن القدر هو تحديد الله أزلا كل شيء بحده الذى سيوجد به من نفع وما يحيط به من زمان ومكان. والقضاء: الفعل عن التنفيذ .

وقال الأشاعرة: إن القضاء هو إرادة الأزلية المقتضية لنظام الموجودات على ترتيب خاص. والقدر: تعلق تلك الإرادة بالأشياء فى أوقاتها المخصوصة.

٢ ـ واختلفوا فى أصل الإيمان . فذهب الماتريدية إلى أنه يجب على الناس معرفة ربهم ولو لم يبعث فيهم رسولا .

وذهب الأشاعرة إلى عدم وجوب الإيمان وعدم تحريم الكفر قبل بعثه الرسل.

٣ ـ كما اختلفوا فى زيادة الإيمان ونقصانه وشرطه إلخ .

٤ ـ واختلفوا فى المتشابهات كما أسلفنا .

٥ ـ كما أختلفوا فى النبوة هل يشترط فيها الذكورة ؟ فجعلها الماتريدية شرطا ونفى ذلك الأشاعرة عنها . واحتج هذا الفريق بقوله تعالى وأوحينا إلى أم موسى «ورد الفريق الأول بأن الإيحاء هنا بمعناه الواسع وهو الإلهام » (١).

وهذه المسألة الأخيرة وهى نبوة النساء وعدمها مما وقع فيه الخلاف بين العلماء إلا أن الحق أن النبوة مختصة بالرجال وليس هنا موضع بحث هذه القضية بالتفصيل وأرجو أن يتم الله ما قمت به من دراسة حول المتنبئين وبيان خطرهم فى الفكر والمجتمع حيث بينت فيما يتعلق بنبوة النساء وعدمها أقوال العلماء والراجح منها .

---

(١) انظر عقيدة التوحيد فى فتح الباري شرح صحيح البخاري : ص ٩٨ ـ ١٠١ .

الباب الخامس عشر

دراسة أهم المسائل التى اتفق عليها أهل الكلام

من الأشعرية والماتريدية والمعتزلة والجهمية

وتشمل ما يأتى :

١ ـ تقديم العقل على النقل .

٢ ـ جهل أولئك بمعنى توحيد الألوهية .

٣ ـ معنى التأويل عندهم الذى هو صرف اللفظ عن ظاهره إلى المعنى المرجوح.

٤ ـ تعطيل النصوص عن مدلولاتها .

١ ـ تقديم العقل على النقل

من المساوئ التى ابتلى بها بعض المنتسبين إلى الإسلام تقديس العقل واعتماده مصدرا أعلى من كلام خالق العقل لبس عليهم إبليس فرأوا أنهم على صواب وقوي فى نفوسهم شبه الملاحدة أعداء الدين فأرتكبوا هذا الجرم الشنيع ورأوا أنه إذا تعارض النقل والعقل فى شىء فإن العقل هو المقدم عند الجهمية والمعتزلة وجمهور الأشاعرة المتأخرين ظانين أنه يوجد بالفعل تعارض بين العقل السليم والنص الصحيح حسب زعمهم ولهم حجج فى تقديم العقل على النقل وهى شبه لا تسلم لهم ومنها :ـ

١ ـ أن العقل هو الأصل والأساس للنقل وإلاّ لم يرد النقل .

٢ ـ أن الدلالة العقلية قطعية بينما الدلالة النقلية ظنية .

٣ ـ أن معرفة الله تعالى لا تنال إلا بحجة العقل وهى أصل وما عداها فرع

وهذا الأصل إنما قام على العقل فلو قدمنا النقل لكان من باب تقديم الفرع على الأصل فالعقل هو الأساس فلو حكم باستحالة الشيء وحكم السمع بخلافه فيجب تأويل السمع ليتوافق مع العقل ، فإن العقل هو الذى شهد بصدق الشرع ولم يعرف الشرع إلا بالعقل فمن كذب العقل فقد كذب الشرع والعقل معا سواء كان فى الصفات أو فى غيرها من الأخبار وما ورد من آيات الصفات فى القرآن الكريم ينبغى عرضها على العقل فإذا عارضها وجب تأويلها لتوافق العقل أو تفويض علمها إلى الله .

٤ ـ إن صدق الأنبياء فى أخبارهم عن الله لا يتوقف على النقل بل يتوقف على العقل لأن النقل لا يقبل إلا أن يكون عن الأنبياء فلو توقف صدق الأنبياء على النقل للزم الدور .

٥ ـ ما ثبت بالتواتر وخالفه العقل إما أن يؤول أو يفوض وما ثبت أخبار الآحاد فإنه لا يقبل بأى حال فى العقائد .

الرد عليهم :

مهما حاول دعاة تقديم العقل على النقل من سرد المبررات لقبول ذلك. فإن تلك المحاولات والاحتجاجات والجدال والخصومة غير مقبولة عند من وفقه الله لمعرفة دينه وابتعد عن الوساوس التى جاء بها علم الكلام وهذه المسألة على بساطة الرد عليها قد أخذت حيزا واسعا من الجدال والخصومة بين المثبتين والنافين إلا أنه يمكن إيجاز الرد عليهم فيما يلى :

١ ـ هل يوجد بالفعل تعارض بين العقل السليم والنقل الصحيح ؟ .

الجواب : لا يوجد تعارض بين العقل والنقل فإن النقل وهى النصوص الشرعية إذا صحت من كتاب الله عز وجل أو من سنة نبيه ﷺ لا يمكن أن يعارضها العقل السليم الخالي عن الشهوات والبدع فإنه لا يمكن أن يحصل التعارض بين دليل عقل قطعي وآخر نقلي قطعي أما إذا كان الدليلان ظنيان

فإنه يقدم الراجح منهما سواء كان عقليا أو نقليا وإن كان أحدهما ظنيا والآخر قطعيا فإنه يقدم الدليل القطعي بغض النظر عن كونه نقليا أو عقليا إذا القطعي هو الذى يمكن الاعتماد عليه حتى وإن كان عقليا فالمزية إنما هى لكونه قطعيا لا لأجل أنه عقلي .

وأما ما ذهبوا إليه من إسقاطهم أخبار الآحاد . فهو من المساوئ التى وقع فيها هؤلاء فقد زعموا أن المتواتر حتى وإن كان قطعي السند فهو غير قطعى الدلالة وذلك لأن الدلالة اللفظية لا تفيد اليقين حسب مفهومهم .

وأخبار الآحاد حسب زعمهم لا تفيد العلم وهو من جملة أقوالهم البدعية العارية عن الأدلة الشرعية لا من الكتاب ولا من السنة ولا من أقوال علماء الأمة الذين يعتبر كلامهم فى هذه القضية ذلك أن الحق هو قبول خبر الآحاد فى باب الاعتقاد وفى غيره ما دام ثابتًا .

قال تعالى :

﴿ **يأيها الذين آمنوا إن جاءكم فاسق بنبأ فتبينوا** ﴾ الحجرات : ٦ . ولولا أن خبر الواحد مقبولا لما توجه الأمر بالتثبت فيما يخبر به مما يحتاج إلى تثبت خصوصا إذا جاء من فاسق ومعناه أنه إذا كان غير فاسق فإن خبره يقبل .

ولقد كان النبى ﷺ يكتفى بخبر الواحد ويأمر بالاكتفاء به حيث كان يرسل الشخص الواحد إلى مجموعة من الناس ويأمره بتبليغ ما يأمره به ويطلب إلى الناس قبول ما يأمرهم به والانتهاء عما ينهاهم عنه .

وقد ثبت أنه ﷺ أرسل معاذاً إلى اليمن وأمره بتعليمهم الدين وسائر شعائر الإسلام ، وكان يرسل من أصحابه الواحد والإثنين أو الثلاثة أو أكثر حسب ما يتيسر له بغض النظر عن قضية خبر الآحاد التى ابتدعها أهل الكلام وقد حصل ذلك منه فى وقائع كثيرة وعلى قبول خبر الآحاد جميع الأمة خلفا عن سلف إلا من خالف وأعرض عن النصوص الشرعية من الجهمية والمعتزلة والرافضة

والخوارج ومن سار على طريقتهم .

وكان السلف من الصحابة فمن بعدهم لا يشترطون لقبول رواية الحديث عن سول الله ﷺ والعمل به سوى عدالة الراوى وثقته وتقواه وكانوا إذا روى الثقة حديثا عن النبى ﷺ تلقوه بالقبول والعمل ولم يخطر فى أذهانهم أنه خبر آحاد وأخبار الآحاد غير مقبولة كما هى حجة من أراد رد النصوص وتعطيلها والتشويش على عقول عامة المسلمين .

وهنا أمر جدير بالذكر وهو أن السلف حينما يقدمون النقل على العقل ليس مقصودهم احتقار العقل وأنه لا يستفاد به المعرفة بل يقدرون دور العقل فى المعرفة والاهتداء به إلى الحق ولكنهم لا يوصلونه إلى درجة التقديس التام وتقديمه على كلام الله عز وجل وكلام نبيه ﷺفكل ما فى القرآن الكريم وكل ما صح فى السنة النبوية لا يستجيز مسلم يؤمن بالله وبمحمد ﷺنبيا وبالإسلام دينا أن يعارضه بعقله أو باجتهادات العلماء وهو يعلم ثبوت النص . اللهم إلا أن يكون من باب الإجتهاد وتنوع المفاهيم فى معاني النصوص وتوجيهها فإن الشخص حينئذ إن اجتهد فأصاب فله أجرإن وأن اجتهد فأخطأ فله أجر اجتهاده ونيته.

أما إذا قدم عقله وعقول فلاسفة اليونان فعليه حينئذ إثمه وإثم من عمل بقوله وحسن له رد ما جاءت به الأنبياء واستبدالها بمفاهيمهم السقيمة ثم تسميتهم لها بالأدلة القطعية والبراهين اليقينية تهويلا لأمرها ورفعا لشأنها ليتم لهم ما يريدون من رد النصوص الشرعية وتأويلها أن الهداية لم تأتنا إلا عن طريق الوحي وعلى أيدي رسل الله الكرام فبأي مسوغ نترك طريق الهداية ونرجع إلى تقديم العقل.

فلو كان العقل يكفي للوصول إلى الحق مجردا عن النقل لما عاش هؤلاء المعرضون عن الله فى متاهات الكفر والضلال ولما احتجنا إلى الأنبياء فمن الإجرام أن نترك طريق الهداية واضحا مشرقا ثم نتعلل بتقديس العقل فى مقابل نصوص الكتاب والسنة فالعقل له حد إذا تجاوزه صاحبه انقلب إلى الجهل

والخزعبلات فمثلا المشبهة حينما أبوا الوقوف عند حدود الشرع بحثوا وتعمقوا فى الصفات إلى أن وصلوا إلى تشبيه الله بخلقه تماما ووصفوه كما يصفون إنسانا واقفا أمامهم وظنوا أن عقولهم أوصلتهم إلى علم غزير فهل ذلك صحيح؟ كلا وقابل هؤلاء نفاة الصفات فقد أوصلتهم عقولهم حينما تجاوزت الوقوف عن النصوص الشرعية إلى حد أن وصفوا ربهم بصفات نتيجتها إن الله لا وجود له حتى وإن لم يصرحوا بنفي وجود الله لكن تلك الأوصاف السلبية لا نتيجة لها إلا هذه النتيجة وظنوا أنهم اهتدوا بعقولهم إلى الوصول إلى الحق وزين لهم الشيطان ذلك .

فقارن بين مواقف هؤلاء ومواقف أهل الحق أهل السنة والجماعة الذين يسيرون وراء النصوص مستعملين عقولهم إلى الحد الذى تنتهي عنده وبالتالي فالقائد هو النص إلى أن يصلوا إلى غاية ما يريدون أو يطلب منهم .

فأمنوا العثار واهتدوا إلى سواء السبيل ورضوا بما جاء به كتاب ربهم وسنة نبيهم وما كان عليه سلفهم الكرام من الصحابة والتابعين لهم بإحسان . وعلموا أن العقل الصحيح لا يعارض النقل الصحيح فأراحوا أنفسهم عناء التأويلات والتكلفات التي أبتلي بها غيرهم حين بحثوا كثيرا وأتعبوا أنفسهم طويلا وخرجوا عن الحق الذى طلبوه بتلك التأويلات والتكلفات وهم لا يشعرون .

لأن السلف يعلمون أن النقل حينما جاء مخاطبا للعقل ومبينا له الطريق الصحيح يعلمون أن بينهما توافقا تاما فالخطاب إنما جاء لأهل العقول لا للمجانين ولا للحيوانات البهيمية فكيف يتصور بعد ذلك أن العقل أعلى من النقل بحجة أن العقل هو الأصل وإلا لم يرد النص فالنقل هو الموجه لمحل قابل للتوجيه وهو العقل ولم تأت العقول لتوجه النقول فى أى زمن من عمر البشر وزعمهم أن الدلالة النقلية ظنية بينما الدلالة العقلية قطعية .

هذا كلام اخترعوه وأرادوا أن يؤصلوه وإلا فإن السلف من الصحابة فمن

بعدهم لا يعرفون هذه المسالك بل كانوا يعتبرونها من وساوس الشيطان ومن نقص الإيمان .

وزعمهم هذا هو مثل زعمهم أن صدق الأنبياء أنما يتوقف على العقل ولو كان هذا صحيحا لآمن قوم نوح وسائر أمم الأنبياء إذ أن لهم عقول ولما احتاجوا إلى سماع النقل منهم عن الله تعالى والواقع خلاف ذلك فإن كلام الأنبياء وإخبارهم عن الله تعالى هو فى حد ذاته الطريق إلى الإيمان بالأنبياء فكل رسول كان يأتى لقومه ويقول لهم « **إنى رسول الله إليكم** » ثم يخبرهم عن الله تعالى ويقول لهم فى أنفسهم قولا بليغا دون التركيز على الأدلة العقلية فهى تأتى عرضا ويستفاد منها كثيرا لكن ليست هى الدليل الوحيد على صدق الأنبياء فدلائل صدقهم كثيرة جدا .

٢ ـ التأويل فى مفاهيم الفرق المخالفة لأهل السنة والجماعة

لقد جرت التأويلات الفاسدة فتنا عظيمة على الإسلام والمسلمين وأخرجت الكثير منهم عن عقيدتهم السليمة إلى عقائد ما أنزل الله بها من سلطان ولقد عبر عن بعض مضار التأويلات الفاسدة العلامة ابن أبى العز فى معرض رده على الذين يؤولون رؤية الله تعالى فى قوله عز وجل ﴿ **وجوه يومئذ ناضرة إلى ربها ناظرة**﴾[1] فقال« وهى من أظهر الإدلة وأما من أبى إلا تحريفها بما يسميه تأويلا ـ: فتأويل نصوص المعاد والجنة والنار والحساب أسهل من تأويلها على أرباب التأويل ولا يشاء مبطل أن يتأول النصوص ويحرفها عن مواضعها إلا وجد إلى ذلك من السبيل ما وجده متأول هذه النصوص .

وهذا الذى أفسد الدنيا والدين وهكذا فعلت اليهود والنصارى فى نصوص التوراة والإنجيل وحذرنا الله أن نفعل مثلهم وأبى المبطلون إلا سلوك سبيلهم وكم جنى التأويل الفاسد على الدين وأهله من جناية : فهل قتل عثمان رضى الله

(١) القيامة : ٢٢ ـ ٢٣ .

عنه إلا بالتأويل الفاسد وكذا ما جرى فى يوم الجمل وصفين ومقتل الحسين والحرة . وهل خرجت الخوارج واعتزلت المعتزلة ورفضت الروافض وافترقت الأمة على ثلاث وسبعين فرقة إلا بالتأويل الفاسد » [1] .

لقد كثر الجدال والخصام بين أهل السنة من جانب وبين المخالفين لهم ممن تأثر بعلم الكلام والفلسفات من جانب آخر فى قضية التأويل .

فما هو التأويل وما المراد به عند هؤلاء الفرق من الأشعرية والماتريدية والمعتزلة وغيرهم ممن اقتحم التأويلات الفاسدة .

حقيقة التأويل فى أساس إطلاقه يشمل أمرين :

الأمر الأول : تطلق كلمة التأويل ويراد بها ما تؤول إليه حقيقة ذلك الشيء ومصيره وعاقبته .

الأمر الثانى : تطلق هذه الكلمة ويراد بها معرفة ذلك الشيء وفهم تفسيره وبيانه سواء وافق ظاهره الصواب أو خالفه وكثير من المفسرين يستعمل كلمة التأويل بمعنى التفسير فيقول تأويل هذه الآية كذا أى تفسيرها فإن وافق الحق فهو مقبول وصحيح وإن خالفه فهو باطل.

وقد ورد ذكر كلمة التأويل فى القرآن الكريم فى عدة آيات قال تعالى ﴿**ذلك خير وأحسن تأويلا**﴾[2] أى عاقبة التحاكم إلى الله ورسوله عند التنازع هو أحسن مآلا وعاقبة ومنه قوله تعالى : ﴿**هل ينظرون إلا تأويله**﴾[3] أى عاقبة تأويله وحقيقته وجميع ماورد فى القرآن الكريم من معاني التأويل فهى تطلق بهذا المعنى وورد فى السنة عن النبى ﷺ هذا المعنى[4] حيث روى سعد بن أبى وقاص رضى الله عنه قال سئل رسول الله ﷺ عن هذه الآية : ﴿ **قل هو القادر**

---

(١) شرح العقيدة الطحاوية ص ١٤٤ . (٢) جزء آية من سورة النساء : ٥٩ .

(٣) الأعراف : ٥٣

(٤) تفسير ابن كثير جـ ٢ ص ١٤٠ وعزاه إلى الإمام أحمد والترمذي .

على أن يبعث عليكم عـذابا من فوقكم أو من تحت أرجلكم ﴾ فقال « **أما أنها كائنة ولم يأت تأويلهـا بعد** » أى لم يأت وقت ظهـور حقيـقة العـذاب ومصير المخاطبين وما تؤول إليه عاقبتهم .

وورد فى السنة النبوية أيضا استـعمال التأويل بمعنى التفسير والمـعرفة كما فى دعائه ﷺ لابن عبـاس بقوله : « اللهم فقهـه فى الدين وعلمه التأويل » أى فـهمه معرفة الدين .

وهذه المعانـي للتأويل هى التى كـانت معروفـة عند السلف قبـل ظهور أهل الكلام والفلسفات العقيمة وقبل ظهور الخصام والجدال فى معاني التأويل .

قال ابن القيم :

« وأما المعتزلة والجهمية وغيرهم من فرق المتكلمين فمرادهم بالتأويل صرف اللفظ عن ظاهره وحـقيقـته إلى مجـازه وما يخالف ظاهره وهـذا هو الشائع فى عـرف المتأخـرين من أهل الأصـول والفقـه ولهـذا يقولون الـتأويل على خـلاف الأصل والتـأويل يحتـاج إلى دليل . وهذا التـأويل هو الذى صنف فى تسـويغه وإبطاله من الجانبين ، فصنف جماعة فى تأويل آيات الصفات وأخبارها كأبي بكر بن فورك وابن مـهدي الطبري وغيرهمـا ، وعارضهـم أخرون فـصنفوا فى إبطال ذلك التأويل كالقاضي أبي يعلى والشـيخ موفق الدين بن قدامة وهو الذى حكى عن غير واحد إجماع السلف على عدم القول به » [١] .

وقد بين ابن القيم رحمه الله أقسام التـأويل الصحيح والتأويل الباطل ثم قسم التأويل الصحيح إلى هذين القسمين فقال :

« وعلى هذا ينبى الكلام فى الفصل الثـاني وهو انقسام التأويـل إلى صحيح وباطل أو تفـسيـره وبيان مـعناه » [٢] وذكـر أن كل مـا ورد من الـروايات عن

---

(١) الصواعق المنزلة : جـ ١ ص ٨٠ .

(٢) المصدر السابق : ص ٨١ .

الصحابة وفيها ذكر التأويل أن المراد به التفسير وذكر أمثلة كثيرة على هذا وأن تأويلهم من جنس التأويل الذى يوافق الكتاب والسنة أو أن لهم وجهة نظر قوية لا تخرج عن الحق .

وأما التأويل الباطل فقد ذكر له عشرة أنواع :

أحدها : ما لم يحتمله اللفظ بوضعه كتأويل قوله ﷺ «**حتى يضع رب العزة عليها رجله** »[1] بأن الرجل جماعة من الناس فإن هذا لا يعرف فى شىء من لغة العرب ألبتة .

الثانى : ما لم يحتمله اللفظ ببنيته الخاصة من تثنية أو جمع وإن احتمله مفردا كتأويل قوله : ﴿ **لما خلقت بيدى** ﴾ [2] بالقدرة .

الثالث : ما لم يحتمله سياقه وتركيبه وإن احتمله فى غير ذلك السياق كتأويل قوله ﴿**هل ينظرون إلا أن تأتيهم الملائكة أو يأتي ربك أو يأتى بعض آيات ربك** ﴾ [3] بأن إتيان بعض آياته التى هى أمره وهذا يأباه السياق كل الإباء .

الرابع : ما لم يؤلف استعماله فى ذلك المعنى فى لغة المخاطب وإن ألف فى الاصطلاح الحادث ، وذكر أن هذا النوع لم يؤلف استعماله فى لغة العرب وإن كان معهودا فى اصطلاح المتأخرين ومثل لهذا بتأويل الجهمية والفلاسفة والمعتزلة لقول الله تعالى : ﴿ **ثم استوى على العرش** ﴾[4] بأن المعنى أقبل على خلق العرش فإن هذا لا يعرف فى لغة العرب بل ولا غيرها من الأمم أن من أقبل على الشىء يقال قد أستوى عليه فلا يقال لمن أقبل على الرجل قد استوى عليه ولا لمن أقبل على الأكل قد استوى على الطعام .

---

(١) رواه البخاري: جـ ٨ ص ٥٩٥ .
(٢) سورة ص : ٧٥ .
(٣) الأنعام : ١٥٨ .
(٤) الأعراف : ٥٤ .

الخامس : ما ألف استعماله في ذلك المعنى لكن في غير التركيب الذي ورد به النص فيحمله المتأول في هذا التركيب الذي لا يحتمله على مجيئه في تركيب آخر يحتمله وهذا من احتجاج الغلط والتلبيس ، ومثل لهذا بتأويل اليد . بالنعمة والنظر إلى الله بانتظار الثواب .

السادس : كل تأويل يعود على أصل النص بالإبطال فهو باطل كتأويل قوله ﷺ « **أيما امرأة نكحت نفسها بغير إذن وليها فنكاحها باطل** »[1] . بحمله على الأمة فإن هذا التأويل مع شدة مخالفته لظاهر اللفظ يرجع على أصل النص بالإبطال وهو قوله: « **فإن دخل بها فلها المهر بما استحل من فرجها** » ومهر الأمة إنما هو للسيد فقالوا نحمله على المكاتبة وهذا يرجع على أصل النص بالإبطال من وجه آخر فإنه أتى فيه بأي الشرطية التي هي من أدوات العموم وأكدها بما المقتضيه تأكيد العموم وأتى بالنكرة في سياق الشرط وهي تقتضي العموم وعلق بطلان النكاح بالوصف المناسب له المقتضي لوجود الحكم بوجوده وهو نكاحها نفسها ونبه على العله المقتضية للبطلان وهي إفتياتها على وليها وأكد الحكم بالبطلان مرة بعد مرة ثلاث مرات فحمله على صورة لا تقع في العالم إلا نادرا يرجع على مقصود النص بالإبطال[2] .

وكان السلف يدركون الفرق بين التأويل بمعنى التفسير وفهم المراد من الكلام الذي هو باستطاعة الإنسان الوصول إليه وهذا هو التأويل المقبول عند السلف وبين التأويل بمعنى معرفة ما يؤول إليه المراد من الكلام سواء كان في الدنيا أو في الآخرة من الأمور الغيبية الذي ليس بإستطاعة الشخص معرفته إلا بعد ظهوره ووضوح حقيقته .

وأمثلة هذا النوع كثيرة يمثلها الأخبار بالمغيبات التي ستحدث في الدنيا أو

(١) أخرجه أبو داود في كتاب النكاح باب الولي جـ ١ ص ٤٨١ .
(٢) انظر الصواعق المنزلة : جـ ١ ص ٨١ ـ ٩٣ .

فى الآخرة ويمثلها كذلك معرفة صفات الله عز وجل على حقيقتها وكيفياتها .

وأهل السنة لا يتعدون هـذه المفاهيم الواضحة المشرقة البعيدة عن التكلفات والتأويلات الباطلة .

ولو وقف الخلف عند المكان الذى وقف فيه السلف لكان خيراً لهم وأشد تثبيتا ولكنهم تجاوزوا النصوص وقدموا عليها عقولهم ومفاهيمهم القاصرة وتأويلاتهم الباطلة فجاءت خليطا مشوها .

والتأويل فى عرف هؤلاء المتأخرين يراد به : « صرف اللفظ عن الاحتمال الراجح إلى الاحتمال المرجوح لدليل يقترن بذلك فلا يكون معنى اللفظ الموافق لدلالة ظاهرة تأويلا على اصطلاح هؤلاء وظنوا أن مراد الله تعالى بلفظ التأويل ذلك وأن للنصوص تأويلا يخالف مدلولها لا يعلمه إلا الله ولا يعلمه المتأولون»(١) .

فالمتأخرون يريدون بالتأويل عدم إجراء النص على ظاهره والإتيان له بمعنى يحتمله ليتوافق مع تأويلهم الذى حرفوه عن معناه الصحيح وهذا هو التأويل الباطل .

وقد رفض السلف تأويل الخلف بالمعنى الذى قرره هؤلاء لأنه تحريف للنصوص وإبعاد للمراد منها ، خصوصا وأن تلك النصوص ظاهرة الدلالة لاخفاء فيها ولا احتمال فإن كل ما جاء فى القرآن والسنة من الوضوح وتحديد المراد مالا يحتمل التلاعب به ولا بمعانيه لأنه نزل على قوم أدركوا المراد به وآمنوا به وأطمأنت قلوبهم ولم يحتاجوا إلى التأويلات التى اخترعها زعماء التعطيل فإنه على حسب مفهومهم ما من نص إلا وهو يحتمل التأويل وبالتالى فلا تتم الثقة بأى نص على ظاهره فإذا ورد النص يقول ﴿ **وجاء ربك** ﴾ قالوا جاء أمره وإذا ورد النص ﴿ **إن الله سميع بصير** ﴾ قالوا سميع بلا سمع بصير بلا

(١) الفتوى الحموية الكبرى : ص ٤٠ .

بصر بل بذاته ورحمة الله إرادة الثواب ، واليد النعمة إلى غير ذلك من تلك التأويلات التى ملأوا بها كتبهم استنادا إلى أن العقل هو الفاصل والمقدم على النقل فلا حرج بعد ذلك أن تؤول نصوص الكتاب والسنة وأقوال السلف الذين يقتدى بهم على حسب ما تراه العقول فصار هؤلاء المؤولة أشر من المعطلة قال ابن القيم رحمه الله .

فصل فى بيان أن التأويل شر من التعطيل .

وتحت هذا العنوان قال عن التأويل : « فإنه يتضمن التشبيه والتعطيل والتلاعب بالنصوص وإساءة الظن بها فإن المعطل والمؤول قد اشتركا فى نفى حقائق الأسماء والصفات وأمتاز المؤول بتلاعبه بالنصوص وإساءة الظن بها ونسبة قائلها إلى التكلم بما ظاهره الضلال والإضلال » (١) .

وقال ابن أبى العز :

« فإنه قد صار اصطلاح المتأخرين فى معنى التأويل أنه صرف اللفظ عن ظاهره وبهذا تسلط المحرفون على النصوص وقالوا نحن نتأول ما يخالف قولنا فسموا التحريف تأويلا تزيينا له وزخرفة ليقبل » ، إلى أن قال :

« فمن التأويلات الفاسدة تأويل أدلة الرؤية وأدلة العلو وأنه لم يكلم موسى تكليما ولم يتخذ إبراهيم خليلا » (٢) .

وما زعمه المؤولة فى أن نصوص الصفات فى القرآن والسنة لا تعرف إلا بالتأويل زعم مردود إذا أريد أن معانى تلك الصفات غير معروفة أما إذا أريد بأنها لا تعرف بمعنى لا نعرف كيفيتها فهذا حق ولكنهم لا يريدونه .

وعموما فكل تأويل يوافق دلالة الكتاب والسنة فهو مقبول وصحيح وكل تأويل يخالفهما فهو تأويل فاسد فاتح لباب الزندقة ومهيئ للتفلت من قبول الشرع

---

(١) مختصر الصواعق : جـ ١ ص ٤٨ . (٢) شرح الطحاوية : ص ١٧٢ .

ومسبب للحيرة والاضطراب ويمثل علماء السلف للتأويل الصحيح بمسألة شفعة الجار في حديث « الجار أحق بسقبه » (١) أى من حق الجار أن يشفع حق جاره ويكون أحق بشرائه من غيره ولفظ الجار يشمل الجار الملاصق ويشمل أيضا الشريك المقاسم على احتمال مرجوح .

لكن هذا الاحتمال المرجوح هو الصحيح المقبول وذلك لموافقته السنة النبوية فى الحديث الثابت وهو قوله ﷺ : « **فإذا وقعت الحدود وصرفت الطرق فلا شفعة** »(٢) فثبت من الحديثين أن المعنى المرجوح هو المراد لنسخه ظاهر المعنى الراجح وهو الجار عموما وهذا ليس من التأويل المذموم فى شىء بل هو من باب الجمع والترجيح .

ومما ينبغى ملاحظته أن التأويل المذموم إنما وجد حين ظهرت الفرق من خوارج ومعتزلة وشيعة وجهمية وباطنية وصوفيه حيث أراد هؤلاء أن يوجدوا لأفكارهم غطاءا مقبولا فلم يجدوا أفضل من التستر بالتأويل وإظهار أنه علم غزير توصلوا إليه وهو فى حقيقته نقله إلى القول بأن للنصوص ظاهر وباطن وأن الظاهر غير مراد وأن الباطن هو المراد وهو بمنزلة اللب حسب خدعهم ومكرهم بالمسلمين حيث تم لهم التفريق بين كلمة المسلمين وتشويش مفاهيمهم بما أدخلوه من تلك المصطلحات الجوفاء التى نرجو من الله عز وجل أن يبطلها ويعيد ذلك الصفاء الذى كان عليه سلف هذه الأمة الإسلامية فإنه لا يصلح آخر هذه الأمة إلا بما صلح به أولها .

وإذا رجع القارئ إلى ما كتبه الإمام ابن القيم فى موضوع التأويل فى كتابه الصواعق المنزلة على الطائفة الجهمية والمعطلة فسيجد فيه من أنواع الجدال لأصحاب التأويلات الفاسدة ومن الفوائد مالا يتسع البحث هنا لذكره .

فليرجع من أحب التوسع فى دراسة قضية التأويل إلى هذا الكتاب المكون

(١) أخرجه البخاري ج٤ ص ٤٣٧ .

(٢) أخرجه البخارى ج ٤ ص ٤٣٦ .

من جزئين بعد تحقيقه [1] فلقد أزاح كل الشبهات التى يتعلق بها دعاة التأويل وبين المضار التى جلبها على الإسلام والمسلمين مع سعة المناقشة وعمقها وإفحام الخصوم ودحض كل ما يتعلقون به .

٣ ـ جهل أهل الكلام من الجهمية والمعتزلة والأشعرية والماتريدية بمعنى توحيد الألوهية

التوحيد ينقسم إلى ثلاثة أقسام ، توحيد الألوهية وتوحيد الربوبية وتوحيد الأسماء والصفات .

هذا هو تقسيم السلف أهل السنة والجماعة لأنواع التوحيد وهذه الأنواع كانت معروفة بالبداهة عند السلف الصالح من الصحابة ومن تبعهم بإحسان حتى ولو لم يفصلوا هذا التفصيل فى وقتهم .

فإنهم كانوا يعلمون أن توحيد الألوهية يتعلق بإفراد الله عز وجل بالعبادة والخضوع والإنابة إليه وحده جل وعلا والابتعاد عن الإشراك مع الله ألهة أخرى.

وأما توحيد الربوبية فهم يعلمون أن الله هو رب كل شىء ومليكه وهو خالق الخلق ورازقهم ومدبر أمورهم كلها وأن هذا النوع من التوحيد داخل فى مضمون توحيد الألوهية إلا عند الخلف من المتكلمين الذين عكسوا الحقائق .

وأما توحيد الأسماء والصفات فلقد كانوا على معرفة تامة بأن الله عز وجل له من الصفات ما أخبر به عز وجل فى كتابه الكريم وما أخبر به نبيه العظيم يؤمنون أن الله تعالى له ذات لا تشبه الذوات وله صفات لا تشبه الصفات التى يتصف بها الخلق والتى ليس بينها وبين صفات الخلق إلا مجرد الاشتراك فى التسمية .

---

(١) حققه د. أحمد عطية والدكتور على ناصر وهو من مطبوعات الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة سنة ١٤٠٦ هـ .

ودراسة هذه الأقسام وتفصيلها تفصيلا كاملا يحتاج إلى مجلدات بل هو الحاصل بالفعل فإن كتب علماء السنة تبلغ المئات فى بيان هذه الأنواع والواجب على الناس تجاهها وكيفية الإيمان بها وغير ذلك مما لا يكاد يحصر إلا بالكلفة وليس الغرض هنا هو الخوض فى ذكر كل تلك التفاصيل وإنما الغرض هو بيان خطأ أهل الكلام فى مفاهيمهم لتوحيد الألوهية الذى كان أكثر النزاع بين الأنبياء وأممهم فيه بل وبين علماء السنة وغيرهم من علماء الطوائف الضالة.

فمن حقق توحيد الألوهية قولا واعتقادا فاز ومن حاد عن الحق الواجب فيه كان ذلك أكبر دليل على خسارته وضلاله .

والمتكلمون حينما يقررون الكلام فى التوحيد يقسمونه إلى ثلاثة أقسام فيقولون : «هو واحد فى ذاته لا قسيم له وواحد فى صفاته لا شبيه له وواحد فى أفعاله لا شريك له » وأشهر الأنواع الثلاثة عندهم هو الثالث وهو توحيد الأفعال وهو أن خالق العالم واحد وهم يحتجون على ذلك بما يذكرونه من دلالة التمانع وغيرها ويظنون أن هذا هو التوحيد المطلوب وأن هذ هو معنى قولنا لا إله إلا الله حتى يجعلوا معنى الإلهية القدرة على الاختراع » (١) .

هكذا يقرر المتكلمون أنواع التوحيد فيجعلون توحيد الربوبية الذى لم يوجد فيه نزاع بين الأنبياء وأممهم يجعلونه هو أهم أقسام التوحيد وأوجبها معرفة مع أن الله تعالى أخبر فى كتابه الكريم أن كفار قريش وغيرهم عند بعثة المصطفى ﷺ كانوا يعرفون توحيد الربوبية ويعتقدون أن الله هو الخالق لكل شىء فإذا وجه لأحدهم سؤال من خلق السموات والأرض ؟ فإنه على الفور يجيب الله هو الذى خلقهما .

وكانوا يعرفون أن معنى لا إله إلا الله نفي ألوهية أى كائن كان لا أصنامهم

---

(١) التحفة المهدية : ص ٣٤٠ .

ولا غيرها مع الله تعالى ولهذا وقفوا في وجوه رسلهم شعارهم اجعل الآلهة إلها واحدا؟»[1] فكانوا في فهمهم وهم على شركهم أحسن من فهم علماء الكلام - وهم يدعون الإسلام - حينما قرروا أن معنى لا إله إلا الله أي لا قادر على الاختراع والخلق والإيجاد إلا الله وهو معنى باطل يرده كتاب الله وما جاء في سنة رسول الله وما عليه عامة أهل الحق فإن معنى لا إله إلا الله أي لا معبود بحق إلا الله وحده .

وهذه هي دعوة الرسل كلهم من أولهم إلى أخرهم كما قال تعالى: ﴿**وإلهكم إله واحد لا إله إلا هو الرحمن الرحيم**﴾ وقال تعالى : حاكيا عن دعوة الرسل لأممهم : ﴿**وما أرسلنا من قبلك من رسول إلا نوحي إليه أنه لا إله إلا أنا فاعبدون**﴾ .

فالإله هو الذي يستحق العبادة والخضوع له وهذا هو التفسير الحق وأما تفسير الإله بأنه القادر على الخلق فهو تفسير باطل وأول ما يدل على بطلانه أنه لو حقق شخص مفهوم هذ التوحيد فأقر بأن الله هو الخالق الرازق المدبر لكل الأمور لما كان بينه وبين كفار قريش وغيرهم أي فارق فلا يعد مسلما حتى يشهد الشهادتين ومعترفا بأن الله هو الإله المستحق للعبادة ولا يشرك به أحدا .

والبشر كلهم يقرون بأن الله هو الرب الخالق حتى الذين عاندوا وجحدوا الربيوبية يعترفون في قرارة أنفسهم بانفراد الرب بخلق كل شيء وما تقوله نفاة الصفاة من أن الله واحد لا قسيم له يريدون من وراء هذه العبارة إثبات ذات مجردة عن كل الصفات التي يسمونها انقساما للباريء وتركيبا في ذاته وبالتالي يلزم من ذلك حسب أكاذيبهم تعدد الآلهة فتكون العين والسمع واليد وغير ذلك من الصفات آلهة معه تعالى . وحينما تصوروا وقوع هذا المفهوم شبهوا الله تعالى ثم عطلوه عن صفاته بتلك الحجة الباطلة .

---

(١) ص : ٥

وحينما جعلوا توحيد الآلوهية هو نفسه توحيد الربوبية استدلوا على ذلك بدليل التمانع فقالوا فى تقريره . لو كان للعالم صانعان فعند اختلافهما مثل أن يريد أحدهما تحريك جسم وآخر يريد سكونه أو كان أحدهما يريد أن يكون ذلك الجسم حيا والآخر يريد أن يكون ميتا أو غير ذلك من الأمور المتضادة فإنه حينئذ إما أن تتحقق إرادتهما معا وهو مستحيل إذ لا يمكن الجمع بين النقيضين لأمر واحد .

أو يتحقق إرادة واحد منهما ويمتنع تحقق إرادة الآخر فيكون هذا الآخر عاجزا ليس باله .

أو لا يمكن أن تتحقق إرادتهما معا لعجز كل واحد عن قهر الآخر فتسقط ألوهيتهما معا ..

وبهذا التقرير نتج عندهم أن الله هو وحده الخالق لكل شىء وأنه رب كل شىء .. وهذا وإن كان حقا أن الله هو رب كل شىء وخالقه لكنه ليس هو مضمون توحيد الآلوهية الذى هو بمعنى إفراد الله بالألوهية وحده لا شريك له وإفراده أيضا بالعبودية التى تلازم معنى الألوهية .

وليس هو مضمون جحد أسماء الله وصفاته كما يزعمون حين يؤكدون نفيها وتعطيلها عن الله ويسمون ذلك توحيدا ويزعمون أن من أثبت لله الأسماء والصفات الواردة فى كتاب الله وفى سنة نبيه ﷺ أنه مشبه ومجسم وهم على حد قول القائل « رمتنى بدائها وانسلت » فهم أهل التشبيه والتجسيم ، كما هى سمة أهل التعطيل والإلحاد وهم يسترون باطلهم بأوصاف من تعالى مجملة مثل قولهم أن الله واحد فى ذاته لا قسيم له ولا جزء له ولا بعض له إلخ .

فهو يحتمل معنى صوابا إذا كانوا يقصدون به أن الله واحد لا يجوز عليه الانقسام ولا التجزؤ ولا التبعض مع أنها ألفاظ مخترعة لم ترد فى أى نص شرعى ويحتمل معنى باطلا وهو نفي صفات الله تعالى تحت هذه الأوصاف

وقد أتضح من إنكارهم وتعطيلهم لأسماء الله وصفاته أنهم لا يريدون إلا هذا المعنى الموافق لتأويلاتهم التى يسمونها توحيدا ويسمون من يردها مشبها ومجسما وحشويا إلخ لأنه لم يقر بأن توحيد الربوبية هو غاية التوحيد .

ويستدل المؤولون من الخلف على دليل التمانع من القرآن الكريم بقول الله عز وجل: ﴿ لو كان فيهما آلهة إلا الله لفسدتا ﴾[1] ، على اعتقادهم أن معنى الآية لو كان فى السموات والأرض إله يخلق غير الله عز وجل لفسدتا فثبت أنه لا خالق إلا الله وأن هذا هو توحيد الربوبية الذى بينه القرآن الكريم ودعى إلى تحقيقه وأنه هو دعوة الرسل . فهل أصابوا فى هذا الفهم ؟ الجواب لا . وقد بينه ابن أبى العز رحمه الله فقال .

« وكثير من أهل النظر يزعمون أن دليل التمانع هو معنى قوله تعالى : ﴿ **لو كان فيهما آلهة إلا الله لفسدتا** ﴾ لاعتقادهم أن توحيد الربوبية الذى قرروه هو توحيد الإلهية الذي بينه القرآن ودعت إليه الرسل عليهم السلام وليس الأمر كذلك بل التوحيد الذى دعت إليه الرسل ونزلت به الكتب هو توحيد الإلهية المتضمن توحيد الربوبية وهو عبادة الله وحده لا شريك له »[2] .

ثم قال : « فعلم أن التوحيد المطلوب هو توحيد الإلهية الذى يتضمن توحيد الربوبية »[3] .

فدليل التمانع قائم على أن الله هو خالق الخلق لا رب سواه والخطأ إنما هو عند المتكلمين الذين جعلوه هو التوحيد الخالص وقدموه على توحيد الألوهية استغناء به مع إغفال توحيد الألوهية الذى خلق الله الجن والإنس لتحقيقه وجعله أحب شىء إليه وبه يثيب وبه يعاقب .

يقول الشيخ سليمان بن عبد الله عن هذا التوحيد :

« وهذا التوحيد هو أول الدين وآخره وباطنه وظاهره وهو أول دعوة الرسل

(١) الأنبياء ٢٢ . (٢) شرح الطحاوية : ص ١٩ . (٣) ص : ٢١ .

وآخرها وهو معنى قول لا إله إلا الله ، فإن الإله هو المألوه المعبود بالمحبة والخشية والإجلال والتعظيم وجميع أنواع العبادة ولأجل هذا التوحيد خلقت الخليقة وأرسلت الرسل وأنزلت الكتب وبه افترق الناس إلى مؤمنين وكفار وسعداء أهل الجنة وأشقياء أهل النار » ... إلى أن قال »وهذا التوحيد هو أول واجب على المكلف لا النظر ولا القصد إلى النظر ولا الشك فى الله كما هى أقوال لمن لم يدر ما بعث الله به رسوله ﷺ من معانى الكتاب والحكمة » (1) .

ثم أورد السؤال الآتى وأجاب عنه وهو قوله :

« فإن قيل قد تبين معنى الإله والإلهية (2) فما الجواب عن قول من قال بأن معنى الإلة القادر على الاختراع ونحو هذه العبارة ؟

قيل الجواب من وجهين : **أحدهما** : أن هذا قول مبتدع لا يعرف أحد قاله من العلماء ولا من أئمة اللغة . وكلام العلماء وأئمة اللغة هو معنى ما ذكرنا كما تقدم فيكون هذا باطلا » .

وإشارته إلى ما تقدم يريد ما ذكره من تفسير العلماء لمعنى الإله بالمعبود الذى يجب له وحده العبودية والذل والخضوع ثم قال :

« وهذا كثير جدا فى كلام العلماء وهو اجماع منهم أن الإله هو المعبود خلافا لما يعتقده عباد القبور وأشباههم فى معنى الآله أنه الخالق أو القادر على الاختراع أو نحو هذه العبارات » إلى أن قال « ولو كان معناها ما زعمه هؤلاء الجهال لم يكن بين الرسول ﷺ وبينهم نزاع بل كانوا يبادرون إلى إجابته ويلبون دعوته إذ يقول لهم قولوا لا إله إلا الله بمعنى أنه لا قادر على الاختراع إلا الله فكانوا يقولون سمعنا وأطعنا قال الله تعالى : **﴿ولئن سألتهم من خلقهم ليقولن الله﴾**(3) .

---

(1) تيسير العزيز الحميد : ص ٣٦ ـ ٣٧ .　　(2) أى أن الإله هو المعبود .

(3) تيسير العزيز الحميد : ص ٧٦ . الآية من سورة الزخرف ٨٨ .

الثانى : على تقدير تسليمه فهو تفسير باللازم للاله الحق . فإن اللازم له أن يكون خالقا قادرا على الاختراع ومتى لم يكن كذلك فليس باله حق وأن سمى إلها وليس مراده أن من عرف أن الآله هو القادر على الإختراع فقد دخل فى الإسلام وأتى بتحقيق المرام من مفتاح دار السلام فإن هذا لا يقوله أحد لأنه يستلزم أن يكون كفار العرب مسلمين (١) .

ويقول الشيخ عبد الرحمن بن حسن آل الشيخ فى رده على المفهوم الخاطيء لأهل الكلام تجاه المراد بالتوحيد « وليس المراد بالتوحيد مجرد توحيد الربوبية وهو اعتقاد أن الله وحده خلق العالم كما يظن ذلك من يظنه من أهل الكلام والتصوف ويظن هؤلاء أنهم إذا أثبتوا ذلك بالدليل فقد أثبتوا غاية التوحيد وأنهم إذا شهدوا هذا وفنوا فيه فقد فنوا فى غاية التوحيد إلى أن قال :

« فإذا فسّر المفسر(الآله) بمعنى القادر على الاختراع واعتقد أن هذا المعنى هو أخص وصف الإله وجعل إثبات هذا هو الغاية فى التوحيد كما يفعل ذلك من يفعله من متكلمة الصفاتية وهو الذى يقولونه عن أبي الحسن وأتباعه لم يعرفوا حقيقة التوحيد الذي بعث الله به رسوله ﷺ فإن مشركى العرب كانوا مقرين بأن الله وحده خالق كل شيء وكانوا مع هذا مشركين » (٢).

٤ ـ تعطيل النصوص عن مدلولاتها

من الأمور الواضحة بعد عرض ما تقدم أن كل الطوائف المخالفة لأهل السنة والجماعة لم يلتزموا بالمفاهيم الواضحة للنصوص وإنما كان حالهم فيها مثل حال من يفسر الواضح حتى يجعله غامضا فهؤلاء تعمقوا ـ كما يظنون ـ فى استخراج الحق الكامن خلف النصوص ثم خرجوا بعلم غزير لم يهتد إليه أحد قبلهم لا الصحابة ولا من جاء بعدهم بل لم يهتد إليه حتى الرسول ﷺ نفسه

---

(١) تيسير العزيز الحميد : ص ٨١ .

(٢) انظر فتح المجيد : ص ١٢ / ١٣ .

وهم وإن لم يصرحوا بذلك ـ لكن عباراتهم ومواقفهم تدل على هذا دلالة لا تخفى على من عرف الغازهم فى كلامهم والمصطلحات التى تستروا بها لدس أفكارهم الضالة حيال التلاعب بالنصوص وإظهارها بالمظهر الذى يريدونه ـ وقد كانوا بحق أذكياء جدا فى عرض شبهاتهم وتأويلاتهم حيث جاءوا بزخرف من القول والدعاية واختيار الأسماء المنفرة لما لا يريدونه وإلقاء الأسماء التى ظاهرها يخدمهم لها رونق وبريق ـ فإنخدع بذلك كثير من عوام المسلمين بل من طلاب العلم وسموا أنفسهم بأحسن الأسماء مثل أهل التوحيد أهل العدل ـ أهل الاستقامة ـ الفرقة الناجية ـ أهل السنة محققين ـ حكماء ، إلى غير ذلك من الألقاب التى أصبغوها على أنفسهم وأتباعهم . وبالتالى أطلقوا أسماء أخرى على أهل السنة والجماعة تنفر السامع عنهم الجاهل غيرهم وتجعله يمتلئ غيظا عليهم كارها لمذهبم وعقيدتهم الحنيفية فأطلقوا عليهم ظلما وعدوانا أهل التشبيه والتجسيم ـ الحشوية ـ خوارج ـ نوابت وفى هذا يقول ابن القيم رحمه الله فى نونيته حكاية عن معطل يحذر أصحابه من مذهب أهل السنة :

قالوا مشبهة مجسمة فلا تسمع مقال مجسم حيوان

وقال أيضا :

ومن العجائب أنهم قالوا لمن قد دان بالآثار والقرآن

أنتم بذا مثل الخوارج أنهم أخذوا الظواهر ما أهتدوا لمعان

وقال أيضا فى تسميتهم لأهل السنة حشوية أى من حشو الناس وسقطهم:

ومن العجائب قولهم لمن اقتدى بالوحى من أثر ومن قرآن

حشوية يعنون حشوا فى الوجود وفضلة فى أمة الإنسان

ويظن جاهلهم بأنهم حشوا رب العباد بداخل الأكوان

إذ قولهم فوق العباد وفى السماء الرب ذو الملكوت والسلطان

ظن الحمير بأن فى للظرف والر حمن محويّ بظرف مكان

أى ظن هؤلاء أن أهل السنة يقولون أن الله فى السماء أى هى ظرف له وتحويه وهو كلام باطل لا يقوله أهل السنة .

وهناك اسم آخر أيضا يسمون به أهل السنة وهو « النوابت أى نبتوا فى الإسلام بأقوال بدعية بعد اختلاطهم بالأعاجم بل وسموا أهل السنة عابدى أوثان لأنهم يقولون أن ربهم فى السماء وفوق العرش بذاته والروافض أيضا يسمون أهل السنة كذبا ــ نواصب » ومن الغرائب أنهم يسبون أهل السنة بما ينطبق عليهم هم وفيهم يقول ابن القيم رحمه الله :

فرموهم بغيا بما الرامى به أولى ليدفع عنه فعل الجانى

يرمى البريء بما جناه مباهتا ولذاك عند الغر يشتبهان

سموهم حشوية ونوابتا ومجسمين وعابدى أوثان

وكذاك أعداء الرسول وصحبه وهم الروافض أخبث الحيوان

نصبوا العداوة للحصابة ثم سموا بالنواصب شيعة الرحمن[1]

وكذا المعطل شبه الرحمن بالمعدوم فاجتمعت له الوصفان

وكذاك شبه قوله بكلامنا حتى نفاه وذان تشبيهان

وأتى إلى وصف الرسول لربه سماه تشبيها فيا أخوان

بالله من أولى بهذا الاسم من هذا الخبيث المخبث الشيطان

فمن المشبه بالحقيقة أنتم أم مثبت الأوصاف للرحمن

---

(١) وقد تقدم فى درس الشيعة أنهم يسمون أهل السنة نواصب وذكرنا الأدلة على هذا من كتبهم ومن كلام علمائهم خلفهم عن سلفهم .

والله عـز وجل يعلم أن أهل السـنة براء من تلك الألقـاب الظالمة فـإن الذى يثبت لله ما أثبته لنفسه لا يجوز أن يسمى مـشبها أو مجسما والذى يقول الله في السـماء أى فى جـهـة العلو المطلق وأن السـماء ليـست ظرف له عـز وجل وإنما المقصود جهة العلو بغير تحديد مكان لا يصح أن يسمى حشويا .

والذى يأخذ بظواهر النصوص ويفهم معانيها فـهما جيدا ويقول عن الكيفية لا علم لى بهـا لأن الله لم يخـبرنا بذلك لا يصح أن يسـمى خـارجيـا يقف على ظواهر النصوص دون فهم لمعانيها .

والذى نبت على معـرفة الحق وما جـاء فى كتاب الله وسنة نبـيه لا يصح أن يسمى نابتا جديدا خارجا عن الحق .

والذى يحترم أهل البيت وينزلهم المنزلة التى تليق بهم فـلا يرفعهم إلى مرتبة العصـمة أو الألوهية ولا ينزلهـم عن قدرهم فيـذم بعضهم ويمدح البـعض الآخر كالرافضة لا يصح أن يسمى رافضيا إن تلك الأسماء كلها فى إطلاقها على أهل الحق ظلم وكذب وزور فهى فى الحقيقـة أسماء لأهل الباطل لكن الجاني يسمي نفسه بريئـا ويسمى البرئ مجرما والله عـز وجل يفصل بين عباده فيمـا كانوا فيه يختلفون .

إن تسلط علمـاء الخلف على النصوص وتحـريفهـا عن معانيـها الصـحيـحة لتوافق ما جاءوا به من عقائد ما أنزل الله بها من سلطان أمر معلوم لطلاب العلم .

فإن هؤلاء لم يصلوا إلى مـا وصلوا ليه من تخبطات فى فـهم النصوص وبناء عـقـائدهم إلا علـى لىّ أعناق النصـوص وزخـرف الأقـاويل فـى تأويلهـا وإيراد الشـبهـات الكثيـرة تحت اسم الأدلة القـاطعة والبـراهين الواضحـة وهى أسـمـاء تخفى وراءهـا خداعهم لمن لم يـعرف ما يهـدفون إليـه من إحياء أفـكار أساطين الملاحدة والفلاسفة من اليونانيين وغيرهم .

وقد ذكرنا من خلال ما تقدمت دراسته بيان مذاهب الفرق الباطلة وأقوالهم المخالفة لكتاب الله وسنة نبيه ﷺ إبتداء بالخوارج وإنتهاء بهذه الفرق الكلامية أتباع الفلاسفة .

ومجمل الاعتقاد فيما تقدم في باب الأسماء والصفات هو أن تثبت لله ما أثبته لنفسه أو أثبته رسوله ﷺ له وأن ننفى عن الله ما نفاه عن نفسه أو نفاه عنه رسوله ﷺ على حسب ما يأتى :

١ ــ نثبت لله تعالى كل الأسماء الحسنى كما قال عز وجل ﴿ **ولله الأسماء الحسنى فادعوه بها وذروا الذين يلحدون فى أسمائه سيجزون ما كانوا يعملون** ﴾[1] .

٢ ــ نثبت له كل الصفات الواردة فى القرآن الكريم .

٣ ــ نثبت أن لله فى كل صفة المثل الأعلى والأكمل .

٤ ــ الإيمان بكل ما جاء من صفات الله تعالى على التفصيل الذى ورد فى القرآن الكريم والسنة النبوية .

٥ ــ أن نثبت معاني كل أسماء الله وصفاته ونتوقف عن الخوض فى كيفياتها لأن الله لم يخبرنا بذلك .

وأن نردد فى كل صفة عبارة السلف : « الاستواء معلوم والكيف مجهول والسؤال عنه بدعة ».

*****

(١) الأعراف ١٨٠ .

٥ ـ جدول مختصر لبيان ثبوت صفات الله تعالى وتأويل الخلف لها (وما من صفة من الصفات إلا وللسلف دليل على ثبوتها لله تعالى) كما فى الجدول الآتي

الصفة	دليل ثبوتها	تعطيل الخلف لها
نفس الله	﴿كتب ربكم على نفسه الرحمة﴾[1] ﴿ويحذركم الله نفسه﴾[2]. وقال ﷺ « يقول تعالى أنا عند ظن عبدى بى وأنا معه إذا ذكرنى فإن ذكرني فى نفسه ذكرته فى نفسى فإن ذكرنى فى ملأ ذكرته فى ملأ خير منه إلخ الحديث »[3] . فلله تعالى نفس لا تعرف كيفيتها وليست كسائر النفوس المركبة فى أبدان المخلوقات . ***	زعموا أن الله لا يصح وصفه بذلك وإنما أضاف النفس إليه مثل إضافة سائر الخلق إله وهو تعطيل لتلك النصوص وغيرها مما لم نورده هنا . ***
علم الله	﴿ يعلم ما يلج فى الأرض وما يخرج منها وما ينزل من السماء وما يعرج فيها﴾[4] . ﴿ألا يعلم من خلق وهو اللطيف الخبير ﴾[5].	لا يؤمنون بصفة العلم على أنها من صفات ذاته عز وجل مضافة إليه ، ومن الغريب .

(١) سورة الأنعام آية : ٥٤ . (٢) سورة آل عمران آية : ٢٨ .
(٣) أخرجه البخارى جـ ١٣ ص ٣٨٤ . ومسلم فى الذكر .
(٤) سورة سبأ : آية ٢ .
(٥) سورة الملك : آية ١٤ .

الصفة	دليل ثبوتها	تعطيل الخلف لها
	وقال رسوال الله ﷺ مفاتح الغيب خمس : « **أن الله عنده علم الساعة وينزل الغيث ويعلم ما فى الأرحام وما تدرى نفس ماذا تكسب غدا وماتدرى نفس بأى أرض تموت** » [١] ****	أنهم يقولون أن الله هو العالم وينكرون أن لله علما مضافا إليه من صفات الذات «يعنى أنهم يثبتون الإسم وينكرون الصفة التى يدل عليها وهو تناقض فإنه لا يعقل عالم بلا علم »[١] . ****
الوجه لله تعالى : صفة ذاتيه لله تعالى	﴿ ويبقى وجه ربك ذو الجلال والإكرام﴾[٢] ﴿ كل شيئ هالك إلا وجه﴾[٣] ولله وجه لا تعلم كيفيته وقال رسول الله ﷺ « **من ابتغى وجه الله وأطاع الإمام وانفق الكريمة وياسر الشريك واجتنب الفساد فإن نومه ونبهه أجر [٤] كله** » الحديث والسلف رحمه الله يثبتون الوجه لله تعالى حقيقة مع تنزيهه عن مشابهة خلقه ولايلزم من المشاركة فى التسمية الاتحاد فى الذات فالله أعلى وأجل من ذلك .	نفوا أن يتصف الله بالوجه وأولوه بمعنى الذات إلى ربك أي ويبقى ثوابه أو هو بمعنى القبلة أو هو كما تقول العرب وجه الدار ووجه الكلام وهذا تكذيب لله ورسوله وتأويل باطل لا مبرر له وهو من تلاعب الشياطين بهؤلاء المعطلة النفاة والسلف يؤمنون بأن لله تعالى وجهاً من غير تشبيه وجه يليق به وهذا هو الحق الموافق لكتاب الله وسنة نبيه .
	(١) سورة لقمان آية ٣٤ والحديث أخرجه البخارى : ج٨ ص ٢٩١ (٢) سورة الرحمن : ٢٧ (٣) سورةالقصص :٨٨ (٤) سنن أبى داوود ج٢ ص١٣ .	(١) انظر التعليق ص ١٠ من كتاب التوحيد لابن خزيمة .

الصفة	دليل ثبوتها	تعطيل الخلف لها
عين الله	﴿ واصنع الفلك بأعيننا ووحينا ﴾(١) ﴿ ولتصنع على عينى ﴾ (٢) ، ويقول النبى ﷺ « أن الله ليس بأعور ألا أن المسيح الدجال أعور عينه اليمنى كأنها عنبة طافية »(٣) .	لا يثبتون هذه الصفة ويؤولونها بحجة أنها مرة جاءت بلفظ الإفراد ومرة بلفظ التثنية متجاهلين أنها أسلوب من أساليب العرب فى لغتهم . والسلف يثبتونها صفة ذاتيه لله تعالى ولا يكيفونها . والخلف أولوها بمعنى حفظ الله أو العلم وأن الحديث فيه تنزيه الله عز وجل عن أن يكون له صفة تشبه صفات خلقه وهذا تأويل
	*****	*****
السمع والبصر	﴿ لقد سمع الله قول الذين قالوا إن الله فقير ونحن أغنياء ﴾(٤) ﴿ إننى معكما أسمع وأرى ﴾ (٥) وقال رسول الله ﷺ لأصحابه حينما رفعوا أصواتهم بالتكبير « أيها الناس إنكم لا تدعون أصم ولا غائباً إنما تدعون قريبا ، وفي رواية إن الذى تدعون هو أقرب إلى أحدكم من عنق راحلته »(٦)	ينفون إثبات السمع والبصر على أنهما صفتان حقيقيتان لله تعالى ويزعمون أن إثباتهما يقتضى تشبيه الله بخلقه لأنه على حسب زعمهم لايوجد فى خارج الذهن من يتصف بالسمع والبصر إلا المخلوقات والسلف يثبتونهما صفتان حقيقيتان لله عز وجل من غير تكييف لهما تمشيا مع الأدلة .

(١) سورة هود ٣٧ . (٢) سورة طه ٣٩
(٣) اخرجه البخارى ج١٣ ص ٩٠ / ٩١ .
(٤) سورة آل عمران ١٨١ (٥) طه ٤٦
(٦) روى بعده طرق انظر صحيح البخارى ج٦ ص١٣٥ .

الصفة	دليل ثبوتها	تعطيل الخلف لها
اليدان	﴿ ما منعك أن تسجد لما خلقت بيدى ﴾ (١) ﴿ بل يداه مبسوطتان ينفق كيف يشاء ﴾ (٢) ﴿ يد الله فوق أيديهم ﴾ (٣) والآيات والأحاديث فى إثبات اليد واليدين لله عز وجل كثيرة جدا من ذلك قول الرسول ﷺ **«إن أحدكم ليتصدق بالثمرة من طيب ولا يقبل الله إلا طيبا فيجعلها في يده اليمنى ثم يربيها كما يربى أحدكم فلوه وفصيله حتى تصير مثل أحد»** (٤) وفى رواية أبى هريرة رضى الله عنه **« ألا وهو يضعها في يدي الرحمة أو كف الرحمن وقال - حتى إن الثمرة لتكون مثل الجبل العظيم »** (٥) وعن أبى موسى عن النبى ﷺ قال **«وأن الله عز وجل يبسط يده بالليل ليتوب مسيئ النهار ويبسط يده بالنهار ليتوب مسيئ الليل حتى تطلع الشمس من مغربها»** (٦) .	نفوها وقالوا إن اليد من صفات المخلوقين وزعموا أن اليد النعمة واليدين النعمتين أو القوة . والسلف يثبتونها صفة حقيقية ذاتية لله عز وجل لا تشبه أيادى المخلوقات فكما أن لله ذاتا لا تشبه الذوات فكذلك له صفات لا تشبه الصفات المخلوقه . ***

(١) سورة ص : ٧٥
(٢) سورة المائده ٦٤
(٣) سورة الفتح : ١٠
(٤) البخارى : ج٣ ص ٢٧٨
(٥) أخرجه مسلم ج٣ ص ٥٠ / ٥١
(٦) أخرجه مسلم ج٥ ص ٦٠٣

الصفة	دليل ثبوتها	تعطيل الخلف لها
الأصبع	عن عبد الله قال أتى النبى ﷺ رجل من أهل الكتاب فقال يا أبا القاسم أبلغك أن الله عز وجل يحمل الخلائق على إصبع السماوات على إصبع والأرضين على إصبع والشجر على أصبع والثرى على أصبع قال فضحك النبي ﷺ حتى بدت نواجذه قال فأنزل الله تعالى﴿ **وما قدروا الله حق قدره والأرض جميعا قبضته يوم القيامة والسماوات مطويات بيمينه** ﴾(١) (٢) وقال رسول الله ﷺ « **ما من قلب إلا وهو بين إصبعين من أصابع الله تعالى إن شاء أقامه وإن شاء أزاغه** »(٣) . ***	ذهب بعضهم إلى نفى ما جاء من النصوص فى إثبات الأصابع وزعموا أن إثباتها إنما هو من أكاذيب اليهود لأنهم من غلاة المشبهه وأن ضحك النبى ﷺ إنما كان كراهة وبغضا لذلك وهذا رد سافر للنص وكذب على الرسول ﷺ أنه يضحك عندما توجه ألفاظ الإهانه الى الله تعالى وبعض هؤلاء لم يجد بدًا من تصحيح الحديث فذهب يؤول الأصابع إلى أنها بمعنى شيء يخلقه الله يحمل السماوات وكل ما ذكر فى الحديث كما تحمل الأصابع الشيء الثقيل إلى غير ذلك من التأويلات الباطلة التى يردها فعل الرسول ﷺ وقوله ومنهم الصحابة رواة الحديث . ***

(١) سورة الزمر ٦٧

(٢) أخرجه البخارى ج٨ ص٥٥٠/ ٥٥١ ومسلم ج٥ ص٦٥٤

(٣) اخرجه مسلم ج٥ ص ٥٠٩

الصفة	دليل ثبوتها	تعطيل الخلف لها
الرجل والقدم	عن أنس أن رسول الله ﷺ قال «**لا تزال جهنم نقول هل من مزيد فيقوم رب العالمين فيضع قدمه فيها فينزوى بعضها إلى بعض فتقول بعزتك قط قط وما يزال في الجنة فضل حتى ينشيء الله لها خلقا آخر فيسكنه الجنة فى فضول الجنة** »(١) وفى رواية فيضع فيها رجله (٢) .	أهل السنة يثبتون أن لله قدما لصريح الحديث فى إثبات الرجل والقدم لله عز وجل ولا يعلم مقدار عظمة ذلك إلا هو سبحانه وتعالى وتكلف القول فى بيان كيفيتها أو الأقدام على نفيها من الباطل المنهى عنه وقد أول المعطلة ما ورد من إثبات القدم لله تعالي فى الحديث بمعنى أن النار حين يضع فيها الجبار المتعالى على الله تقول قط قط وهو تأويل بعيد لا تدل عليه النصوص ولا اللغة وأول المعطلة الرجل إلى معنى الجماعة من الناس .
	***	***
الساق	قال تعالى ﴿ **يوم يكشف عن ساق ويدعون إلى السجود فلا يستطيعون**﴾ (٣) ورد لفظ الساق هنا منكرا ومن هنا وقع خلاف بين علماء السلف هل الساق صفة ذاتية لله أم لها معنى آخر قولين إلا أنه قد جاء حديث صحيح يفصل هذا النزاع وهو حديث	للسلف وغيرهم مفاهيم مختلفة حول ثبوت الساق لله فيروى أن الساق هو الشدة وقيل الساق هو النور العظيم وقيل هو ما يقع للمؤمنين من لطف الله فمن أثبته صفة لله

(١ ، ٢) أخرجه مسلم ج٩ ص ٧٠٤ / ٧٠٥

(٣) القلم : ٤٢

الصفة	دليل ثبوتها	تعطيل الخلف لها
	أبى سعيد الخدري رضى الله عنه وفيه فيكشف عن ساقه فيسجد له كل مؤمن ويبقى من كان يسجد لله رياء وسمعة فيذهب كيما يسجد فيعود ظهره طبقا واحدا ثم يؤتى بالجسر فيجعل بين ظهراني جهنم الحديث[1]. ❊❊❊	تعالى فمستنده حديث أبى سعيد الخدرى ومن نفاه عن الله ذهب إلى تلك التأويلات والحق هو إثبات الساق صفة لله تعالى بدون تكييف ولا تأويل لثبوت ذلك في حديث أبى سعيد الخدرى . ❊❊❊
الاستواء	استواء الله على عرشه كثرت أدلته من القرآن والسنة قال تعالى ﴿**الرحمن على العرش استوى**﴾ [2] وفى الحديث الصحيح أن زينب رضى الله عنها كانت تفخر على أزواج النبى (ﷺ) تقول « **زوجكن أهاليكن وزوجنى الله تعالى من فوق سبع سموات** » [3]. وعن أبي هريرة رضى الله عنه « **أن الله لما قضى الخلق كتب عنده فوق عرشه أن رحمتي سبقت غضبى** » [4]. ❊❊❊	نفوا الاستواء وزعموا أن معنى النصوص الواردة باستوائه أي بمعنى إستيلائه على العرش أوبمعنى الإقبال على خلق العرش وغيره وهى تأويلات باطلة خلاف ماجاءت به النصوص الواضحة من كتاب الله وسنة نبيه بل وخلا ما عرف فى اللغة العربية ❊❊❊

(١) صحيح البخارى ج ١١ ص ٤٤٥ ورواه مسلم . ج١ ص ٤٣٠ .
(٢) سورة طه : ٥ .
(٣) البخارى جـ ١٣ ص ٤٠٣ .
(٤) المصدر السابق جـ ١٣ صـ ٤٠٤ ومسلم جـ ٥ صـ ٥٩٥ .

تعطيل الخلف لها	دليل ثبوتها	الصفة
لا يؤمنون بالنزول ولا المجيء ويؤلون ذلك إلى معنى نزول أمره أو نزول الملائكة أو نزول رحمته. وهو تأويل باطل وتعطيل ظاهر للنصوص والسلف يؤمنون بنزول الله عز وجل وهو من الصفات الفعلية. ينزل ربنا تعالى نزولا يليق به. ****	١ - النزول والمجيء والإتيان في يوم القيامة قال تعالى ﴿ **هل ينظرون إلا أن يأتيهم الله في ظلل من الغمام والملائكة** ﴾ (١) وقال تعالى ﴿ **وجاء ربك والملك صفا صفا** ﴾(٢) ومن السنة : ما جاء في أحاديث القيامة وفصل القضاء بين العباد وهي أحاديث كثيرة منها قوله ﷺ « **فيأتيهم الجبار فيقول أنا ربكم فيقولون أنت ربنا فلا يكلمه إلا الأنبياء فيقول هل بينكم وبينه آية تعرفونه فيقولون الساق فيكشف عن ساقه فيسجد له كل مؤمن ويبقى من كان يسجد لله رياء سمعة** »(٣).. الحديث ٢ - في الدنيا ينزل ربنا كل ليلة كما يرويه أبو هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ أنه قال : « **ينزل ربنا تبارك وتعالى كل ليلة إلى سماء الدنيا حين يبقى ثلث الليل الآخر فيقول من يدعوني فأستجيب له من يسألني فأعطيه من يستغفرني فأغفر له** »(٤) . ****	**النزول والأتيان والمجيء** **١ - يوم القيامة** **٢ - كل ليلة**

(١) سورة البقرة ٢١٠ . (٢) سورة الفجر ٢٢ .

(٣) أخرجه البخاري حـ ١٣ ص ٤٢١ ومسلم جـ ١ صـ ٤٣٤ / ٤٣٥ .

(٤) أخرجه أبو داود صـ ٣٠٣ .

الصفة	دليل ثبوتها	تعطيل الخلف لها
الرضى ، الغضب ، الضحك ، الفرح ، السخط ، التعجب ، المحبة ، الكراهة ، الرحمة .	هذه الصفات يؤمن بها السلف كماجاءت بها النصوص من كتاب الله تعالى ومن سنة نبيه على ما يليق بجلال الله وعظمته وأدلتها على الترتيب قال تعالى : ﴿ **رضى الله عنهم ورضوا عنه**﴾[1] وقال تعالى: ﴿ **ألم تر إلى الذين تولوا قوما غضب الله عليهم**﴾[2] وفى الصحيح أن آخر رجل يدخل الجنة يتوسل إلى الله كلما قدمه درجة طلب أخرى قال عنه الرسول ﷺ فلا يزال يدعو حتى يضحك الله منه فإذا ضحك منه قال له أدخل الجنة » [3]. وقال الرسول ﷺ :« لله أشد فرحا بتوبة عبده من رجل أضل راحلته بأرض دوية مهلكه عليها طعامه وشرابه فطلبها فلم يجدها فنام تحت شجرة ينتظر الموت فلما استيقظ إذا هو بدابته عليها طعامه وشرابه فالله أشد فرحا بتوبة عبده من هذا براحلته »[4].	كل هذه الصفات الاختيارية لا يؤمن بها الخلف فلا يثبتون مادل عليه كل نص . بل جاءوا لها بمعان مختلفة عطلوا بها معاني تلك النصوص فالرضى عندهم إرادة الثواب أو العطاء أو الإنعام والغضب إرادة الإنتقام والضحك إرادة الثواب أو الرضى والفرح قبول التوبة وإرادة الثواب ومحبة الله للعبد بمعنى إحسانه إليه وإنعامه . والرحمة إرادة الله الخير والنعم لعبده وكل تلك التأويلات باطلة ومخالفة للحق الذى قررته الشريعة الإسلامية ولا يلزم من إثباتها أي محذور وليس فيه أي تشبيه لله بخلقه خصوصا وقد مدح الله نفسه بها ولا يتصور التشبيه إلا من لم يعرف الحق ولم يطلع على

(١) البينه : ٨ .

(٢) المجادلة : ١٤ .

(٣) صحيح البخارى : حـ ١ ص ٤٣١ / ٤٣٣ .

(٤) البخارى كتاب الدعوات حـ ١١ ص ١٠٢ .

الصفة	دليل ثبوتها	تعطيل الخلف لها
	وقال تعالى ﴿ **ذلك بأنهم اتبعوا ما أسخط الله وكرهوا رضوانه** ﴾[1]. وقال الرسول ﷺ: « **يعجب ربك من قوم يقادون إلى الجنة بالسلاسل** »[2]. وقال تعالى ﴿ **فسوف يأتي الله بقوم يحبهم ويحبونه** ﴾[3]. وقال تعالى: ﴿ **ولكن كره الله انبعاثهم فثبطهم** ﴾[4] وقال تعالى ﴿**ورحمتي وسعت كل شيء** ﴾[5]. ※※※	مذهب السلف ذلك أنها صفات تليق بالله عز وجل وكما لا نعرف ذاته فكذلك لا نعرف كيفية صفاته.
الكلام صفة ذات وفعل	قال تعالى ﴿ **فأجره حتى يسمع كلام الله** ﴾[6] عن ابن مسعود « **إذا تكلم الله بالوحي سمع أهل السموات شيئًا فإذا فزع عن قلوبهم وسكن الصوت عرفوا أنه الحق** ». وعن أبي هريرة قال قال رسول	لا يؤمنون بأن الله تعالى يتكلم متى شاء ولا يثبتونها صفة لله تعالى وأولوا النصوص الواردة بإثباتها وعطلوها عن مدلولاتها ومن هنا زعموا أن

(١) محمد : ٢٨ .

(٢) متفق عليه والمراد بهم الكفار حين يؤسرون ويؤتى بهم في السلاسل فيسلمون فيدخلون الجنة انظر فتح الباري جـ ٦ صـ ١٤٥ باب الأسارى في السلاسل .

(٣) المائدة : ٥٤ .

(٤) التوبة : ٤٦ .

(٥) الأعراف : ٤٦ .

(٦) التوبة : ٦ .

الصفة	دليل ثبوتها	تعطيل الخلف لها
	الله ﷺ: « **إن الله تبارك وتعالى إذا أحب عبدًا نادى جبريل أن الله قد أحب فلانا فأحبه فيحبه جبريل ثم ينادي جبريل في السماء إن الله قد أحب فلانا فأحبوه فيحبه أهل السماء ويوضع له القبول في أهل الأرض**»[1].	القرآن الكريم مخلوق لم يتكلم به الله وأن نسبة الكلام إلى الله مجاز وهو قول الجهمية . أو هو معنى قائم بذات الله خلقه في غيره وهو قول الماتريدية أو أنه ألفاظ ومعاني فالألفاظ مخلوقة والمعاني قديمة قائمة بالنفس وهو معنى واحد يختلف حسب التعبير به أن عبر عنه بالعربية صار قرآنا وأن عبر عنه بالعبرية صار توراة وأن عبر عنه بالسريانية كان إنجيلا . ولا تعلق له بالمشيئة الإلهية وهذا قول الكلابية ومن تبعهم من الأشاعرة الذين لا يثبتون لله تعالى إلا كلاما نفسيا لله قائما بذاته من غير حرف ولا صوت وأن القرآن متعلق بالمشيئة والقدرة وأنه قائم بذات الرب إلا أنه حدث بعد أن لم يكن وهذا قول الكرامية أو أن

(١) أخرجه البخاري جـ ٦ ص ٣٠٣ .

الصفة	دليل ثبوتها	تعطيل الخلف لها
		كل كلام طيبا أو خبيثا هو كلام الله وهذا قول الاتحادية إلى غير ذلك من الأقوال الباطلة . ومذهب السلف أن الله يتكلم متى شاء بما شاء على وجه لا نعرف كيفيته وأن نوع الكلام قديم وآحاده حادثة. *****
الرؤية **الرؤية ليست من صفات الله تعالى والغرض هو بيان تعطيل الخلف للنصوص**	لا يختلف السلف في أن الله يرى بالأبصار في يوم القيامة قال تعالى **﴿ وجوه يومئذ ناضرة إلى ربها ناظرة﴾** (1) . وفي السنة عن جرير بن عبد الله قال كنا جلوسا عند النبي ﷺ إذ نظر إلى القمر ليلة البدر فقال إنكم سترون ربكم عز وجل كما ترون هذا لا تضامون في رؤيته فإن استطعتم أن لا تغلبوا على صلاة قبل طلوع الشمس وقبل غروبها فافعلوا » (2).	ينفي المخالفون رؤية الله في الدار الآخرة ويزعمون أنها تؤدي إلى القول بأن الله مثل الحوادث وأنه متحيز في مكان ، وزعموا أن قول الله **﴿وجوه يومئذ ناضرة ﴾** أي منتظرة لفضله ونعمه . وأن « لن » في قول الله تعالى لموسى **﴿ لن تراني ﴾** على التأبيد وهو كذب على اللغة وعلى الحق وأهل السنة يثبتون رؤية الله في الدار الآخرة يرونه بأبصارهم رؤية لا تعرف كيفيتها بعيدة عن التشبيه وعن

(1) سورة القيامة ٢٢ ـ ٢٣ .

(2) رواه البخاري حـ ١٣ ص ٤١٩ .

الصفة	دليل ثبوتها	تعطيل الخلف لها
		وعن ما يتوهمه أهل التعطيل وفي رؤية النبي ﷺ لربه في الدنيا خلاف مشهور بين الصحابة ومن جاء بعدهم . ***
العلو	علو الله أمر معلوم من الدين بالضرورة قال تعالى : ﴿ **بل رفعه الله إليه** ﴾[1] وقال تعالى ﴿ **أأمنتم من في السماء** ﴾ [2] . عند أهل السنة كلمة السماء المراد بها مطلق العلو وتكون في بمعنى على قال تعالي ﴿ **يخافون ربهم من فوقهم** ﴾ . وقال الرسول ﷺ للجارية : «أين الله ؟ قالت في السماء» [3] . ***	ينكر المعطلة صفة العلو ويزعمون أن الله في كل مكان بذاته وأولوا الفوقية أنها بمعنى فوقية القدر والعظمة وهو تعطيل للنصوص ورد لها وجحد للحق الثابت . ***

(١) النساء : ١٥٨ .

(٢) الملك : ١٦

(٣) أخرجه مسلم ج٢ ص ١٧٤ .

هذا وأسأل الله عز وجل أن يكون فيما تقدم ما ينفع وأن يجزل لي الأجر فإنه يجزي على الـ مل الحقير الأجر الكثير وكل ما أطمع فيه هو عفو الله وثوابه

فى جمع تلك المعلومات وكتابتها وجمع شتات ما تفرق فى كتب العلماء حول الطوائف المخالفة للحق الذى جاء به نبينا محمد ﷺ وأنني مدين فى آخر الانتهاء من هذا البحث بالشكر العظيم لله عز وجل أولا ثم لأصدقائى من مشائخ فضلاء وطلاب علم وموظفين فى مكتبات الجامعة الإسلامية وغيرها من تيسير كثير من المراجع التي لم تتوفر لدي وإحتسابهم ذلك عند الله تعالى ولم يرغبوا في ذكر أسمائهم والإشادة بهم ولهم في قلبي أعمق الود والإجلال .

أسأل الله لى و لهم ولكل طالب علم ولكل المسلمين عموما الهداية والتوفيق .

وهو حسبنا ونعم الوكيل ..

وصلى الله وسلم على سيدنا محمد وآله وصحبه أجمعين

*****

ومن المراجع المفيدة في دراسة أقوال علماء أهل الكلام

- **فتاوى** شيخ الإسلام ابن تيمية .
- **القصيدة النونية** للإمام ابن القيم مع شرحها للهراس .
- **الصواعق المنزلة** لابن القيم مع تحقيقها للدكتور أحمد عطية الغامدى والدكتور علي بن ناصر فقيهي .
- **بيان تلبيس الجهمية** - لشيخ الإسلام ابن تيمية .
- **كتاب التوحيد وإثبات صفات الرب عز وجل** لابن خزيمة .
- **شرح الأصول الخمسة** للقاضي عبد الجبار .
- **مختصر الصواعق المرسلة على الجهمية والمعطلة** لابن القيم
- **اجتماع الجيوش الإسلامية على غزو المعطلة والجهمية** لابن القيم .
- **رد الإمام الدارمي على بشر المريسي** لعثمان بن سعيد الدارمي
- **شرح العقيدة الطحاوية** لابن أبي العز .
- **مقالات الإسلاميين واختلاف المصليين** لأبي الحسن الأشعري
- **الفرق بين الفرق** للبغدادي .
- **الملل والنحل** للشهرستاني .
- **الفصل في الملل والأهواء والنحل** لابن حزم .
- **الإبانة** لأبي الحسن الأشعري .
- **كتاب الإيمان لابن منده** تحقيق الدكتور علي بن ناصر .
- **المعتزلة** عواد بن عبد الله المعتق .
- **تاريخ المذاهب الإسلامية** لأبي زهرة .

ـ **فتح المجيد** للشيخ عبد الرحمن بن حسن آل الشيخ .

ـ **تيسير العزيز الحميد** للشيخ سليمان بن عبد الله بن محمد بن عبد الوهاب .

ـ **الصفات الإلهية** للدكتور محمد أمان الجامي .

ـ **أبو الحسن الأشعري** للشيخ حماد الأنصارى .

ـ **عقيدة التوحيد فى فتح الباري شرح صحيح البخاري** للشيخ أحمد عصام الكاتب .

ـ **تاريخ الجهمية والمعتزلة** للشيخ جمال الدين القاسمي .

ـ **العصريون معتزلة اليوم** يوسف كمال .

ـ **المعتزلة بين الفكر والعمل على الشابي** / أبو لبابه حسين / عبد المجيد النجار .

ـ **خلق أفعال العباد للإمام البخاري** محمد بن إسماعيل .

ـ **المواقف** للعضد إلايجي .

ـ **اجتماع الجيوش الإسلامية على غزو المعطلة والجهمية** .

ـ **الفتوى الحموية الكبرى** لشيخ الإسلام ابن تيمية .

ـ **التحفة المهدية شرح الرسالة التدمرية** للشيخ فالح بن مهدي آل مهدي .

ـ **درء تعارض العقل والنقل** لشيخ الإسلام ابن تيمية .

ـ **الصفات الخبرية بين الإثبات والتأويل** للشيخ عثمان بن عبد الله آدم .

ومئات المراجع التى كتبها العلماء فى دراستهم لهذه الفرق مما لا يخفى على طلاب العلم وقد ذكرت فيما تقدم مراجع قديمة ومراجع عصرية . وأرغب فى نهاية دراسة هذه الفرق أن أتقدم بنصيحة إلى كل محب من طلاب العلم أن لايزهد عن كتابة المتأخرين فإن فيها صفوة كثير من المعلومات لاطلاع هؤلاء

على ماكتبه السابقون وإستخلاص زبدة أفكارهم ثم تدوينها فى كتاباتهم وليس من الإنصاف الإعراض عنها بحجة أنهم عالة على ما كتبه القدامى فهذا خطأ يفوتك فوائد قد تجتنيها بدون عناء مع أنه محق فى أن علماء هذا العصر عالة على ماكتبه القدامى لمعايشتهم الأحداث وصفاء عقولهم وإخلاصهم فى نفع الناس ولكن هذا لا يمنع أن توجد فوائد قد لانجدها فى بعض كتابات القدامى ومن قال بخطأ هذا فقد زعم إنحصار فضل الله عز وجل على عباده فإن الله تعالى هو الوهاب وهو الفتاح العليم غفر الله لعلمائنا من تقدم منهم ومن تأخر ونسأله عز وجل أن يلحقنا بهم صالحين غير خزايا ولا مفتونين .

﴿ ربنا إغفر لنا ولإخواننا الذين سبقونا بالإيمان ولا تجعل فى قلوبنا غلا للذين آمنوا ربنا إنك رؤوف رحيم ﴾ [1] .

*****

(١) الحشر : ١٠ .

فهرس الجزء الأول

الموضوع	الصفحة

الموضوع	الصفحة

*****

الباب الثاني

دراسة عن الخوارج

الموضوع	الصفحة

الموضوع	الصفحة

الموضوع	الصفحة

الموضوع	الصفحة

الموضوع	الصفحة

الباب الرابع

الباطنية

الباب الخامس

« النصيرية »

الباب السادس

الدروز

الموضوع	الصفحة

الموضوع	الصفحة

الموضوع	الصفحة

****

فهرس الجزء الثاني

الموضوع | **الصفحة**

الباب الثامن

القاديانية

الموضوع	الصفحة

الموضوع	الصفحة

الموضوع	الصفحة

الموضوع	الصفحة

الباب الحادي عشر

الجهمية

الموضوع	الصفحة

الباب الثاني عشر

المعتزلة

الباب الثالث عشر

الأشاعرة أو السبعية .

الموضوع	الصفحة

الموضوع	الصفحة

****

رقم الإيداع بدار الكتب: ٩٣/٩١٧٦

الترقيم الدولي I.S.B.N:977 - 00 - 5908 - 0

تطلب جميع منشوراتنا من
مكتبة أضواء المنار
السعودية ـ المدينة المنورة ـ مجمع أحد التجاري
ت: ٨٣٧٠١٨٥ ب: ٥٤٩١